الإتقان في علوم القرآن

تأليف
جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

قدم له وعلق عليه
الأستاذ محمد شريف سكر

جمعه
الأستاذ مصطفى القصاص

الجزء الأول

دار إحياء العلوم
بيروت

الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

حقوق الطبع محفوظة

دار إحياء العلوم
بيروت

مكتبة المعارف
الرياض

الإتقان
في علوم القرآن
١

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى صحبه ومن اتبع هداهم الى يوم الدين.

وبعد، فهذا كتاب (الإتقان في علوم القرآن) الكريم، للعالم العلامة، والحبر الفهامة، الحافظ، الفقيه (جلال الدين السيوطي) رحمه الله تعالى.

والإمام السيوطي عالم جليل، جمع من العلوم فأوعى، فأخرج للناس من الكتب ما يعجز عن مثلها جهابذة العلماء، حتى انه ليعد من القلة الذين لم يتركوا علماً من علوم الدين والعربية الا وتركوا لنا فيه مؤلَّفاً جديراً بالقراءة والاقتناء والدراسة العميقة. ومن يقرأ له كتاباً في أي موضوع كتب فيه يعتقد انه متفوق في ذلك الموضوع وذلك العلم اكثر من سائر العلوم، ولكنه في الحقيقة متفوق في العلوم جميعاً، حتى ليصعب على المدقق ان يعين العلم الذي تميز به، لانه بلغ القمة فيها جميعاً. وكان الامام السيوطي يتحدث عن نفسه فيقول: رزقت التبحّر في سبعة علوم: ١ ـ التفسير، ٢ ـ الحديث، ٣ ـ الفقه، ٤ ـ النحو، ٥ ـ المعاني، ٦ ـ البيان، ٧ ـ البديع.

ولا يحق لنا أن نعتبر وصف السيوطي لنفسه بالتبحر في العلوم السبعة: عجباً وتيهاً، ولكن من باب ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾، لأن التيه يكون عادة من شخص لا يملك ما يتيه به، او يكون التيه في أمر من أمور الدنيا يتنافس فيها الناس ويتقاتلون، اما في العلم فلا يعد تيهاً، اذا كانت النية طيبة، واذا كان القصد: ان يقصده المتعلمون لينهلوا من زاخر علمه، إذ مما لا شك فيه ان كتم العلم أشدُّ إثماً من التيه عند الله تعالى.

لقد عدّ لنا متتبعو مؤلفات السيوطي نيفاً ومئة كتاب في مختلف الموضوعات، وأغلبها في العلوم الاسلامية، وفي العلوم القرآنية خاصة نجد له ثلاثة واربعين مؤلفاً، لا بأس من ذكرها، ليتبين القارىء الكريم مقدار علم هذا العالم، وليحاول الاطلاع عليها، او على بعضها على الاقل، لأن فيها الفائدة كل الفائدة:

١ ـ الاتقان في علوم القرآن.

٢ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور.

٣ ـ ترجمان القرآن في التفسير المسند

٤ ـ اسرار التزيل ويسمى أيضاً «قطف الازهار في كشف الاسرار».

٥ ـ لباب النقول في اسباب النزول.

٦ ـ مُفحِمات الأقران في مبهمات القرآن.

٧ ـ المذهب فيما وقع في القرآن من المعرب

٨ ـ الإكليل في استنباط التنزيل.

٩ ـ تكملة تفسير الشيخ جلال الدين المحلي.

١٠ ـ التحبير في علوم التفسير.

١١ ـ نواهد الابكار وشواهد الأفكار (وهو حاشية على تفسير البيضاوي)

١٢ ـ تناسق الدُرَر في تناسب السُوَر

١٣ ـ مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع.

١٤ ـ مجمع البحرين ومطلع البدرين (في التفسير).

١٥ ـ مفاتيح الغيب (في التفسير).

١٦ ـ الازهار الفائحة على الفاتحة (شرح الاستعاذة والبسملة).

١٧ ـ التصدير (ألقاه السيوطي لما باشر التدريس بحضرة شيخه البلقيني).

١٨ ـ شرح الشاطبية (في القراءات والتجويد).

١٩ - خمايل الزَّهَر في فضائل السُوَر.

٢٠ - فتح الجليل للعبد الذليل (في الانواع البديعية المستخرجة من قوله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ قال رحمه الله: عددتها مائة وعشرون نوعاً).

٢١ - القول الفصيح في تعيين الذبيح.

٢٢ - اليد البسطي في الصلاة الوسطى.

٢٣ - معترك الأقران في مشترك القرآن.

٢٤ - اتمام الدراية لقراء النقاية.

٢٥ - اعلام الحسنى بمعاني الاسماء الحسنى.

٢٦ - تحفة النابه في تلخيص المتشابه.

٢٧ - تشنيف السمع بتعديد السبع.

٢٨ - تفسير الفاتحة.

٢٩ - الجواب الأرشد في تنكير الأحد وتعريف الصمد.

٣٠ - الدر المنتظم في الاسم الاعظم.

٣١ - الدر النثير في قراءة ابن كثير.

٣٢ - دفع التعسف في إخوة يوسف.

٣٣ - شواهد الابكار في حاشية الانوار.

٣٤ - فائدة سورة الانعام.

٣٥ - القذاذة في تحقيق محل الاستعاذة.

٣٦ - لباب النقول فيما وقع في القرآن من المعرب والمنقول.

٣٧ - مجاز الفرسان الى مجاز القرآن.

٣٨ - مفاتيح الغيب (في التفسير من سورة سبّح الى آخر القرآن).

٣٩ - ميدان الفرسان في شواهد القرآن.

٤٠ - ميزان المعدلة في شأن البسملة.

٤١ ـ ناسخ القرآن ومنسوخه.
٤٢ ـ طبقات الحفاظ.
٤٣ ـ طبقات المفسرين.

واذا عدنا الى كتاب (الإتقان في علوم القرآن) وهو الذي نكتب له هذه المقدمة نجد ان المؤلف رحمه الله قد استعرض جميع ما كان في عصره من مؤلفات في علوم القرآن الكريم، فلخص ما فيها تلخيصاً لا إخلال فيه، فما رأى فيها من بديع الفكر إلا قطفه وما رأى فيها من خطأ إلا قومه، ثم انه يقارن بين الآراء المختلفة في الموضوع الواحد، فيرجح ما رآه يستحق الترجيح. وفوق ذلك فقد أضاف أشياء مبتكرة من فكره وفهمه تشهد له بسعة الفهم وعمقه، وقد وصل الى أمور لم يتوصل اليها من سبقوه.

والمؤلف رحمه الله في كل موضوع من موضوعات الكتاب تراه يذكر الكتب التي نقل عنها، وهي لو جمعت الآن لملأت خزائن كثيرة. وان كثيراً من هذه الكتب لا نعرفها اليوم، ولم تصل الينا، فهو في كتابه هذا قد حفظ أثمن ما فيها وان لم يحفظها كلها، لقد نقل الينا زبدة القول فيها، وهذا امر بالغ الاهمية.

وكتاب (جامع علوم القرآن) يدل اسمه على حقيقته، فهو يضم علوماً عدة، فكل موضوع من موضوعاته هو كتاب قائم بذاته، ولا يجمعه بسواه من الموضوعات سوى انه متعلق بالقرآن الكريم. وكل موضوع اشبه ما يكون (بالمتن المختصر) المركز بحيث يستحق من العلماء المعاصرين ان يعمدوا اليه، ويشرحوه، ويفصلوه، ويكثروا من الشواهد عليه، ويعرضوه عرضاً عصرياً. وهذا لا يعني ان اسلوب الكتاب ثقيل على السمع والقلب، بل العكس هو الصحيح، ولكن الكتاب لكثرة تركيزه في بعض الموضوعات لا يفهمه الا ارباب الاختصاص في علوم القرآن، ولكنه في مواضيع اخرى يستطيع كل مثقف ثقافة اسلامية متوسطة ان يعيها وعياً كافياً.

لقد كان الاوائل قبل عصر السيوطي يقولون: «ما ترك الاوائل للأواخر شيئاً» و«كل علم بحثه الاوائل فقد نضج واثمر وأتمر» اي لا يستطيع المتأخرون ان يزيدوا على علم الأوائل شيئاً. ولكن السيوطي اثبت لنا: ان الخلف قد ابدعوا كإبداع السلف حتى ليحق لنا ان نحوّر المثل الذي اطلقوه فنقول: «كم ترك الاوائل للأواخر».

هذا وان فيما فعله السيوطي أسوة حسنة لنا، ويجب علينا نحن متأخري الاواخر ان نعمل على استخراج مزيد من ذخائر القرآن وكنوزه التي لم يصل اليها السابقون وهي كثيرة ﴿لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد﴾.

واننا لنجد كبار الادباء في عصرنا قد ساهموا في الكتابة في فنون القرآن نذكر منهم: عباس محمود العقاد ومصطفى صادق الرافعي وطه حسين وسيد قطب وبنت الشاطىء وعزة دروزة وعفيف طبارة وسواهم بالاضافة الى علماء الدين في مصر والسعودية وسورية وسائر البلاد العربية والاسلامية.

ولا يسعني في هذه المقدمة الا ان اشكر الحاج سعد الدين عيتاني صاحب (دار احياء العلوم) لأنه يجدد ويحيي الكتب الاسلامية عامة والقرآنية خاصة، وهو اذ يعيد طبعها يعمل على اظهارها بثوب قشيب جديد يجعلها سهلة التناول للقراء العامة منهم والخاصة.

نسأل الله تعالى ان يوفقه ويوفق كل ساع الى خدمة القرآن الكريم انه سميع مجيب.

محمد شريف سكر

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قال الشيخ الإمام العالم العلاّمة، الحبر البحر الفهّامة، المحقق المدقق الحجة، الحافظ المجتهد شيخ الإسلام والمسلمين، وارث علوم سيد المرسلين، جلال الدين، أوحد المجتهدين، أبو الفضل عبد الرحمن ابن سيدنا الشيخ المرحوم كمال الدين، عالم المسلمين، أبو المناقب، أبو بكر السيوطي الشافعي: الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب تبصرة لأولي الألباب، وأودعه من فنون العلوم والحكم العجب العُجاب، وجعله أجلّ الكتب قدراً، وأغزرها علماً، وأعذبها نظماً، وأبلغها في الخطاب، قرآنا عربياً غير ذي عوج ولا مخلوق، ولا شبهة فيه ولا ارتياب. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ربّ الأرباب، الذي عنت لقيومته الوجوه وخضعت لعظمته الرقاب. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، المبعوث من أكرم الشعوب وأشرف الشعاب، إلى خير أمة بأفضل كتاب، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الأنجاب، صلاة وسلاماً دائمين الى يوم المآب.

وبعد: فإن العلم بحر زخّار لا يدرك له من قرار، وطود شامخ لا يُسلك إلى قننه ولا يُصار، من أراد السبيل إلى استقصائه لم يبلغ الى ذلك وصولاً، ومن رام الوصول الى إحصائه لم يجد إلى ذلك سبيلاً، كيف وقد قال تعالى مخاطباً لخلقه ﴿وما أُوتيتمُ من العلمِ إلا قليلاً﴾ وإن كتابنا القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء، وأبان فيه كل

هدى وغي، فترى كل ذي فن منه يستمد، وعليه يعتمد. فالفقيه يستنبط منه الأحكام، ويستخرج حكم الحلال والحرام. والنحوي يبني منه قواعد إعرابه، ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه. والبيانيّ يهتدي به إلى حسن النظام، ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام. وفيه من القصص والأخبار ما يذكر أولي الأبصار، ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار، إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها، هذا مع فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب تبهر العقول وتسلب القلوب، وإعجاز نظم لا يقدر عليه إلا علاّم الغيوب، ولقد كنت في زمان الطلب أتعجب من المتقدمين إذ لم يدونوا كتاباً في أنواع علوم القرآن، كما وضعوا ذلك بالنسبة إلى علم الحديث، فسمعت شيخنا أستاذ الأستاذين، وإنسان عين الناظرين، خلاصة الوجود، علامة الزمان، فخر العصر وعين الأوان، أبا عبدالله محي الدين الكافيجي مدّ الله في أجله، وأسبغ عليه ظله يقول:

قد دوّنت في علوم التفسير كتاباً لم أُسبق إليه، فكتبته عنه، فإذا هو صغير الحجم جداً، وحاصل ما فيه بابان:

الأول: في ذكر معنى التفسير والتأويل والقرآن والسورة والآية. والثاني: في شروط القول فيه بالرأي. وبعدهما خاتمة في آداب العالم والمتعلم، فلم يشف لي ذلك غليلاً ولم يهدني إلى المقصود سبيلاً.

ثم أوقفني شيخنا شيخ مشايخ الإسلام، قاضي القضاة، خلاصة الأنام، حامل لواء المذهب المطلبي، علم الدين البلقيني، رحمه الله تعالى على كتاب في ذلك لأخيه قاضي القضاة جلال الدين، سماه [مواقع العلوم من مواقع النجوم] فرأيته تأليفاً لطيفاً، ومجموعاً طريفاً، ذا ترتيب وتقرير، وتنويع وتحبير. قال في خطبته: قد اشتهرت عن الإمام الشافعي رضي الله عنه مخاطبة لبعض خلفاء بني العباس

فيها ذكر بعض أنواع القرآن يحصل منها لمقصدنا الاقتباس، وقد صنف في علوم الحديث جماعة في القديم والحديث، وتلك الأنواع في سنده دون متنه، أو في مسنديه وأهل فنه، وأنواع القرآن شاملة، وعلومه كاملة، فأردت أن أذكر في هذا التصنيف ما وصل إلى علمي مما حواه القرآن الشريف من أنواع علمه المنيف. وينحصر في أمور:

الأول: مواطن النزول وأوقاته ووقائعه، وفي ذلك اثنا عشر نوعاً: المكي، المدني، السفري، الحضري، الليلي، النهاري، الصيفي، الشتائي، الفراشي، أسباب النزول، أو ما نزل، آخر ما نزل.

الأمر الثاني: السند، وهو ستة أنواع: المتواتر، الآحاد، الشاذ، قراءات النبي ﷺ، الرواة، الحفاظ.

الأمر الثالث: الأداء، وهو ستة أنواع: الوقف، الابتداء، الإمالة، المدّ، تخفيف الهمزة، الإدغام.

الأمر الرابع: الألفاظ، وهو سبعة أنواع: الغريب، المعرّب، المجاز، المشترك، المترادف، الاستعارة، التشبيه.

الأمر الخامس: المعاني المتعلقة بالأحكام، وهو أربعة عشر نوعاً: العام الباقي على عمومه، العام المخصوص، العام الذي أُريد به الخصوص، ما خُصَّ فيه الكتاب السنة، ما خصت فيه السنة الكتاب، المجمل، المبين، المؤول، المفهوم، المطلق، المقيد، الناسخ، المنسوخ، نوع من الناسخ والمنسوخ وهو ما عمل به من الأحكام مدة معينة والعامل به واحد من المكلفين.

الأمر السادس: المعاني المتعلقة بالألفاظ، وهو خمسة أنواع: الفصل، الوصل، الإيجاز، الإطناب، القصر. وبذلك تكملت الأنواع خمسين، ومن الأنواع ما لا

يدخل تحت الحصر : الأسماء ، الكنى ، الألقاب ، المبهمات. فهذا نهاية ما حصر من الأنواع.

هذا آخر ما ذكره القاضي جلال الدين في الخطبة. ثم تكلم في كل نوع منها بكلام مختصر يحتاج إلى تحرير وتتمات وزوائد مهمات، فصنفت في ذلك كتاباً سميته [التحبير في علوم التفسير] ضمنته ما ذكره البلقيني من الأنواع مع زيادة مثلها، وأضفت إليه فوائد سمحت القريحة بنقلها، وقلت في خطبته:

أما بعد: فإن العلوم وإن كثر عددها، وانتشر في الخافقين مددها، فغايتها بحر قعره لا يُدرك، ونهايتها طود شامخ لا يُستطاع إلى ذروته أن يسلك، ولهذا يفتح لعالم بعد آخر من الأبواب ما لم يتطرّق إليه من المتقدمين الأسباب، وإن مما أهمل المتقدمون تدوينه حتى تحلى في آخر الزمان بأحسن زينة « علم التفسير » الذي هو « كمصطلح الحديث » فلم يدوّنه أحد لا في القديم ولا في الحديث حتى جاء شيخ الإسلام عمدة الأنام علامة العصر قاضي القضاة جلال الدين البلقيني رحمه الله تعالى، فعمل فيه كتابه [مواقع العلوم من مواقع النجوم] فنقحه وهذبه وقسم أنواعه ورتبه ولم يسبق إلى هذه المرتبة، فإنه جعله نيفاً وخمسين نوعاً منقسمة إلى ستة أقسام، وتكلم في كل نوع منها بالمتين من الكلام، لكن كما قال الإمام أبو السعادات ابن الأثير في مقدمة نهايته: كل مبتدىء بشيء لم يسبق إليه، ومبتدع أمر لم يتقدم فيه عليه، فإنه يكون قليلاً ثم يكثر، وصغيراً ثم يكبر، فظهر لي استخراج أنواع لم يسبق إليها، وزيادات مهمات لم يستوف الكلام عليها، فجرّدت الهمة إلى وضع كتاب في هذا العلم، أجمع به إن شاء الله تعالى شوارده، وأضم إليه فوائده، وأنظم في سلكه فرائده، لأكون في إيجاد هذا العلم ثاني اثنين، واحداً في جمع الشتيت منه كألف أو كألفين، ومُصيِّراً فني التفسير والحديث في استكمال التقاسم ألفين، وإذ برز زهر اكمامه وفاح: وطلع بدر كماله

ولاح، وآذن فجره بالصباح، ونادى داعيه بالفلاح، سميته [بالتحبير في علوم التفسير].

وهذه فهرست الأنواع بعد المقدمة.

النوع الأول والثاني: المكي والمدني. الثالث والرابع: الحضري والسفري. الخامس والسادس: النهاري والليلي. السابع والثامن: الصيفي والشتائي. التاسع والعاشر: الفراشي والنومي. الحادي عشر: أسباب النزول. الثاني عشر: أول ما نزل. الثالث عشر: آخر ما نزل. الرابع عشر: ما عُرف وقت نزوله. الخامس عشر: ما أنزل فيه ولم ينزل على أحد من الأنبياء. السادس عشر: ما أنزل منه على الأنبياء. السابع عشر: ما تكرّر نزوله. الثامن عشر: ما نزل مفرّقاً. التاسع عشر: ما نزل جمعاً. العشرون: كيفية إنزاله، وهذه كلها متعلقة بالنزول. الحادي والعشرون: المتواتر. الثاني والعشرون: الآحاد. الثالث والعشرون: الشاذ. الرابع والعشرون: قراءات النبي ﷺ. الخامس والسادس والعشرون: الرواة والحفاظ. السابع والعشرون: كيفية التحمل. الثامن والعشرون: العالي والنازل. التاسع والعشرون: المسلسل، وهذه متعلقة بالسند. الثلاثون: الابتداء.

الحادي والثلاثون: الوقف. الثاني والثلاثون: الإمالة. الثالث والثلاثون: المدّ. الرابع والثلاثون: تخفيف الهمزة. الخامس والثلاثون: الإدغام. السادس والثلاثون: الإخفاء. السابع والثلاثون: الإقلاب. الثامن والثلاثون: مخارج الحروف، وهذه متعلقة بالأداء. التاسع والثلاثون: الغريب. الأربعون: المعرّب. الحادي والأربعون: المجاز. الثاني والأربعون: المشترك. الثالث والأربعون: المترادف. الرابع والخامس والأربعون: المحكم والمتشابه. السادس والأربعون: المشكل. السابع والثامن والأربعون: المجمل والمبين. التاسع والأربعون: الاستعارة. الخمسون: التشبيه.

الحادي والثاني والخمسون: الكناية والتعريض. الثالث والخمسون: العام الباقي على عمومه. الرابع والخمسون: العام المخصوص. الخامس والخمسون: العام الذي أريد به الخصوص. السادس والخمسون: ما خص فيه الكتاب والسنة. السابع والخمسون: ما خصت فيه السنة الكتاب. الثامن والخمسون: المؤول. التاسع والخمسون: المفهوم. الستون والحادي والستون: المطلق والمقَيد. الثاني والثالث والستون: الناسخ والمنسوخ. الرابع والستون: ما عمل به واحد ثم نسخ. الخامس والستون: ما كان واجباً على واحد. السادس والسابع والثامن والستون: الإيجاز والإطناب والمساواة. التاسع والستون: الأشباه.

السبعون والحادي والسبعون: الفصل والوصل. الثاني والسبعون: القصر. الثالث والسبعون: الاحتباك. الرابع والسبعون: القول بالموجب. الخامس والسادس والسابع والسبعون: المطابقة والمناسبة والمجانسة. الثامن والتاسع والسبعون: التورية والاستخدام. الثمانون: اللف والنشر. الحادي والثمانون: الالتفات. الثاني والثمانون: الفواصل والغايات. الثالث والرابع والخامس والثمانون: أفضل القرآن وفاضله ومفضوله. السادس والثمانون: مفردات القرآن. السابع والثمانون: الأمثال. الثامن والتاسع والثمانون: آداب القارىء والمقرىء. التسعون: آداب المفسر.

الحادي والتسعون: من يقبل تفسيره ومن يرد. الثاني والتسعون: غرائب التفسير. الثالث والتسعون: معرفة المفسرين. الرابع والتسعون: كتابة القرآن. الخامس والتسعون: تسمية السور. السادس والتسعون: ترتيب الآي والسور، السابع والثامن والتاسع والتسعون: الأسماء والكنى والألقاب. المائة: المبهمات. الأول بعد المائة: أسماء من نزل فيهم القرآن. الثاني بعد المائة: التاريخ. وهذا آخر ما ذكرته في خطبة التحبير، وقد تم هذا الكتاب ولله الحمد من سنة اثنتين وسبعين، وكتبه من هو في طبقة أشياخي من أولي التحقيق.

ثم خطر لي بعد ذلك أن أؤلف كتاباً مبسوطاً ومجموعاً مضبوطاً، أسلك فيه طريق الإحصاء وأمشي فيه على منهاج الاستقصاء، هذا كله وأنا أظن أني متفرّد بذلك غير مسبوق بالخوض في هذه المسالك، فبينا أنا أجيل في ذلك فكري أقدّم رِجْلاً وأؤخر أخرى، إذ بلغني أن الشيخ الإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي أحد متأخري أصحابنا الشافعيين ألف كتاباً في ذلك حافلاً يسمى [البرهان في علوم القرآن] فتطلبته حتى وقفت عليه، فوجدته قال في خطبته: لما كانت علوم القرآن لا تحصى، ومعانيه لا تستقصى، وجبت العناية بالقدر الممكن، ومما فات المتقدمين وضع كتاب يشتمل على أنواع علومه كما وضع الناس ذلك بالنسبة إلى علم الحديث، فاستخرت الله تعالى وله الحمد في وضع كتاب في ذلك جامع، لما تكلم الناس في فنونه وخاضوا في نكته وعيونه، وضمنته من المعاني الأنيقة والحكم الرشيقة، ما بهر القلوب عجباً ليكون مفتاحاً لأبوابه، عنواناً على كتابه، معيناً للمفسر على حقائقه، مطلعاً على بعض أسراره ودقائقه، وسميته [البرهان في علوم القرآن].

وهذه فهرست أنواعه: النوع الأول: معرفة سبب النزول. الثاني: معرفة المناسبة بين الآيات. الثالث: معرفة الفواصل. الرابع: معرفة الوجوه والنظائر. الخامس: علم المتشابه. السادس: علم المبهمات. السابع: في أسرار الفواتح. الثامن: في خواتم السور. التاسع: في معرفة المكي والمدني. العاشر: في معرفة أول ما نزل. الحادي عشر: معرفة على كم لغة نزل. الثاني عشر: في كيفية إنزاله. الثالث عشر: في بيان جمعه ومن حفظه من الصحابة. الرابع عشر: معرفة تقسيمه. الخامس عشر: معرفة أسمائه. السادس عشر: معرفة ما وقع فيه من غير لغة الحجاز. السابع عشر: معرفة ما فيه من غير لغة العرب. الثامن عشر: معرفة غريبه. التاسع عشر: معرفة التصريف. العشرون: معرفة الأحكام.

الحادي والعشرون: معرفة كون اللفظ أو التركيب أحسن وأفصح. الثاني

والعشرون: معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص. الثالث والعشرون: معرفة توجيه القرآن. الرابع والعشرون: معرفة الوقف. الخامس والعشرون: علم رسوم الخط. السادس والعشرون: معرفة فضائله. السابع والعشرون: معرفة خواصه. الثامن والعشرون: هل في القرآن شيء أفضل من شيء. التاسع والعشرون: في آداب تلاوته. الثلاثون: في أنه هل يجوز في التصانيف والرسائل والخطب استعمال بعض آيات القرآن.

الحادي والثلاثون: معرفة الأمثال الكامنة فيه. الثاني والثلاثون: معرفة أحكامه. الثالث والثلاثون: معرفة جدله. الرابع والثلاثون: معرفة ناسخه ومنسوخه. الخامس والثلاثون: معرفة موهم المختلف. السادس والثلاثون: معرفة المحكم من المتشابه. السابع والثلاثون: في حكم الآيات المتشابهات الواردة في الصفات. الثامن والثلاثون: معرفة إعجازه. التاسع والثلاثون: معرفة وجوب متواتره. الأربعون: في بيان معاضدة السنة الكتاب.

الحادي والأربعون: معرفة تفسيره. الثاني والأربعون: معرفة وجوه المخاطبات. الثالث والأربعون: بيان حقيقته ومجازه. الرابع والأربعون: في الكنايات والتعريض. الخامس والأربعون: في أقسام معنى الكلام. السادس والأربعون: في ذكر ما تيسَّر من أساليب القرآن. السابع والأربعون: في معرفة الأدوات.

واعلم أنه ما من نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنسان استقصاءه لاستفرغ عمره ثم لم يحكم أمره، ولكن اقتصرنا من كل نوع على أصوله والرمز إلى بعض فصوله، فإن الصناعة طويلة والعمر قصير، وماذا عسى أن يبلغ لسان التقصير: هذا آخر كلام الزركشي في خطبته.

ولما وقفت على هذا الكتاب ازددت به سروراً، وحمدت الله كثيراً، وقوي

العزم على إبراز ما أضمرته، وشددت الحزم في إنشاء التصنيف الذي قصدته، فوضعت هذا الكتاب العليّ الشأن الجليّ البرهان، الكثير الفوائد والإتقان، ورتبت أنواعه ترتيباً أنسب من ترتيب البرهان، وأدمجت بعض الأنواع في بعض، وفصلت ما حقّه أن يُبان، وزدته على ما فيه من الفوائد والفرائد، والقواعد والشوارد، ما يشنف الآذان. وسميته بـ [الإتقان في علوم القرآن].

الإتقان في علوم القرآن

وسترى في كل نوع منه إن شاء الله تعالى ما يصلح أن يكون بالتصنيف مفرداً، وستروى من مناهله العذبة رياً لا ظمأ بعده أبداً، وقد جعلته مقدمة للتفسير الكبير الذي شرعت فيه، وسميته [بمجمع البحرين ومطلع البدرين، الجامع لتحرير الرواية وتقرير الدراية] ومن الله أستمد التوفيق والهداية، والمعونة والرعاية، إنه قريب مجيب، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وهذه فهرست أنواعه. النوع الأول: معرفة المكي والمدني. الثاني: معرفة الحضري والسفري: الثالث: النهاري والليلي. الرابع: الصيفي والشتائي. الخامس: الفراشي والنومي. السادس: الأرضي والسماوي. السابع: أول ما نزل. الثامن: آخر ما نزل. التاسع: أسباب النزول. العاشر: ما نزل على لسان بعض الصحابة. الحادي عشر: ما تكرّر نزوله. الثاني عشر: ما تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه. الثالث عشر: معرفة ما نزل مفرّقاً وما نزل جمعاً. الرابع عشر: ما نزل مشيعاً وما نزل مفرداً. الخامس عشر: ما أنزل منه على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحد قبل النبيّ ﷺ. السادس عشر: في كيفية إنزاله. السابع عشر: في معرفة أسمائه وأسماء سوره. الثامن عشر: في جمعه وترتيبه. التاسع عشر: في عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه. العشرون: في حفاظه ورواته.

الحادي والعشرون: في العالي والنازل. الثاني والعشرون: معرفة المتواتر. الثـالـث والعشرون: في المشهــور. الرابــع والعشرون: في الآحــاد. الخامس والعشرون: في الشاذّ. السادس والعشرون: الموضوع. السابع والعشرون: المدرج. الثامن والعشرون: في معرفـة الوقـف والابتـداء. التـاسـع والعشرون: في بيـان الموصول لفظاً المفصول معنى. الثلاثون: في الإمالة والفتح وما بينهما. الحادي والثلاثون: في الإدغام والإظهار والاخفاء والاقلاب. الثاني والثلاثون: في المدّ والقصر. الثالث والثلاثون: في تخفيف الهمزة. الرابع والثلاثون: في كيفية تحمله. الخامس والثلاثون: في آداب تلاوته. السادس والثلاثون: في معرفة غريبة. السابع والثلاثون: فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز. الثامن والثلاثون: فيما وقع فيه بغير لغة العرب. التاسع والثلاثون: في معرفة الوجوه والنظائر. الأربعون: في معرفة معاني الأدوات التي يحتاج إليه المفسر.

الحادي والأربعون: في معرفة إعرابه. الثاني والأربعون: في قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها. الثالث والأربعون: في المحكم والمتشابه. الرابع والأربعون: في مقدمه ومؤخره. الخامس والأربعون: في خاصّه وعامّه. السادس والأربعون: في مجمله ومبينه. السابع والأربعون: في ناسخه ومنسوخه. الثامن والأربعون: في مشكله وموهم الاختلاف والتناقض. التاسع والأربعون: في مطلقه ومقيده. الخمســون: في منطوقه ومفهومه. الحادي والخمسون: في وجوه مخاطباته. الثاني والخمسون: في حقيقته ومجازه. الثالث والخمسون: في تشبيهه واستعاراته. الرابع والخمسون: في كناياتـه وتعـريضـه. الخامس والخمســون: في الحصر والاختصـاص. السـادس والخمسون: في الإيجاز والإطناب. السابع والخمسون: في الخبر والإنشاء. الثامن والخمسون: في بدائع القرآن. التاسع والخمسون: في فواصل الآي. الستون: في فواتح السور.

الحادي والستون: في خواتم السور. الثاني والستون: في مناسبة الآيات والسور. الثالث والستون: في الآيات المشتبهات. الرابع والستون: في إعجاز القرآن. الخامس والستون: في العلوم المستنبطة من القرآن. السادس والستون: في أمثاله. السابع والستون: في أقسامه. الثامن والستون: في جدله. التاسع والستون: في الأسماء والكنى والألقاب. السبعون في مبهماته. الحادي والسبعون: في أسماء من نزل فيهم القرآن. الثاني والسبعون: في فضائل القرآن. الثالث والسبعون: في أفضل القرآن وفاضله. الرابع والسبعون: في مفردات القرآن. الخامس والسبعون: في خواصه. السادس والسبعون: في رسوم الخط وآداب كتابته. السابع والسبعون: في معرفة تأويله وتفسيره وبيان شرفه والحاجة إليه. الثامن والسبعون: في شروط المفسر وآدابه. التاسع والسبعون: في غرائب التفسير. الثمانون: في طبقات المفسرين.

فهذه ثمانون نوعاً على سبيل الإدماج، ولو نوعت باعتبار ما أدمجته في ضمنها لزادت على الثلاثمائة، وغالب هذه الأنواع فيها تصانيف مفردة وقفت على كثير منها. ومن المصنفات في مثل هذا النمط وليس في الحقيقة مثله ولا قريباً منه وإنما هي طائفة يسيرة ونبذة قصيرة: [فنون الأفنان في علوم القرآن] لابن الجوزي و[جمال القراء] للشيخ علم الدين السخاوي. و[المرشد الوجيز في علوم تتعلق بالقرآن العزيز] لأبي شامة. و[البرهان في مشكلات القرآن] لأبي المعالي عزيزي بن عبد الملك المعروف بشيدلة. وكلها بالنسبة إلى نوع من هذا الكتاب كحبة رمل في جنب رمل عالج، ونقطة قطر في حيال بحر زاخر.

مؤلفات في علوم القرآن:

وهذه أسماء الكتب التي نظرتها على هذا الكتاب ولخصته منها. فمن الكتب النقلية: [تفسير ابن جرير]، و[ابن أبي حاتم]، و[ابن مردويه]، و[أبي

الشيخ]، و[ابن حبان]، و[الفريابي]، و[عبـد الرزاق]، و[ابـن المنـذر]، و[سعيد بن منصور] وهو جزء من سننه، و[الحاكم] وهو جزء من مستدركه، و[تفسير الحافظ عماد الديـن بـن كثير]، و [فضـائـل القـرآن] لأبي عبيـد، و [فضائل القرآن] لابـن الضريس، و [فضـائـل القـرآن] لابـن أبي شيبـة، [المصاحف] لابن أبي داود، [المصاحف] لابن أشتة، [الردّ على من خالف مصحف عثمان] لابن أبي بكر الأنباري، [أخلاق حملة القرآن] للآجري، [التبيان في آداب حملة القرآن] للنووي، [شرح البخاري] لابن حجر. ومن جوامع الحديث والمسانيد ما لا يحصى.

كتب القراءات:

ومن كتب القراءات وتعلقات الأداء: [جمال القـراء] للسخـاوي، [النشر والتقريب] لابن الجزري، و[الكامل] للهذلي، [الإرشاد في القراءات العشر] للواسطي، [الشـواذ] لابـن غلبـون، [الوقـف والابتـداء] لابـن الأنبـاري وللسجاوندي وللنحاس وللداني وللعماني ولابن النكزاوي، [قرة العين]، [الفتح والإمالة]، و [بين اللفظين] لابن القاصح.

كتب اللغات:

ومن كتب اللغات والغريـب والعـربيـة والإعـراب: [مفـردات القـرآن] للراغب، [غريب القرآن] لابـن قتيبـة وللعـزيـزي، [الوجـوه والنظـائـر] للنيسابوري، ولابن عبد الصمد الواحد و[الجمع في القرآن]، ولأبي حسن الأخفش، [الأوسط الزاهر] لابن الأنباري، [شرح التسهيل والارتشاق] لأبي حيان، [المغني] لابن هشام الجني، [الداني في حروف المعاني] لابن أم قاسم، [إعراب القرآن] لأبي البقاء وللسمين وللسفاقسي ولمنتخب الدين، [المحتسب في توجيه الشواذ] لابن جني، [الخصائص] له، [الخاطريات] له، [ذا القدّ] له،

[أمالي ابن الحاجب [المعرب] للجواليقي ، [مشكل القرآن] لابن قتيبة ، [اللغات التي نزل بها القرآن] لأبي القاسم محمد بن عبدالله .

كتب الأحكام:

ومن كتب الأحكام وتعلقاتها : [أحكام القرآن] لإسماعيل القاضي ولبكر بن العلاء ولأبي بكر الرازي وللكيا الهراسي ولابن العربي ولابن الغرس ولابن خويز منداد : [الناسخ والمنسوخ] لمكي ولابن الحصار وللسعيدي ولأبي جعفر النحاس ولابن العربي ولأبي داود السجستاني ولأبي عبيد القاسم بن رسلان ولأبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي. [الإمام في أدلة الأحكام] للشيخ عز الدين بن عبد السلام .

كتاب الاعجاز:

ومن الكتب المتعلقة بالإعجاز وفنون البلاغة : إعجاز القرآن للخطابي وللرماني ولابن سراقة والقاضي أبي بكر الباقلاني ولعبد القاهر الجرجاني وللإمام فخر الدين ، ولابن أبي الأصبع ، واسمه [البرهان] وللزملكاني واسمه [البرهان] أيضاً ومختصره له واسمه [المجيد] . [مجاز القرآن] لابن عبد السلام. [الإيجاز في المجاز] لابن القيم. [نهاية التأميل في أسرار التنزيل] للزملكاني [التبيان في البيان] له . [المنهج المفيد في أحكام التوكيد] له . [بدائع القرآن] لابن أبي الأصبع [التحبير] له [الخواطر السوانح في أسرار الفواتح] له . [أسرار التنزيل] للشرف البارزي . [الأقصى القريب] للتنوخي . [منهاج البلغاء] لحازم . [العمدة] لابن رشيق . [الصناعتين] للعسكري : [المصباح] لبدر الدين بن مالك . [التبيان] للطيبي . [الكنايات] للجرجاني . [الإغريض في الفرق بين الكناية والتعريض] للشيخ تقي الدين السبكي، له [الاقتناص في

الفرق بين الحصر والاختصاص]. [عروس الأفراح] لولده بهاء الدين. [روض الأفهام في أقسام الاستفهام] للشيخ شمس الدين بن الصائغ. [نشر العبير في إقامة الظاهر مقام الضمير] له، [المقدمة في سرّ الألفاظ المقدمة]. له [أحكام الرأي في أحكام الآي] له. [مناسبات ترتيب السور] لأبي جعفر بن الزبير [فواصل الآيات] للطوفي. [المثل السائر] لابن الأثير. [الفلك الدائر على المثل السائر]. [كنز البراعة] لابن الأثير. [شرح بديع قدامة] للموفق عبد اللطيف.

كتب أخرى:

ومن الكتب فيما سوى ذلك من الأنواع: [البرهان في متشابه القرآن] للكرماني. [درّة التنزيل وغرّة التأويل] في المتشابه لأبي عبدالله الرازي. [كشف المعاني في المتشابه]. [المثاني] للقاضي بدر الدين بن جماعة. [أمثال القرآن] للماوردي. [أقسام القرآن] لابن القيم. [جواهر القرآن] للغزالي. [التعريف والإعلام فيما وقع في القرآن من الأسماء والأعلام] للسهيلي. [الذيل عليه] لابن عساكر. [التبيان في مبهمات القرآن] للقاضي بدر الدين بن جماعة. [أسماء من نزل فيهم القرآن] لإسماعيل الضرير. [ذات الرشد في عدد الآي] وشرحها للموصلي [شرح آيات الصفات] لابن اللبان. [الدرّ النظيم في منافع القرآن العظيم] لليافعي.

كتب الرسم:

ومن كتب الرسم: [المقنع] للداني [شرح الرائية] للسخاوي. شرحها لابن جبارة. ومن الكتب الجامعة: [بدائع الفوائد] لابن القيم. [كنز الفوائد] للشيخ عزّ الدين بن عبد السلام. [الغرر والدرر] للشريف المرتضى. [تذكرة البدر بن الصاحب]. [جامع الفنون] لابن شبيب الحنبلي. [النفيس]

لابن الجوزي. [البستان] لأبي الليث السمرقندي.

كتب تفسير:

ومن تفاسير غير المحدثين: [الكشاف] وحاشيته للطيبي. [تفسير الإمام فخر الدين] [تفسير الأصبهاني] و [الحوفي] و [أبي حيان] و [ابن عطية] و[القشيري] و[المرسي] و[ابن الجوزي] و[ابن عقيل] و[ابن رزين] و[الواحدي] و[الكواشي] و[الماوردي] و[سليم الرازي] و[إمام الحرمين] و[ابن برجان] و[ابن بريزة] و[ابن المنير]. [أمالي الرافعي] على الفاتحة. [مقدمة تفسير ابن النقيب]. [الغرائب والعجائب] للكرماني. [قواعد في التفسير] لابن تيمية.

وهذا أوان الشروع في المقصود بعون الملك المعبود.

النوع الأول: معرفة المكي والمدني

أفرده بالتصنيف جماعة منهم مكي والعزّ الديريني. ومن فوائد معرفة ذلك العلم بالمتأخر فيكون ناسخاً أو مخصصاً على رأي من يرى تأخير المخصص. قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري في كتاب [التنبيه على فضل علوم القرآن]: من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة والمدينة، وما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، وما يشبه نزول المكي في المدني، وما يشبه نزول المدني في المكي، وما نزل بالجحفة، وما نزل ببيت المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل بالحديبية، وما نزل ليلاً، وما نزل نهاراً، وما نزل مشيعاً، وما نزل مفرداً، والآيات المدنيات في السور المكية، والآيات المكيات في السور المدنية، وما حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة إلى مكة، وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة؛ وما نزل مجملاً، وما نزل مفسراً، وما اختلفوا فيه فقال بعضهم مدني وبعضهم مكي. فهذه خمسة وعشرون وجهاً من لم يعرفها ويميز بينها لم يحلّ له أن يتكلم في كتاب الله تعالى، انتهى.

قلت: وقد أشبعت الكلام على هذه الأوجه. فمنها ما أفردته بنوع، ومنها ما تكلمت عليه في ضمن بعض الأنواع. وقال ابن العربي في [كتابه الناسخ والمنسوخ]: الذي علمناه على الجملة من القرآن أن منه مكياً ومدنياً، وسفرياً وحضرياً، وليلياً ونهارياً، وسمائياً وأرضياً، وما نزل بين السماء والأرض، وما نزل تحت الأرض في الغار. وقال ابن النقيب في مقدمة تفسيره: المنزل من القرآن

على أربعة أقسام: مكي، ومدني، وما بعضه مكي وبعضه مدني، وما ليس بمكي ولا مدني. اعلم أن للناس في المكي والمدني اصطلاحات ثلاثة:

أشهرها أن المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بمكة أم بالمدينة عام الفتح أو عام حجة الوداع أم بسفر من الأسفار. أخرج عثمان بن سعيد الرازي بسنده إلى يحي بن سلام قال: ما نزل بمكة وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي ﷺ المدينة فهو من المكي. وما نزل على النبي ﷺ في أسفاره بعد ما قدم المدينة فهو من المدني. وهذا أثر لطيف يؤخذ منه أن ما نزل في سفر الهجرة مكي اصطلاحاً.

الثاني: أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة، وعلى هذا نثبت الواسطة، فما نزل بالأسفار لا يطلق عليه مكي ولا مدني. وقد أخرج الطبراني في الكبير من طريق الوليد بن مسلم عن عفير بن معدان عن سليم بن عامر عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة: مكة، والمدينة، والشام» قال الوليد: يعني بيت المقدس. وقال الشيخ عماد الدين ابن كثير: بل تفسيره بتبوك أحسن. قلت: ويدخل في مكة ضواحيها كالمنزل بمنى وعرفات والحديبية، وفي المدينة ضواحيها كالمنزل ببدر وأُحد وسلع.

الثالث: أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة، وحمل على هذا قول ابن مسعود الآتي.

قال القاضي أبو بكر في [الانتصار]: إنما يرجع في معرفة المكي والمدني لحفظ الصحابة والتابعين، ولم يرد على النبي ﷺ في ذلك قول لأنه لم يؤمر به، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة، وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ فقد يعرف ذلك بغير نص الرسول، انتهى.

وقد أخرج البخاري عن ابن مسعود أنه قال: والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله تعالى إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت.

وقال أيوب: سأل رجل عكرمة عن آية من القرآن فقال: نزلت في سفح ذلك الجبل وأشار إلى سلع. أخرجه أبو نعيم في الحلية، وقد ورد عن ابن عباس وغيره عدا المكي والمدني وأنا أسوق ما وقع لي من ذلك ثم أعقبه بتحرير ما اختلف فيه.

قال ابن سعد في الطبقات: أنبأنا الواقدي، حدثني قدامة بن موسى عن أبي سلمة الحضرمي، سمعت ابن عباس قال: سألت أُبيّ بن كعب عما نزل من القرآن بالمدينة فقال: نزل بها سبع وعشرون سورة وسائرها بمكة.

السور المكية:

وقال أبو جعفر النحاس في كتابه [الناسخ والمنسوخ]: حدثني يموت بن المزرع، حدثنا أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني، أنبأنا أبو عبيدة معمر بن المثنى، ثنا يونس بن حبيب، سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: سألت مجاهداً عن تلخيص آي القرآن المدني من المكي فقال: سألت ابن عباس عن ذلك فقال: سورة الأنعام نزلت بمكة جملة واحدة فهي مكية، إلا ثلاث آيات منها نزلن بالمدينة ﴿قل تعالوا أتل﴾ إلى تمام الآيات الثلاث، وما تقدم من السور مدنيات. ونزلت بمكة سورة الأعراف ويونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل، سوى ثلاث آيات من آخرها فإنهن نزلن بين مكة والمدينة في منصرفه من أُحد. وسورة بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج، سوى ثلاث آيات ﴿هذان خصمان﴾ إلى تمام الآيات الثلاث فإنهن نزلن بالمدينة. وسورة المؤمنين والفرقان وسورة الشعراء، سوى خمس آيات من آخرها نزلن بالمدينة. ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ إلى آخرها، وسورة النمل، والقصص،

والعنكبوت، والروم، ولقمان، سوى ثلاث آيات منها نزلن بالمدينة ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ إلى تمام الآيات. وسورة السجدة، سوى ثلاث آيات ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً﴾ إلى تمام الآيات الثلاث. وسورة سبأ وفاطر ويس والصافات وص والزمر، سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينة في وحشي قاتل حمزة ﴿يا عِبادي الذينَ أَسرفُوا﴾ إلى تمام الثلاث آيات. والحواميم السبع، وق، والذاريات، والطور، والنجم، والقمر، والرحمن، والواقعة، والصف، والتغابن إلا آيات من آخرها نزلن بالمدينة، والملك، ون، والحاقة، وسأل، وسورة نوح، والجن، والمزمل إلا آيتين ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم﴾ والمدثر إلى آخر القرآن، إلا إذا زلزلت، وإذا جاء نصر الله، وقل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ بربّ الناس، فإنهن مدنيات.

السور المدنية:

ونزل بالمدينة سورة الأنفال، وبراءة، والنور، والأحزاب، وسورة محمد، والفتح، والحجرات، والحديد، وما بعدها إلى التحريم. هكذا أخرجه بطوله وإسناده جيد رجاله كلهم ثقات من علماء العربية المشهورين.

ما نزل بمكة:

وقال البيهقي في [دلائل النبوة]: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو محمد بن زياد العدل. حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، حدثنا أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي، حدثنا عليّ بن الحسين بن واقد عن أبيه، حدثني يزيد النحوي عن عكرمة والحسين بن أبي الحسن قالا: أنزل الله من القرآن بمكة: اقرأ باسم ربك، ون، والمزمل، والمدثر، وتبت يدا أبي لهب، وإذا الشمس كوّرت، وسبح اسم ربك الأعلى، والليل إذا يغشى، والفجر، والضحى، وألم نشرح، والعصر، والعاديات، والكوثر، وألهاكم التكاثر، وأرأيت، وقل يا أيها الكافرون،

وأصحاب الفيل، والفلق، وقل أعوذ بربّ الناس، وقل هو الله أحد، والنجم، وعبس، وإنا أنزلناه، والشمس وضحاها، والسماء ذات البروج، والتين والزيتون، ولإيلاف قريش، والقارعة، ولا أقسم بيوم القيامة، والهمزة، والمرسلات، وق، ولا أقسم بهذا البلد، والسماء والطارق، واقتربت الساعة، وص، والجن، ويس، والفرقان، والملائكة، وطه، والواقعة، وطسم، وطس، وطسم، وبني إسرائيل، والتاسعة وهود، ويوسف، وأصحاب الحجر، والأنعام، والصافات، ولقمان، وسبأ، والزمر، وحم المؤمن، وحم الدخان، وحم السجدة، وحمعسق، وحم الزخرف، والجاثية، والأحقاف، والذاريات، والغاشية، وأصحاب الكهف، والنحل، ونوح، وإبراهيم، والأنبياء، والمؤمنون، والم السجدة، والطور، وتبارك، والحاقة، وسأل، وعم يتساءلون، والنازعات، وإذا السماء انشقت، وإذا السماء انفطرت، والروم، والعنكبوت.

ما نزل بالمدينة:

وما نزل بالمدينة: ويل للمطففين، والبقرة، وآل عمران، والأنفال، والأحزاب، والمائدة، والممتحنة، والنساء، وإذا زلزلت، والحديد، ومحمد، والرعد، والرحمن، وهل أتى على الإنسان، والطلاق، ولم يكن، والحشر، وإذا جاء نصر الله، والنور، والحج، والمنافقون، والمجادلة، والحجرات، ويا أيها النبي لمَ تحرّم، والصف، والجمعة، والتغابن، والفتح، وبراءة. قال البيهقي: والتاسعة يريد بها سورة يونس. قال: وقد سقط من هذه الرواية الفاتحة، والأعراف، وكهيعص فيما نزل بمكة. قال: وقد أخبرنا علي بن أحمد بن سبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار، وحدثنا محمد بن الفضل. حدثنا إسماعيل بن عبدالله بن زرارة الرقى، حدثنا عبد العزيز بن عبد الرحمن القرشي.

اول ما نزل:

حدثنا خصيف عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال: إن أول ما أنزل الله على

نبيه من القرآن اقرأ باسم ربك، فذكر معنى هذا الحديث، وذكر السور التي سقطت من الرواية الأولى في ذكر ما نزل بمكة وقال: والحديث شاهد في تفسير مقاتل وغيره مع المرسل الصحيح الذي تقدم.

أول ما نزل بمكة:

وقال ابن الضريس في [فضائل القرآن]: حدثنا محمد بن عبدالله ابن أبي جعفر الرازي، أنبأنا عمر بن هارون، حدثنا عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه ابن عباس قال: كانت إذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة ثم يزيد الله فيها ما شاء. وكان أول ما أنزل من القرآن اقرأ باسم ربك، ثم ن، ثم يا أيها المزمل، ثم يا أيها المدثر، ثم تبت يدا أبي لهب، ثم إذا الشمس كورت، ثم سبح اسم ربك الأعلى، ثم والليل إذا يغشى، ثم والفجر، ثم والضحى، ثم ألم نشرح، ثم والعصر، ثم والعاديات، ثم إنا أعطيناك، ثم ألهاكم التكاثر، ثم أرأيت الذي يكذب، ثم قل يا أيها الكافرون، ثم ألم تر كيف فعل ربك، ثم قل أعوذ بربّ الفلق، ثم قل أعوذ بربّ الناس، ثم قل هو الله أحد، ثم والنجم، ثم عبس، ثم إنا أنزلناه في ليلة القدر، ثم والشمس وضحاها، ثم والسماء ذات البروج، ثم والتين، ثم لإيلاف قريش، ثم القارعة، ثم لا أقسم بيوم القيامة، ثم ويل لكل همزة، ثم والمرسلات، ثم ق، ثم لا أقسم بهذا البلد، ثم والسماء والطارق، ثم اقتربت الساعة، ثم ص، ثم الأعراف، ثم قل أُوحي، ثم يس، ثم الفرقان، ثم الملائكة، ثم كهيعص، ثم طه، ثم الواقعة، ثم طسم الشعراء، ثم طس القصص، ثم بني إسرائيل، ثم يونس، ثم هود، ثم يوسف، ثم الحجر، ثم الأنعام، ثم الصافات، ثم لقمان، ثم سبأ، ثم الزُّمر، ثم حم، ثم المؤمن، ثم حم السجدة، ثم حمعسق، ثم حم الزخرف، ثم الدخان، ثم الجاثية، ثم الأحقاف، ثم الذاريات، ثم الغاشية، ثم الكهف، ثم النحل، ثم إنا أرسلنا نوحاً، ثم سورة إبراهيم، ثم الأنبياء، ثم المؤمنين، ثم تنزيل السجدة، ثم الطور، ثم تبارك الملك، ثم الحاقة، ثم عم يتساءلون، ثم النازعات، ثم إذا السماء

انفطرت، ثم إذا السماء انشقت، ثم الروم، ثم العنكبوت، ثم ويل للمطففين، فهذا ما أنزل الله بمكة.

نزل بالمدينة:

ثم أنزل بالمدينة سورة البقرة، ثم الأنفال، ثم آل عمران، ثم الأحزاب، ثم الممتحنة، ثم النساء، ثم إذا زلزلت، ثم الحديد، ثم القتال، ثم الرعد، ثم الرحمن، ثم الإنسان، ثم الطلاق، ثم لم يكن، ثم الحشر، ثم إذا جاء نصر الله، ثم النور، ثم الحج، ثم المنافقون، ثم المجادلة، ثم الحجرات، ثم التحريم، ثم الجمعة، ثم التغابن، ثم الصف، ثم الفتح، ثم المائدة، ثم براءة.

وقال أبو عبيد في [فضائل القرآن]: حدثنا عبدالله بن صالح عن معاوية بن صالح عن عليّ بن أبي طلحة قال: نزلت بالمدينة سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والحج، والنور، والأحزاب، والذين كفروا، والفتح، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والحواريين يريد الصف، والتغابن، ويا أيها النبيّ إذا طلقتم النساء، ويا أيها النبيّ لِمَ تحرّم، والفجر، والليل، وإنا أنزلناه في ليلة القدر، ولم يكن، وإذا زلزلت، وإذا جاء نصر الله، وسائر ذلك بمكة.

وقال أبو بكر بن الأنباري: حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، نبأنا حجاج ابن منهال، نبأنا همام عن قتادة قال: نزل في المدينة من القرآن: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، وبراءة، والرعد، والنحل، والحج، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والحديد، والرحمن، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، ويا أيها النبيّ لِمَ تحرم إلى رأس العشر، وإذا زلزلت، وإذا جاء نصر الله، وسائر القرآن نزل بمكة.

قال أبو الحسن بن الحصار في كتابه الناسخ والمنسوخ: المدني باتفاق عشرون

سورة، والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة،وما عدا ذلك مكي باتفاق. ثم نظم في ذلك أبياتاً فقال:

يا سائلي عن كتاب الله مجتهداً ... وعن ترتيب ما يتلى من السور
وكيف جاء بها المختار من مضر ... صلى الإلّه على المختار من مضر
وما تقدم منها قبل هجرته ... وما تأخر في بدو وفي حضر
ليعلم النسخ والتخصيص مجتهد ... يؤيد الحكم بالتاريخ والنظر
تعارض النقل في أم الكتاب وقد ... تؤولت الحجر تنبيهاً لمعتبر
أم القران، وفي أم القرى نزلت ... ما كان للخمس قبل الحمد من أثر
وبعد هجرة خير الناس قد نزلت ... عشرون من سور القرآن في عشر
فأربع من طوال السبع أولها، ... وخامس الخمس في الأنفال ذي العبر
وتوبة الله إن عدت فسادسة، ... وسورة النور والأحزاب ذي الذكر
وسورة لنبيّ الله محكمة ... والفتح والحجرات الغرّ في غرر
ثم الحديد، ويتلوها مجادلة، ... والحشر، ثم امتحان الله للبشر
وسورة فضح الله النفاق بها، ... وسورة الجمع تذكاراً لمدكر
وللطلاق، وللتحريم حكمها، ... والنصر والفتح تنبيهاً على العمر
هذا الذي اتفق الرواة له، ... وقد تعارضت الأخبار في أخر
فالرعد مختلف فيها متى نزلت، ... وأكثر الناس قالوا الرعد كالقمر
ومثلها سورة الرحمن شاهدها ... مما تضمن قول الجن في الخبر
وسورة للحواريين قد علمت، ... ثم التغابن والتطفيف ذو النذر
وليلة القدر قد خصت بملتنا، ... ولم يكن بعدها الزلزال فاعتبر
وقل هو الله من أوصاف خالقنا، ... وعوذتان ترد الباس بالقدر
وذا الذي اختلفت فيه الرواة له ... وربما استثنيت آي من السور
وما سوى ذاك مكي تنزله ... فلا تكن من خلاف الناس في حصر

فليس كل خلاف جاء معتبراً ... إلا خلاف له حظ من النظر

فصل في تحرير السور المختلف فيها

(سورة الفاتحة) الأكثرون على أنها مكية، بل ورد أنها أول ما نزل كما سيأتي في النوع الثاني.

و(سورة الحجر) مكية باتفاق، وقد امتنّ على رسوله فيها بها، فدل على تقدم نزول الفاتحة عليها، إذ يبعد أن يمتنّ عليه بما لم ينزل بعد، وبأنه لا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة ولم يحفظ أنه كان في الإسلام صلاة بغير الفاتحة، ذكره ابن عطية وغيره. وقد روى الواحدي والثعلبي من طريق العلاء بن المسيب عن الفضل بن عمرو عن عليّ بن أبي طالب قال: نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش. واشتهر عن مجاهد القول بأنها مدنية، أخرجه الفريابي في تفسيره وأبو عبيد في الفضائل بسند صحيح عنه. قال الحسين بن الفضل: هذه هفوة من مجاهد، لأن العلماء على خلاف قوله. وقد نقل ابن عطية القول بذلك عن الزهري وعطاء وسوادة بن زياد وعبدالله بن عبيد بن عمير، وورد عن أبي هريرة بإسناد جيد. قال الطبراني في الأوسط: حدثنا عبيد بن غنام أنبأنا أبو بكر بن أبي شيبة، أنبأنا أبو الأحوص عن منصور عن مجاهد عن أبي هريرة: أن إبليس رنّ حين أنزلت فاتحة الكتاب وأنزلت بالمدينة، ويحتمل أن الجملة الأخيرة مدرجة من قول مجاهد، وذهب بعضهم إلى أنها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة مبالغة في تشريفها. وفيها قول رابع أنها نزلت نصفين، نصفها بمكة ونصفها بالمدينة، حكاه أبو الليث السمرقندي.

(سورة النساء) زعم النحاس أنها مكية، مستنداً إلى أن قوله ﴿إن اللهَ يَأْمُرُكُم﴾ الآية نزلت بمكة اتفاقاً في شأن مفتاح الكعبة، وذلك مستند واهٍ لأنه لا يلزم من نزول آية أو آيات من سورة طويلة نزل معظمها بالمدينة أن تكون مكية، خصوصاً أن الأرجح أن ما نزل بعد الهجرة مدني، ومن راجع أسباب

نزول آياتها عرف الردّ عليه. ومما يردّ عليه أيضاً ما أخرجه البخاري عن عائشة قالت: ما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده، ودخولها عليه كان بعد الهجرة اتفاقاً. وقيل نزلت عند الهجرة.

(سورة يونس) المشهور أنها مكية. وعن ابن عباس روايتان: فتقدم في الآثار السابقة عنها أنها مكية. وأخرجه ابن مردويه من طريق العوفي عنه، ومن طريق ابن جريج عن عطاء عنه، ومن طريق خصيف عن مجاهد عن ابن الزبير. وأخرج من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس أنها مدنية، ويؤيد المشهور ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: لما بعث الله محمداً رسولاً أنكرت العرب ذلك، أو من أنكر ذلك منهم فقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، فأنزل الله تعالى: ﴿أكان للنَّاسِ عَجَباً﴾ الآية.

(سورة الرعد) تقدم من طريق مجاهد عن ابن عباس وعن علي بن أبي طلحة أنها مكية، وفي بقية الآثار أنها مدنية. وأخرج ابن مردويه الثاني من طريق العوفي عن ابن عباس، ومن طريق ابن جريج عن عثمان بن عطاء عن ابن عباس، ومن طريق مجاهد عن ابن الزبير. وأخرج أبو الشيخ مثله عن قتادة. وأخرج الأول عن سعيد بن جبير. وقال سعيد بن منصور في سننه: حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر قال: سألت سعيد ابن جبير عن قوله تعالى ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ أهو عبدالله بن سلام، فقال: كيف وهذه السورة مكية؟ ويؤيد القول بأنها مدنية ما أخرجه الطبراني وغيره عن أنس أن قوله ﴿اللهُ يعلمُ ما تَحمِلُ كل أُنثى﴾ إلى قوله ﴿وهو شَدِيدُ المِحال﴾ نزل في قصة أربد بن قيس وعامر بن الطفيل حين قدما المدينة على رسول الله ﷺ، والذي يجمع به بين الاختلاف أنها مكية إلا آيات منها.

(سورة الحج) تقدم من طريق مجاهد عن ابن عباس أنها مكية إلا الآيات

التي استثناها، وفي الآثار الباقية أنها مدنية. وأخرج ابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس ومن طريق ابن جريج وعثمان عن عطاء عن ابن عباس ومن طريق مجاهد عن ابن الزبير أنها مدنية. قال ابن الغرس في [أحكام القرآن]: وقيل إنها مكية إلا ﴿هذان خصمان﴾ الآيات، وقيل إلا عشر آيات. وقيل مدنية إلا أربع آيات ﴿وما أرسلنا من قَبْلِكَ من رَسُول﴾ إلى ﴿عقيم﴾ قال قتادة وغيره: وقيل كلها مدنية، قاله الضحاك وغيره. وقيل هي مختلطة فيها مدني ومكي، وهو قول الجمهور انتهى. ويؤيد ما نسبه إلى الجمهور أنه ورد في آيات كثيرة منها أنه نزل بالمدينة كما حررناه في أسباب النزول.

(سورة الفرقان) قال ابن الغرس: الجمهور على أنها مكية. وقال الضحاك: مدنية.

(سورة يس) حكى أبو سليمان الدمشقي قولاً أنها مدنية. قال: وليس بالمشهور.

(سورة ص) حكى الجعبري قولاً أنها مدنية، خلاف حكاية جماعة الإجماع على أنها مكية.

(سورة محمد) حكى النسفي قولاً غريباً أنها مكية.

(سورة الحجرات) حكى قول شاذ أنها مكية.

(سورة الرحمن) الجمهور على أنها مكية وهو الصواب، ويدل له ما رواه الترمذي والحاكم عن جابر قال: «لما قرأ رسول الله ﷺ على أصحابه سورة الرحمن حتى فرغ قال: «مالي أراكم سكوتاً، للجن كانوا أحسن منكم رداً، ما قرأت عليهم من مرة ﴿فبأيِّ آلاء ربِكُما تُكذِّبان﴾ إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد» قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وقصة

الجن كانت بمكة. وأصرح منه في الدلالة ما أخرجه أحمد في مسنده بسند جيد عن أسماء بنت أبي بكر قالت: «سمعت رسول الله ﷺ وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر والمشركون يسمعون ﴿فبأيِّ آلاءِ ربكُما كذبان﴾». وفي هذا دليل على تقدم نزولها على سورة الحجر.

(سورة الحديد) قال ابن الغرس: الجمهور على أنها مدنية. وقال قوم: إنها مكية. ولا خلاف أن فيها قرآناً مدنياً لكن يشبه صدرها أن يكون مكياً. قلت: الأمر كما قال، ففي مسند البزار وغيره عن عمر أنه دخل على أخته قبل أن يسلم، فإذا صحيفة فيها أول سورة الحديد فقرأها وكان سبب إسلامه. وأخرج الحاكم وغيره عن ابن مسعود قال: لم يكن شيء بين إسلامه وبين أن نزلت هذه الآية يعاتبهم الله بها إلا أربع سنين ﴿ولا تكونوا كالذين أُوتوا الكتابَ من قبلُ فطالَ عليهمُ الأمدُ﴾ الآية.

(سورة الصف) المختار أنها مدنية، ونسبه ابن الغرس إلى الجمهور ورجحه، ويدل له ما أخرجه الحاكم وغيره عن عبدالله بن سلام قال: قعدنا نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا، فقلنا: لو نعلم أيّ الأعمال أحبّ إلى الله لعملناه، فأنزل الله سبحانه ﴿سَبَّحَ لله ما في السمواتِ وما في الأرضِ وهو العزيزُ الحكيمُ﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقُولونَ ما لا تَفْعَلُون﴾ حتى ختمها، قال عبدالله: فقرأها علينا رسول الله ﷺ حتى ختمها.

(سورة الجمعة) الصحيح أنها مدنية، لما روى البخاري عن أبي هريرة قال: «كنا جلوساً عند النبيّ ﷺ فأنزل عليه في سورة الجمعة ﴿وآخرين مِنهم لَمَّا يلحَقُوا بهم﴾ قلت: من هم يا رسول الله؟» الحديث. ومعلوم أن إسلام أبي هريرة بعد الهجرة بمدة. وقوله ﴿قُلْ يا أيها الذينَ هادُوا﴾ خطاب لليهود وكانوا بالمدينة، وآخر السورة نزل فيمن انقض منهم حال الخطبة لما قدمت العير

كما في الأحاديث الصحيحة فثبت أنها مدنية كلها.

(سورة التغابن) قيل مدنية، وقيل مكية إلا آخرها.

(سورة الملك) فيها قول غريب أنها مدنية.

(سورة الإنسان) قيل مدنية، وقيل مكية إلا آية واحدة ﴿ولا تُطِعْ منهم آثماً أو كَفُوراً﴾.

(سورة المطففين) قال ابن الغرس: قيل إنها مكية لذكر الأساطير فيها. وقيل مدنية لأن أهل المدينة كانوا أشدّ الناس فساداً في الكيل. وقيل نزلت بمكة إلا قصة التطفيف. وقال قوم: نزلت بين مكة والمدينة انتهى. قلت: أخرج النسائي وغيره بسند صحيح عن ابن عباس قال: «لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله ﴿ويل للمطففين﴾ فأحسنوا الكيل».

(سورة الأعلى) الجمهور على أنها مكية. قال ابن الغرس: وقيل إنها مدنية لذكر صلاة العيد وزكاة الفطر فيها. قلت: ويرده ما أخرجه البخاري عن البراء ابن عازب قال: «أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلا يقرئاننا القرآن. ثم جاء عمار وبلال وسعد، ثم جاء عمر ابن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبي ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به، فما جاء حتى قرأت سبح اسم ربك الأعلى في سورة مثلها».

(سورة الفجر) فيها قولان حكاهما ابن الغرس: قال ابن الغرس: قال أبو حيان: والجمهور أنها مكية.

(سورة البلد) حكى ابن الغرس فيها أيضاً قولين. وقوله بهذا البلد يردّ القول بأنها مدنية.

(سورة الليل) الأشهر أنها مكية. وقيل مدنية لما ورد في سبب نزولها من

قصة النخلة كما أخرجناه في أسباب النزول. وقيل فيها مكي ومدني.

(سورة القدر) فيها قولان. والأكثر أنها مكية. ويستدل لكونها مدنية بما أخرجه الترمذي والحاكم عن الحسن بن عليّ «أن النبي ﷺ أري بني أمية على منبره فساءه ذلك» فنزلت ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ ونزلت ﴿إنا أنزلناهُ في ليلةِ القَدْرِ﴾ الحديث. قال المزي: وهو حديث منكر.

(سورة لم يكن) قال ابن الغرس: الأشهر أنها مكية. قلت: ويدل لمقابلة ما أخرجه أحمد عن أبي حية البدري قال: «لما نزلت ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ إلى آخرها قال لي جبريل: يا رسول الله إن ربك يأمرك أن تقرئها أبياً» الحديث. وقد جزم ابن كثير بأنها مدنية واستدل به.

(سورة الزلزلة) فيها قولان. ويستدل لكونها مدنية بما أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري قال: «لما نزلت ﴿فمن يَعْمل مِثقَالَ ذرةٍ خيراً يَرَه﴾ الآية. قلت: يا رسول الله إني لراء عملي» الحديث وأبو سعيد لم يكن إلا بالمدينة، ولم يبلغ إلا بعد أُحد.

(سورة والعاديات) فيها قولان. ويستدل لكونها مدنية بما أخرجه الحاكم وغيره عن ابن عباس قال: «بعث رسول الله ﷺ خيلاً فلبثت شهراً لا يأتيه منها خبر فنزلت والعاديات» الحديث.

(سورة ألهاكم) الأشهر أنها مكية. ويدل لكونها مدنية وهو المختار ما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن بريدة أنها نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار تفاخروا. الحديث. وأخرج عن قتادة أنها نزلت في اليهود. وأخرج البخاري عن أُبيّ بن كعب قال: «كنا نرى هذا من القرآن: يعني لو كان لابن آدم واد من ذهب حتى نزلت ألهاكم التكاثر» وأخرج الترمذي عن عليّ قال: ما زلنا نشك في عذاب

القبر حتى نزلت، وعذاب القبر لم يذكر إلا بالمدينة كما في الصحيح في قصة اليهودية.

(سورة أرأيت) فيها قولان حكاهما ابن الغرس.

(سورة الكوثر) الصواب أنها مدنية، ورجحه النووي في شرح مسلم لما أخرجه مسلم عن أنس قال: «بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة فرفع رأسه متبسماً فقال: «أنزلت على آنفاً سورة. فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إنا أعطيناكَ الكوْثَرَ﴾ حتى ختمها» الحديث.

(سورة الإخلاص) فيها قولان لحديثين في سبب نزولها متعارضين، وجمع بعضهم بينهما بتكرر نزولها، ثم ظهر لي ترجيح أنها مدنية كما بينته في أسباب النزول.

(المعوّذتان) المختار أنهما مدنيتان لأنهما نزلتا في قصة سحر لبيد بن الأعصم كما أخرجه البيهقي في الدلائل.

آيات مدنية دخلت في السور المكية:

[فصل] قال البيهقي في الدلائل في بعض السور التي نزلت بمكة آيات نزلت بالمدينة فألحقت بها، وكذا قال ابن الحصار: كل نوع من المكي والمدني منه آيات مستثناة. قال: إلا أن من الناس من اعتمد في الاستثناء على الاجتهاد دون النقل. وقال ابن حجر في شرح البخاري: قد اعتنى بعض الأئمة ببيان ما نزل من الآيات بالمدينة في السور المكية. قال: وأما عكس ذلك وهو نزول شيء من سورة بمكة تأخر نزول تلك السورة إلى المدينة فلم أره إلا نادراً. قلت: وها أنا ذا أذكر ما وقفت على استثنائه من النوعين مستوعباً ما رأيته من ذلك على الاصطلاح الأول دون الثاني، وأشير إلى أدلة الاستثناء لأجل قول ابن الحصار

السابق، ولا أذكر الأدلة بلفظها اختصاراً وإحالة على كتابنا أسباب النزول.

(الفاتحة) تقدم قول أن نصفها نزل بالمدينة، والظاهر أنه النصف الثاني ولا دليل لهذا القول.

(البقرة) استثنى منها آيتان ﴿فاعفُوا واصْفَحُوا﴾ ﴿ليس عليك هُداهُم﴾

(الأنعام) قال ابن الحصار: استثني منها تسع آيات، ولا يصح به نقل خصوصاً مع ما قد ورد أنها نزلت جملة. قلت: قد صح النقل عن ابن عباس باستثناء ﴿قل تَعالَوْا﴾ الآيات الثلاث كما تقدم، والبواقي ﴿وما قَدَرُوا اللهَ حقَّ قَدْره﴾ لما أخرجه ابن أبي حاتم أنها نزلت في مالك بن الصيف. وقوله ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ الآيتين نزلتا في مسيلمة. وقوله ﴿الذين آتيناهُمُ الكتابَ يَعرفونَهُ﴾ وقوله ﴿والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنَّهُ منزلٌ من رَبِّكَ بالحق﴾ وأخرج أبو الشيخ عن الكلبي قال: «نزلت الأنعام كلها بمكة. إلا آيتين نزلتا بالمدينة في رجل من اليهود، وهو الذي قال: ما أنزل الله على بشر من شيء» وقال الفريابي: حدثنا سفيان عن ليث عن بشر قال: الأنعام مكية إلا ﴿قل تعالوا أتل﴾ والآية التي بعدها.

(الأعراف) أخرج أبو الشيخ ابن حبان عن قتادة قال: الأعراف مكية إلا آية ﴿واسألهم عن القرية﴾ وقال غيره: من المدني ﴿وإذ أَخَذَ رَبُّكَ من بني آدم﴾ مدني.

(الأنفال) استثني منها ﴿وإذ يَمْكُرُ بك الذين كَفَرُوا﴾ الآية. قال مقاتل: نزلت بمكة. قلت: يرده ما صح عن ابن عباس أن هذه الآية بعينها نزلت بالمدينة كما أخرجناه في أسباب النزول واستثنى بعضهم قوله ﴿يا أيها النبيُّ حسبُكَ اللهُ﴾ الآية، وصححه ابن العربي وغيره. قلت: يؤيده ما أخرجه البزار عن ابن عباس أنها نزلت لما أسلم عمر.

(براءة) قال ابن الغرس: مدنيــة إلا آيتين ﴿لقــد جــاءكُــمْ رســولٌ﴾ إلى آخرها. قلت: غريب، كيف وقد ورد أنها آخر ما نزل. واستثنى بعضهم ﴿ما كان للنبي﴾ الآية لما ورد أنها نزلت في قوله عليه الصلاة والسلام لأبي طالب «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك».

(يونس) استثنى منها ﴿فإن كنت في شَكٍّ﴾ الآيتين. وقوله ﴿ومنهم من يُؤمِن به﴾ الآية قيل نزلت في اليهود، وقيل من أولها إلى رأس أربعين مكي والباقي مدني، حكاها ابن الغرس والسخاوي في جمال القراء.

(هود) استثنى منها ثلاث آيات ﴿فلعلك تارك﴾ فمن كان على بينة من ربه ﴿وأقمِ الصلاةَ طرفَي النهارِ﴾ قلت: دليل الثالثة ما صح من عدة طرق أنها نزلت بالمدينة في حق أبي اليسر.

(يوسف) استثنى منها ثلاث آيات من أولها، حكاه أبو حيان وهو واهٍ جداً لا يلتفت إليه.

(الرعد) أخرج أبو الشيخ عن قتادة قال: سورة الرعد مدنية إلا آية قوله ﴿ولا يزالُ الذين كفرُوا تصيبهم بما صنعوا قارعة﴾ وعلى القول بأنها مكية يستثنى قوله ﴿الله يعلم﴾ إلى قوله ﴿شديد المِحَال﴾ كما تقدم، والآية آخرها. فقد أخرج ابن مردويه عن جندب قال: جاء عبدالله بن سلام حتى أخذ بعضادتي باب المسجد قال: أنشدكم بالله أي قوم تعلمون أني الذي أنزلت فيه ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ قالوا: اللهم نعم.

(إبراهيم) أخرج أبو الشيخ عن قتادة قال: سورة إبراهيم مكية غير آيتين مدنيتين ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾ إلى ﴿فبِئْسَ القَرَار﴾.

(الحجر) استثنى بعضهم منها ﴿ولقد آتيناك سبعاً﴾ الآية. قلت: وينبغي

استثناء قوله ﴿لقد علمنا الْمُسْتَقدِمِين﴾ الآية لما أخرجه الترمذي وغيره في سبب نزولها وأنها في صفوف الصلاة.

(النحل) تقدم عن ابن عباس أنه استثنى آخرها، وسيأتي في السفر ما يؤيده. وأخرج أبو الشيخ عن الشعبي قال: نزلت النحل كلها بمكة إلا هؤلاء الآيات ﴿وإن عاقبتم﴾ إلى آخرها. وأخرج عن قتادة قال: سورة النحل من قوله ﴿والذين هاجروا في اللهِ من بعدِ ما ظُلِمُوا﴾ إلى آخرها مدني، وما قبلها إلى آخر السورة مكي. وسيأتي في أوله ما نزل عن جابر بن زيد أن النحل نزل منها بمكة أربعون وباقيها بالمدينة، ويردّ ذلك ما أخرجه أحمد عن عثمان بن أبي العاص في نزول ﴿إن اللهَ يأمرُ بالعدلِ والإحسانِ﴾ وسيأتي في نوع الترتيب.

(الاسراء) استثنى منها ﴿ويسألونَكَ عن الرُّوحِ﴾ الآية لما أخرج البخاري عن ابن مسعود أنها نزلت بالمدينة في جواب سؤال اليهود عن الروح. واستثنى منها أيضا ﴿وإن كادوا ليفتنُونَك﴾ إلى قوله ﴿إن الباطل كان زَهُوقاً﴾ وقوله ﴿قل لئن اجتمعَتِ الإنسُ والجنُّ﴾ الآية، وقوله ﴿وما جعلنا الرُّؤيا﴾ الآية، وقوله ﴿إن الذين أُوتوا العلمَ من قَبلِهِ﴾ لما أخرجناه في أسباب النزول.

(الكهف) استثنى من أولها إلى ﴿جُرُزًا﴾ وقوله ﴿واصبرْ نفسَكَ﴾ الآية ﴿وإن الذين آمنوا﴾ إلى آخر السورة.

(مريم) استثنى منها آية السجدة، وقوله ﴿وإن منكم إلا واردُها﴾.

(طه) استثنى منها ﴿فاصبرْ على ما يقُولُون﴾ الآية. قلت: ينبغي أن يستثنى آية أخرى. فقد أخرج البزار وأبو يعلى عن أبي رافع قال: «أضاف النبي ﷺ ضيف، فأرسلني إلى رجل من اليهود أن أسلفني دقيقاً إلى هلال رجب، فقال: لا إلا برهن، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته. فقال: أما والله إني لأمين في السماء

أمين في الأرض، فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية ﴿لاتَمُدَّنَ عينيك إلى ما مَتَّعْنَا به أزواجاً منهم﴾ ».

(الأنبياء) استثنى منها ﴿أفلا يَرونَ أنّا نأتي الأرضَ﴾ الآية.

(الحج) تقدم ما يستثنى منها.

(المؤمنون) استثنى منها ﴿حتى إذا أخذنا مُتْرَفِيهم﴾ إلى قوله ﴿مُبلِسون﴾.

(الفرقان) استثنى منها ﴿والذين لا يَدعُون﴾ إلى ﴿رحيماً﴾.

(الشعراء) استثنى ابن عباس منها و﴿الشعراء﴾ إلى آخرها كما تقدم. زاد غيره. وقوله ﴿أو لم يكنْ لهم آيةً أن يَعلَمَهُ عُلماءُ بني إسرائيل﴾ حكاه ابن الغرس.

(القصص) استثنى منها ﴿الذين آتيناهُمُ الكتاب﴾ إلى قوله ﴿الجاهلين﴾ فقد أخرج الطبراني عن ابن عباس أنها نزلت هي وآخر الحديد في أصحاب النجاشي الذين قدموا وشهدوا وقعة أُحد. وقوله ﴿إن الذي فَرَضَ عليك القُرآن﴾ الآية لما سيأتي.

(العنكبوت) استثنى من أولها إلى ﴿وليعلمنَّ المنافقين﴾ لما أخرجه ابن جرير في سبب نزولها. قلت: ويضم إليه ﴿وكأين من دابة﴾ الآية لما أخرجه ابن أبي حاتم في سبب نزولها.

(لقمان) استثنى منها ابن عباس ﴿ولو أنَّ ما في الأرضِ﴾ الآيات الثلاث كما تقدم.

(السجدة) استثنى منها ابن عباس ﴿أفمن كانَ مُؤمناً﴾ الآيات الثلاث كما

تقدم، وزاد غيره ﴿تتجافَى جُنُوبُهم﴾ ويدل له ما أخرجه البزار عن بلال قال: كنا نجلس في المسجد وناس من الصحابة يصلون بعد المغرب إلى العشاء فنزلت.

(سبأ) استثنى منها ﴿ويرى الذين أُوتُوا العلمَ﴾ الآية. وروى الترمذي عن فروة بن نسيك المرادي قال: «أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله ألا أقاتل من أدبر من قومي» الحديث، وفيه «وأنزل في سبأ ما أنزل، فقال رجل: يا رسول الله وما سبأ» الحديث. قال ابن الحصار: هذا يدل على أن هذه القصة مدنية، لأن مهاجرة فروة بعد إسلام ثقيف سنة تسع. قال: ويحتمل أن يكون قوله: «وأنزل» حكاية عما تقدم نزوله قبل هجرته.

(يس) استثنى منها ﴿إنا نُحْيِي الموتى﴾ الآية لما أخرجه الترمذي والحاكم عن أبي سعيد قال: كانت بنو سلمة في ناحية المدينة فأرادوا النقلة إلى قريب المسجد، فنزلت هذه الآية. قال النبي ﷺ «إن آثاركم تكتب فلم ينتقلوا» واستثنى بعضهم ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا﴾ الآية، قيل نزلت في المنافقين.

(الزمر) استثنى منها ﴿قُلْ يا عِبادِي﴾ الآيات الثلاث كما تقدم عن ابن عباس. وأخرج الطبراني من وجه آخر عنه أنها نزلت في وحشيّ قاتل حمزة. وزاد بعضهم ﴿قل يا عِبادِي الذينَ آمنوا اتقوا ربَّكُم﴾ الآية، وذكره السخاوي في جمال القراء. وزاد غيره ﴿الله نزَّلَ أحسنَ الحديثِ﴾ الآية، وحكاه ابن الجزري.

(غافر) استثنى منها ﴿إن الذين يُجادلون﴾ إلى قوله ﴿لا يعلمون﴾ فقد أخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية وغيره أنها نزلت في اليهود لما ذكروا الدجال وأوضحته في أسباب النزول.

(شورى) استثنى منها ﴿أم يَقُولونَ افترَى﴾ إلى قوله ﴿بصير﴾ قلت:

بدلالة ما أخرجه الطبراني والحاكم في سبب نزولها فإنها نزلت في الأنصار. وقوله ﴿ولو بسط﴾ الآية، نزلت في أصحاب الصفة واستثنى بعضهم ﴿والذين إذا أصابَهُمُ البَغْيُ﴾ إلى قوله ﴿من سبيل﴾ حكاه ابن الغرس.

(الزخرف) استثنى منها ﴿واسألْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ الآية. قيل نزلت بالمدينة، وقيل في السماء.

(الجاثية) استثنى منها ﴿قل للذين آمنوا﴾ الآية، حكاه في جمال القراء عن قتادة.

(الأحقاف) استثنى منها ﴿قل أرأيتم إنْ كانَ مِن عِنْدِ اللهِ﴾ الآية، فقد أخرج الطبراني بسند صحيح عن عوف بن مالك الأشجعي أنها نزلت بالمدينة في قصة إسلام عبدالله بن سلام وله طرق أخر، لكن أخرج ابن أبي حاتم عن مسروق قال: أنزلت هذه الآية بمكة، وإنما كان إسلام ابن سلام بالمدينة، وإنما كانت خصومة خاصم بها محمداً ﷺ. وأخرج عن الشعبي قال: ليس بعبدالله بن سلام، وهذه الآية مكية. واستثنى بعضهم ﴿ووصَّيْنَا الإِنسان﴾ الآيات الأربع. وقوله ﴿فاصبرْ كما صَبَرَ أُولُو العزْمِ﴾ الآية. حكاه في جمال القراء.

(ق) استثنى منها ﴿ولقد خلقنا السَّمَوات﴾ إلى ﴿لغوب﴾ فقد أخرج الحاكم وغيره أنها نزلت في اليهود.

(النجم) استثنى منها ﴿الذين يجتنبون﴾ إلى ﴿أبقى﴾ وقيل ﴿أفرأيتَ الذي تَوَلَّى﴾ الآيات التسع.

(القمر) استثنى منها ﴿سَيُهْزَمُ الجمعُ﴾ الآية، وهو مردود لما سيأتي في النوع الثاني عشر. وقيل - إن المتقين - الآيتين.

(الرحمن) استثنى منها ﴿يسأله﴾ الآية، حكاه في جمال القراء.

(الواقعة) استثنى منها ﴿ثُلةٌ من الأولين وثلةٌ من الآخرين﴾ وقوله ﴿فلا أُقسمُ بمواقعِ النُّجُوم﴾ إلى ﴿يكذبون﴾ لما أخرجه مسلم في سبب نزولها.

(الحديد) يستثنى منها على القول بأنها مكية آخرها.

(المجادلة) استثنى منها ﴿ما يَكُونُ من نَجْوَى ثلاثةٍ﴾ الآية، حكاه ابن الغرس وغيره.

(التغابن) يستثنى منها على أنها مكية آخرها لما أخرجه الترمذي والحاكم في سبب نزولها.

(التحريم) تقدم عن قتادة أن المدني منها إلى رأس العشر، والباقي مكي.

(تبارك) أخرج جبيرة في تفسيره عن الضحاك عن ابن عباس قال: أنزلت تبارك في أهل مكة إلا ثلاث آيات.

(ن) استثنى منها ﴿إنا بَلَوناهُم﴾ إلى ﴿يعلمون﴾ ومن ﴿فاصبر﴾ إلى ﴿الصالحين﴾ فإنه مدني، حكاه السخاوي في جمال القراء.

(المزمل) استثنى منها ﴿واصبِرْ على ما يقولون﴾ الآيتين، حكاه الأصبهاني، وقوله ﴿إن رَبَّكَ يعلمُ﴾ إلى آخر السورة، حكاه ابن الغرس. ويرده ما أخرجه الحاكم عن عائشة أنه نزل بعد نزول صدر السورة بسنة، وذلك حين فرض قيام الليل في أول الإسلام قبل فرض الصلوات الخمس.

(الإنسان) استثنى منها ﴿فاصبِر لِحُكْمِ ربك﴾.

(المرسلات) استثنى منها ﴿وإذا قيل لهم اركعوا لا يَركَعُون﴾ حكاه ابن الغرس.

(المطففين) قيل مكية إلا ست آيات من أولها.

(البلد) قيل مدنية إلا اربع آيات من أولها.

(الليل) قيل مكية إلا أولها.

(أرأيت) قيل نزل ثلاث آيات من أولها بمكة والباقي بالمدينة.

ضوابط في المكي والمدني

أخرج الحاكم في مستدركه والبيهقي في الدلائل والبزار في مسنده من طريق الأعمش عن إبراهيم بن علقمة عن عبدالله قال: ما كان يا أيها الذين آمنوا أنزل بالمدينة، وما كان يا أيها الناس فبمكة. وأخرجه أبو عبيد في الفضائل عن علقمة مرسلاً.

وأخرج عن ميمون بن مهران قال: ما كان في القرآن ﴿يا أيها الناس﴾ أو ﴿يا بني آدم﴾ فإنه مكي، وما كان ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فإنه مدني.

قال ابن عطية وابن الغرس وغيرهما: هو في ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ صحيح، وأما ﴿يا أيها الناس﴾ فقد يأتي في المدني.

وقال ابن الحصار: وقد اعتنى المتشاغلون بالنسخ بهذا الحديث واعتمدوه على ضعفه، وقد اتفق الناس على أن النساء مدنية وأولها يا أيها الناس، وعلى أن الحج مكية وفيها ﴿يا أيها الذينَ آمنُوا اركعوا واسجُدُوا﴾ وقال غيره: هذا القول إن أخذ على إطلاقه فيه نظر، فإن سورة البقرة مدنية وفيها ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم﴾ ﴿يا أيها الناس كُلُوا مِمَّا في الأرضِ﴾ وسورة النساء مدنية وأولها: ﴿يا أيها الناس﴾. وقال مكي: هذا إنما هو في الأكثر وليس بعام، وفي كثير من السور المكية ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾.

وقال غيره: الأقرب حمله على أنه خطاب المقصود به أو حمل المقصود به أهل مكة أو المدينة. وقال القاضي: إن كان الرجوع في هذا إلى النقل فمسلم، وإن

كان السبب فيه حصول المؤمنين بالمدينة على الكثرة دون مكة فضعيف، إذ يجوز خطاب المؤمنين بصفتهم وباسمهم وجنسهم، ويؤمر غير المؤمنين بالعبادة كما يؤمر المؤمنون بالاستمرار عليها والازدياد منها، نقله الإمام فخر الدين في تفسيره.

وأخرج البيهقي في الدلائل من طريق يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه قال: كل شيء نزل من القرآن فيه ذكر الأمم والقرون فإنما نزل بمكة، وما كان من الفرائض والسنن فإنما نزل بالمدينة.

وقال الجعبري: لمعرفة المكي والمدني طريقان: سماعي، وقياسي. فالسماعي ما وصل إلينا نزوله بأحدهما، والقياسي كل سورة فيها يا أيها الناس فقط، أو كلا، أو أولها حرف تهجّ سوى الزهراوين والرعد وفيها قصة آدم وإبليس سوى البقرة فهي مكية، وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية، وكل سورة فيها فريضة أو حدّ فهي مدنية اهـ.

وقال مكي: كل سورة فيها ذكر المنافقين فمدنية. وزاد غيره: سوى العنكبوت. وفي كامل الهذلي: كل سورة فيها سجدة فهي مكية. وقال الديريني رحمه الله:

وما نزلت كلا بيثرب فاعلمن ... ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى

وحكمة ذلك أن نصفه الأخير نزل أكثره بمكة وأكثرها جبابرة فتكرّرت فيه على وجه التهديد والتعنيف لهم والإنكار عليهم، بخلاف النصف الأول، وما نزل منه في اليهود لم يحتج إلى إيرادها فيه لذلتهم وضعفهم، ذكره العماني.

[فائدة] أخرج الطبراني عن ابن مسعود قال: نزل المفصل بمكة فمكثنا حججاً نقرؤه ولا ينزل غيره.

الآيات المكية في السور المدنية

[تنبيه] قد تبين بما ذكرناه من الأوجه التي ذكرها ابن حبيب المكي والمدني وما اختلف فيه وترتيب نزول ذلك، والآيات المدنيات في السور المكية، والآيات المكيات في السور المدنية. وبقى أوجه تتعلق بهذا النوع فنذكرها وأمثلتها.

مثال ما نزل بمكة وحكمه مدني ﴿يا أيها الناس إنَّا خلقناكُم من ذَكَرٍ وأُنثى﴾ الآية، نزلت بمكة يوم الفتح، وهي مدنية لأنها نزلت بعد الهجرة. وقوله ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ كذلك. قلت: وكذا قوله ﴿إن الله يأمُرُكُم أن تُؤَدُّوا الأمانات إلى أهلها﴾ في آيات أخر. ومثال ما نزل بالمدينة وحكمه مكي: سورة الممتحنة، فإنها نزلت بالمدينة مخاطبة لأهل مكة. وقوله في النحل ﴿والذين هاجروا﴾ إلى آخرها نزل بالمدينة مخاطباً به أهل مكة. وصدر براءة نزل بالمدينة خطاباً لمشركي أهل مكة. ومثال ما يشبه تنزيل المدني في السور المكية قوله في النجم ﴿الذين يَجتنِبُون كبائِرَ الإثمِ والفواحِشَ إلا اللمم﴾ فإن الفواحش كل ذنب فيه حد، والكبائر كل ذنب عاقبته النار، واللمم ما بين الحدّين من الذنوب، ولم يكن بمكة حدّ ولا نحوه. ومثال ما يشبه تنزيل مكة في السور المدنية قوله ﴿والعاديات ضبحاً﴾ وقوله في الأنفال ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق﴾ ـ الآية.

ومثال ما حمل من مكة الى المدينة سورة (يوسف) و (الإخلاص). قلت: (وسبح) لما تقدم في حديث البخاري. ومثال ما حمل من المدينة إلى مكة ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه﴾ وآية الربا وصدر براءة، وقوله تعالى ﴿إن الذين توفاهم الملائكةُ ظَالمي أنفسِهِم﴾ الآيات.

ومثال ما حمل إلى الحبشة ﴿قل يا أهل الكتاب تَعَالَوْا إلى كلمةٍ سَوَاء﴾ الآيات. قلت: صح حملها إلى الروم، وينبغي أن يمثل لما حمل إلى الحبشة بسورة

مريم، فقد صح أن جعفر بن أبي طالب قرأها على النجاشي. وأخرجه أحمد في مسنده. وأما ما أنزل بالجحفة والطائف وبيت المقدس والحديبية فسيأتي في النوع الذي يلي هذا، ويضم إليه ما نزل بمنى وعرفات وعسفان وتبوك وبدر وأُحد وحراء وحمراء الأسد.

النوع الثاني: معرفة الحضري والسفري

أمثلة الحضري كثيرة. وأما السفري فله أمثلة تتبعتها. منها: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ نزلت بمكة عام حجة الوداع. فأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر قال: «لما طاف النبي ﷺ قال له عمر: هذا مقام أبينا إبراهيم الخليل؟ قال: نعم، قال: أفلا نتخذه مصلى؟» فنزلت. وأخرج ابن مردويه من طريق عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب: «أنه مرّ بمقام إبراهيم فقال: يا رسول الله أليس نقوم مقام خليل ربنا؟ قال: بلى، قال: أفلا نتخذه مصلى؟ فلم يلبث إلا يسيراً حتى نزلت». وقال ابن الحصار: نزلت إما في عمرة القضاء أو في غزوة الفتح أو في حجة الوداع.

ومنها ﴿وليسَ البرَّ بأنْ تَأتُوا البيوتَ من ظُهورِها﴾ الآية، روى ابن جرير عن الزهري أنها نزلت في عمرة الحديبية. وعن السدي أنها نزلت في حجة الوداع.

ومنها ﴿وأتموا الحجَّ والعمرةَ لله﴾ فأخرج ابن أبي حاتم عن صفوان بن أمية قال: «جاء رجل إلى النبيّ ﷺ مضمخ بالزعفران عليه جبة فقال: كيف تأمرني في عمرتي؟ فنزلت، فقال: أين السائل عن العمرة؟ ألق عنك ثيابك ثم اغتسل» الحديث.

ومنها ﴿فمن كان منكم مَرِيضاً أو به أذًى من رَأْسِهِ﴾ الآية، نزلت بالحديبية، كما أخرجه أحمد عن كعب بن عجرة الذي نزلت فيه، والواحدي عن ابن عباس.

ومنها ﴿آمن الرسول﴾ الآية، قيل نزلت يوم فتح مكة ولم أقف له على دليل.

ومنها ﴿واتقوا يوماً تُرجَعُون فيه﴾ الآية نزلت بمنى عام حجة الوداع فيما أخرجه البيهقي في الدلائل.

ومنها ﴿الذين استجابوا للهِ والرسولِ﴾ الآية. أخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس أنها نزلت بحمراء الأسد.

ومنها: آية التيمم في النساء. أخرج ابن مردويه عن الأسلع بن شريك أنها نزلت في بعض أسفار النبي ﷺ.

ومنها ﴿إن الله يأمركم أن تُؤدّوا الأماناتِ إلى أهلِها﴾ نزلت يوم الفتح في جوف الكعبة كما أخرجه سنيد في تفسيره عن ابن جريج، وأخرجه ابن مردويه عن ابن عباس.

ومنها ﴿وإذا كنتَ فيهم فأقمتَ لهم الصلاةَ﴾ الآية، نزلت بعسفان بين الظهر والعصر كما أخرجه أحمد عن أبي عياش الزرقي. ومنها ﴿يستفتونك قل اللهُ يُفتيكم في الكَلاَلَة﴾ أخرج البزار وغيره عن حذيفة أنها نزلت على النبي ﷺ في مسير له.

ومنها: أول المائدة، أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن أسماء بنت يزيد أنها نزلت بمنى. وأخرج في الدلائل عن أم عمرو عن عمها أنها نزلت في مسير له. وأخرج أبو عبيدة عن محمد بن كعب قال: نزلت سورة المائدة في حجة الوداع فيما بين مكة والمدينة.

ومنها ﴿اليوم أكملتُ لكم دِينَكُم﴾ في الصحيح عن عمر أنها نزلت عشية عرفة يوم الجمعة عام حجة الوداع. وله طرق كثيرة لكن أخرج ابن مردويه عن

أبي سعيد الخدري أنها نزلت يوم غدير خُم. وأخرج مثله من حديث أبي هريرة وفيه أنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة مرجعه من حجة الوداع. وكلاهما لا يصح.

ومنها: آية التيمم فيها في الصحيح عن عائشة أنها نزلت بالبيداء وهم داخلون المدينة. وفي لفظ: بالبيداء أو بذات الجيش. قال ابن عبد البر في التمهيد: يقال إنه كان في غزوة بني المصطلق. وجزم به في الاستذكار وسبقه إلى ذلك ابن سعد وابن حبان. وغزوة بني المصطلق هي غزوة المريسيع. واستبعد ذلك بعض المتأخرين قال: لأن المريسيع من ناحية مكة بين قديد والساحل، وهذه القصة من ناحية خيبر لقول عائشة بالبيداء أو بذات الجيش، وهما بين المدينة وخيبر كما جزم به النووي، لكن جزم ابن التين بأن البيداء هي ذو الحليفة. وقال أبو عبيد البكري: البيداء هو الشرف الذي قدام ذي الحليفة من طريق مكة. قال: وذات الجيش من المدينة على بريد.

ومنها ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نِعمَةَ اللهِ عليكمُ إذ هم قَومٌ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن قتادة قال: ذكر لنا أنها نزلت على رسول الله ﷺ وهو ببطن نخل في الغزوة السابعة حين أراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا به فأطلعه الله على ذلك.

ومنها ﴿واللهُ يعصمُكَ من الناسِ﴾ في صحيح ابن حبان عن أبي هريرة أنها نزلت في السفر. وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر أنها نزلت في ذات الرقاع بأعلى نخل في غزوة بني أنمار.

ومنها: أول الأنفال نزلت ببدر عقب الواقعة كما أخرجه أحمد عن سعد بن أبي وقاص.

ومنها ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ الآية، نزلت ببدر أيضاً كما أخرجه الترمذي عن عمر. ومنها ﴿والذين يَكنِزُون الذهبَ﴾ الآية، نزلت في بعض أسفاره كما أخرجه أحمد عن ثوبان. ومنها قوله ﴿لو كانَ عرضاً قريباً﴾ الآيات، نزلت في غزوة تبوك كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس. ومنها ﴿ولئِن سألتَهُمْ ليقولُنَّ إنما كُنَّا نخوضُ ونلعب﴾ نزلت في غزوة تبوك كما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عمر.

ومنها ﴿ما كان للنبيّ والذين آمنوا﴾ الآية. اخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس أنها نزلت لما خرج النبي ﷺ معتمراً وهبط من سنية عسفان فزار قبر أمه واستأذن في الاستغفار لها.

ومنها: خاتمة النحل. أخرج البيهقي في الدلائل والبزار عن أبي هريرة أنها تزلت بأحد والنبي ﷺ واقف على حمزة حين استشهد. وأخرج الترمذي والحاكم عن أُبيّ بن كعب أنها نزلت يوم فتح مكة. ومنها: ﴿وإن كادوا ليستفزونَكَ من الأرض ليخرجُوك منها﴾ أخرج أبو الشيخ والبيهقي في الدلائل من طريق شهر ابن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم نزلت في تبوك.

ومنها: أول الحج. أخرج الترمذي والحاكم عن عمران بن حصين قال: لما نزلت على النبي ﷺ ﴿يا أيها الناس اتقُوا ربَّكم إن زلزلةَ الساعةِ شيءٌ عظيم﴾ إلى قوله ﴿ولكن عذابَ اللهِ شديدٌ﴾ أنزلت عليه هذه وهو في سفر، الحديث. وعند ابن مردويه منْ طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنها نزلت في مسيره في غزوة بني المصطلق.

ومنها ﴿هذان خصمان﴾ الآيات، قال القاضي جلال الدين البلقيني: الظاهر أنها نزلت يوم بدر وقت المبارزة لما فيه من الإشارة بهذان.

ومنها ﴿أُذن للذين يُقاتَلون﴾ الآية. أخرج الترمذي عن ابن عباس قال: لما

أخرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم ليهلكنّ، فنزلت. قال ابن الحصار: واستنبط بعضهم من هذا الحديث أنها أنزلت في سفر الهجرة.

ومنها ﴿ألم ترَ إلى ربّكَ كيفَ مدّ الظل﴾ الآية، قال ابن حبيب: نزلت بالطائف، ولم أقف له على مستند.

ومنها ﴿إن الذين فرضَ عليكَ القرآن﴾ نزلت بالجحفة في سفر الهجرة كما أخرجه ابن أبي حاتم عن الضحاك.

ومنها: أول الروم روى الترمذي عن أبي سعيد قال: لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين فنزلت ﴿الم غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ إلى قوله ﴿بنصر الله﴾ قال الترمذي: غلبت يعنى بالفتح.

ومنها ﴿واسألْ من أرسلنا قبلَكَ من رُسُلِنا﴾ الآية، قال ابن حبيب: نزلت ببيت المقدس ليلة الإسراء.

ومنها ﴿وكأينْ من قريةٍ هي أشدُّ قوةً﴾ الآية. قال السخاوي في جمال القراء: قيل إن النبي ﷺ لما توجه مهاجراً إلى المدينة وقف فنظر إلى مكة وبكى فنزلت.

ومنها: سورة الفتح. أخرج الحاكم وغيره عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها. وفي المستدرك أيضاً من حديث مجمع بن جارية أن أولها نزل بكراع الغميم.

ومنها ﴿يا أيها الناسُ إنا خلقناكُم من ذكرٍ وأُنثى﴾ الآية. أخرج الواحدي عن ابن أبي مليكة أنها نزلت بمكة يوم الفتح لما رقى بلال على ظهر الكعبة وأذّنَ فقال بعض الناس: أهذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة. ومنها ﴿سيُهزَمُ

الجمعُ﴾ الآية، قيل إنها نزلت يوم بدر، حكاه ابن الغرس، وهو مردود لما سيأتي في النوع الثاني عشر، ثم رأيت عن ابن عباس ما يؤيده.

ومنها: قال النسفي: قوله ﴿ثُلة من الأولين﴾ وقوله ﴿أفبهذا الحديث أنتم مُدهنُون﴾ نزلتا في سفره ﷺ إلى المدينة، ولم أقف له على مستند.

ومنها ﴿وتجعلونَ رزقكَمْ أنكمُ تُكذبون﴾ أخرج ابن أبي حاتم من طريق يعقوب عن مجاهد عن أبي حرزة قال: نزلت في رجل من الأنصار في غزوة تبوك لما نزلوا الحجر، فأمرهم رسول الله ﷺ أن لا يحملوا من مائها شيئاً ثم ارتحل ثم نزل منزلاً آخر وليس معهم ماء، فشكوا ذلك، فدعا فأرسل الله سحابة فأمطرت عليهم حتى استقوا منها، فقال رجل من المنافقين: إنما مطرنا بنوء كذا، فنزلت.

ومنها آية الامتحان ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءَكُمّ المؤمناتُ مهاجراتٍ فامتحنوهُن﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن الزهري أنها نزلت بأسفل الحديبية.

ومنها: سورة المنافقين. أخرج الترمذي عن زيد بن أرقم أنها نزلت ليلاً في غزوة تبوك. وأخرج عن سفيان أنها في غزوة بني المصطلق، وبه جزم ابن إسحاق وغيره.

ومنها: سورة المرسلات: أخرج الشيخان عن ابن مسعود قال: «بينما نحن مع النبيّ ﷺ في غار بمنى إذ نزلت عليه والمرسلات» الحديث.

ومنها: سورة المطففين أو بعضها، حكى النسفي وغيره أنها نزلت في سفر الهجرة قبل دخوله ﷺ المدينة.

ومنها: أول سورة اقرأ، نزل بغار حراء كما في الصحيحين.

ومنها: سورة الكوثر. أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير أنها نزلت يوم

الحديبية، وفيه نظر.

ومنها: سورة النصر، أخرج البزار والبيهقي في الدلائل عن ابن عمر قال: أنزلت هذه السورة ﴿إذا جاءَ نصرُ اللهِ والفتح﴾ على رسول الله ﷺ أوسط أيام التشريق فعرف أنه الوداع، فأمر بناقته القصواء فرحلت، ثم قام فخطب الناس فذكر خطبته المشهورة.

النوع الثالث: معرفة النهاري والليلي

أمثلة النهاري كثيرة، قال ابن حبيب: نزل أكثر القرآن نهاراً. وأما الليلي فتتبعت له أمثلة.

منها: آية تحويل القبلة، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر «بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ أتاهم آتٍ فقال: إن النبي ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة». وروى مسلم عن أنس «أن النبي ﷺ كان يصلي نحو بيت المقدس فنزلت: ﴿قد نَرَى تقلُّبَ وجهكَ في السَّماءِ﴾ الآية، فمر رجل من بني سلمة وهم ركوع في صلاة الفجر وقد صلوا ركعة، فنادى: ألا إن القبلة قد حوّلت، فمالوا كلهم نحو القبلة» لكن في الصحيحين عن البراء أن النبي ﷺ صلى قِبَلَ بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وإن أول صلاة صلاها العصر وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه فمرّ على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قِبَلَ الكعبة، فداروا كما هم قِبَلَ البيت. فهذا يقضي أنها نزلت نهاراً بين الظهر والعصر.

قال القاضي جلال الدين: والأرجح بمقتضى الاستدلال نزولها بالليل، لأن قضية أهل قباء كانت في الصبح، وقباء قريبة من المدينة فيبعد أن يكون رسول الله ﷺ أخر البيان لهم من العصر إلى الصبح.

وقال ابن حجر: الأقوى أن نزولها كان نهاراً. والجواب عن حديث ابن عمر أن الخبر وصل وقت العصر إلى من هو داخل المدينة وهم بنو حارثة،

ووصل وقت الصبح إلى من هو خارج المدينة وهم بنو عمرو بن عوف أهل قباء وقوله «قد أنزل عليه الليلة» مجاز من إطلاق الليلة على بعض اليوم الماضي والذي يليه.

قلت: ويؤيد هذا ما أخرجه النسائي عن أبي سعيد بن المعلى قال: مررنا يوماً ورسول الله ﷺ قاعد على المنبر فقلت: لقد حدث أمر، فجلست فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿قد نرى تقلُّبَ وجهكَ في السماء﴾ حتى فرغ منها، ثم نزل فصلى الظهر.

ومنها: أواخر آل عمران. أخرج ابن حبان في صحيحه وابن المنذر وابن مردويه وابن أبي الدنيا في كتاب التفكُّر عن عائشة «أن بلالاً أتى النبي ﷺ - يؤذنه لصلاة الصبح فوجده يبكي فقال: يا رسول الله ما يبكيك؟ قال: وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل عليّ هذه الليلة ﴿إن في خلقِ السمواتِ والأرضِ واختلافِ الليلِ والنهارِ لآياتٍ لأولي الألباب﴾. ثم قال: ويل لمن قرأها ولم يتفكر».

ومنها ﴿واللهُ يعصمُكَ من الناسِ﴾ أخرج الترمذي والحاكم عن عائشة قالت: «كان النبي ﷺ يحرس حتى نزلت، فأخرج رأسه من القبة فقال: أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله».

وأخرج الطبراني عن عصمة بن مالك الخطمي قال: كنا نحرس رسول الله ﷺ بالليل حتى نزلت فترك الحرس.

ومنها: سورة الأنعام. أخرج الطبراني وأبو عبيد في فضائله عن ابن عباس قال نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة حولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسبيح.

ومنها: آية الثلاثة الذين خلفوا، ففي الصحيحين من حديث كعب «فأنزل

الله توبتنا حين بقي الثلث الأخير من الليل».

ومنها: سورة مريم. روى الطبراني عن أبي مريم الغساني قال: «أتيت رسول الله ﷺ فقلت: ولدت لي الليلة جارية، فقال: والليلة نزلت عليّ سورة مريم سمها مريم».

ومنها: أول الحج، ذكره بن حبيب ومحمد بن بركات السعدي في كتابه الناسخ والمنسوخ، وجزم به السخاوي في جمال القراء، وقد يستدل له بما أخرجه ابن مردويه عن عمران بن حصين أنها نزلت والنبي ﷺ في سفر، وقد نعس بعض القوم وتفرّق بعضهم فرفع بها صوته، الحديث.

ومنها: آية الإذن في خروج النسوة في الأحزاب. قال القاضي جلال الدين: والظاهر أنها ﴿يا أيها النبي قُل لأزواجِك وبناتِكَ﴾ الآية، ففي البخاري عن عائشة «خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر فقال: يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين، قالت: فانكفأت راجعة إلى رسول الله ﷺ وإنه ليتعشى وفي يده عرق، فقلت: يا رسول الله خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا، فأوحى الله إليه وإن العرق في يده ما وضعه، فقال: إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن». قال القاضي جلال الدين: وإنما قلنا إن ذلك كان ليلاً لأنهن إنما كن يخرجن للحاجة ليلاً كما في الصحيح عن عائشة في حديث الإفك.

ومنها: ﴿واسأل من أرسَلْنا من قبلك من رُسُلِنا﴾ على قول ابن حبيب أنها نزلت ليلة الإسراء.

ومنها: أول الفتح، ففي البخاري من حديث عمر «لقد نزلت عليّ الليلة

سورة هي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس، فقرأ ﴿إنّا فتحنا لكَ فتحاً مُبيناً﴾ الحديث.

ومنها: سورة المنافقين كما أخرجه الترمذي عن زيدِ بن أرقم.

ومنها: سورة والمرسلات. قال السخاوي في جمال القراء: روي عن ابن مسعود أنها نزلت ليلة الجنّ بحراء. قلت: هذا أثر لا يعرف. ثم رأيت في صحيح الإسماعيلي وهي مستخرجة على البخاري أنها نزلت ليلة عرفة بغار منى، وهو في الصحيحين بدون قوله «ليلة عرفة» والمراد بها: ليلة التاسع من ذي الحجة، فإنها التي كان النبي ﷺ يبيتها بمنى.

ومنها: المعوّذتان، فقد قال ابن أشتة في المصاحف: أنبأنا محمد بن يعقوب، نبأنا أبو داود، نبأنا عثمان بن أبي شيبة، نبأنا جرير عن بيان عن قيس عن عقبة ابن عامر الجهني قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزلت عليّ الليلة آيات لم ير مثلهن: قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس».

[فرع] ومنه ما نزل بين الليل والنهار في وقت الصبح، وذلك آيات.

منها: آية التيمم في المائدة، ففي الصحيح عن عائشة: وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد، فنزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قُمتُم إلى الصلاة﴾ إلى قوله ﴿لعلكم تَشكُرون﴾ ومنها ﴿ليسَ لكَ من الأمرِ شيءٌ﴾ ففي الصحيح أنها نزلت وهو في الركعة الأخيرة من صلاة الصبح حين أراد أن يقنت يدعو على أبي سفيان ومن ذكر معه.

[تنبيه] فإن قلت: فما تصنع بحديث جابر مرفوعاً «أصدق الرؤيا ما كان نهاراً، لأن الله خصني بالوحي نهاراً» أخرجه الحاكم في تاريخه. قلت: هذا الحديث منكر لا يحتج به.

النوع الرابع: الصيفي والشتائي

ما نزل في الصيف:

قال الواحدي: أنزل الله في الكلالة آيتين: إحداهما في الشتاء وهي التي في أول النساء، والأخرى في الصيف وهي التي في آخرها. وفي صحيح مسلم عن عمر «ما راجعت رسول الله ﷺ في شيء ما راجعته في الكلالة، وما أغلظ في شيء ما أغلظ لي فيه، حتى طعن بأصبعه في صدري وقال: يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء؟».

وفي المستدرك عن أبي هريرة «أن رجلاً قال: يا رسول الله ما الكلالة؟ قال: أما سمعت الآية التي نزلت في الصيف: ﴿يستفتُونَكَ قلِ اللهُ يُفتيكم في الكلالةِ﴾». وقد تقدم أن ذلك في سفر حجة الوداع، فيعدّ من الصيفي ما نزل فيها كأول المائدة. وقوله ﴿اليوم أكملتُ لكم دينَكُم﴾ ﴿واتقوا يوماً تُرْجَعُونَ﴾ وآية الدين وسورة النصر.

ومنه: الآيات النازلة في غزوة تبوك فقد كانت في شدّة الحرّ، أخرجه البيهقي في الدلائل من طريق ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله ابن أبي بكر بن حزم: «أن رسول الله ﷺ ما كان يخرج في وجه من مغازيه إلا أظهر أنه يريد غيره، غير أنه في غزوة تبوك قال: يا أيها الناس إني أريد الروم، فأعلمهم وذلك في زمان البأس وشدة الحر وجدب البلاد، فبينما رسول الله ﷺ ذات يوم في جهازه إذ قال للجد بن قيس: هل لك في بنات بني الأصفر؟ قال:

يا رسول الله لقد علم قومي أنه ليس أحد أشدّ عجباً بالنساء مني، وإني أخاف إن رأيت نساء بني الأصفر أن يفتنّي فأذن لي، فأنزل الله: ﴿ومنهم من يقولُ ائذنْ لي﴾ الآية. وقال رجل من المنافقين: لا تنفروا في الحر، فأنزل الله: ﴿قُل نارُ جهنم أشدُّ حراً﴾.

ما نزل في الشتاء:

ومن أمثلة الشتائي: قوله: ﴿إن الذينَ جاءوا بالإفْكِ﴾ إلى قوله ﴿ورزق كريم﴾ ففي الصحيح عن عائشة أنها نزلت في يوم شاتٍ، والآيات التي في غزوة الخندق من سورة الأحزاب فقد كانت في البرد، ففي حديث حذيفة «تفرّق الناس عن رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب إلا اثني عشر رجلاً، فأتاني رسول الله ﷺ فقال: قم فانطلق إلى عسكر الأحزاب، قلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما قمت لك إلا حياء من البرد» الحديث، وفيه: فأنزل الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة اللهِ عليكم إذا جاءتكم جُنودٌ﴾ إلى آخرها. أخرجه البيهقي في الدلائل.

النوع الخامس: الفراشي والنومي

الفراشي:

ومن أمثلة الفراشي: قوله: ﴿والله يعصمُكَ من الناسِ﴾ كما تقدم، وآية الثلاثة الذين خلفوا، ففي الصحيح أنها نزلت وقد بقي من الليل ثلثه وهو ﷺ عند أم سلمة، واستشكل الجمع بين هذا، وقوله ﷺ في حق عائشة: «ما نزل عليّ الوحي في فراش امرأة غيرها» قال القاضي جلال الدين: «ولعل هذا كان قبل القصة التي نزل الوحي فيها في فراش أم سلمة. قلت: ظفرت بما يؤخذ منه جواب أحسن من هذا، فروى أبو يعلى في مسنده عن عائشة قالت: «أعطيت تسعاً» الحديث، وفيه «وإن كان الوحي لينزل عليه وهو في أهله فينصرفون عنه، وإن كان لينزل عليه وأنا معه في لحافة» وعلى هذا لا معارضة بين الحديثين كما لا يخفى.

النومي:

وأما النومي: ففي أمثلته سورة الكوثر، لما روى مسلم عن أنس قال «بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا إذ غفا إغفاءة ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ فقال: أنزل عليّ آنفاً سورة، فقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم.. إنا أعطيناك الكوثر. فصلِّ لربِّكَ وانحرْ. إن شانِئَكَ هو الأبتر﴾.

وقال الإمام الرافعي في أماليه: فهم فاهمون من الحديث أن السورة نزلت في تلك الإغفاءة.

وقالوا: من الوحي ما كان يأتيه في النوم، لأن رؤيا الأنبياء وحي. قال: وهذا صحيح لكن الأشبه أن يقال: إن القرآن كله نزل في اليقظة، وكأنه خطر له في النوم سورة الكوثر المنزلة في اليقظة، أو عرض عليه الكوثر الذي وردت فيه السورة فقرأها عليهم وفسرها لهم.

قال: وورد في بعض الروايات أنه أغمي عليه، وقد يحمل ذلك على الحالة التي كانت تعتريه عند نزول الوحي ويقال لها برحاء الوحي اهـ.

قلت: الذي قاله الرافعي في غاية الاتجاه، وهو الذي كنت أميل إليه قبل الوقوف عليه. والتأويل الأخير أصح من الأول لأن قوله «أنزل علي آنفاً» يدفع كونها نزلت قبل ذلك، بل نقول نزلت تلك الحالة ليس الإغفاء إغفاء نوم، بل الحالة التي كانت تعتريه عند الوحي، فقد ذكر العلماء أنه كان يؤخذ عن الدنيا.

النوع السادس: السمائي والأرضي

السمائي:

تقدم قول ابن العربي: إن من القرآن سمائياً وأرضياً، وما نزل بين السماء والأرض، وما نزل تحت الأرض في الغار. قال: وأخبرنا أبو بكر الفهري قال: أنبأنا التميمي، أنبأنا هبة الله المفسر قال: نزل القرآن بين مكة والمدينة إلا ست آيات نزلت لا في الأرض ولا في السماء: ثلاث في سورة الصافات ﴿وما منا إلا لهُ مقامٌ مَعلُوم﴾ الآيات الثلاث. وواحدة في الزخرف ﴿واسأل منْ أرسلْنَا مِن قَبْلِكَ من رُسُلنا﴾ الآية. والآيتان من آخر سورة البقرة نزلتا ليلة المعراج. قال ابن العربي: ولعله أراد في الفضاء بين السماء والأرض.

الأرضي:

قال: وأما ما نزل تحت الأرض في الغار فسورة المرسلات كما في الصحيح عن ابن مسعود. قالت: أما الآيات المتقدمة فلم أقف على مستند لما ذكره فيها إلا آخر البقرة فيمكن أن يستدل بما أخرجه مسلم عن ابن مسعود: «لما أسري برسول الله ﷺ انتهى إلى سدرة المنتهى» الحديث، وفيه «فأعطي رسول الله ﷺ منها ثلاثاً: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لا يشرك من أمته بالله شيئاً المقحمات. وفي الكامل للهذلي: نزلت ﴿آمن الرسول﴾ إلى آخرها بقاب قوسين.

النوع السابع: معرفة أول ما نزل

أول ما نزل:

اختلف في أول ما نزل من القرآن على أقوال. أحدها وهو الصحيح ﴿اقرأ باسم ربك﴾ روى الشيخان وغيرهما عن عائشة قالت: «أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العَدد، ويتزوّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة رضي الله عنها فتزوده لمثلها، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ، قال رسول الله ﷺ: فقلت ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت ما أنا بقارىء، فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت ما أنا بقارىء، فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾، حتى بلغ ﴿ما لَمْ يَعْلَم﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره» الحديث.

وأخرج الحاكم في المستدرك والبيهقي في الدلائل وصححاه عن عائشة قالت: أول سورة نزلت من القرآن ﴿اقرأ باسم ربك﴾.

وأخرج الطبراني في الكبير بسند على شرط الصحيح عن أبي رجاء العطاردي قال: كان أبو موسى يقرئنا فيجلسنا حلقاً عليه ثوبان أبيضان، فإذا تلا هذه السورة ﴿اقرأ باسم ربِّكَ الذي خَلَق﴾ قال: هذه أول سورة أنزلت على محمد ﷺ.

وقال سعيد بن منصور في سننه: حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عبيد ابن عمير قال: «جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال له اقرأ، قال: وما أقرأ؟ فوالله ما أنا بقارىء، فقال: ﴿اقرأ باسمِ ربِّكَ الَّذي خلَق﴾، فكان يقول: هو أول ما أنزل.

وقال أبو عبيد في فضائله: حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: إن أول ما نزل من القرآن: اقرأ باسم ربك، ونون والقلم.

وأخرج ابن أشتة في كتاب المصاحف عن عبيد بن عمير قال: «جاء جبريل إلى النبي ﷺ بنمط فقال اقرأ، قال: ما أنا بقارىء، قال: اقرأ باسم ربك، فيرون أنها أول سورة أنزلت من السماء».

وأخرج عن الزهري أن النبي ﷺ كان بحراء إذ أتى ملك بنمط من ديباج فيه مكتوب اقرأ باسم ربك الذي خلق، إلى ما لم يعلم.

القول الثاني في أول ما نزل:

القول الثاني: يا أيها المدثر. روى الشيخان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت جابر بن عبد الله: أيّ القرآن أنزل قبل؟ قال: يا أيها المدثر، قلت: أو اقـرأ باسم ربك، قال: أحدثكم ما حدثنا به رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «إني جاورت بحراء، فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادي، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وشمالي، ثم نظرت إلى السماء فإذا هو: يعني جبريل، فأخذتني رجفة، فأتيت خديجة فأمرتهم فدثروني» فأنزل الله: ﴿يا أيها المدَّثِّرْ قُمْ فأنْذِرْ﴾.

وأجاب الأول عن هذا الحديث بأجوبة.

أحدها: أن السؤال كان عن نزول سورة كاملة، فبيَّنَ أن سورة المدثر نزلت

بكمالها قبل نزول تمام سورة اقرأ فإنها أول ما نزل منها صدرها، ويؤيد هذا ما في الصحيحين أيضاً عن أبي سلمة عن جابر: سمعت رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه «بينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرجعت فقلت زمّلوني زمّلوني، فدثروني، فأنزل الله: ﴿يا أيها المدثّر﴾ فقوله الملك الذي جاءني بحراء يدل على أن هذه القصة متأخرة عن قصة حراء التي نزل فيها اقرأ باسم ربك.

ثانيها: أن مراد جابر بالأولية أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي لا أولية مطلقة.

ثالثها: أن المراد أولية مخصوصة بالأمر بالإنذار، وعبّر بعضهم عن هذا بقوله: أول ما نزل للنبوة اقرأ باسم ربك، وأول ما نزل للرسالة يا أيها المدثر.

رابعها: إن المراد أول ما نزل بسبب متقدم، وهو ما وقع من التدثر الناشيء عن الرعب، وأما اقرأ ابتداء فنزلت بغير سبب متقدم، ذكره ابن حجر.

خامسها: أن جابر استخرج ذلك باجتهاده وليس هو من روايته، فيتقدم عليه ما روته عائشة، قاله الكرماني: وأحسن هذه الأجوبة الأول والأخير.

القول الثالث في أول ما نزل:

القول الثالث: سورة الفاتحة، قال في الكشاف: ذهب ابن عباس ومجاهد إلى أن أول سورة نزلت اقرأ، وأكثر المفسرين إلى أن أول سورة نزلت فاتحة الكتاب. وقال ابن حجر والذي ذهب إليه أكثر الأئمة هو الأول. وأما الذي نسبه إلى الأكثر فلم يقل به إلا عدد أقل من القليل بالنسبة إلى من قال بالأول، وحجته ما أخرجه البيهقي في الدلائل والواحدي من طريق يونس بن بكير عن

يونس بن عمرو عن أبيه عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل «أن رسول الله ﷺ قال لخديجة: إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء، فقد والله خشيت أن يكون هذا أمراً، فقالت: معاذ الله ما كان الله ليفعل بك، فوالله إنك لتؤدي الأمانة، وتصل الرحم، وتصدق الحديث، فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة حديثه له وقالت: اذهب مع محمد إلى ورقة، فانطلقا فقصا عليه فقال: إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي يا محمد يا محمد فأنطلق هارباً في الأفق، فقال: لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتني فأخبرني، فلما خلا ناداه يا محمد قل بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ حتى بلغ ﴿ولا الضالين﴾ الحديث. هذا مرسل رجاله ثقات، وقال البيهقي: إن كان محفوظاً فيحتمل أن يكون خبراً عن نزولها بعد ما نزلت عليه اقرأ والمدّثر.

القول الرابع في أول ما نزل:

القول الرابع: بسم الله الرحمن الرحيم. حكاه ابن النقيب في مقدمة تفسيره قولاً زائداً. وأخرج الواحدي بإسناده عن عكرمة والحسن قالا: أول ما نزل من القرآن بسم الله الرحمن الرحيم، وأول سورة اقرأ باسم ربك.

وأخرج ابن جرير وغيره من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: أول ما نزل جبريل على النبي ﷺ قال: يا محمد استعذ ثم قل بسم الله الرحمن الرحيم.

وعندي أن هذا لا يعدّ قولاً برأسه فإنه من ضرورة نزول السورة نزول البسملة معها فهي أول آية نزلت على الإطلاق.

وورد في أول ما نزل حديث آخر روى الشيخان عن عائشة قالت: إن أول ما نزل سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام. وقد استشكل هذا بأن أول ما نزل اقرأ، وليس فيها ذكر الجنة والنار.

وأجيب بأن من مقدرة: أي من أول ما نزل، والمراد سورة المدثر فإنه أول ما نزل بعد فترة الوحي وفي آخرها ذكر الجنة والنار، فلعل آخرها قبل نزول بقية اقرأ.

أوائل ما نزل

[فرع] أخرج الواحدي من طريق الحسين بن واقد قال: سمعت عليّ بن الحسين يقول: أول سورة نزلت بمكة اقرأ باسم ربك، وآخر سورة نزلت بها المؤمنون، ويقال العنكبوت.

وأول سورة نزلت بالمدينة ويل للمطففين، وآخر سورة نزلت بها براءة.

وأول سورة أعلنها رسول الله ﷺ بمكة النجم.

وفي شرح البخاري لابن حجر: اتفقوا على أن سورة البقرة أول سورة نزلت بالمدينة، وفي دعوى الاتفاق نظر لقول علي بن الحسين المذكور. وفي تفسير النسفي عن الواقدي أن أول سورة نزلت بالمدينة سورة القدر.

وقال أبو بكر محمد بن الحارث بن أبيض في جزئه المشهور: حدثنا أبو العباس عبيدالله بن محمد بن أعين البغدادي، حدثنا حسان بن إبراهيم الكرماني، حدثنا أمية الأزدي عن جابر بن زيد قال: أول ما أنزل الله من القرآن بمكة اقرأ باسم ربك ثم ن والقلم ثم يا أيها المزمل ثم يا أيها المدثر ثم الفاتحة ثم تبت يدا أبي لهب ثم إذا الشمس كوّرت ثم سبح اسم ربك الأعلى ثم والليل إذا يغشى ثم والفجر ثم والضحى ثم ألم نشرح ثم والعصر ثم والعاديات ثم الكوثر ثم ألهاكم ثم أرأيت الذي يكذب ثم الكافرون، ثم ألم تر كيف ثم قل أعوذ برب الفلق ثم قل أعوذ برب الناس ثم قل هو الله أحد ثم والنجم ثم عبس ثم إنا أنزلناه ثم والشمس وضحاها ثم البروج ثم والتين ثم لئيلاف ثم القارعة ثم القيامة ثم ويل لكل همزة ثم والمرسلات ثم

ق ثم البلد ثم الطارق ثم اقتربت الساعة ثم ص ثم الأعراف ثم الجن ثم يس ثم الفرقان ثم الملائكة ثم كهيعص ثم طه ثم الواقعة ثم الشعراء ثم طس سليمان ثم طسم القصص ثم بني إسرائيل ثم التاسعة يعني يونس ثم هود ثم يوسف ثم الحجز ثم الأنعام ثم الصافات ثم لقمان ثم سبأ ثم الزمر ثم حم المؤمن ثم حم السجدة ثم حم الزخرف ثم حم الدخان ثم حم الجاثية ثم حم الأحقاف ثم الذاريات ثم الغاشية ثم الكهف ثم حمعسق ثم تنزيل السجدة ثم الأنبياء ثم النحل أربعين وبقيتها بالمدينة ثم إنا أرسلنا نوحاً ثم الطور ثم المؤمنون ثم تبارك ثم الحاقه ثم سأل ثم عم يتساءلون ثم والنازعات ثم إذا السماء انفطرت ثم إذا السماء انشقت ثم الروم ثم العنكبوت ثم ويل للمطففين فذاك ما أنزل بمكة.

وأنزل بالمدينة سورة البقرة ثم آل عمران ثم الأنفال ثم الأحزاب ثم المائدة ثم الممتحنة ثم إذا جاء نصر الله ثم النور ثم الحج ثم المنافقون ثم المجادلة ثم الحجرات ثم التحريم ثم الجمعة ثم التغابن ثم سبح الحواريين ثم الفتح ثم التوبة ثم خاتمة القرآن.

قلت: هذا سياق غريب وفي هذا الترتيب نظر. وجابر بن زيد من علماء التابعين بالقرآن. وقد اعتمد البرهان الجعبري على هذا الأثر في قصيدته التي سماها: تقريب المأمول في ترتيب النزول، فقال:

مكيهـــا ســـت ثمانـــون اعتلـــت نظمـت على رفـق النـــزول لمن تلا
اقـرأ ونـــون مـــزمـــل مـــدثـــر والحمـد تبـت كـورت الأعلى علا
ليل وفجـر والضحـى شرح وعصـ ـر العـاديـات وكـــوثـــر ألهاكم تلا
أرأيت قل بالفيـل مع فلـق كـذا نـاس وقـل هـو نجمهـا عبس جلا
قـــدر وشمس والبروج وتينهـــــا لئيلاف قـــارعـــة قيـــامـــة أقبلا
ويـــل لكـــل المرسلات وق مــــع بلـد وطـارقهـا مع اقتربـت كلا
ص وأعـــــراف وجـــــن ثم يس وفـــرقـــان وفـــاطـــــر اعتـــلا

كـــاف وطـــه ثلـــة الشعـــرا ونمـ ل قـص الاسرا يـونس هـــود ولا
قـل يـوسـف حجـر وأنعـام وذبـ ح ثم لقمان سبـــا زمـــــر جلا
مـع غـافـر فصلت مـع زخـرف ودخـان جـاثيـة وأحقـاف تلا
ذرو وغـــاشيـــة وكهـــف ثم شـــو رى والخليـــل والأنبيـــاء نحل حلا
ومضـاجـع نـور وطـور والفلا ح الملـك واعيـة وسـال وعـم لا
غـرق مـع انفطـرت وكـدح ثم رو م العنكبـوت وطففـــت فتكملا
وبطيبـــة عشـــرون ثم ثمـــان الـ ـطـولى وعمـــران وأنفـــال جـــلا
الأحزاب مـائـدة امتحـان والنسا مـع زلـزلـت ثم الحديـد تـأملا
ومحـمد والرعـد والرحـمن الإنسـ ان الطـلاق يكـن حشر مـلا
نصر ونـــوح ثم حـــج والمنـــا فـق مـع مجادلـة وحجـرات ولا
تحريمهـــا مـــع جمعـــة وتغـــابـــن صـف وفتـح تـوبـة ختمـت أولا
أمـا الذي قـد جـاءنـا سفـريـــه عـرفي أكملـت لكـم قـد كملا
لكـــــن إذا قمتم فحبشي بـــدا واسـأل مـن أرسلنـا الشـامـي قبلا
إن الذي فـرض انتمـى جحيفيهـا وهـــو الذي كـــف الحديبي انجلا

أوائل مخصوصة

أول ما نزل في القتال: روى الحاكم في المستدرج عن ابن عباس قال: أول آية نزلت في القتال ﴿أُذنَ للذين يُقَاتَلُونَ بأنهم ظُلِمُوا﴾.

وأخرج ابن جرير عن أبي العالية قال: أول آية نزلت في القتال بالمدينة ﴿وقَاتِلُوا في سبيلِ اللهِ الذينَ يُقَاتِلُونكم﴾.

وفي الإكليل للحاكم: إن أول ما نزل في القتال ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾.

أول ما نزل في شأن القتل آية الإسراء ﴿ومن قُتِلَ مَظْلُوماً﴾ الآية، أخرجه ابن جرير عن الضحاك.

أول ما نزل في الخمر: روى الطيالسي في مسنده عن ابن عمر قال: «نزل في الخمر ثلاث آيات، فأول شيء ﴿يَسئلونَكَ عنِ الْخَمْرِ والميْسِرِ﴾ الآية، فقيل حرمت الخمر، فقالوا: يا رسول الله دعنا ننتفع بها كما قال الله، فسكت عنهم ثم نزلت هذه الآية ﴿لا تَقْرَبُوا الصلاةَ وأنتم سُكَارَى﴾ فقيل حرمت الخمر، فقالوا: يا رسول الله لا نشربها قرب الصلاة، فسكت عنهم ثم نزلت ﴿يا أيُّها الذينَ آمنوا إنما الخمرُ والميسرُ﴾ فقال رسول الله ﷺ: حرمت الخمر».

أول آية نزلت في الأطعمة بمكة آية الأنعام ﴿قُلْ لا أجدُ فيما أُوحي إليّ مُحَرَّماً﴾ ثم آية النحل ﴿فكُلُوا مما رَزَقَكُمُ اللهُ حلالاً طيباً﴾ إلى آخرها، وبالمدينة آية البقرة ﴿إنما حَرَّمَ عليكمُ الميتةَ﴾ الآية، ثم المائدة ﴿حُرِّمت عليكمُ الميتةُ﴾ الآية، قاله ابن الحصار.

وروى البخاري عن ابن مسعود قال: أول سورة نزلت فيها سجدة النجم.

وقال الفريابي: حدثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ﴿لقد نَصَرَكُمُ اللهُ في مَوَاطِنَ كَثِيرة﴾ قال: هي أول ما أنزل الله من سورة براءة. وقال أيضاً: حدثنا إسرائيل، أنبأنا سعيد عن مسروق عن أبي الضحى قال: أول ما نزل من براءة ﴿انفروا خِفَافاً وثِقالاً﴾ ثم نزل أولها ثم نزل آخرها. وأخرج ابن أشتة في كتاب المصاحف عن أبي مالك قال: كان أول براءة ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾ سنوات، ثم أنزلت براءة أول السورة فألفت بها أربعون آية. وأخرج أيضاً من طريق داود عن عامر في قوله ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾ قال: هي أول آية نزلت في براءة في غزوة تبوك، فلما رجع من تبوك نزلت براءة إلا ثماني وثلاثين آية من أولها.

وأخرج من طريق سفيان وغيره عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير قال: أول ما نزل من آل عمران ﴿هذا بيانٌ للناسِ وهُدى وموعظةٌ للْمُتَّقِين﴾ ثم أنزلت بقيتها يوم أُحد.

النوع الثامن: معرفة آخر ما نزل

فيه اختلاف، فروى الشيخان عن البراء بن عازب قال: آخر آية نزلت ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ وآخر سورة نزلت براءة.

وأخرج البخاري عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت آية الربا. وروى البيهقي عن عمر مثله، والمراد بها قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللهَ وذَرُوا ما بقيَ مِنَ الربَا﴾ وعند أحمد وابن ماجة عن عمر: من آخر ما نزل آية الربا. وعند ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: خطبنا عمر فقال: إن من آخر القرآن نزولاً آية الربا.

وأخرج النسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: آخر شيء نزل من القرآن ﴿واتقُوا يوماً تُرْجَعُونَ فيه﴾ الآية. وأخرج ابن مردويه نحوه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ: آخر آية نزلت. وأخرجه ابن جرير من طريق العوفي والضحاك عن ابن عباس. وقال الفريابي في تفسيره: حدثنا سفيان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت ﴿واتقوا يوماً تُرجَعُون فيه إلى الله﴾ الآية، وكان بين نزولها وبين موت النبي ﷺ واحد وثمانون يوماً.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: آخر ما نزل من القرآن كله ﴿واتقوا يوماً تُرجَعُون فيهِ إلى الله﴾ الآية، وعاش النبي ﷺ بعد نزول هذه الآية تسع ليالٍ ثم مات ليلة الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول. وأخرج ابن

جرير مثله عن ابن جريج. وأخرج من طريق عطية عن أبي سعيد قال: آخر آية نزلت ﴿واتقوا يوماً ترجعون﴾ الآية.

وأخرج أبو عبيد في الفضائل عن ابن شهاب قال: آخر القرآن عهداً بالعرش آية الربا وآية الدين. وأخرج ابن جرير من طريق ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أنه بلغه أن أحدث القرآن عهداً بالعرش آية الدين. مرسل صحيح الإسناد. قلت: ولا منافاة عندي بين هذه الروايات في آية الربا ﴿واتقوا يوماً﴾ وآية الدين، لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف ولأنها في قصة واحدة، فأخبر كل عن بعض ما نزل بأنه آخر وذلك صحيح. وقول البراء: آخر ما نزل ﴿يستفتونك﴾ أي في شأن الفرائض، وقال ابن حجر في شرح البخاري، طريق الجمع بين القولين في آية الربا ﴿واتقوا يوماً﴾ أن هذه الآية هي ختام الآيات المنزلة في الربا إذ هي معطوفة عليهن، ويجمع بين ذلك وبين قول البراء بأن الآيتين نزلتا جميعاً فيصدق أن كلاً منهما آخر بالنسبة لما عداهما، ويحتمل أن تكون الآخرية في آية النساء مقيدة بما يتعلق بالمواريث بخلاف آية البقرة، ويحتمل عكسه. الأول أرجح لما في آية البقرة من الإشارة إلى معنى الوفاة المستلزمة لخاتمة النزول، اهـ.

وفي المستدرك عن أُبيّ بن كعب قال: آخر آية نزلت ﴿لقد جاءَكُم رسولٌ من أنْفُسِكُم﴾ إلى آخر السورة. وروى عبدالله بن أحمد في زوائد المسند وابن مردويه عن أُبيّ أنهم جمعوا القرآن في خلافة أبي بكر وكان رجال يكتبون، فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة - ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون - ظنوا أن هذا آخر ما نزل من القرآن، فقال لهم أُبيّ بن كعب: إن رسول الله ﷺ أقرأني بعدها آيتين ﴿لقد جاءَكُم رسولٌ من أنفُسِكُم﴾ إلى قوله ﴿وهو ربُّ العرشِ العَظِيم﴾ وقال: هذا آخر ما نزل من القرآن قال: فختم

بما فتح به بالله الذي لا إله إلا هو، وهو قوله ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾.

وأخرج ابن مردويه عن أُبيّ أيضاً قال: آخر القرآن عهداً بالله هاتان الآيتان ﴿لقد جاءكُم رَسولٌ من أنفُسِكُم﴾ وأخرجه ابن الأنباري بلفظ: أقرب القرآن بالسماء عهداً. وأخرج أبو الشيخ في تفسيره من طريق عليّ بن زيد عن يوسف المكي عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت ﴿لقد جاءكم رَسُولٌ من أنفُسِكُم﴾.

وأخرج مسلم عن ابن عباس قال: آخر سورة نزلت ﴿إذا جاءَ نصرُ اللهِ والفتح﴾.

وأخرج الترمذي والحاكم عن عائشة قالت: آخر سورة نزلت المائدة فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه الحديث. وأخرجا أيضا عن عبدالله بن عمرو قال: آخر سورة نزلت سورة المائدة والفتح. قلت: يعني إذا جاء نصر الله.

وفي حديث عثمان المشهور: براءة من آخر القرآن نزولاً. قال البيهقي: يجمع بين هذه الاختلافات إن صحت بأن كل واحد أجاب بما عنده. وقال القاضي أبو بكر في الانتصار: هذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوع إلى النبي ﷺ، وكلٌّ قاله بضرب من الاجتهاد وغلبة الظن. ويحتمل أن كلاً منهم أخبر عن آخر ما سمعه من النبي ﷺ في اليوم الذي مات فيه أو قبل مرضه بقليل، وغيره سمع منه بعد ذلك وإن لم يسمعه هو، ويحتمل أيضا أن تنزل هذه الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول ﷺ مع آيات نزلت معها فيؤمر برسم ما نزل معها بعد رسم تلك فيظن أنه آخر ما نزل في الترتيب، اهـ.

من غريب ما ورد في آخر النزول

ومن غريب ما ورد في ذلك: ما أخرجه ابن جرير عن معاوية بن أبي سفيان

أنه تلا هذه الآية ﴿فمنْ كانَ يَرجُو لقاءَ رَبِّه﴾ الآية وقال: إنها آخر آية نزلت من القرآن. قال ابن كثير: هذا أثر مشكل، ولعله أراد أنه لم ينزل بعدها آية تنسخها ولا تغير حكمها، بل هي مثبتة محكمة.

قلت: ومثله ما أخرجه البخاري وغيره عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية ﴿ومن يَقْتُلْ مُؤمِناً مُتعمِّداً فجزاؤُه جَهَنَّمُ﴾ هي آخر ما نزل وما نسخها شيء. وعند أحمد والنسائي عنه: لقد نزلت في آخر ما نزل ما نسخها شيء.

وأخرج ابن مردويه من طريق مجاهد عن أم سلمة قالت: آخر آية نزلت هذه الآية ﴿فاستجابَ لهم رَبُّهم إني لا أُضيعُ عملَ عاملٍ﴾ إلى آخرها. قلت: وذلك أنها قالت: يا رسول الله أرى الله يذكر الرجال ولا يذكر النساء، فنزلت ﴿ولا تتمنوا ما فضَّلَ اللهُ به بعضَكُم على بعض﴾ ونزلت ﴿إن المسلمين والمسلماتِ﴾ ونزلت هذه الآية، فهي آخر الثلاثة نزولاً أو آخر ما نزل بعد ما كان ينزل في الرجال خاصة.

وأخرج ابن جرير عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له وأقام الصلاة وآتى الزكاة فارقها والله عنه راض» قال أنس: وتصديق ذلك في كتاب الله في آخر ما نزل ﴿فإن تابُوا وأقامُوا الصلاةَ وآتوا الزَّكَاةَ﴾ الآية. قلت: يعني في آخر سورة نزلت.

وفي البرهان لإمام الحرمين: إن قوله تعالى ﴿قل لا أجد فيما أوحى إليّ محرّماً﴾ الآية من آخر ما نزل، وتعقبه ابن الحصار بأن السورة مكية باتفاق، ولم يرد نقل بتأخير هذه الآية عن نزول السورة بل هي في محاجة المشركين ومخاصمتهم وهم بمكة، اهـ.

قول مشهور في آخر ما نزل

[تنبيه] من المشكل على ما تقدم قوله تعالى ﴿اليومَ أكملتُ لكم دِينكُم﴾ فإنها نزلت بعرفة عام حجة الوداع، وظاهرها إكمال جميع الفرائض والأحكام قبلها، وقد صرح بذلك جماعة منهم السدي فقال: لم ينزل بعدها حلال ولا حرام. مع أنه ورد في آية الربا والدين والكلالة أنها نزلت بعد ذلك. وقد استشكل ذلك ابن جرير وقال: الأولى أن يتأوّل على أنه أكمل لهم دينهم بإقرارهم بالبلد الحرام وإجلاء المشركين عنه حتى حجه المسلمون لا يخالطهم المشركون، ثم أيده بما أخرجه من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: كان المشركون والمسلمون يحجون جميعاً، فلما نزلت براءة نُفي المشركون عن البيت وحج المسلمون لا يشاركهم في البيت الحرام أحد من المشركين. فكان ذلك من تمام النعمة وأتممت عليكم نعمتي.

النوع التاسع: معرفة سبب النزول

مؤلفات في أسباب النزول

أفرده بالتصنيف جماعة أقدمهم عليّ بن المديني شيخ البخاري، ومن أشهرها كتاب الواحدي على ما فيه من إعواز، وقد اختصره الجعبري فحذف أسانيده ولم يزد عليه شيئاً. وألف فيه شيخ الإسلام أبو الفضل ابن حجر كتاباً مات عنه مسودة فلم نقف عليه كاملاً، وقد ألفت فيه كتاباً حافلاً موجزاً محرّراً لم يؤلف مثله في هذا النوع سميته [لباب النقول في أسباب النزول].

نزول القرآن قسمان:

قال الجعبري: نزول القرآن على قسمين: قسم نزل ابتداء، وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال. وفي هذا النوع مسائل:

الأولى: زعم زاعم أنه لا طائل تحت هذا الفن لجريانه مجرى التاريخ وأخطأ في ذلك بل له فوائد.

منها: معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.

ومنها: تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب.

ومنها: أن اللفظ قد يكون عاماً ويقوم الدليل على تخصيصه، فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته. فإن دخول صورة السبب قطعي وإخراجها بالاجتهاد ممنوع، كما حكى الإجماع عليه القاضي أبو بكر في

التقريب، والالتفات إلى من شذّ فجوز ذلك.

ومنها: الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال.

أهمية سبب النزول:

قال الواحدي: لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها.

وقال ابن دقيق العيد: بيان سبب النزول طريق قويّ في فهم معاني القرآن.

وقال ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب. وقد أشكل على مروان بن الحكم معنى قوله تعالى ﴿لا تحسَبَنَّ الذين يَفرحُون بما أتوا﴾ الآية وقال: لئن كان كل امرىء فرح بما أوتي وأحبّ أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذبن أجمعون، حتى بيّن له ابن عباس أن الآية نزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره وأروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه. أخرجه الشيخان.

وحكي عن عثمان بن مظعون وعمرو بن معدي كرب أنهما كانا يقولان الخمر مباحة، ويحتجان بقوله تعالى ﴿ليسَ على الذَين آمنوا وعَمِلُوا الصالحاتِ جناحٌ فيما طَعِمُوا﴾ الآية، ولو علما سبب نزولها لم يقولا ذلك، وهو أن ناساً قالوا لما حرّمت الخمر: كيف بمن قتلوا في سبيل الله وماتوا وكانوا يشربون الخمر وهي رجس؟ فنزلت. أخرجه أحمد والنسائي وغيرهما.

ومن ذلك قوله تعالى ﴿واللائي يَئِسْنَ من المحِيضِ من نِسَائِكُمْ إن ارتبتُمْ فعدتُهُنَّ ثلاثةُ أَشْهُرٍ﴾ فقد أشكل معنى هذا الشرط على بعض الأئمة حتى قال الظاهرية بأن الآيسة لاعدّة عليها إذا لم ترتب، وقد بين ذلك سبب النزول، وهو أنه لما نزلت الآية التي في سورة البقرة في عدد النساء قالوا: قد بقي عدد من

عدد النساء لم يذكرن: الصغار والكبار، فنزلت. أخرجه الحاكم عن أبيّ، فعلم بذلك أن الآية خطاب لمن لم يعلم ما حكمهن في العدة وارتاب هل عليهن عدّة أو لا؟ وهل عدتهن كاللاتي في سورة البقرة أو لا؟ فمعنى ﴿إن ارتبتم﴾ إن أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن.

ومن ذلك قوله تعالى ﴿فأينما تُولُّوا فثَمَّ وجهُ الله﴾ فإنا لو تركنا ومدلول اللفظ لاقتضى أن المصلي لا يجب عليه استقبال القبلة سفراً ولا حضراً وهو خلاف الإجماع، فلما عرف سبب نزولها علم أنها في نافلة السفر أو فيمن صلى بالاجتهاد وبان له الخطأ على اختلاف الروايات في ذلك.

ومن ذلك قوله ﴿إن الصفا والمروةَ من شَعَائِرِ اللهِ﴾ الآية، فإن ظاهر لفظها لا يقتضي أن السعي فرض، وقد ذهب بعضهم إلى عدم فرضيته تمسكاً بذلك، وقد ردّت عائشة على عروة في فهمه ذلك بسبب نزولها وهو أن الصحابة تأثموا من السعي بينهما لأنه من عمل الجاهلية فنزلت.

ومنها: دفع توهم الحصر. قال الشافعي ما معناه في قوله تعالى ﴿قُلْ لا أجدُ فيما أُوحِيَ إليَّ مُحرّماً﴾ الآية أن الكفار لما حرّموا ما أحل الله وأحلوا ما حرم الله وكانوا على المضادة والمحادة فجاءت الآية مناقضة لغرضهم فكأنه قال: لا حلال إلا ما حرّمتموه ولا حرام إلا ما أحللتموه نازلاً منزلة من يقول: لا تأكل اليوم حلاوة فتقول لا آكل اليوم إلا حلاوة، والغرض المضادة لا النفي والإثبات على الحقيقة، فكأنه تعالى قال: لا حرام إلا ما أحللتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهِلَّ لغير الله به، ولم يقصد حلّ ما وراءه، إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحلّ. قال إمام الحرمين: وهذا في غاية الحسن، ولولا سبق الشافعي إلى ذلك لما كنا نستجيز مخالفة مالك في حصر المحرّمات فيما ذكرته الآية.

ومنها: معرفة اسم النازل فيه الآية وتعيين المبهم فيها، ولقد قال مروان في عبد الرحمن بن أبي بكر: إنه الذي أنزل فيه ﴿والذي قالَ لِوَالديهِ أفٍّ لَكُما﴾ حتى ردّت عليه عائشة وبينت له سبب نزولها.

العبرة بعموم اللفظ

المسألة الثانية: اختلف أهل الأصول هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب؟ والأصح عندنا الأول، وقد نزلت آيات في أسباب واتفقوا على تعديتها إلى غير أسبابها، كنزول آية الظهار في سلمة بن صخر، وآية اللعان في شأن هلال ابن أمية، وحدّ القذف في رماة عائشة ثم تعدى إلى غيرهم. ومن لم يعتبر عموم اللفظ قال: خرجت هذه الآية ونحوها لدليل آخر، كما قصرت آيات على أسبابها اتفاقاً لدليل قام على ذلك.

قال الزمخشري في سورة الهمزة: يجوز أن يكون السبب خاصاً والوعيد عاماً ليتناول كل من باشر ذلك القبيح، وليكون ذلك جارياً مجرى التعريض. قلت: ومن الأدلة على اعتبار عموم اللفظ احتجاج الصحابة وغيرهم في وقائع بعموم آيات نزلت على أسباب خاصة شائعاً ذائعاً بينهم.

قال ابن جرير: حدثني محمد بن أبي معشر أخبرنا أبو معشر نجيح، سمعت سعيد المقبري يذكر محمد بن كعب القرظي فقال سعيد: إن في بعض كتب الله: إن لله عباداً ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمرّ من الصبر، لبسوا لباس منسوك الضأن من اللين، يجترون الدنيا بالدين، فقال محمد بن كعب: هذا في كتاب الله ﴿ومنَ الناسِ من يُعجِبُكَ قولُه في الحياةِ الدُّنيا﴾ الآية، فقال سعيد: قد عرفت فيمن أنزلت، فقال محمد بن كعب: إن الآية تنزل في الرجل ثم تكون عامة بعد. فإن قلت: فهذا ابن عباس لم يعتبر عموم قوله ﴿لا تحسَبَنَّ الذين يَفرَحُون﴾ الآية، بل قصرها على ما أنزلت فيه من قصة أهل الكتاب. قلت:

أجيب عن ذلك بأنه لا يخفى عليه أن اللفظ أعلم من السبب، لكنه بيّن أن المراد باللفظ خاص، ونظيره تفسير النبي ﷺ الظلم في قوله تعالى ﴿ولم يَلْبِسوا إيمانَهم بِظُلم﴾ بالشرك من قوله ﴿إن الشركَ لظلمٌ عَظِيم﴾ مع فهم الصحابة العموم في كل ظلم.

وقد ورد عن ابن عباس ما يدل على اعتبار العموم، فإنه قال به في آية السرقة مع أنها نزلت في امرأة سرقت. قال ابن أبي حاتم حدثنا عليّ بن الحسين، نبأنا محمد بن أبي حماد، حدثنا أبو تُميلة بن عبد المؤمن عن نجدة الحنفي قال: سألت ابن عباس عن قوله ﴿والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديَهُما﴾ خاص أم عام؟ قال: بل عام.

وقال ابن تيمية: قد يجيء كثيراً من هذا الباب قولهم هذه الآية نزلت في كذا، لا سيما إن كان المذكور شخصاً كقولهم: إن آية الظهار نزلت في امرأة ثابت بن قيس، وإن آية الكلالة نزلت في جابر بن عبدالله، وإن قوله ﴿وأن احكم بينهم﴾ نزلت في بني قريظة والنضير، ونظائر ذلك مما يذكرون أنه نزل في قوم من المشركين بمكة أو في قوم من اليهود والنصارى أو في قوم من المؤمنين، فالذين قالوا ذلك لم يقصدوا أن حكم الآية يختص بأولئك الأعيان دون غيرهم، فإن هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل على الإطلاق، والناس وإن تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب هل يختص بسببه؟ فلم يقل أحد إن عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين، وإنما غاية ما يقال أنها تختص بنوع ذلك الشخص فتعمّ ما يشبهه، ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ والآية التي لها سبب معين إن كانت أمراً أو نهياً فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلته، وإن كانت خبراً بمدح أو ذم فهي متناولة لذلك الشخص ولمن كان بمنزلته، اهـ.

آية نزلت في معين ولا عموم للفظها:

[تنبيه] قد علمت مما ذكر أن فرض المسألة في لفظ له عموم، أما آية نزلت في مُعيَّن ولا عموم للفظها فإنها تقصر عليه قطعاً كقوله تعالى ﴿وسَيُجَنَّبُها الأتقى الذي يُؤتي مَالهُ يَتَزَكّى﴾ فإنها نزلت في أبي بكر الصديق بالإجماع، وقد استدل بها الإمام فخر الدين الرازي مع قوله ﴿إن أكرمَكُم عندَ اللهِ أَتْقَاكُم﴾ على أنه أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، ووهم من ظن أن الآية عامة في كل من عمل عمله إجراء له على القاعدة، وهذا غلط، فإن هذه الآية ليس فيها صيغة عموم، إذ الألف واللام إنما تفيد العموم إذا كانت موصوله أو معرفة في جمع، زاد قوم: أو مفرد بشرط أن لا يكون هناك عهد، واللام في الأتقى ليست موصولة لأنها لا توصل بأفعل التفضيل إجماعاً، والأتقى ليست جمعاً بل هو مفرد، والعهد موجود خصوصاً مع ما يفيده صيغة أفعل من التمييز وقطع المشاركة، فبطل القول بالعموم وتعين القطع بالخصوص والقصر على من نزلت فيه رضى الله عنه.

آيات تنزل على الأسباب الخاصة:

المسألة الثالثة: تقدّم أن صورة السبب قطعية الدخول في العام، وقد تنزل الآيات على الأسباب الخاصة وتوضع مع ما يناسبها من الآي العامة رعاية لنظم القرآن وحسن السياق، فيكون ذلك الخاص قريباً من صورة السبب في كونه قطعي الدخول في العام، كما اختار السبكي أنه رتبة متوسطة دون السبب وفوق التجرّد. مثاله: قوله تعالى ﴿ألم ترَ إلى الذينَ أُوتوا نصيباً من الكِتَابِ يُؤمنون بالجبتِ والطاغُوتِ﴾ إلى آخره، فإنها إشارة إلى كعب بن الأشرف ونحوه من علماء اليهود لما قدموا مكة وشاهدوا قتلى بدر حرّضوا المشركين على الأخذ بثأرهم ومحاربة النبي ﷺ، فسألوهم من أهدى سبيلاً محمد وأصحابه أم نحن؟

فقالوا: أنتم، مع علمهم بما في كتابهم من نعت النبي ﷺ المنطبق عليه وأخذ المواثيق عليهم أن لا يكتموه فكان ذلك أمانة لازمة لهم ولم يؤدوها حيث ﴿ويقولُون للذين كَفَرُوا هؤلاء أَهْدَى من الذين آمَنُوا سبيلاً﴾ حسداً للنبي ﷺ، فقد تضمنت هذه الآية مع هذا القول المتوعد عليه المفيد للأمر بمقابلة المشتمل على أداء الأمانة التي هي ببيان صفة النبي ﷺ بإفادة أنه الموصوف في كتابهم، وذلك مناسب لقوله ﴿إن اللهَ يأمرُكُم أن تُؤَدُّوا الأماناتِ إلى أهلِها﴾ فهذا عام في كل أمانة، وذاك خاص بأمانة هي صفة النبي ﷺ بالطريق السابق، والعام تال للخاص في الرسم متراخ عنه في النزول، والمناسبة تقتضي دخول ما دل عليه الخاص والعام، ولذا قال ابن العربي في تفسيره وجه النظم أنه أخبر عن كتمان أهل الكتاب صفة محمد ﷺ، وقولهم - إن المشركين أهدى سبيلاً - فكان ذلك خيانة منهم، فانجر الكلام إلى ذكر جميع الأمانات انتهى.

قال بعضهم: ولا يردّ تأخر نزول آية الأمانات عن التي قبلها بنحو ست سنين، لأن الزمان إنما يشترط في سبب النزول لا في المناسبة، لأن المقصود منها وضع آية في موضع يناسبها، والآيات كانت تنزل على أسبابها، ويأمر النبي ﷺ بوضعها في المواضع التي علم من الله أنها مواضعها.

أسباب النزول تكون بالرواية والسماع:

المسألة الرابعة: قال الواحدي: لا يحلّ القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها.

وقد قال محمد بن سيرين: سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال: اتق الله وقل سداداً، ذهب الذين يعلمون فيما أنزل الله من القرآن.

وقال غيره: معرفة سبب النزول أمر يحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا،

وربما لم يجزم بعضهم فقال: أحسب هذه الآية نزلت في كذا كما أخرجه الأئمة الستة عن عبدالله بن الزبير. قال خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شراج الحرة، فقال النبي ﷺ: اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك، فقال الأنصاري: يا رسول الله أن كان ابن عمتك، فتلوّن وجهه. الحديث. قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك ﴿فلا وربِّكَ لا يُؤمنونَ حتى يُحَكِّمُوكَ فيما شَجَرَ بينهم﴾.

وقال الحاكم في علوم الحديث: إذا أخبر الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا فإنه حديث مسند، ومشى على هذا ابن الصلاح وغيره، ومثلوه بما أخرجه مسلم عن جابر قال: كانت اليهود تقول: من أتى امرأة من دبرها لا في قبلها جاء الولد أحول، فأنزل الله ﴿نساؤُكُم حَرْثٌ لكُم﴾ وقال ابن تيمية: قولهم نزلت هذه الآية في كذا يراد به تارة سبب النزول، ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب، كما تقول عني بهذه الآية كذا.

وقد تنازع العلماء في قول الصحابي نزلت هذه الآية في كذا هل يجري مجرى المسند كما لو ذكر السبب الذي أنزلت لأجله، أو يجري مجرى التفسير منه الذي ليس بمسند؟ فالبخاري يدخله في المسند. وغيره لا يدخله فيه، وأكثر المسانيد على هذا الاصطلاح كمسند أحمد وغيره. بخلاف ما إذا ذكر سبباً نزلت عقبة فإنهم كلهم يدخلون مثل هذا في المسند، اهـ.

وقال الزركشي في البرهان: قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال نزلت هذه الآية في كذا فإنه يريد بذلك أنها تتضمن هذا الحكم، لا أن هذا كان السبب في نزولها، فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية لا من جنس النقل لما وقع. قلت: والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام

وقوعه ليخرج ما ذكره الواحدي في تفسيره في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة به، فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية، كذكر قصة قوم نوح وعاد وثمود وبناء البيت ونحو ذلك. وكذلك ذكره في قوله ﴿واتخذَ اللهُ إبراهيمَ خَلِيلاً﴾ سبب اتخاذه خليلاً فليس ذلك من أسباب نزول القرآن كما لا يخفى.

[تنبيه] ما تقدم أنه من قبيل المسند من الصحابي إذا وقع من تابعي فهو مرفوع أيضاً لكنه مرسل، فقد يقبل إذا صح المسند إليه وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير أو اعتضد بمرسل آخر ونحو ذلك.

الاسباب المتعددة للآية الواحدة:

المسألة الخامسة: كثيراً ما يذكر المفسرون لنزول الآية أسباباً متعددة. وطريق الاعتماد في ذلك أن ينظر إلى العبارة الواقعة، فإن عبّر أحدهم بقوله نزلت في كذا، والآخر نزلت في كذا، وذكر أمراً آخر فقد تقدم أن هذا يراد به التفسير لا ذكر سبب النزول، فلا منافاة بين قولهما إذا كان اللفظ يتناولهما كما سيأتي تحقيقه في النوع الثامن والسبعين.

وإن عبر واحد بقوله نزلت في كذا وصرّح الآخر بذكر سبب خلافه فهو المعتمد، وذاك استنباط. مثاله: ما أخرجه البخاري عن ابن عمر قال: أنزلت ﴿نساؤُكُم حرثٌ لكم﴾ في إتيان النساء في أدبارهن. وتقدم عن جابر التصريح بذكر سبب خلافه، فالمعتمد حديث جابر لأنه نقل، وقول ابن عمر استنباط منه، وقد وهمه فيه ابن عباس وذكر مثل حديث جابر، كما أخرجه أبو داود والحاكم.

وإن ذكر واحد سبباً وآخر سبباً غيره، فإن كان إسناد أحدهما صحيحاً

دون الآخر فالصحيح المعتمد. مثاله: ما أخرجه الشيخان وغيرهما عن جندب «اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين، فأتته امرأة فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله ﴿والضُّحى والليلِ إذا سَجَى ما وَدَّعَكَ ربُّكَ وما قَلَى﴾».

وأخرج الطبراني وابن أبي شيبة عن حفص بن ميسرة عن أمه عن أمها وكانت خادم رسول الله ﷺ «أن جرواً دخل بيت النبي ﷺ فدخل تحت السرير فمات، فمكث النبي ﷺ أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي، فقال: يا خولة ما حدث في بيت رسول الله ﷺ؟ جبريل لا يأتيني، فقلت في نفسي: لو هيأت البيت وكنسته، فأهويت بالمكنسة تحت السرير فأخرجت جرواً فجاء النبي ﷺ ترعد لحيته، وكان إذا نزل عليه أخذته الرعدة، فأنزل الله ﴿والضحى﴾ إلى قوله ﴿فترضى﴾» وقال ابن حجر في شرح البخاري: قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة لكن كونها سبب نزول الآية غريب، وفي إسناده من لا يعرف فالمعتمد ما في الصحيح.

ومن أمثلته أيضاً: ما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة أمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود، فاستقبلها بضعة عشر شهراً وكان يحبّ قبلة إبراهيم، فكان يدعو الله وينظر إلى السماء، فأنزل الله ﴿فولوا وُجُوهَكُم شَطْرَهُ﴾ فارتاب من ذلك اليهود وقالوا ﴿ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ فأنزل الله ﴿ولله المشرقُ والمغربُ فأينما تُولُّوا فثَمَّ وجهُ الله﴾.

وأخرج الحاكم وغيره عن ابن عمر قال: نزلت ﴿فأينما تُوَلُّوا فَثَمَّ وجهُ اللهِ﴾ أن تصلي حيثما توجهت بك راحلتك في التطوّع.

وأخرج الترمذي وضعفه من حديث عامر بن ربيعة قال: كنا في سفر في ليلة

مظلمة فلم ندر أين القبلة، فصلى كل رجل منا على حياله، فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت.

وأخرج الدارقطني نحوه من حديث جابر بسند ضعيف أيضاً. وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: لما نزلت ﴿ادعُوني أَسْتَجِبْ لَكُم﴾ قالوا: إلى أين؟ فنزلت. مرسل.

وأخرج عن قتادة أن النبي ﷺ قال «إن أخاً لكم قد مات فصلوا عليه، فقالوا: إنه كان لا يصلي إلى القبلة، فنزلت» معضل غريب جداً. فهذه خمسة أسباب مختلفة وأضعفها الأخير لإعضاله، ثم ما قبله لإرساله، ثم ما قبله لضعف رواته.

والثاني صحيح لكنه قال: قد أنزلت في كذا ولم يصرّح بالسبب. والأول صحيح الإسناد وصرح فيه بذكر السبب فهو المعتمد.

ومن أمثلته أيضاً: ما أخرجه ابن مردويه وابن أبي حاتم من طريق ابن إسحاق عن محمد ابن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد عن ابن عباس قال: خرج أمية بن خلف وأبو جهل بن هشام ورجال من قريش فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد تعال فتمسح بآلهتنا وندخل معك في دينك وكان يحبّ إسلام قومه فرقّ لهم، فأنزل الله ﴿وإن كادوا لَيفتنونَكَ عن الذي أَوحَيْنا إليكَ﴾ الآيات.

وأخرج ابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس «أن ثقيفاً قالوا للنبي ﷺ أجلنا سنة حتى يُهدى لآلهتنا، فإذا قبضنا الذي يُهدى لها أحرزناه ثم أسلمنا، فهمّ أن يؤجلهم، فنزلت» هذا يقتضي نزولها بالمدينة، وإسناده ضعيف. والأول يقتضي نزولها بمكة وإسناده حسن، وله شاهد عند أبي الشيخ عن سعيد ابن جبير يرتقي به إلى درجة الصحيح فهو المعتمد.

متى يرجح سبب على سبب:

الحال الرابع: أن يستوى الإسنادان في الصحة فيرجح أحدهما بكون راويه حاضر القصة أو نحو ذلك من وجوه الترجيحات. مثاله: ما أخرجه البخاري عن ابن مسعود قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب فمرّ بنفر من اليهود، فقال بعضهم: لو سألتموه؟ فقالوا: حدثنا عن الروح، فقام ساعة ورفع رأسه فعرفت أنه يوحى إليه حتى صعد الوحي، ثم قال ﴿قل الرُّوحُ من أمرِ رَبي وما أُوتِيتُم من العلمِ إلا قَلِيلا﴾ وأخرج الترمذي وصححه عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل، فقالوا: اسألوه عن الروح، فسألوه فأنزل الله ﴿ويسألونك عن الروح﴾ الآية. فهذا يقتضي أنها نزلت بمكة، والأول خلافه وقد رجح بأن ما رواه البخاري أصح من غيره وبأن ابن مسعود كان حاضر القصة.

من الممكن ان يتكرر سبب النزول:

الحال الخامس: أن يمكن نزولها عقيب السببين أو الأسباب المذكورة بأن لا تكون معلومة التباعد كما في الآيات السابقة فيحمل على ذلك. ومثاله: ما أخرجه البخاري من طريق عكرمة عن ابن عباس «أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سمحاء، فقال النبي ﷺ: البينة أو حدّ في ظهرك، فقال: يا رسول الله إذا رأى أحدنا مع امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة؟ فأنزل عليه ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ حتى بلغ ﴿إن كان من الصادقين﴾.

وأخرج الشيخان عن سهل بن سعد قال «جاء عويمر إلى عاصم بن عدي فقال: اسأل رسول الله ﷺ: أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً يقتله أيقتل به أم كيف يصنع؟ فسأل عاصم رسول الله ﷺ، فعاب السائل، فأخبر عاصم

عويمراً فقال: والله لآتينّ رسول الله ﷺ فلأسألنه، فأتاه فقال: إنه قد أنزل فيك وفي صاحبتك قرآن» الحديث، جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال وصادف مجيء عويمر أيضاً فنزلت في شأنهما معاً، وإلى هذا جنح النووي وسبقه الخطيب فقال: لعلهما اتفق لهما ذلك في وقت واحد.

وأخرج البزار عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر «لو رأيت مع أم رومان رجلاً ما كنت فاعلاً به؟ قال: شرّاً، قال: فأنت يا عمر؟ قال: كنت أقول: لعن الله الأعجز وإنه لخبيث، فنزلت» قال ابن حجر: لا مانع من تعدّد الأسباب.

تعدد النزول وتكرره:

الحال السادس: أن لا يمكن ذلك فيحمل على تعدّد النزول وتكرّره. مثاله: ما أخرجه الشيخان عن المسيب قال: «لما حضر أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل وعبدالله ابن أبي أمية فقال: أي عمّ قل لا إلّه إلا الله أحاجّ لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبدالله: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال: هو على ملة عبد المطلب، فقال النبي ﷺ: لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنه، فنزلت ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ الآية».

وأخرج الترمذي وحسنه عن عليّ قال: سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقلت: تستغفر لأبويك وهما مشركان؟ فقال: استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فنزلت.

وأخرج الحاكم وغيره عن ابن مسعود قال: «خرج النبي ﷺ يوماً إلى المقابر، فجلس إلى قبر منها فناجاه طويلاً، ثم بكى فقال: إن القبر الذي جلست عنده قبر أمي، وإني استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي، فأنزل عليّ ﴿ما كان

للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ » فجمع بين هذه الأحاديث بتعدد النزول.

ومن أمثلته أيضاً: ما أخرجه البيهقي والبزار عن أبي هريرة « أن النبي ﷺ وقف على حمزة حين استشهد وقد مثّل به فقال: لأمثلن بسبعين منهم مكانك، فنزل جبريل والنبي ﷺ واقف بخواتيم سورة النحل ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ إلى آخر السورة ».

وأخرج الترمذي والحاكم عن أبيّ بن كعب قال: لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فمثلوا بهم، فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنربين عليهم، فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله ﴿وإن عاقبتم﴾ الآية. فظاهرة تأخير نزولها إلى الفتح، وفي الحديث الذي قبله نزولها بأحد. قال ابن الحصار: ويجمع أنها نزلت أولاً بمكة قبل الهجرة مع السورة لأنها مكية، ثم ثانياً بأحد، ثم ثالثاً يوم الفتح تذكيراً من الله لعباده. وجعل ابن كثير من هذا القسم آية الروح.

[تنبيه] قد يكون في إحدى القصتين: فتلافيهم الراوي فيقول فنزل. مثاله: ما أخرجه الترمذي وصححه عن ابن عباس قال: « مرّ يهوديّ بالنبي ﷺ فقال: كيف تقول يا أبا القاسم إذا وضع الله السموات على ذه والأرضين على ذه والماء على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه، فأنزل الله ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ الآية ». والحديث في الصحيح بلفظ « فتلا رسول الله ﷺ » وهو الصواب فإن الآية مكية.

ومن أمثلته أيضاً: ما أخرجه البخاري عن أنس قال: « سمع عبدالله بن سلام بمقدم رسول الله ﷺ فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبيّ: ما أول أشراط الساعة، وما أول طعام أهل الجنة، وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى

أمه؟ قال: أخبرني بهن جبريل آنفاً. قال: جبريل؟ قال: نعم، قال: ذاك عدوّ اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية ﴿من كان عدواً لجبريل فإنه نزّله على قلبك﴾ » قال ابن حجر في شرح البخاري: ظاهر السياق أن النبي ﷺ قرأ الآية ردّاً على اليهود، ولا يستلزم ذلك نزولها حينئذ. قال: وهذا هو المعتمد، فقد صح في سبب نزول الآية قصة غير قصة ابن سلام.

سبب واحد في نزول آيات متفرقة:

[تنبيه] عكس ما تقدم أن يذكر سبب واحد في نزول الآيات المتفرّقة، ولا إشكال في ذلك، فقد ينزل في الوقعة الواحدة آيات عديدة في سور شتى. مثاله: ما أخرجه الترمذي والحاكم عن أم سلمة أنها قالت « يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء، فأنزل الله ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع﴾ إلى آخر الآية ».

وأخرج الحاكم عنها أيضا قالت « قلت يا رسول الله تذكر الرجال ولا تذكر النساء، فأنزلت ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ وأنزلت ﴿إني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾ ».

وأخرج أيضا عنها أنها قالت: « تغزو الرجال ولا تغزو النساء وإنما لنا نصف الميراث، فأنزل الله ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ وأنزل ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ ».

ومن أمثلته أيضاً: ما أخرجه البخاري من حديث زيد بن ثابت: « أن رسول الله ﷺ أملى عليه ﴿لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله﴾ فجاء ابن أم مكتوم وقال: يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان أعمى، فأنزل الله ﴿غير أولي الضرر﴾ ».

وأخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن ثابت أيضاً قال: « كنت أكتب لرسول الله ﷺ، فإني لواضع القلم على أذني إذ أمر بالقتال، فجعل رسول الله ﷺ ينظر ما ينزل عليه إذ جاء أعمى فقال: كيف لي يا رسول الله وأنا أعمى؟ فأنزلت ﴿ليسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾.

ومن أمثلته: ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس قال: « كان رسول الله ﷺ جالساً في ظل حجرة فقال: إنه سيأتيكم إنسان ينظر بعيني شيطان، فطلع رجل أزرق، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: علام تشتمني أنت وأصحابك؟ فانطلق الرجل فجاء بأصحابه، فحلفوا بالله ما قالوا حتى تجاوز عنهم، فأنزل الله ﴿يحلفُونَ بالله ما قَالُوا﴾ الآية». وأخرجه الحاكم وأحمد بهذا اللفظ وأقره. فأنزل الله ﴿يومَ يَبْعَثُهم اللهُ جميعاً فيحْلِفُونَ لهُ كما يحلِفُون لكم﴾ الآية.

[تنبيه] تأمل ما ذكرته لك في هذه المسألة واشدد به يديك، فإني حررته واستخرجته بفكري من استقراء صنيع الأئمة ومتفرقات كلامهم ولم أسبق إليه.

النوع العاشر: فيما نزل من القرآن على لسان بعض الصحابة

موافقات عمر:

هو في الحقيقة نوع من أسباب النزول، والأصل فيه موافقات عمر، وقد أفردها بالتصنيف جماعة.

وأخرج الترمذي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله جعل الحقّ على لسان عمر وقلبه».

قال ابن عمر: وما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال إلا نزل القرآن على نحو ما قال عمر.

وأخرج ابن مردويه عن مجاهد قال: كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن.

وأخرج البخاري وغيره عن أنس قال: قال عمر: وافقت ربي في ثلاث: قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت ﴿واتخذُوا من مقامِ إبراهيمَ مُصَلَّى﴾ وقلت يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البرّ والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب، واجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغيرة فقلت لهن ﴿عسى رَبُّهُ إن طَلَّقَكُنَّ أن يُبدِلَهُ أزواجاً خيراً مِنكُن﴾ فنزلت كذلك.

وأخرج مسلم عن ابن عمر عن عمر قال: وافقت ربي في ثلاث: في الحجاب، وفي أسرى بدر، وفي مقام إبراهيم.

وأخرج ابن أبي حاتم عن أنس قال: قال عمر: وافقت ربي، أو وافقني ربي في أربع: نزلت هذه الآية ﴿ولقد خَلَقْنَا الإنسَانَ من سُلالة من طِين﴾ الآية، فلما نزلت قلت أنا: ﴿فتبارَكَ اللهُ أحسنُ الخالقين﴾، فنزلت ﴿فتبارَكَ الله أَحسنُ الخالقين﴾.

وأخرج عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن يهودياً لقي عمر بن الخطاب فقال: إن جبريل الذي يذكر صاحبكم عدوّ لنا، فقال عمر: (من كان عدواً للهِ وملائكتِهِ ورُسُلِهِ وجبريلَ ومِيكالَ فإن الله عدوّ للكافرين)، قال: فنزلت على لسان عمر.

موافقات الصحابة:

وأخرج سنيد في تفسيره عن سعيد بن جبير أن سعد بن معاذ لما سمع ما قيل في أمر عائشة قال: ﴿سُبحانك هذا بُهتانٌ عَظِيم﴾ فنزلت كذلك.

وأخرج ابن أخي ميمي في فوائده عن سعيد بن المسيب قال: كان رجلان من أصحاب النبي ﷺ إذا سمعا شيئاً من ذلك قالا: ﴿سُبحانَكَ هذا بُهتانٌ عَظِيم﴾: زيد بن حارثة، وأبو أيوب، فنزلت كذلك.

وأخرج أبي حاتم عن عكرمة قال: لما أبطأ على النساء الخبر في أُحد خرجن يستخبرن، فإذا رجلان مقبلان على بعير، فقالت امرأة: ما فعل رسول الله ﷺ قال: حيّ، قالت: فلا أبالي يتخذ الله من عباده الشهداء، فنزل القرآن على ما قالت ﴿ويَتَّخِذَ مِنكُم شُهَدَاء﴾.

وقال ابن سعد في الطبقات: أخبرنا الواقدي، حدثني إبراهيم بن محمد بن شرحبيل العبدري عن أبيه قال: حمل مصعب بن عمير اللواء يوم أُحد فقطعت يده اليمنى، فأخذ اللواء بيده اليسرى وهو يقول ﴿وما محمدٌ إلا رَسُولٌ قد خَلَت

مِن قبلِهِ الرُّسُلُ أفإن ماتَ أو قُتِلَ انقلبتمُ على أعقَابِكُم﴾ ثم قطعت يده اليسرى فحنى على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول ﴿وما محمدٌ إلا رَسُول﴾ الآية، ثم قتل فسقط اللواء. قال محمد بن شرحبيل: وما نزلت هذه الآيـة ﴿وما محمد إلا رسول﴾ يومئذ حتى نزلت بعد ذلك.

[تذنيب] يقرب من هذا ما ورد في القرآن على لسان غير الله كالنبي عليه الصلاة والسلام وجبريل والملائكة غير مصرّح بإضافته إليهم ولا محكي بالقول كقوله ﴿قد جاءكم بصائرُ من ربّكُم﴾ الآية، فإن هذا وارد على لسانه ﷺ لقوله آخرها ﴿وما أنَا عَلَيكُم بحفِيظ﴾ وقوله ﴿أفغَير اللهِ أبتغي حكماً﴾ الآية، فإنه وارد أيضاً على لسانه. وقوله ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾ الآية وارد على لسان جبريل. وقوله ﴿وما منا إلا له مَقَامٌ مَعْلُوم﴾. ﴿وإنا لنحنُ الصَّافُـون﴾ ﴿وإنا لنحن المسَبِّحُون﴾ وارد على لسان الملائكة، وكذا ﴿ إياك نعبدُ وإيـاك نَسْتعِين﴾ وارد على ألسنة العباد، إلا أنه يمكن هنا تقدير القول: أي قولوا، وكذا الآيتان الأوليان يصح أن يقدر فيهما قل بخلاف الثالثة والرابعة.

النوع الحادي عشر: ما تكرّر نزوله

صرح جماعة من المتقدمين والمتأخرين بأن من القرآن ما تكرّر نزوله. وقال ابن الحصار: قد يتكرر نزول الآية تذكيراً وموعظة، وذكر من ذلك خواتيم سورة النحر وأول سورة الروم. وذكر ابن كثير منه آية الروح. وذكر قوم منه الفاتحة. وذكر بعضهم منه قوله ﴿ما كانَ للنبي والذين آمنوا﴾ الآية.

وقال الزركشي في البرهان: قد ينزل الشيء مرتين تعظيماً لشأنه وتذكيراً عند حدوث سببه وخوف نسيانه. ثم ذكر منه آية الروح. وقوله ﴿أقمِ الصلاةَ طَرَفَي النَّهَار﴾ الآية قال: فإن سورة الإسراء وهود مكيتان، وسبب نزولها يدل على أنها نزلتا بالمدينة، ولهذا أشكل ذلك على بعضهم، ولا إشكال لأنها نزلت مرة بعد مرة. قال: وكذلك ما ورد في سورة الإخلاص من أنها جواب للمشركين بمكة وجواب لأهل الكتاب بالمدينة. وكذلك قوله ﴿ما كانَ للنبي والذينَ آمنُوا﴾ الآية. وقال: والحكمة في ذلك كله أنه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة تقتضي نزول آية وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها، فيوحى إلى النبي ﷺ تلك الآية بعينها تذكيراً لهم بها وبأنها تتضمن هذه.

[تنبيه] قد يجعل من ذلك الأحرف التي تقرأ على وجهين فأكثر، ويدل له ما أخرجه مسلم من حديث أبيّ «إن ربي أرسل إليّ أن أقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن هوّن على أمتي، فأرسل إليّ أن أقرأه على حرفين، فرددت إليه أن هوّن على أمتي، فأرسل إليّ أن أقرأه على سبعة أحرف» فهذا الحديث يدل

على أن القرآن لم ينزل من أول وهلة بل مرة بعد أخرى.

وفي جمال القراء للسخاوي بعد أن حكى القول بنزول الفاتحة مرتين: فإن قيل فما فائدة نزولها مرة ثانية؟ قلت: يجوز أن تكون نزلت أول مرة على حرف واحد، ونزلت الثانية ببقية وجوهها نحو: ملك ومالك، والسراط والصراط ونحو ذلك، اهـ.

أنكر بعضهم تكرر النزول:

[تنبيه] أنكر بعضهم كون شيء من القرآن تكرّر نزوله، كذا رأيته في كتاب الكفيل بمعاني التنزيل، وعلله بأن تحصيل ما هو حاصل لا فائدة فيه، وهو مردود بما تقدم من فوائده وبأنه يلزم منه أن يكون كل ما نزل بمكة نزل بالمدينة مرة أخرى، فإن جبريل كان يعارضه القرآن كل سنة. وردّ بمنع الملازمة بأنه لا معنى للإنزال إلا أن جبريل كان ينزل على رسول الله ﷺ بقرآن لم يكن نزل به من قبل فيقرئه إياه. وردّ بمنع اشتراط قوله لم يكن نزل به من قبل، ثم قال: ولعلهم يعنون بنزولها مرتين أن جبريل نزل حين حوّلت القبلة، فأخبر الرسول ﷺ أن الفاتحة ركن في الصلاة كما كانت بمكة، فظن ذلك نزولاً لها مرة أخرى، أو أقرأه فيها قراءة أخرى لم يقرئها له بمكة فظن ذلك إنزالاً.

النوع الثاني عشر: ما تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه

النزول السابق على الحكم:

قال الزركشي في البرهان: قد يكون النزول سابقاً على الحكم كقوله: ﴿قد أَفْلَحَ من تَزَكَّى وذكر اسم ربِّهِ فَصَلَّى﴾ فقد روى البيهقي وغيره عن ابن عمر أنها نزلت في زكاة الفطر. وأخرج البزار نحوه مرفوعاً. وقال بعضهم: لا أدري ما وجه هذا التأويل لأن السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة ولا صوم.

وأجاب البغوي بأنه يجوز أن يكون النزول سابقاً على الحكم كما قال: ﴿لا أقسِمُ بهذا البلدِ وأنتَ حِلٌّ بهذَا البَلَدِ﴾ فالسورة مكية وقد ظهر أثر الحلّ يوم فتح مكة حتى قال عليه الصلاة والسلام: «أحلت لي ساعة من نهار» وكذلك نزلت بمكة ﴿سيُهْزَمُ الْجَمْعُ ويُوَلُّون الدُّبُر﴾ قال عمر بن الخطاب: فقلت أيّ جمع؟ فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت إلى رسول الله ﷺ في آثارهم مصلتاً بالسيف يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الجمعُ ويُوَلُّون الدُّبُرَ﴾ فكانت ليوم بدر. أخرجه الطبراني في الأوسط. وكذلك قوله: ﴿جُنْدٌ ما هُنالك مهزومٌ مِنَ الأحزَاب﴾ قال قتادة: وعده الله وهو يومئذ بمكة أنه سيهزم جنداً من المشركين، فجاء تأويلها يوم بدر. أخرجه ابن أبي حاتم.

ومثله أيضاً قوله تعالى: ﴿قُلْ جَاءَ الحقُّ وما يبدئُ الباطلُ وما يُعِيدُ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود في قوله: ﴿قل جاءَ الحقُّ﴾ قال: السيف. والآية مكية متقدمة على فرض القتال.

ويؤيد تفسير ابن مسعود ما أخرجه الشيخان من حديثه أيضاً قال: « دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول الكعبة ثلثمائة وستون نصباً، فجعل يطعنها بعود كان في يده ويقول: ﴿جاء الحقُّ وزَهَقَ البَاطلُ إن الباطلَ كانَ زَهُوقاً﴾ ﴿وما يبدىءُ الباطلُ وما يُعيد﴾ ».

وقال ابن الحصار: قد ذكر الله الزكاة في السور المكيات كثيراً تصريحاً وتعريضاً بأن الله سينجز وعده لرسوله ويقيم دينه ويظهر حتى يفرض الصلاة والزكاة وسائر الشرائع، ولم تؤخذ الزكاة إلا بالمدينة بلا خلاف، وأورد من ذلك قوله تعالى: ﴿.. وآتُوا حَقَّهُ يومَ حَصَادِهِ﴾ وقوله في سورة المزمل: ﴿وأقيمُوا الصلاةَ وآتُوا الزكاةَ﴾ ومن ذلك قوله فيها: ﴿وآخرونَ يُقاتِلُون في سَبيلِ اللهِ﴾ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ومن أحسنُ قولاً ممن دَعَا إلى اللهِ وعَمِلَ صَالحاً﴾ فقد قالت عائشة وابن عمر وعكرمة وجماعة إنها نزلت في المؤذنين، والآية مكية ولم يشرع الأذان إلا بالمدينة.

النزول المتأخر عن الحكم:

ومن أمثلة ما تأخر نزوله عن حكمه: آية الوضوء، ففي صحيح البخاري عن عائشة قالت: « سقطت قلادة لي بالبيداء ونحن داخلون المدينة. فأناخ رسول الله ﷺ ونزل فثنى رأسه في حجري راقداً، وأقبل أبو بكر فلكزني لكزة شديدة وقال: حبست الناس في قلادة، ثم إن النبي ﷺ استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد. فنزلت: ﴿يا أيها الذين آمنُوا إذا قُمتُمْ إلى الصَّلاةِ﴾ إلى قوله: ﴿لعلكُم تَشْكُرُون﴾ فالآية مدنية إجماعاً.

وفرض الوضوء كان بمكة مع فرض الصلاة. قال ابن عبد البر: معلوم عند جميع أهل المغازي أنه ﷺ لم يصلّ منذ فرضت عليه الصلاة إلا بوضوء، ولا يدفع ذلك إلا جاهل أو معاند. قال: والحكمة في نزول آية الوضوء مع تقدم

العمل به ليكون فرضه متلواً بالتنزيل.

وقال غيره: يحتمل أن يكون أول الآية نزل مقدماً مع فرض الوضوء ثم نزل بقيتها وهو ذكر التيمم في هذه القصة. قلت: يردّه الإجماع على أن الآية مدنية.

ومن أمثلته أيضاً: آية الجمعة، فإنها مدنية والجمعة فرضت بمكة. وقول ابن الغرس: إن إقامة الجمعة لم تكن بمكة قط يرده ما أخرجه ابن ماجة عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: كنت قائد أبي حين ذهب بصره. فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الأذان يستغفر لأبي أمامة أسعد بن زرارة، فقلت: يا أبتاه أرأيت صلاتك على أسعد بن زرارة كلما سمعت النداء بالجمعة لِمَ هذا؟ قال: أي بنيّ، كان أول من صلى بنا الجمعة قبل مقدم رسول الله ﷺ من مكة.

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿إنما الصَّدَقاتُ للْفُقَراءِ﴾ الآية، فإنها نزلت سنة تسع وقد فرضت الزكاة قبلها في أوائل الهجرة. قال ابن الحصار: فقد يكون مصرفها قبل ذلك معلوماً ولم يكن فيه قرآن متلوّ، كما كان الوضوء معلوماً قبل نزول الآية ثم نزلت تلاوة القرآن تأكيداً به.

النوع الثالث عشر: ما نزل مفرقاً وما نزل جمعاً

الأول غالب القرآن. ومن أمثلته في السور القصار: اقرأ، أول ما نزل منها إلى قوله: ﴿ما لم يعلم﴾ ﴿والضحى﴾ أول ما نزل منها إلى قوله: ﴿فترضى﴾ كما في حديث الطبراني.

ومن أمثلته الثاني: سورة الفاتحة والإخلاص والكوثر وتبت ولم يكن والنصر والمعوذتان نزلتا معاً، ومنه في السور الطوال المرسلات. ففي المستدرك عن ابن مسعود قال: كنا مع النبي ﷺ في غار فنزلت عليه والمرسلات عرفاً، فأخذتها من فيه وإنِ فاه رطب بها فلا أدري بأيها ختم ﴿فبأيِّ حَدِيثٍ بعَدَهُ يُؤمِنُون﴾ أو ﴿وإذا قِيلَ لَهمُ اركَعُوا لا يَرْكَعُون﴾ ومنه سورة الصفّ لحديثها السابق في النوع الأول.

ومنه سورة الأنعام، فقد أخرج أبو عبيد والطبراني عن ابن عباس قال: نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة حولها سبعون ألف ملك. وأخرج الطبراني من طريق يوسف بن عطية الصفار وهو متروك عن ابن عوف عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «نزلت عليّ سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك». وأخرج عن مجاهد قال: نزلت الأنعام كلها جملة واحدة معها خمسمائة ملك. وأخرج عن عطاء قال: أنزلت الأنعام جميعاً ومعها سبعون ألف ملك. فهذه شواهد يقوّي بعضها بعضاً. وقال ابن الصلاح في فتاويه: الحديث الوارد في أنها نزلت جملة رويناه من طريق أبيّ بن كعب، وفي إسناده ضعف،

ولم نر له إسناداً صحيحاً، وقد روى ما يخالفه، فروى أنها لم تنزل جملة واحدة بل نزلت آيات منها بالمدينة اختلفوا في عددها، فقيل ثلاث، وقيل ست، وقيل غير ذلك، والله أعلم.

النوع الرابع عشر: ما نزل مشيعاً وما نزل مفرداً

قال ابن حبيب واتبعه ابن النقيب: من القرآن ما نزل مشيعاً وهو سورة الأنعام شيعها سبعون ألف ملك، وفاتحة الكتاب نزلت ومعها ثمانون ألف ملك، وآية الكرسي نزلت ومعها ثلاثون ألف ملك، وسورة يونس نزلت ومعها ثلاثون ألف ملك ﴿واسألْ مَنْ أَرْسَلْنَا من قَبلكَ من رُسُلِنا﴾ نزلت ومعها عشرون ألف ملك، وسائر القرآن نزل به جبريل مفرداً بلا تشييع. قلت: أما سورة الأنعام فقد تقدّم حديثها بطرقه. ومن طرقه أيضاً ما أخرجه البيهقي في الشعب والطبراني بسند ضعيف عن أنس مرفوعاً «نزلت سورة الأنعام ومعها موكب من الملائكة يسدّ ما بين الخافقين، لهم زجل بالتقديس والتسبيح والأرض ترتج».

وأخرج الحاكم والبيهقي من حديث جابر قال: «لما نزلت سورة الأنعام سبح رسول الله ﷺ ثم قال: لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سدّ الأفق» قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، لكن قال الذهبي: فيه انقطاع وأظنه موضوعاً. وأما ﴿الفاتحة﴾ وسورة ﴿يس﴾ ﴿واسأل من أرسلنا﴾ فلم أقف على حديث فيها بذلك ولا أثر.

وأما آية الكرسي فقد ورد فيها وفي جميع آيات البقرة حديث. أخرج أحمد في مسنده عن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: «البقرة سنام القرآن وذروته، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكاً، واستخرجت الله لا إلّه إلا هو الحيّ القيوم من تحت العرش فوصلت بها». وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن

الضحاك بن مزاحم قال: خواتيم سورة البقرة جاء بها جبريل ومعه من الملائكة ما شاء الله.

وبقي سور أخرى: منها سورة الكهف. قال ابن الضريس في فضائله: أخبرنا يزيد بن عبد العزيز الطيالسي، حدثنا إسماعيل بن عياش عن إسماعيل بن رافع قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بسورة ملء عظمتها ما بين السماء والأرض شيعها سبعون ألف ملك؟ سورة الكهف».

[تنبيه] لينظر في التوفيق بين ما مضى وبين ما أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال: ما جاء جبريل بالقرآن إلى النبي ﷺ إلا ومعه أربعة من الملائكة حفظة. وأخرج ابن جرير عن الضحاك قال: كان النبي ﷺ إذا بعث إليه الملك بعث ملائكة يحرسونه من بين يديه ومن خلفه أن يتشبه الشيطان على صورة الملك.

[فائدة] قال ابن الضريس: أخبرنا محمود بن غيلان عن يزيد بن هارون، أخبرني الوليد: يعني ابن جميل عن القاسم عن أبي أمامة قال: أربع آيات نزلت من كنز العرش لم ينزل منه شيء غيرهن: ﴿الٓمٓ ذلك الكتاب﴾، وآية الكرسي، وخاتمة سورة البقرة، والكوثر. قلت: أما الفاتحة فقد خرج البيهقي في الشعب من حديث أنس مرفوعاً «إن الله أعطاني فيما مَنَّ به عليّ: إني أعطيتك فاتحة الكتاب، وهي من كنوز عرشي».

وأخرج الحاكم عن معقل بن يسار مرفوعاً «أعطي فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش». وأخرج ابن راهويه في مسنده عن عليّ أنه سئل عن فاتحة الكتاب فقال: حدثنا نبيّ الله ﷺ أنها نزلت من كنز تحت العرش.

أما آخر البقرة فأخرج الدارمي في مسنده عن أيفع الكلاعي قال: قال رجل «يا رسول الله أي آية تحب أن تصيبك وأمتك؟ قال: آخر سورة البقرة، فإنها

من كنز الرحمة من تحت عرش الله». وأخرج أحمد وغيره من حديث عقبة بن عامر مرفوعاً «اقرأوا هاتين الآيتين فإن ربي أعطانيهما من تحت العرش». وأخرج من حديث حذيفة «أعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطها نبي قبلي». وأخرج من حديث أبي ذر «أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن نبيّ قبلي». وله طرق كثيرة عن عمر وعليّ وابن مسعود وغيرهم.

وأما آية الكرسي فتقدمت في حديث معقل بن يسار السابق. وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قرأ آية الكرسي ضحك وقال: إنها من كنز الرحمن تحت العرش». وأخرج أبو عبيدة عن عليّ قال: آية الكرسي أعطيها نبيكم من كنز تحت العرش، ولم يعطها أحد قبل نبيكم.

وأما سورة الكوثر فلم أقف على حديث، وقول أبي أمامة في ذلك يجري مجرى المرفوع. وقد أخرجه أبو الشيخ ابن حبان والديلمي وغيرهما من طريق محمد بن عبد الملك الدقيقي عن يزيد بن هارون بإسناده السابق عن أبي أمامة مرفوعاً.

النوع الخامس عشر: ما أنزل منه على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحد قبل النبيّ ﷺ

ما نزل على محمد خاصة

من الثاني: الفاتحة، وآية الكرسي، وخاتمة البقرة كما تقدم في الأحاديث قريباً. وروى مسلم عن ابن عباس «أتى النبي ﷺ ملك فقال: أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبيّ قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة». وأخرج الطبراني عن عقبة بن عامر قال: ترددوا في الآيتين من آخر سورة البقرة ﴿آمن الرسول﴾ إلى خاتمتها فإن الله اصطفى بها محمداً.

وأخرج أبو عبيد في فضائله عن كعب قال: إن محمداً ﷺ أعطي أربع آيات لم يعطهن موسى، وإن موسى أعطي آية لم يعطها محمد. قال: والآيات التي أعطيهن محمد ﴿لله ما في السموات وما في الأرض﴾ حتى ختم البقرة فتلك ثلاث آيات، وآية الكرسي. والآية التي أعطيها موسى: (اللهم لا تولج الشيطان في قلوبنا وخلصنا منه من أجل أن لك الملكوت والأبد والسلطان والملك والحمد والأرض والسماء الدهر الداهر أبداً أبداً آمين آمين).

وأخرج البيهقي في الشعب عن ابن عباس قال: السبع الطوال لم يعطهن أحد إلا النبيّ ﷺ، وأعطي موسى منها اثنتين. وأخرج الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً «أعطيت أمتي شيئاً لم يعطه أحد من الأمم عند المصيبة: إنا لله وإنا إليه راجعون».

ما نزل على محمد والانبياء من قبله:

ومن أمثلة الأول: ما أخرجه الحاكم عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿سبح اسمَ رَبِّكَ الأعْلَى﴾ قال ﷺ: كلها في صحف إبراهيم وموسى، فلما نزلت ﴿والنجم إذا هوى﴾ فبلغ ﴿وإبراهيم الذي وفّى﴾ قال: وفي ﴿أن لا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أخرى﴾ إلى قوله ﴿هذا نذيرٌ من النُّذُرِ الأُولى﴾. وقال سعيد بن منصور: حدثنا خالد بن عبدالله بن عطاء بن السائب عن عكرمة قال ابن عباس: قال هذه السورة في صحف إبراهيم وموسى. وأخرجه ابن أبي حاتم بلفظ نسخ من صحف إبراهيم وموسى. وأخرج عن السدي قال: إن هذه السورة في صحف إبراهيم وموسى مثل ما نزلت على النبي ﷺ.

وقال الفريابي: أنبأنا سفيان عن أبيه عن عكرمة ﴿إن هذا لفي الصُّحُفِ الأُولى﴾ قال: هؤلاء الآيات.

ما انزل على إبراهيم ومحمد:

وأخرج الحاكم من طريق القاسم عن أبي أمامة قال: أنزل الله على إبراهيم مما أنزل على محمد ﴿التائِبُون العابدون﴾ إلى قوله ﴿وبَشِّر المؤمِنِين﴾ و ﴿قد أفلحَ المؤمِنُون﴾ إلى قوله ﴿فيها خالدون﴾ ﴿وإن المسلمين والمسلماتِ﴾ الآية والتي في سأل ﴿الذين هُمْ عَلَى صَلاتِهِم دائمون﴾ إلى قوله ﴿قائمون﴾ فلم يف بهذه السهام إلا إبراهيم ومحمد ﷺ.

ما انزل على موسى ومحمد:

وأخرج البخاري عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: إنه يعني النبي ﷺ لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ﴿يا أيها النبيّ إنا أرسلناك شاهداً ومُبَشِّراً ونذيراً﴾ وحرزاً للأمين الحديث.

وأخرج ابن الضريس وغيره عن كعب قال: فتحت التوراة بـ﴿الحمدُ لله الذي خَلَقَ السموات والأرضَ وجَعَل الظلماتِ والنُّورَ ثم الذين كَفَرُوا بربهم يَعْدِلُون﴾ وختم بـ ﴿الحمدلله الذي لم يَتَّخذ ولداً﴾ إلى قوله ﴿وكبِّره تكبيراً﴾ وأخرج أيضاً عنه قال: فاتحة التوراة فاتحة الأنعام (الحمدلله الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ وجعلَ الظُّلُماتِ والنور﴾ وخاتمة التوراة خاتمة هود ﴿فاعبدْهُ وتَوَكَّل عليه وما ربكَ بغافلٍ عما تعملون﴾. وأخرج من وجه آخر عنه قال: أول ما أنزل في التوراة عشر آيات من سورة الأنعام ﴿قُلْ تعالَوْا أتلُ ما حرَّمَ ربُّكُم عليكم﴾ إلى آخرها.

وأخرج أبو عبيد عنه قال: أول ما أنزل الله في التوراة عشر آيات من سورة الأنعام ﴿بسم الله الرحمن الرحيم. قل تعالوا أتلُ﴾ الآيات.

قال بعضهم: يعني أن هذه الآيات اشتملت على الآيات العشر التي كتبها الله لموسى في التوراة، أول ما كتب، وهي توحيد الله، والنهي عن الشرك، واليمين الكاذبة، والعقوق، والقتل، والزنى، والسرقة، والزور، ومدّ العين إلى ما في يد الغير، والأمر بتعظيم السبت.

ما انزل على سليمان ومحمد:

وأخرج الدارقطني من حديث بريدة أن النبي ﷺ قال: «لأعلمنك آية لم تنزل على نبي بعد سليمان غيري: بسم الله الرحمن الرحيم». وروى البيهقي عن ابن عباس قال: «أغفل الناس آية من كتاب الله لم تنزل على أحد قبل النبي ﷺ إلا أن يكون سليمان بن داود: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وأخرج الحاكم عن أبي ميسرة أن هذه الآية مكتوبة في التوراة بسبعمائة آية ﴿يُسَبِّحُ للهِ ما في السمواتِ وما في الأرضِ الملك القُدوسِ العَزيز الحكيمِ﴾ أول سورة الجمعة.

ما نزل على يوسف ومحمد:

[فائدة] يدخل في هذا النوع ما أخرجه ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال: البرهان الذي أري يوسف ثلاث آيات من كتاب الله ﴿وإن عليكم لحافظين كراماً كَاتبين يعلمُون ما تفعلُون﴾ وقوله ﴿وما تكونُ في شأنٍ وما تتلوا منه من قرآن﴾ الآية. وقوله ﴿أفمن هو قَائمٌ على كل نفسٍ بما كَسَبَتْ﴾ زاد غيره آية أخرى ﴿ولا تَقْرَبُوا الزنى﴾. وأخرج ابن أبي حاتم أيضاً عن ابن عباس في قوله ﴿لولا أن رَأَى بُرهانَ رَبِّهِ﴾ قال: رأى آية من كتاب الله نهته مثلت له في جدار الحائط.

النوع السادس عشر: في كيفية إنزاله

فيه مسائل. الأولى: قال الله تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ وقال: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ اختلف في كيفية إنزاله من اللوح المحفوظ على ثلاثة أقوال.

نزل القرآن جملة واحدة:

أحدها وهو الأصح الأشهر: أنه نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك منجماً في عشرين سنة أو ثلاثة وعشرين أو خمسة وعشرين على حسب الخلافِ في مدة إقامته ﷺ بمكة بعد البعثة.

أخرج الحاكم والبيهقي وغيرهما من طريق منصور عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أُنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا، وكان بمواقع النجوم وكان الله ينزله على رسوله ﷺ بعضه في أثر بعض.

وأخرج الحاكم والبيهقي أيضاً والنسائي أيضاً من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: أُنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة. ثم قرأ ﴿ولا يأتُونَكَ بمَثَلٍ إلا جِئْنَاكَ بالحق وأحسنَ تَفْسِيراً. وقرآناً فرقناهُ لتقرأَهُ على الناسِ على مُكْثٍ ونَزَّلْنَاهُ تنزيلا﴾ وأخرجه ابن أبي حاتم من هذا الوجه وفي آخره: فكان المشركون إذا أحدثوا شيئاً أحدث الله لهم جواباً.

وأخرج الحاكم وابن أبي شيبة من طريق حسان بن حريث عن سعيد بن جبير

عن ابن عباس قال: فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزّة من السماء الدنيا، فجعل جبريل ينزل به على النبي ﷺ أسانيدها كلها صحيحة.

وأخرج الطبراني من وجه آخر عن ابن عباس قال: أُنزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان إلى سماء الدنيا جملة واحدة، ثم أُنزل نجوماً. إسناده لا بأس به.

وأخرج الطبراني والبزار من وجه آخر عنه قال: أُنزل القرآن جملة واحدة حتى وضع في بيت العزّة في السماء الدنيا، ونزله جبريل على محمد ﷺ بجواب كلام العباد وأعمالهم. وأخرج ابن أبي شيبة في فضائل القرآن من وجه آخر عنه: «دفع إلى جبريل في ليلة القدر جملة واحدة فوضعه في بيت العزة، ثم جعل ينزله تنزيلاً».

وأخرج ابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات من طريق السدي عن محمد عن ابن أبي المجالدَ عن مقسم عن ابن عباس: أنه سأل عطية بن الأسودِ فقال: أوقع في قلبي الشك قوله تعالى: ﴿شهرُ رمضانَ الذي أُنزل فِيهِ القُرآن﴾ وقوله ﴿إنا أنزلناهُ في ليلةِ القَدْرِ﴾ وهذا أُنزل في شوال وفي دي القعدة وذي الحجة وفي المحرم وصفر وشهر ربيع، فقال ابن عباس: إنه أُنزل في رمضان في ليلة القدر جملة واحدة، ثم أُنزل على مواقع النجوم رسلاً في الشهور والأيام. قال أبو شامة: قوله رسلاً: أي رفقاً، وعلى مواقع النجوم: أي على مثل مساقطها. يريد أُنزل في رمضان في ليلة القدر جملة واحدة، ثم أُنزل على ما وقع مفرّقاً يتلو بعضه بعضا على تؤدة ورفق.

نزل القرآن الى سماء الدنيا في عشرين ليلة قدر

القول الثاني: أنه نزل إلى سماء الدنيا في عشرين ليلة قدر، وثلاث وعشرين أو خمس وعشرين في كل ليلة ما يقدر الله إنزاله في كل السنة، ثم أُنزل بعد ذلك منجماً في جميع السنة. وهذا القول ذكره الإمام فخر الدين الرازي بحثاً

فقال: يحتمل أنه كان ينزل في كل ليلة قدر ما يحتاج الناس إلى إنزاله إلى مثلها من اللوح إلى السماء الدنيا، ثم توقف هل هذا أولى أو الأول. قال ابن كثير: وهذا الذي جعله احتمالاً نقله القرطبي عن مقاتل بن حيان، وحكى الإجماع على أنه نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزّة في السماء الدنيا. قلت: وممن قال بقول مقاتل الحليمي والماوردي، ويوافقه قول ابن شهاب آخر القرآن عهداً بالعرش آية الدين.

ابتدأ نزول القرآن ليلة القدر:

القول الثالث: أنه ابتدىء إنزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجماً في أوقات مختلفة من سائر الأوقات وبه قال الشعبي. قال ابن حجر في شرح البخاري: والأول هو الصحيح المعتمد. قال: وقد حكى الماوردي قولاً رابعاً أنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة، وأن الحفظة نجمته على جبريل في عشرين ليلة، وأن جبريل نجمه على النبي ﷺ في عشرين سنة، وهذا أيضاً غريب. والمعتمد أن جبريل كان يعارضه في رمضان بما ينزل به في طول السنة. وقال أبو شامة: كأن صاحب هذا القول أراد الجمع بين القولين الأول والثاني. قلت: هذا الذي حكاه الماوردي أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عبّاس قال: نزل القرآن جملة واحدة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، فنجمته السفرة على جبريل عشرين ليلة، ونجمه جبريل على النبي ﷺ عشرين سنة.

الحكمة في نزول القرآن منجماً:

[تنبيهات: الأول] قيل السرّ في إنزاله جملة إلى السماء تفخيم أمره وأمر من نزل عليه، وذلك بإعلام سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم قد قربناه إليهم لننزله عليهم، ولولا أن الحكمة

الإلّهية اقتضت وصوله إليهم منجماً بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله، ولكن الله باين بينه وبينها فجعل له الأمرين إنزاله جملة ثم إنزاله مفرّقاً تشريفاً للمُنزَّل عليه. ذكر ذلك أبو شامة في المرشد الوجيز. وقال الحكيم الترمذي: أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا تسليماً منه للأمة ما كان أبرز لهم من الحظّ بمبعث محمد ﷺ، وذلك أن بعثة محمد ﷺ كانت رحمة، فلما خرجت الرحمة بفتح الباب جاءت بمحمد ﷺ وبالقرآن، فوضع القرآن ببيت العزّة في السماء الدنيا ليدخل في حدّ الدنيا، ووضعت النبوّة في قلب محمد، وجاء جبريل بالرسالة ثم الوحي، كأنه أراد تعالى أن يسلم هذه الرحمة التي كانت حظ هذه الأمة من الله إلى الأمة.

وقال السخاوي في جمال القـراء: في نزوله إلى السماء جملة تكريم بني آدم وتعظيم شأنهم عند الملائكة وتعريفهم عناية الله بهم ورحمته لهم، ولهذا المعنى أمر سبعين ألفاً من الملائكة أن تشيع سورة الأنعام، وزاد سبحانه في هذا المعنى بأن أمر جبريل بإملائه على السفرة الكرام وإنساخهم إياه وتلاوتهم له. قال: وفيه أيضاً التسوية بين نبينا ﷺ وبين موسى عليه السلام في إنزاله كتابه جملة، والتفضيل لمحمد في إنزاله عليه منجماً ليحفظه.

وقال أبو شامة: فإن قلت: فقوله تعالى: ﴿إنا أنزلناهُ في ليلةِ القَدْرِ﴾ من جملة القرآن الذي نزل جملة أم لا؟ فإن لم يكن منه فما نزل جملة، وإن كان منه فما وجه صحة هذا العبارة؟ قلت: له وجهان. أحدهما: أن يكون معنى الكلام أنا حكمنا بإنزاله في ليلة القدر وقضيناه وقدرناه في الأزل. والثاني أن لفظه لفظ الماضي ومعناه الاستقبال: أي ننزله جملة في ليلة القدر، انتهى.

نزول القرآن الى سماء الدنيا:

الثاني: قال أبو شامة أيضاً: الظاهر أن نزوله جملة إلى سماء الدنيا قبل ظهـور

نبوّته ﷺ. قال: ويحتمل أن يكون بعدها. قلت: الظاهر هو الثاني، وسياق الآثار السابقة عن ابن عباس صريح فيه. وقال ابن حجر في شرح البخاري: قد خرّج أحمد والبيهقي في الشعب عن واثلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال: «أنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشر خلت منه، والزبور لثماني عشرة خلت منه، والقرآن لأربع وعشرين خلت منه» وفي رواية «وصحف إبراهيم لأول ليلة» قال: وهذا الحديث مطابق لقوله تعالى: ﴿شهرُ رَمَضَانَ الذي أُنزل فِيهِ القُرآن﴾ ولقوله: ﴿إنا أنزلناهُ في ليلةِ القَدْرِ﴾ فيحتمل أن يكون ليلة القدر في تلك السنة كانت تلك الليلة، فأنزل فيها جملة إلى سماء الدنيا، ثم أنزل في اليوم الرابع والعشرين إلى الأرض أول ﴿إقرأْ بِاسمِ ربِّكَ﴾. قلت: لكن يشكل على هذا ما اشتهر من أنه ﷺ بعث في شهر ربيع. ويجاب عن هذا بما ذكروه أنه نبيّ أولاً بالرؤيا في شهر مولده. ثم كانت مدتها ستة أشهر ثم أوحي إليه في اليقظة. ذكره البيهقي وغيره: نعم يشكل على الحديث السابق ما أخرجه ابن أبي شيبة في فضائل القرآن عن أبي قلابة قال: أنزلت الكتب كاملة ليلة أربع وعشرين من رمضان.

نزل القرآن منجماً ونزلت الكتب جمة:

الثالث: قال أبو شامة أيضاً: فإن قيل ما السرّ في نزوله منجماً؟ وهلا أنزل كسائر الكتب جملة؟ قلنا: هذا سؤال قد تولى الله جوابه، فقال تعالى: ﴿وقالَ الذين كَفَرُوا لولا أُنزل عليهِ القُرآن جملةً وَاحِدةً﴾ يعنون كما أنزل على من قبله من الرسل فأجابهم تعالى بقوله: ﴿كذلك﴾ أي أنزلناه كذلك مفرّقاً ﴿لنثبتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ أي لنقوّي به قلبك، فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى بالقلب وأشدّ عناية بالمرسل إليه، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه وتجدّد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز،

فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة، ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقياه جبريل. وقيل معنى ﴿لنثبت به فؤادك﴾: أي لتحفظه، فإنه عليه الصلاة والسلام كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ففرّق عليه ليثبت عنده حفظه، بخلاف غيره من الأنبياء فإنه كان كاتباً قارئاً فيمكنه حفظ الجميع.

الفرق بين نزول القرآن ونزول التوراة:

وقال ابن فورك: قيل أنزلت التوراة جملة لأنها نزلت على نبيّ يكتب ويقرأ وهو موسى، وأنزل الله القرآن مفرّقاً لأنه أنزل غير مكتوب على نبيّ أمي. وقال غيره: إنما لم ينزل جملة واحدة لأن منه الناسخ والمنسوخ، ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفرّقاً. ومنه ما هو جواب لسؤال ومنه ما هو إنكار على قول قيل أو فعل فعل، وقد تقدم ذلك في قول ابن عباس: ونزله جبريل بجواب كلام العباد وأعمالهم، وفسر به قوله: ﴿ولاَ يأتونُك بمثلٍ إلا جِئنَاكَ بالحق﴾ أخرجه عنه ابن أبي حاتم. فالحاصل أن الآية تضمنت حكمتين لإنزاله مفرّقاً.

[تذنيب] ما تقدم في كلام هؤلاء من أن سائر الكتب أنزلت جملة هو مشهور في كلام العلماء على ألسنتهم حتى كاد أن يكون إجماعاً. وقد رأيت بعض فضلاء العصر أنكر ذلك وقال: إنه لا دليل عليه، بل الصواب أنها نزلت مفرّقة كالقرآن. وأقول: الصواب الأول. ومن الأدلة على ذلك آية الفرقان السابقة. أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قالت اليهود: يا أبا القاسم لولا أُنزل هذا القرآن جملة واحدة كما أُنزلت التوراة على موسى؟ فنزلت. وأخرجه من وجه آخر عنه بلفظ: قال المشركون. وأخرج نحوه عن قتادة والسدي. فإن قلت: ليس في القرآن التصريح بذلك، وإنما هو على تقدير ثبوته قول الكفار. قلت: سكوته تعالى عن الردّ عليهم في ذلك وعدوله إلى بيان حكمته دليل على صحته، ولو كانت الكتب كلها نزلت مفرقة لكان يكفي في

الردّ عليهم أن يقول: إن ذلك سنة الله في الكتب التي أنزلها على الرسل السابقة، كما أجاب بمثل ذلك قولهم: ﴿وقالوا ما لهذا الرسولِ يأكلُ الطعامَ ويَمشِي في الأسْواقِ﴾ فقال: ﴿وما أرسلنا قَبْلَكَ من المُرسَلِين - إلا إنهم ليأكلونَ الطعامَ ويَمشُون في الأَسواق﴾ وقولهم: ﴿أبعثَ اللهُ بَشَراً رَسُولاً﴾ فقال: ﴿وما أرسلنا قَبْلَكَ إلا رجالاً نُوحي إليهم﴾ وقولهم كيف يكون رسولاً ولا همّ له إلا النساء، فقال: ﴿ولقد أرسلنا رُسُلاً من قَبْلِكَ وجعلنا لهم أزواجاً وذُرِّيَة﴾ إلى غير ذلك. ومن الأدلة على ذلك أيضاً قوله تعالى في إنزاله التوراة على موسى يوم الصعقة: ﴿فَخُذْ ما آتيتك﴾ ﴿وكتبنا له في الألواح من كُلِّ شيءٍ موعظةً وتفصيلاً لِكُل شيءٍ فَخُذْهَا بِقُوَةٍ﴾ ﴿وألقى الألواحَ﴾ ﴿ولما سكتَ عن موسى الغضَبُ أَخَذَ الأَلواحَ وفي نُسختِها هُدًى ورَحمةٌ﴾ ﴿وَإذَ نَتقْنَا الجَبَلَ فَوقهم كأنه ظُلَةٌ وظنوا أنه وَاقعٌ بهم خُذُوا ما آتيناكُم بِقُوة﴾ فهذه الآيات كلها دالة على إتيانـه في التوراة جملة. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أعطي موسى التوراة في سبعة ألواح من زبـرجـد فيها تبيان لكل شيء وموعظة، فلما جاء بها فرأى بني إسرائيل عكوفاً على عبادة العجل رمى بالتوراة من يد فتحطمت، فرفع الله منها ستة أسباع وأبقي منها سبعاً.

وأخرج من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن جده رفعه قال: «الألواح التي أنزلت على موسى كانت من سدر الجنة، كان طول اللوح اثني عشر ذراعاً». وأخرج النسائي وغيره عن ابن عباس في حديث النتوق قال: أخذ موسى الألواح بعد ما سكن عنه الغضب، فأمرهم بالذي أمر الله أن يبلغهم من الوظائف فثقلت عليهم وأبو أن يقرّوا بها، حتى نتق الله عليهم الجبل كأنه ظلة ودنا منهم حتى خافوا أن يقع عليهم فأقروا بها.

حكمة بالغة في نزول القرآن مفرقاً:

وأخرج ابن أبي حاتم عن ثابت بن الحجاج قال: جاءتهم التوراة جملة واحدة فكبر عليهم. فأبوا أن يأخذوه حتى ظلل الله عليهم الجبل فأخذوه عند ذلك. فهذه آثار صحيحة صريحة في إنزال التوراة جملة. ويؤخذ من الأثر الأخير منها حكمة أخرى لإنزال القرآن مفرّقاً، فإنه أدعى إلى قبوله إذ نزل على التدريج، بخلاف ما لو نزل جملة واحدة فإنه كان ينفر من قبوله كثير من الناس لكثرة ما فيه من الفرائض والمناهي. ويوضح ذلك ما أخرجه البخاري عن عائشة قالت: إنما نزل أول ما نزل سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنى أبداً، ثم رأيت هذه الحكمة مصرحاً بها في الناسخ والمنسوخ لمكي.

القرآن كان ينزل بحسب الحاجة:

[فرع] الذي استقرىء من الأحاديث الصحيحة وغيرها أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة، خمس آيات وعشر آيات وأكثر وأقل، وقد صح نزول العشر آيات في قصة الإفك جملة، وصح نزول عشر آيات من أول المؤمنين جملة، وصح نزول ﴿غير أُولى الضَّرَر﴾ وحدها وهي بعض آية. وكذا قوله: ﴿وإن خِفْتُم عِيلة﴾ إلى آخر الآية نزلت بعد نزول أول الآية كما حرّرناه في أسباب النزول، وذلك بعض آية.

وأخرج ابن أشتة في كتاب المصاحف عن عكرمة في قوله: ﴿بمواقع النجوم﴾ قال: أنزل الله القرآن نجوماً ثلاث آيات وأربع آيات وخمس آيات.

وقال النكزاوي في كتاب الوقف: كان القرآن ينزل مفرّقاً، الآية والآيتين

والثلاث والأربع وأكثر من ذلك.

نزول القرآن خمس آيات خمس آيات:

وما أخرجه ابن عساكر من طريق أبي نضرة قال: كان أبو سعيد الخدري يعلمنا القرآن خمس آيات بالغداة وخمس آيات بالعشي، ويخبر أن جبريل نزل بالقرآن خمس آيات خمس آيات. وما أخرجه البيهقي في الشعب من طريق أبي خلدة عن عمر قال: تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات، فإن جبريل كان ينزل بالقرآن على النبي ﷺ خمساً خمساً. ومن طريق ضعيف عن علي قال: أنزل القرآن خمساً خمساً إلا سورة الأنعام، ومن حفظ خمساً خمساً لم ينسه. فالجواب أن معناه إن صحّ إلقاؤه إلى النبي ﷺ هذا القدر حتى يحفظه ثم يلقي إليه الباقي لا إنزاله بهذا القدر خاصة. ويوضح ذلك ما أخرجه البيهقي أيضاً عن خالد بن دينار قال: قال لنا أبو العالية: تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات، فإن النبي ﷺ كان يأخذه من جبريل خمساً خمساً.

كيفية نزول الوحي:

المسألة الثانية: في كيفية الإنزال والوحي. قال الأصفهاني أوائل تفسيره: اتفق أهل السنة والجماعة على أن كلام الله منزل واختلفوا في معنى الإنزال. فمنهم من قال: إظهار القراءة. ومنهم من قال: إن الله تعالى ألهم كلامه جبريل وهو في السماء وهو عال من المكان وعلمه قراءته، ثم جبريل أداه في الأرض وهو يهبط في المكان. وفي التنزيل طريقان. أحدهما: أن النبي ﷺ انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملكية وأخذه من جبريل. والثاني: أن الملك انخلع إلى البشرية حتى يأخذه الرسول منه، والأول أصعب الحالين انتهى.

وقال الطيبي: لعل نزول القرآن على النبي ﷺ أن يتلقفه الملك من الله تعالى

تلقفاً روحانياً، أو يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به إلى الرسول فيلقيه عليه.

وقال القطب الرازي في حواشي الكشاف: والإنزال لغة بمعنى الإيواء، وبمعنى تحريك الشيء من العلو إلى أسفل، وكلاهما يتحققان في الكلام فهو مستعمل فيه في معنى مجازي، فمن قال: القرآن معنى قائم بذات الله تعالى، فإنزاله أن يوجد الكلمات والحروف الدالة على ذلك المعنى ويثبتها في اللوح المحفوظ. ومن قال: القرآن هو الألفاظ، فإنزاله مجرد إثباته في اللوح المحفوظ، وهذا المعنى مناسب لكونه منقولاً عن المعنيين اللغويين، ويمكن أن يكون المراد بإنزاله إثباته في السماء الدنيا بعد الإثبات في اللوح المحفوظ، وهذا مناسب للمعنى الثاني. والمراد بإنزال الكتب على الرسل أن يتلقفها الملك من الله تلقفاً روحانياً، أو يحفظها من اللوح المحفوظ وينزل بها فيلقيها عليهم. اهـ.

المنزل على النبي ثلاثة أقوال:

وقال غيره: في المنزل على النبي ﷺ ثلاثة أقوال. أحدها: أنه اللفظ والمعنى، وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به. وذكر بعضهم أن أحرف القرآن في اللوح المحفوظ كل حرف منها بقدر جبل قاف، وأن تحت كل حرف منها معاني لا يحيط بها إلا الله.

والثاني: أن جبريل إنما نزل بالمعاني خاصة، وأنه ﷺ علم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب، وتمسك قائل هذا بظاهر قوله تعالى: ﴿نَزَلَ به الروحُ الأمينُ على قَلْبِكَ﴾.

والثالث: أن جبريل ألقى إليه المعنى، وأنه عبر بهذه الألفاظ بلغة العرب وأن أهل السماء يقرؤونه بالعربية، ثم إنه نزل به كذلك بعد ذلك.

وقال البيهقي في معنى قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ يريد والله

أعلم: إنا أسمعنا الملك وأفهمناه إياه وأنزلناه بما سمع، فيكون الملك منتقلاً من علو إلى أسفل. قال أبو شامة: هذا المعنى مطرد في جميع ألفاظ الإنزال المضافة إلى القرآن، أو إلى شيء منه يحتاج إليه أهل السنة المعتقدون قدم القرآن، وأنه صفة قائمة بذات الله تعالى. قلت: ويؤيد أن جبريل تلقفه سماعاً من الله تعالى ما أخرجه الطبراني من حديث النواس بن سمعان مرفوعاً «إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله، فإذا سمع بذلك أهل السماء صعقوا وخرّوا سجداً، فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله بوحيه بما أراد فينتهي به على الملائكة، فكلما مرَّ بسماء سأله أهلها ماذا قال ربنا؟ قال: الحق، فينتهي به حيث أمر».

وأخرج ابن مردويه من حديث ابن مسعود رفعه «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان، فيفزعون ويرون أنه من أمر السرعة» وأصل الحديث في الصحيح. وفي تفسير عليّ بن سهل النيسابوري: قال جماعة من العلماء: نزل القرآن جملة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت يقال له بيت العزّة فحفظه جبريل، وغشى على أهل السموات من هيبة كلام الله، فمرّ بهم جبريل وقد أفاقوا وقالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق: يعني القرآن، وهو معنى قوله: ﴿حتى إذا فزّع عن قلوبهم﴾ فأتى به جبريل إلى بيت العزة فأملاه على السفرة الكتبة يعني الملائكة، وهو معنى قوله تعالى: ﴿بِأيدي سَفَرَةٍ كِرامٍ بررة﴾.

الإمام الجويني يشرح معنى المنزل:

وقال الجويني: كلام الله المنزل قسمان: قسم قال الله لجبريل: قل للنبي الذي أنت مرسل إليه إن الله يقول افعل كذا وكذا وأمر بكذا، ففهم جبريل ما قاله ربه ثم نزل على ذلك النبي وقال له ما قاله ربه، ولم تكن العبارة تلك العبارة، كما

يقول الملك لمن يثق به قل لفلان يقول لك الملك اجتهد في الخدمة واجمع جندك للقتال، فإن قال الرسول يقول الملك لاتتهاون في خدمتي ولا تترك الجند تتفرّق وحثهم على المقاتلة لا ينسب إلى كذب ولا تقصير في أداء الرسالة. وقسم آخر قال الله لجبريل: اقرأ على النبي هذا الكتاب، فنزل جبريل بكلمة من الله من غير تغيير، كما يكتب الملك كتاباً ويسلمه إلى أمين ويقول اقرأه على فلان فهو لا يغير منه كلمة ولا حرفاً انتهى.

قلت: القرآن هو القسم الثاني، والقسم الأول هو السنة، كما ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن، ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى، لأن جبريل أدّاه بالمعنى، ولم تجز القراءة بالمعنى لأن جبريل أدّاه باللفظ ولم يبح له إيحاءه بالمعنى. والسرّ في ذلك أن المقصود منه التعبد بلفظه والإعجاز به، فلا يقدر أحد أن يأتي بلفظ يقوم مقامه، وإن تحت كل حرف منه معاني لا يحاط بها كثرة فلا يقدر أحد أن يأتي بدله بما يشتمل عليه، والتخفيف على الأمة حيث جعل المنزل إليهم على قسمين: قسم يروونه بلفظ الموحى به. وقسم يروونه بالمعنى. ولو جعل كله مما يروى باللفظ لشقّ، أو بالمعنى لم يؤمن التبديل والتحريف فتأمل. وقد رأيت عن السلف ما يعضد كلام الجويني.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عقيل عن الزهري سئل عن الوحي فقال: الوحي ما يوحي الله إلى نبيّ من الأنبياء فيثبته في قلبه فيتكلم به ويكتبه وهو كلام الله. ومنه ما لا يتكلم به ولا يكتبه لأحد ولا يأمر بكتابته، ولكنه يحدّث به الناس حديثاً ويبين لهم أن الله أمره أن يبينه للناس ويبلغهم إياه.

كيفيات الوحي كما ذكرها العلماء:

(فصل) وقد ذكر العلماء للوحي كيفيات. إحداها: أن يأتيه الملك في مثل صلصلة الجرس كما في الصحيح.

وفي مسند أحمد عن عبدالله بن عمر « سألت النبي ﷺ هل تحس بالوحي؟ فقال: أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك، فما من مرة يوحى إليّ إلا ظننت أن نفسي تقبض ». قال الخَطابي: والمراد أنه صوت متدارك يسمعه ولا يتثبته أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد. وقيل هو صوت خفق أجنحة الملك. والحكمة في تقدمه أن يفرغ سمعه للوحي فلا يُبقي فيه مكاناً لغيره.

وفي الصحيح أن هذه الحالة أشدّ حالات الوحي عليه. وقيل إنه إنما كان ينزل هكذا إذا نزلت آية وعيد أو تهديد.

الثانية: أن ينفث في روعه الكلام نفثاً كما قال ﷺ: « إن روح القدس نفث في روعي » أخرجه الحاكم. وهذا قد يرجع إلى الحالة الأولى أو التي بعدها بأن يأتيه في إحدى الكيفيتين وينفث في روعه.

الثالثة: أن يأتيه في صورة الرجل فيكلمه كما في الصحيح « وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول ». زاد أبو عوانة في صحيحه: « وهو أهونه عليّ ».

الرابعة: أن يأتيه الملك في النوم وعدّ قوم من هذا سورة الكوثر وقد تقدم ما فيه.

الخامسة: أن يكلمه الله إما في اليقظة كما في ليلة الإسراء، أو في النوم كما في حديث معاذ « أتاني ربي فقال: فيمَ يختصم الملأ الأعلى » الحديث، وليس في القرآن من هذا النوع شيء فيما أعلم. نعم يمكن أن يعدّ منه آخر سورة البقرة لما تقدم وبعض سورة الضحى وألم نشرح، فقد أخرج ابن أبي حاتم من حديث عدي بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: « سألت ربي مسألة وددت أني لم أكن سألته، قلت: أي رب، اتخذت إبراهيم خليلاً وكلمت موسى تكليماً، فقال: يا محمد ألم أجدك يتيماً فآويت، وضالاً فهديت، وعائلاً فأغنيت، وشرحت لك

صدرك، وحططت عنك وزرك، ورفعت لك ذكرك فلا أذكر إلا ذكرت معي»؟

نزل الوحي على النبي وهو ابن أربعين:

[فائدة] أخرج الإمام أحمد في تاريخه من طريق داود ابن أبي هند عن الشعبي قال: أنزل على النبي ﷺ النبوّة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوّته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل عليه القرآن على لسانه، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوّته جبريل، فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة. وقال ابن عساكر: والحكمة في توكيل إسرافيل به أنه الموكل بالصور الذي فيه هلاك الخلق وقيام الساعة، ونبوّته ﷺ مؤذنة بقرب الساعة وانقطاع الوحي، كما وكل بذي القرنين ريافيل الذي يطوي الأرض، وبخالد بن سنان مالك خازن النار.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن سابط قال: في أم الكتاب كل شيء هو كائن إلى يوم القيامة، فوكل ثلاثة بحفظه إلى يوم القيامة من الملائكة. فوكل جبريل بالكتب والوحي إلى الأنبياء وبالنصر عند الحروب وبالهلكات إذا أراد الله أن يهلك قوماً، ووكل ميكائيل بالقطر والنبات، ووكل ملك الموت بقبض الأنفس، فإذا كان يوم القيامة عارضوا بين حفظهم وبين ما كان في أم الكتاب فيجدونه سواء. وأخرج أيضاً عن عطاء بن السائب قال: أول ما يحاسب جبريل لأنه كان أمين الله على رسله.

انزل القرآن بالتفخيم:

[فائدة ثانية] أخرج الحاكم والبيهقي عن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ قال: «أنزل القرآن بالتفخيم» كهيئته ﴿عُذْراً﴾ ﴿نُذْراً﴾ و﴿الصَّدَفين﴾ و﴿ألا له

الخَلْقُ والأمرُ﴾، وأشباه هذا. قلت: أخرجه ابن الأنباري في كتاب الوقف والابتداء، فبين أن المرفوع منه أنزل القرآن بالتفخيم فقط، وأن الباقي مدرج من كلام عمار ابن عبد الملك أحد رواة الحديث.

أنزل الوحي بالعربية:

[فائدة أخرى] أخرج ابن أبي حاتم عن سفيان الثوري قال: لم ينزل الوحي إلا بالعربية، ثم ترجم كل نبيّ لقومه.

تغير لون النبي عند نزول الوحي:

[فائدة أخرى] أخرج ابن سعد عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي يغط في رأسه ويتربد وجهه: أي يتغير لونه بالجريذة ويجد برداً في ثناياه ويعرق حتى يتحدر منه مثل الجمان.

نزول القرآن على سبعة أحرف:

المسألة الثالثة: في الأحرف السبعة التي نزل القرآن عليها. قلت: ورد حديث «نزل القرآن على سبعة أحرف من رواية جمع من الصحابة: أبيّ بن كعب، وأنس، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن أرقم، وسمرة بن جندب، وسلمان بن صرد، وابن عباس، وابن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وعمر بن الخطاب، وعمرو ابن أبي سلمة، وعمرو بن العاص، ومعاذ بن جبل، وهشام بن حكيم، وأبي بكرة، وأبي جهم، وأبي سعيد الخدري، وأبي طلحة الأنصاري، وأبي هريرة، وأبي أيوب، فهؤلاء واحد وعشرون صحابياً، وقد نص أبو عبيد على تواتره.

وأخرج أبو يعلى في مسنده أن عثمان قال على المنبر: أذكر الله رجلاً سمع النبيّ ﷺ قال إن القرآن: «أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف» لما قام

فقاموا حتى لم يحصدوا فشهدوا بذلك، فقال: وأنا أشهد معهم وسأسوق من رواتهم ما يحتاج إليه. فأقول: اختلف في معنى هذا الحديث على نحو أربعين قولاً، احدها: أنه من المشكل الذي لا يدرى معناه. لأن الحرف يصدق لغة على حرف الهجاء وعلى الكلمة وعلى المعنى وعلى الجهة، قاله ابن سعدان النحوي.

الثاني: أنه ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد، بل المراد التيسير والتسهيل والسعة، ولفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد كما يطلق السبعون في العشرات والسبعمائة في المئين ولا يراد العدد المعين، وإلى هذا جنح عياض ومن تبعه. ويردّه ما في حديث ابن عباس في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف».

وفي حديث أبيّ عند مسلم: «إن ربي أرسل إليّ أن اقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن هوّن على أمتي، فأرسل إليّ أن اقرأه على حرفين، فرددت إليه أن هوّن على أمتي. فأرسل إليّ أن اقرأه على سبعة أحرف». وفي لفظ عنه عند النسائي: «إن جبريل وميكائيل أتياني. فقعد جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري، فقال جبريل: اقرإ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استزده حتى بلغ سبعة أحرف». وفي حديث أبي بكرة: «اقرأه، فنظرت إلى ميكائيل فسكت، فعلمت أنه قد انتهت العدة» فهذا يدل على إرادة حقيقة العدد وانحصاره.

الثالث: أن المراد بها سبع قراءات، وتعقب بأنه لا يوجد في القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه إلا القليل مثل: ﴿عبد الطاغوت﴾ و﴿لا تقُلْ لَهُما أُفٍ﴾ وأجيب بأن المراد أن كل كلمة تقرأ بوجه أو وجهين أو ثلاثة أو أكثر إلى سبعة. ويشكل على هذا أن في الكلمات ما قرىء على أكثر، وهذا يصلح أن يكون قولاً رابعاً.

الخامس: أن المراد بها الأوجه التي يقع بها التغاير، ذكره ابن قتيبة قال: فأولها ما يتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته، مثل: ﴿ولا يُضَارَّ كَاتِبٌ﴾ بالفتح والرفع. وثانيها: ما يتغير بالفعل مثل بعد وباعد بلفظ الطلب والماضي، وثالثها: ما يتغير باللفظ مثل ننشزها. ورابعها: ما يتغير بإبدال حرف قريب المخرج مثل - طلح منضود - وطلع، وخامسها: ما يتغير بالتقديم والتأخير مثل: ﴿وجاءتْ سكرةُ الموتِ بالحق﴾ ﴿وسكرةُ الحقِّ بالموت﴾.

وسادسها: ما يتغير بزيادة أو نقصان مثل والذكر والأنثى: ﴿وما خَلَقَ الذَّكَرَ والأنْثَى﴾.

وسابعها: ما يتغير بإبدال كلمة بأخرى مثل كالعهن المنفوش وكالصوف المنفوش. وتعقب هذا قاسم بن ثابت بأن الرخصة وقعت وأكثرهم يومئذ لا يكتب ولا يعرف الرسم، وإنما كانوا يعرفون الحروف ومخارجها. وأجيب بأنه لا يلزم من ذلك توهين ما قاله ابن قتيبة لاحتمال أن يكون الانحصار المذكور في ذلك وقع اتفاقاً، وإنما اطلع عليه بالاستقراء.

الرازي يشرح معنى الأحرف السبعة:

وقال أبو الفضل الرازي في اللوائح: الكلام لا يخرج عن سبعة أوجه في الاختلاف. الأول: اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث.

الثاني: اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر.

الثالث: وجوه الإعراب.

الرابع: النقص والزيادة.

الخامس: التقديم والتأخير.

السادس: الإبدال.

السابع: اختلاف اللغات كالفتح والإمالة والترقيق والتفخيم والإدغام والإظهار ونحو ذلك، وهذا هو القول السادس.

وقال بعضهم: المراد بها كيفية النطق بالتلاوة من إدغام وإظهار وتفخيم وترقيق وإمالة وإشباع ومد وقصر وتشديد وتخفيف وتليين وتحقيق، وهذا هو القول السابع.

ابن الجزري يشرح الأحرف:

وقال ابن الجزري: قد تتبعت صحيح القراءات وشاذها وضعيفها ومنكرها فإذا هي يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه لا يخرج عنها، وذلك إما في الحركات بلا تغير في المعنى والصورة نحو [البخل] بأربعة ويحسب بوجهين، أو متغير في المعنى فقط نحو ﴿فتلقّى آدم من ربه كَلِماتٍ﴾. وإما في الحروف بتغير المعنى لا الصورة نحو [تبلو وتتلو]، وعكس ذلك نحو [الصراط والسراط]، أو بتغيرهما نحو [فامضوا فاسعوا]، وإما في التقديم والتأخير نحو [فَيَقْتُلُون ويُقْتَلُون] ، أو في الزيادة والنقصان نحو [أوصى ووصّى]، فهذه سبعة لا يخرج الاختلاف عنها. قال: وأما نحو اختلاف الإظهار والإدغام والروم والإشمام والتخفيف والتسهيل والنقل والإبدال فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوّع في اللفظ والمعنى، لأن هذه الصفات المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظاً واحداً. انتهى. وهذا هو القول الثامن.

قلت: ومن أمثلة التقديم والتأخير قراءة الجمهور، و﴿كذلك يطبعُ اللهُ على كل قلب متكبّرٍ جبّار﴾. وقرأ ابن مسعود [على قلبِ كلِّ متكبّرٍ].

التاسع: أن المراد سبعة أوجه من المعاني المتفقة بألفاظ مختلفة نحو [أقبل

وتعالَ وهلمّ وعجل وأسرع]، وإلى هذا ذهب سفيان بن عيينة وابن جرير وابن وهب وخلائق ونسبه ابن عبد البر لأكثر العلماء، ويدل له ما أخرجه أحمد والطبراني من حديث أبي بكرة: أن جبريل قال: يا محمد اقرإ القرآن على حرف، قال ميكائيل: استزده حتى بلغ سبعة أحرف قال: كل شاف كاف ما لم تخلط آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب نحو قولك: [تعال وأقبل وهلم واذهب وأسرع وعجل] هذا اللفظ رواية أحمد وإسناده جيد.

وأخرج أحمد والطبراني أيضاً عن ابن مسعود نحوه، وعند أبي داود عن أبيّ قلت: سميعاً علياً عزيزاً حكيماً ما لم تخلط آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب. وعند أحمد من حديث أبي هريرة «أنزل القرآن على سبعة أحرف علياً حكيماً غفوراً رحيماً» وعنده أيضاً من حديث عمر بأن القرآن كله صواب ما لم تجعل مغفرة عذاباً وعذاباً مغفرة، أسانيدها جياد.

ابن عبد البر يشرح الأحرف:

قال ابن عبد البر: إنما أراد بهذا ضرب المثل للحروف التي نزل القرآن عليها أنها معان متفق مفهومها، مختلف مسموعها، لا يكون في شيء منها معنى وضده، ولا وجه يخالف معنى وجه خلافاً ينفيه ويضاده، كالرحمة التي هي خلاف العذاب وضده. ثم أسند عن أُبيّ بن كعب أنه كان يقرأ: ﴿كلما أضاءَ لهم مَشَوْا فيه﴾ مرّوا فيه سعوا فيه. وكان ابن مسعود يقرأ: ﴿للذين آمنُوا انظُرونا﴾ أمهلونا، أخرونا.

قال الطحاوي: وإنما كان ذلك رخصة لما كان يتعسر على كثير منهم التلاوة بلفظ واحد لعدم علمهم بالكتابة والضبط وإتقان الحفظ، ثم نسخ بزوال العذر وتيسر الكتابة والحفظ، وكذا قال ابن عبد البر والباقلاني وآخرون. وفي فضائل

أبي عبيد من طريق عون بن عبد الله أن ابن مسعود أقرأ رجلاً: ﴿إن شجرةَ الزقوم طعامُ الأثيم﴾، فقال الرجل: طعام اليتيم، فردّها عليه فلم يستقم بها لسانه، فقال: أتستطيع أن تقول طعام الفاجر؟ قال نعم، قال: فافعل.

الأحرف تعني اللغات:

القول العاشر: أن المراد سبع لغات، وإلى هذا ذهب أبو عبيد وثعلب والزهري وآخرون، واختاره ابن عطية وصححه البيهقي في الشعب. وتعقب بأن لغات العرب أكثر من سبعة. وأجيب بأن المراد أفصحها، فجاء عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزل القرآن على سبع لغات، منها خمس بلغة العجز من هوازن. قال: والعجز سعد بن بكر وجشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف، وهؤلاء كلهم من هوازن ويقال لهم عليا هوازن، ولهذا قال أبو عمرو بن العلاء: أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم: يعني بني دارم.

وأخرج أبو عبيد من وجه آخر عن ابن عباس قال: نزل القرآن بلغة الكعبين: كعب قريش، وكعب خزاعة قيل: وكيف ذاك؟ قال: لأن الدار واحدة: يعني أن خزاعة كانوا جيران قريش فسهلت عليهم لغتهم.

وقال أبو حاتم السجستاني: [نزل بلغة قريش وهذيل وتميم والأزد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر].

واستنكر ذلك ابن قتيبة وقال: لم ينزل القرآن إلا بلغة قريش. ورده بقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رَسُولٍ إلا بلسانِ قومه﴾ فعلى هذا تكون اللغات السبع في بطون قريش، وبذلك جزم أبو علي الأهوازي.

وقال أبو عبيد: ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات، بل اللغات السبع مفرقة فيه، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن،

وبعضه بلغة اليمن وغيرهم. قال: وبعض اللغات أسعد به من بعض وأكثر نصيباً.

وقيل: نزل بلغة مضر خاصة لقول عمر: نزل القرآن بلغة مضر، وعين بعضهم فيما حكاه ابن عبد البرّ السبع من مضر أنهم [هذيل وكنانة وقيس وضبة وتيم الرباب وأسد بن خزيمة وقريش]. فهذه قبائل مضر تستوعب سبع لغات. ونقل أبو شامة عن بعض الشيوخ أنه قال: أنزل القرآن أولاً بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء، ثم أبيح للعرب أن يقرأوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها عن اختلافهم في الألفاظ والإعراب ولم يكلف أحداً منهم الانتقال عن لغته إلى لغة أخرى للمشقة، ولما كان فيهم من الحمية ولطلب تسهيل فهم المراد. وزاد غيره أن الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهي بأن يغير كل أحد الكلمة بمرادفها في لغته، بل المرعي في ذلك السماع من النبي ﷺ.

واستشكل بعضهم هذا بأنه يلزم عليه أن جبريل كان يلفظ باللفظ الواحد سبع مرات. وأجيب بأنه إنما يلزم هذا لو اجتمعت الأحرف السبعة في لفظ واحد، ونحن قلنا: كان جبريل يأتي في كل عرضة بحرف إلى أن تمت سبعة، وبعد هذا كله ردّ هذا القول بأن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قرشي من لغة واحدة وقبيلة واحدة وقد اختلفت قراءتها، ومحال أن ينكر عليه عمر لغته، فدل على أن المراد بالأحرف السبعة غير اللغات.

الأحرف تعني الأصناف:

القول الحادي عشر: أن المراد سبعة أصناف، والأحاديث السابقة ترده، والقائلون به اختلفوا في تعيين السبعة، فقيل [أمر ونهي وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال]. واحتجوا بما أخرجه الحاكم والبيهقي عن ابن مسعود عن النبي

ﷺ قال: « كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد وعلى حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب عن سبعة أحرف: زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال » الحديث.

وقد أجاب عنه قوم بأنه ليس ا لمراد بالأحرف السبعة التي تقدم ذكرها في الأحاديث الأخرى، لأن سياق تلك الأحاديث يأبى حملها على هذا، بل هي ظاهرة في أن المراد أن الكلمة تقرأ على وجهين وثلاثة إلى سبعة تيسيراً وتهويناً، والشيء الواحد لا يكون حلالاً حراماً في آية واحدة.

البيهقي يشرح الأحرف:

قال البيهقي: المراد بالسبعة الأحرف هنا: الأنواع التي نزل عليها، والمراد بها في تلك الأحاديث. اللغات التي يقرأ بها. وقال غيره: من أوّل السبعة الأحرف بهذا فهو فاسد، لأنه محال أن يكون الحرف منها حراماً لا ما سواه وحلالاً لا ما سواه، ولأنه لا يجوز أن يكون القرآن يقرأ على أنه حلال كله أو حرام كله أو أمثال كله. وقال ابن عطية: هذا القول ضعيف، لأن الإجماع على أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال ولا تحليل حرام ولا في تغيير شيء من المعاني المذكورة هنا. وقال الماوردي: هذا القول خطأ لأنه ﷺ أشار إلى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وإبدال حرف بحرف، وقد أجمع المسلمون على تحريم إبدال آية أمثال بآية أحكام. وقال أبو علي الأهوازي وأبو العلاء والهمداني: قوله في الحديث زاجر وأمر إلى الخ استئناف كلام آخر: أي هو زاجر: أي القرآن، ولم يرد به تفسير الأحرف السبعة، وإنما توهم ذلك من جهة الاتفاق في العدد. ويؤيده أن في بعض طرقه زجراً وأمراً بالنصب: أي نزل على هذه الصفة في الأبواب السبعة.

أبو شامة يشرح الأحرف:

وقال أبو شامة: يحتمل أن يكون التفسير المذكور للأبواب لا للأحرف: أي هي سبعة أبواب من أبواب الكلام وأقسامه: أي أنزله الله على هذه الأصناف لم يقتصر منها على صنف واحد كغيره من الكتب.

وقيل المراد بها [المطلق والمقيد والعام والخاص والنص والمؤول والناسخ والمنسوخ والمجمل والمفسر والاستثناء وأقسامه]، حكاه شيدلة عن الفقهاء. وهذا هو القول الثاني عشر.

وقيل المراد بها [الحذف والصلة والتقديم والتأخير والاستعارة والتكرار والكناية والحقيقة والمجاز والمجمل والمفسر والظاهر والغريب] حكاه عن أهل اللغة. وهذا هو القول الثالث عشر.

وقيل المراد بها التذكير والتأنيث والشرط والجزاء والتصريف والإعراب والأقسام وجوابها والجمع والإفراد والتصغير والتعظيم واختلاف الأدوات، حكاه عن النحاة. وهذا هو الرابع عشر.

الأحرف تعني المعاملات:

وقيل المراد بها سبعة أنواع من المعاملات: الزهد والقناعة مع اليقين والجزم والخدمة مع الحياء والكرم والفتوة مع الفقر والمجاهدة والمراقبة مع الخوف والرجاء والتضرّع والاستغفار مع الرضا والشكر والصبر مع المحاسبة والمحبة والشوق مع المشاهدة، حكاه عن الصوفية. وهذا هو الخامس عشر.

الأحرف تعني العلوم:

القول السادس عشر: أن المراد بها سبعة علوم: [علم الإنشاء والإيجاد، وعلم التوحيد والتنزيه، وعلم صفات الذات، وعلم

صفات الفعل، وعلم جمع القرآن قبلها] وإن كان قد حضرها من لم يجمع غيرها الجمع الكثير.

جمع القرآن يعني السمع والطاعة:

الثامن عشر: أن المراد بجمعه السمع والطاعة له والعمل بموجبه. وقد أخرج أحمد في الزهد من طريق أبي الزاهرية أن رجلاً أتى أبا الدرداء فقال: إن ابني جمع القرآن، فقال: اللهم غفراً، إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع.

قال ابن حجر: وفي غالب هذه الاحتمالات تكلف ولا سيما الأخير. قال: وقد ظهر لي احتمال آخر، وهو أن المراد بإثبات ذلك للخزرج دون الأوس فقط، فلا ينفي ذلك عن غير القبيلتين من المهاجرين لأنه قال ذلك في معرض المفاخرة بين الأوس والخزرج، كما أخرجه ابن جرير من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس قال: افتخر الحيان الأوس والخزرج، فقال الأوس: منا أربعة: من اهتز له العرش سعد بن معاذ، ومن عدلت شهادته شهادة رجلين خزيمة بن أبي ثابت، ومن غسلته الملائكة حنظلة ابن أبي عامر، ومن حمته الدبر عاصم ابن أبي ثابت: أي ابن أبي الأفلح، فقال الخزرج: منا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم، فذكرهم.

قال: والذي يظهر من كثير من الأحاديث أن أبا بكر كان يحفظ القرآن في حياة رسول الله ﷺ، ففي الصحيح أنه بنى مسجداً بفناء داره فكان يقرأ فيه القرآن. وهو محمول على ما كان نزل منه إذ ذاك. قال: وهذا مما لا يرتاب فيه مع شدة حرص أبي بكر على تلقي القرآن من النبي ﷺ وفراغ باله له وهما بمكة، وكثرة ملازمة كل منهما للآخر حتى قالت عائشة: إنه ﷺ كان يأتيهم بكرة وعشياً. وقد صح حديث «يؤمّ القوم أقرؤُهم لكتاب الله» وقد قدمه ﷺ في مرضه إماماً للمهاجرين والأنصار، فدل على أنه كان أقرأهم اهـ.

وسبقه إلى نحو ذلك ابن كثير.

جمع القرآن يعني حفظه:

قلت: لكن أخرج ابن أشتة في المصاحف بسند صحيح عن محمد بن سيرين قال: مات أبو بكر ولم يجمع القرآن، وقتل عمر ولم يجمع القرآن. قال ابن أشتة: قال بعضهم: يعني لم يقرأ جميع القرآن حفظاً. وقال بعضهم: هو جمع المصاحف.

قال ابن حجر: وقد ورد عن عليّ أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبي ﷺ. أخرجه ابن أبي داود. وأخرج النسائي بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو قال: «جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة، فبلغ النبي ﷺ فقال: اقرأه في شهر» الحديث.

جمع القرآن في عهد النبي:

وأخرج ابن أبي داود بسند حسن عن محمد بن كعب القرظي قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبيّ بن كعب، وأبو الدرداء، وأبو أيوب الأنصاري.

وأخرج البيهقي في المدخل عن ابن سيرين قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة لا يختلف فيهم: معاذ بن جبل، وأبيّ بن كعب، وأبو زيد، واختلفوا في رجلين من ثلاثة: أبي الدرداء وعثمان، وقيل عثمان وتميم الداري.

وأخرج هو وابن أبي داود عن الشعبي قال: جمع القرآن في عهد النبي ﷺ ستة: أبيّ، وزيد، ومعاذ، وأبو الدرداء، وسعيد بن عبيد، وأبو زيد ومجمع بن جارية، وقد أخذه إلا سورتين أو ثلاثة.

وقد ذكر أبو عبيد في كتاب القراءات: القرّاء من أصحاب النبي ﷺ ، فعد من المهاجرين الخلفاء الأربعة وطلحة وسعد تعرب بسبعة أوجه حتى يكون المعنى واحداً وإن اختلف اللفظ فيها.

أقوال أخرى في (معنى سبعة أحرف):

الثلاثون: أمهات الهجاء الألف والباء والجيم والدال والراء والسين والعين لأن عليها تدور جوامع كلام العرب.

الحادي والثلاثون: أنها في أسماء الربّ مثل الغفور الرحيم السميع البصير العليم الحكيم.

الثاني والثلاثون: هي آية في صفات الذات، وآية تفسيرها في آية أخرى، وآية بيانها في السنة الصحيحة، وآية في قصة الأنبياء والرسل، وآية في خلق الأشياء، وآية في وصف الجنة، وآية في وصف النار.

الثالث والثلاثون: في وصف الصانع، وآية في إثبات الوحدانية له وآية في إثبات صفاته: وآية في إثبات رسله، وآية في إثبات كتبه، وآية في إثبات الإسلام، وآية في نفي الكفر.

الرابع والثلاثون: سبع جهات من صفات الذات لله التي لا يقع عليها التكييف.

الخامس والثلاثون: الإيمان بالله ومجانبة الشرك وإثبات الأوامر ومجانبة الزواجر والثبات على الإيمان وتحريم ما حرّم الله وطاعة رسوله. قال ابن حبان: فهذه خمسة وثلاثون قولاً لأهل العلم واللغة في معنى إنزال القرآن على سبعة أحرف، وهي أقاويل يشبه بعضها بعضاً، وكلها محتملة ويحتمل غيرها.

وقال المرسي: هذه الوجوه أكثرها متداخلة ولا أدري مستندها ولا عمن

نقلت، ولا أدري لِمَ خص كل واحد منهم هذه الأحرف السبعة بما ذكر مع أن كلها موجودة في القرآن فلا أدري معنى التخصيص. ومنها أشياء لا أفهم معناها على الحقيقة، وأكثرها معارضة حديث عمر وهشام بن حكيم الذي في الصحيح، فإنهما لم يختلفا في تفسيره ولا أحكامه، وإنما اختلفا في قراءة حروفه، وقد ظن كثير من العوامّ أن المراد بها القراءات السبعة وهو جهل قبيح.

اشتمال المصاحف على الأحرف السبعة:

[تنبيه] اختلف هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة؟

فذهب جماعة من الفقهاء والقراء والمتكلمين إلى غير ذلك، وبنوا عليه أنه لا يجوز على الأمة أن تهمل نقل شيء منها، وقد أجمع الصحابة على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التي كتبها أبو بكر، وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك.

وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أنها مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل متضمنة لها لم تترك حرفاً منها.

قال ابن الجزري: وهذا هو الذي يظهر صوابه.

الأحرف السبعة ليست واجبة:

ويجاب عن الأول بما ذكره ابن جرير أن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمة وإنما كان جائزاً لهم ومرخصاً لهم فيه، فلما رأى الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف إذا لم يجمعوا على حرف واحد اجتمعوا على ذلك إجماعاً شائعاً وهم معصومون من الضلالة، ولم يكن في ذلك ترك واجب ولا فعل حرام، ولا شك أن القرآن نُسخ منه في العرضة الأخيرة بالفعل المبني للمجهول، فاتفق رأي الصحابة على أن كتبوا ما تحققوا أنه قرآن مستقرّ في العرضة الأخيرة

وتركوا ما سوى ذلك.

قراءة المسلمين اليوم هي المعتمدة:

وأخرج ابن أشتة في المصاحف وابن أبي شيبة في فضائله من طريق ابن سيرين عن عبيدة السلماني قال: القراءة التي عرضت على النبي ﷺ في العام الذي قبض فيه هي القراءة التي يقرؤها الناس اليوم.

وأخرج ابن أشتة عن ابن سيرين قال: كان جبريل يعارض النبيّ ﷺ كل سنة في شهر رمضان مرة، فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه مرتين، فيرون أن تكون قراءتنا هذه على العرضة الأخيرة.

وقال البغوي في شرح السنة: يقال إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التي بيّن فيها ما نسخ وما بقي وكتبه الرسول ﷺ وقرأها عليه، وكان يقرىء الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر وجمعه، وولاه عثمان كتب المصاحف.

النوع السابع عشر: في معرفة أسمائه وأسماء سوره

قال الجاحظ: سمى الله كتابه اسماً مخالفاً لما سمى العرب كلامهم على الجمل والتفصيل، سمى جملته قرآناً كما سموا ديواناً، وبعضه سورة كقصيدة، وبعضها آية كالبيت، وآخرها فاصلة كقافية.

وقال أبو المعالي عُزيزي بن عبد الملك المعروف بشيدلة بضم عين عُزيزي في كتاب [البرهان] اعلم أن الله سمى القرآن بخمسة وخمسين اسماً، سماه كتاباً ومبيناً في قوله: ﴿حمٓ والكتاب المبين﴾. وقرآناً و كريماً في قوله: ﴿إنه لقرآنٌ كَرِيمٌ﴾، وكلاماً: ﴿حتى يَسمَعَ كَلامَ اللهِ﴾. ونوراً: ﴿وأنزلنا إليكم نُوراً مبيناً﴾. وهدى ورحمة: ﴿هُدًى ورحمة للمؤمنين﴾. وفرقاناً: ﴿نزّل الفرقان على عَبدِهِ﴾. وشفاء: ﴿ونُنزّل من القرآن ما هو شِفَاء﴾. وموعظة: ﴿قد جاءتْكُمْ موعظةٌ من ربّكُمْ وشفاء لما في الصُدور﴾. وذكراً ومباركاً: ﴿وهذا ذِكرٌ مُبارك أنزلناه﴾ وعلياً: ﴿وإنه في أم الكتابِ لدينا لعليٌّ حكيم﴾. وحكمة: ﴿حكمةٌ بالغة﴾. وحكيم: ﴿تلك آياتُ الكتابِ الحَكيم﴾. ومهيمناً: ﴿مصدّقاً لما بين يَديه من الكتاب ومهيمناً عليه﴾. وحبلاً: ﴿واعتصموا بحبل الله﴾. وصراطاً مستقيماً: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً﴾. وقيماً: ﴿قيماً لينذرَ به﴾ وقولاً وفصلاً: ﴿إنّه لقولٌ فصل﴾. ونبأ عظيماً: ﴿عَمَّ يتساءَلُونَ عن النبإِ العظيمِ﴾. وأحسن الحديث ومثاني ومتشابهاً: ﴿الله نزلَ أحسنَ الحديثِ كتاباً مُتشابهاً مثاني﴾. وتنزيلاً: ﴿وإنه لَتنزيلُ ربِّ العالمين﴾. وروحاً: ﴿أوحينا إليكَ روحاً

من أمرنا﴾. ووحياً: ﴿إنما أنذركم بالوحي﴾. وعربياً: ﴿قرآناً عربياً﴾. وبصائر: ﴿هذا بصائر﴾. وبياناً: ﴿هذا بيانٌ للناس﴾. وعلماً: ﴿من بعد ما جاءك من العِلم﴾. وحقاً: ﴿إن هذا لهو القصصُ الحق﴾. وهادياً: ﴿إن هذا القرآن يَهدي﴾ وعجباً: ﴿قرآناً عجَباً﴾. وتذكرة: ﴿وإنه لتذكرة﴾. والعروة الوثقى: ﴿استمسك بالعروة الوثقى﴾. وصدقاً: ﴿والذي جاءَ بالصدق﴾. وعدلاً: ﴿وتمتْ كلمةُ ربّكَ صدقاً وعدلاً﴾. وأمراً: ﴿ذلِكَ أمرُ اللهِ أنزلَهُ إليكم﴾، ومنادياً: ﴿يُنادي للإيمانَ﴾. وبشرى: ﴿هُدى وبُشْرى﴾. ومجيداً: ﴿بل هو قرآنٌ مَجيد﴾. وزبوراً: ﴿ولقد كتبنا في الزبورِ﴾. وبشيراً ونذيراً: ﴿كتابٌ فُصِّلَتْ آياتُه قُرآناً عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً﴾. وعزيزاً: ﴿وإنه لكتابٌ عزيز﴾. وبلاغاً: ﴿هذا بلاغٌ للناس﴾. وقصصاً: ﴿أحسن القصص﴾، وسماه أربعة أسماء في آية واحدة: ﴿في صحفٍ مُكرمةٍ مَرفُوعةٍ مُطهرة﴾ انتهى.

فأما تسميته كتاباً: فلجمعه أنواع العلوم والقصص والأخبار على أبلغ وجه، والكتاب لغة: الجمع. والمبين: لأنه أبان: أي أظهر الحق من الباطل.

شرح كلمة (القرآن):

وأما القرآن فاختلف فيه، فقال جماعة: هو اسم علم غير مشتق خاص بكلام الله فهو غير مهموز، وبه قرأ ابن كثير وهو مرويّ عن الشافعي.

أخرج البيهقي والخطيب وغيرهما عنه أنه كان يهمز قراءة ولا يهمز القرآن ويقول: القرآن اسم وليس بمهموز، ولم يؤخذ من قراءة ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل.

وقال قوم منهم الأشعري: هو مشتق من قرنت الشيء بالشيء: إذا ضممت

أحدهما إلى الآخر، وسمي به القرآن السور والآيات والحروف فيه.

وقال الفراء: هو مشتق من القرائن، لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضاً ويشابه بعضها بعضاً وهي قرائن، وعلى القولين بلا همز أيضاً ونونه أصلية.

وقال الزجاج: هذا القول سهو، والصحيح أن ترك الهمز فيه من باب التخفيف ونقل حركة الهمز إلى الساكن قبلها.

واختلف القائلون بأنه مهموز فقال قول منهم اللحياني: هو مصدر لقرأت كالرجحان والغفران، سمي به الكتاب المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر.

وقال آخرون منهم الزجاج: هو وصف على فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع، ومنه قرأت الماء في الحوض: أي جمعته.

قال أبو عبيدة: وسمي بذلك لأنه جمع السور بعضها إلى بعض.

وقال الراغب: لا يقال لكل جمع قرآن ولا لجمع كل كلام قرآن. قال: وإنما سمي قرآناً لكونه جمع ثمرات الكتب السالفة المنزلة. وقيل لأنه جمع أنواع العلوم كلها.

وحكى قطرب قولاً: إنه سمي قرآناً لأن القارىء يظهره ويبينه من فيه أخذاً من قول العرب ما قرأت الناقة سلاقط: أي ما رمت بولد: أي ما أسقطت ولداً: أي ما حملت قط، والقرآن يلقطه القارىء من فيه ويلقيه فسمي قرآناً.

قلت: والمختار عندي في هذه المسألة ما نص عليه الشافعي.

شرح معنى أسماء القرآن:

وأما (الكلام) فمشتق من الكلم بمعنى التأثير، لأنه يؤثر في ذهن السامع فائدة لم تكن عنده.

وأما (النور) فلأنه يدرك به غوامض الحلال والحرام.

وأما (الهدى) فلأن فيه الدلالة على الحق، وهو من باب إطلاق المصدر على الفاعل مبالغة.

وأما (الفرقان) فلأنه فرق بين الحق والباطل، وجهه بذلك مجاهد كما أخرجه ابن أبي حاتم.

وأما (الشفاء) فلأنه يشفي من الأمراض القلبية كالكفر والجهل والغلّ والبدنية أيضاً.

وأما (الذكر) فلما فيه من المواعظ وأخبار الأمم الماضية، والذكر أيضاً الشرف، قال تعالى: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ أي شرف لأنه بلغتهم.

وأما (الحكمة) فلأنه نزل على القانون المعتبر من وضع كل شيء في محله، أو لأنه مشتمل على الحكمة.

وأما (الحكيم) فلأنه أحكمت آياته بعجيب النظم وبديع المعاني، وأحكمت عن تطرق التبديل والتحريف والاختلاف والتباين.

وأما (المهيمن) فلأنه شاهد على جميع الكتب والأمم السالفة.

وأما (الحبل) فلأنه من تمسك به وصل إلى الجنة أو الهدى والحبل السبب.

وأما (الصراط المستقيم) فلأنه طريق إلى الجنة قويم لا عوج فيه.

وأما (المثاني) فلأن فيه بيان قصص الأمم الماضية فهو ثان لما تقدمه، وقيل لتكرار القصص والمواعظ فيه، وقيل لأنه نزل مرة بالمعنى ومرة باللفظ والمعنى لقوله: ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى﴾ حكاه الكرماني في عجائبه.

وأما (المتشابه) فلأنه يشبه بعضه بعضاً في الحسن والصدق.

وأما (الروح) فلأنه تحيا به القلوب والأنفس. وأما (المجيد) فلشرفه.

وأما (العزيز) فلأنه يعزّ على من يروم معارضته.

وأما (البلاغ) فلأنه أبلغ به الناس ما أمروا به ونهوا عنه، أو لأن فيه بلاغة وكفاية عن غيره. قال السلفي في بعض أجزائه: سمعت أبا الكرم النحوي يقول، سمعت أبا القاسم التنوخي يقول، سمعت أبا الحسن الرماني يقول: وسئل كل كتاب له ترجمة فما ترجمة كتاب الله؟ فقال: ﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به﴾. وذكر أبو شامة وغيره في قوله تعالى: ﴿ورزق ربك خير وأبقى﴾ إنه القرآن.

المصحف من أسماء القرآن:

[فائدة] حكى المظفري في تاريخه قال: لما جمع أبو بكر القرآن قال سموه، فقال بعضهم: سموه إنجيلاً، فكرهوه، وقال بعضهم: سموه السفر، فكرهوه من يهود، فقال ابن مسعود: رأيت بالحبشة كتاباً يدعونه المصحف، فسموه به. قلت: أخرج ابن أشتة في كتاب المصاحف من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: لما جمعوا القرآن فكتبوه في الورق، قال أبو بكر: التمسوا له اسماً، فقال بعضهم: السِّفْر، وقال بعضهم: المصحف، فإن الحبشة يسمونه المصحف، وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله وسماه المصحف، ثم أورده من طريق آخر عن ابن بريدة وسيأتي في النوع الذي يلي هذا.

[فائدة ثانية] أخرج ابن الضريس وغيره عن كعب قال في التوراة: يا محمد إني منزل عليك توراة حديثه تفتح أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً. وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: لما أخذ موسى الألواح قال: يا ربّ إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في قلوبهم فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد، ففي هذين الأثرين تسميه القرآن توراة وإنجيلاً، ومع هذا لا يجوز الآن أن يطلق عليه ذلك، وهذا كما سميت التوراة فرقاناً في قوله: ﴿وإذ آتينا موسى الكتابَ

والفرقانَ﴾ وسمى ﷺ الزبور قرآناً في قوله: «خفف على داود القرآن».

معنى كلمة سورة:

(فصل: في أسماء السور) قال العتبي: السورة تهمز ولا تهمز، فمن همزها جعلها من أسأرت: أي أفضلت، من السؤر وهو ما بقي من الشراب في الإناء كأنها قطعة من القرآن. ومن لم يهمزها جعلها من المعنى المتقدم وسهل همزها. ومنهم من يشبهها بسورة البناء: أي القطعة منه: أي منزلة بعد منزلة. وقيل من سور المدينة لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسور، ومنه السوار لإحاطته بالساعد. وقيل لارتفاعها لأنها كلام الله والسورة المنزلة الرفيعة. قال النابغة:

ألم تـر أن الله أعطـاك سـورة ترى كل ملك حولها يتـذبـذب

وقيل لتركيب بعضها على بعض، من التسوّر بمعنى التصاعد والتركيب، ومنه: ﴿إذ تَسَوَرُوا المحراب﴾.

أسماء السور توقيفية:

وقال الجعبري: حدّ السورة قرآن يشتمل على آي ذي فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات.

وقال غيره: السورة الطائفة المترجمة توقيفاً: أي المسماة باسم خاص بتوقيف من النبي ﷺ، وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار، ولولا خشية الإطالة لبينت ذلك. ومما يدل لذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: كان المشركون يقولون سورة البقرة وسورة العنكبوت يستهزئون بها، فنزل: ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾. وقد كره بعضهم أن يقال سورة كذا لما رواه الطبراني والبيهقي عن أنس مرفوعاً: «لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل

عمران ولا سورة النساء، وكذا القرآن كله، ولكن قولوا السورة التي تذكر فيها البقرة والتي يذكر فيها آل عمران وكذا القرآن كله» وإسناده ضعيف، بل ادعى ابن الجوزي أنه موضوع. وقال البيهقي: إنما يعرف موقوفاً على ابن عمر، ثم أخرجه عنه بسند صحيح، وقد صح إطلاق سورة البقرة وغيرها عنه ﷺ. وفي الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة، ومن ثم لم يكن الجمهور.

تعدد أسماء السورة الواحدة:

(فصل) قد يكون للسورة اسم واحد وهو كثير، وقد يكون لها اسمان فأكثر.

من ذلك (الفاتحة): وقد وقفت لها على نيف وعشرين اسماً، وذلك يدل على شرفها، فإن كثرة الأسماء دالة على شرف المسمى أحدها: فاتحة الكتاب. أخرج ابن جرير من طريق ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «هي أم القرآن وهي فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني».

وسميت بذلك لأنه يفتتح بها في المصاحف وفي التعليم وفي القراءة في الصلاة، وقيل لأنها أول سورة نزلت، وقيل بأنها أول سورة كتبت في اللوح المحفوظ، حكاه المرسي وقال: إنه يحتاج إلى نقل. وقيل لأن الحمد فاتحة كل كلام، وقيل لأنها فاتحة كل كتاب، حكاه المرسي. وردّه بأن الذي افتتح به كل كتاب هو الحمد فقط لا جميع السورة، وبأن الظاهر أن المراد بالكتاب القرآن لا جنس الكتاب. قال: لأنه قد روي من أسمائها فاتحة القرآن فيكون المراد بالكتاب والقرآن واحداً.

ثانيها: (فاتحة القرآن)، كما أشار إليه المرسي.

الفاتحة أم الكتاب:

وثالثها ورابعها: (أم الكتاب وأم القرآن)، وقد كره ابن سيرين أن تسمى أم الكتاب، وكره الحسن أن تسمى أم القرآن، ووافقهما تقيّ الدين بن مخلد، لأن أم الكتاب هو اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿وعنده أمُّ الكِتَابِ﴾ ﴿وإنه في أمّ الكِتَابِ﴾ وآيات الحلال والحرام، قال تعالى: ﴿آيات محكمات هُنّ أمُّ الكِتابِ﴾ قال المرسي: وقد روي حديث لا يصح: «لا يقولن أحدكم أم الكتاب وليقل فاتحة الكتاب». قلت: هذا لا أصل له في شيء من كتب الحديث، وإنما أخرجه ابن الضريس بهذا اللفظ عن ابن سيرين فالتبس على المرسي، وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة تسميتها بذلك. فأخرج الدارقطني وصححه من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «إذا قرأتم الحمد فاقرؤوا بسم الله الرحمن الرحيم، إنها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني».

واختلف لمَ سميت بذلك؟ فقيل لأنها يبدأ بكتابتها في المصاحف وبقراءتها في الصلاة قبل السورة. قال أبو عبيدة في إعجازه: وجزم به البخاري في صحيحه واستشكل بأن ذلك يناسب تسميتها فاتحة الكتاب لا أم الكتاب. وأجيب بأن ذلك بالنظر إلى أن الأم مبدأ الولد.

قال الماوردي: سميت بذلك لتقدمها وتأخر ما سواها تبعاً لها لأنها أمته: أي تقدمته، ولهذا يقال لراية الحرب أم لتقدمها واتباع الجيش لها، ويقال لما مضى من سني إنسان أمّ لتقدمها، ولمكة أم القرى على سائر القرى. وقيل أم الشيء أصله، وهي أصل القرآن لانطوائها على جميع أغراض القرآن وما فيه من العلوم والحكم كما سيأتي تقريره في النوع الثالث والسبعين.

وقيل سميت بذلك لأنها أفضل السور كما يقال لرئيس القوم أم القوم. وقيل لأن حرمتها كحرمة القرآن كله. وقيل لأن مفزع أهل الإيمان إليها، كما يقال

للراية أم لأن مفزع العسكر إليها. وقيل لأنها محكمة والمحكمات أم الكتاب.

الفاتحة هي السبع المثاني:

خامسها: (القرآن العظيم)، روى أحمد عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال لأم القرآن «هي أم القرآن، وهي السبع المثاني، وهي القرآن العظيم» وسميت بذلك لاشتمالها على المعاني التي في القرآن.

سادسها: السبع المثاني، ورد تسميتها بذلك في الحديث المذكور وأحاديث كثيرة، أما تسميتها سبعاً فلأنها سبع آيات. أخرج الدارقطني ذلك عن عليّ. وقيل فيها سبعة آداب، في كل آية أدب، وفيه بعد.

وقيل لأنها خلت من سبعة أحرف الثاء والجيم والخاء والزاي والشين والظاء والفاء. قال المرسي: وهذا أضعف مما قبله لأن الشيء إنما يسمى بشيء وجد فيه لا بشيء فقد منه.

وأما المثاني: فيحتمل أن يكون مشتقاً من الثناء لما فيها من الثناء على الله تعالى، ويحتمل أن يكون من الثنيا لأن الله استثناها لهذه الأمة، ويحتمل أن يكون من التثنية، قيل لأنها تثنى في كل ركعة، ويقوّيه ما أخرجه ابن جرير بسند حسن عن عمر قال: السبع المثاني فاتحة الكتاب، تثنى في كل ركعة. وقيل لأنها تثنى بسورة أخرى. وقيل لأنها نزلت مرتين. وقيل لأنها نزلت على قسمين ثناء ودعاء. وقيل لأنها كلما قرأ العبد منها آية ثناه الله بالإخبار عن فعله كما في الحديث. وقيل لأنها اجتمع فيها فصاحة المباني وبلاغة المعاني. وقيل غير ذلك.

الفاتحة هي الوافية:

سابعها: (الوافية)، كان سفيان بن عيينة يسميها به لأنها وافية بما في القرآن من المعاني، قاله في الكشاف. وقال الثعلبي: لأنها لا تقبل التصنيف، فإن كل

سورة من القرآن لو قرىء نصفها في ركعة والنصف الثاني في أخرى لجاز بخلافها. قال المرسي: لأنها جمعت بين ما لله وبين ما للعبد.

ثامنها: (الكنز)، لما تقدم في أم القرآن، قاله في الكشاف، وورد تسميتها بذلك في حديث أنس السابق في النوع الرابع عشر.

تاسعها: (الكافية)، لأنها تكفي في الصلاة عن غيرها ولا يكفي غيرها عنها.

عاشرها: (الأساس)، لأنها أصل القرآن وأول سورة فيه.

حادي عشرها: (النور)، ثاني عشرها وثالث عشرها: (سورة الحمد)، و (سورة الشكر). رابع عشرها وخامس عشرها: (سورة الحمد الأولى)، و (سورة الحمد القصرى). سادس عشرها وسابع عشرها وثامن عشرها: (الراقية) و(الشفاء) و(الشافية) للأحاديث الآتية في نوع الخواص.

تاسع عشرها: (سورة الصلاة)، لتوقف الصلاة عليها. وقيل إن من أسمائها (الصلاة) أيضاً لحديث «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين» أي السورة. قال المرسي: لأنها من لوازمها، فهو من باب تسمية الشيء باسم لازمه، وهذا الاسم العشرون. الحادي والعشرون: (سورة الدعاء)، لاشتمالها عليه في قوله اهدنا. الثاني والعشرون: (سورة السؤال)، لذلك ذكره الإمام فخر الدين. الثالث والعشرون: (سورة تعليم المسألة). قال المرسي: لأن فيها آداب السؤال لأنها بدئت بالثناء قبله. الرابع والعشرون: (سورة المناجاة)، لأن العبد يناجي فيها ربه بقوله ﴿إياك نعبدُ وإياك نستعين﴾ الخامس والعشرون: (سورة التفويض)، لاشتمالها عليه في قوله: ﴿وإياك نستعين﴾ فهذا ما وقفت عليه من أسمائها ولم تجتمع في كتاب قبل هذا.

اسماء سورة البقرة:

ومن ذلك (سورة البقرة) كان خالد بن معدان يسميها (فسطاط القرآن). وورد في حديث مرفوع في مسند الفردوس: وذلك لعظمها ولما جمع فيها من الأحكام التي لم تذكر في غيرها. وفي حديث المستدرك تسميتها (سنام القرآن)، وسنام كل شيء أعلاه.

(وآل عمران) روي سعيد بن منصور في سننه عن أبي عطاف قال: اسم آل عمران في التوراة (طيبة)، وفي صحيح مسلم تسميتها والبقرة (الزهراوين).
(والمائدة) تسمى أيضاً (العقود) و (المنقذة). قال ابن الغرس: لأنها تنقذ صاحبها من ملائكة العذاب.

و(الأنفال) أخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة الأنفال، قال: تلك (سورة بدر).

أسماء سورة براءة:

(وبراءة) تسمى أيضاً (التوبة) لقوله فيها: ﴿لقد تابَ اللهُ على النبي﴾ الآية. و(الفاضحة)، أخرج البخاري عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة، قال: التوبة بل هي الفاضحة، ما زالت تنزل ومنهم ومنهم حتى ظننا أن لا يبقى أحد منا إلا ذكر فيها.

وأخرج أبو الشيخ عن عكرمة قال: قال عمر: ما فرغ من تنزيل براءة حتى ظننا أنه لم يبق منا أحد إلا سينزل فيه، وكانت تسمى الفاضحة وسورة العذاب. أخرج الحاكم في المستدرك عن حذيفة قال: التي تسمون سورة التوبة هي سورة العذاب. أخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال: كان عمر بن الخطاب إذا ذكر له سورة براءة فقيل سورة التوبة، قال: هي إلى العذاب أقرب، ما كادت تقلع عن الناس حتى ما كادت تبقى منهم أحداً.

و(المقشقشة)، أخرج أبو الشيخ عن زيد بن أسلم أن رجلاً قال لابن عمر: سورة التوبة، فقال: وأيتهن سورة التوبة؟ فقال: براءة، فقال: وهل فعل بالناس الأفاعيل إلا هي؟ ما كنا ندعوها إلا بالمقشقشة: أي المبرئة من النفاق والمنقرة.

أخرج أبو الشيخ عن عبيد بن عمير قال: كانت تسمى (براءة المنقرة) نقرت عما في قلوب المشركين، و(البَحوث) بفتح الباء. أخرج الحاكم عن المقداد أنه قيل له: لو قعدت العام عن الغزو؟ قال: أتت علينا البحوث: يعني براءة الحديث. و(الحافرة)، ذكره ابن الغرس لأنها حفرت عن المنافقين. و(المثيرة)، أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: كانت هذه السورة تسمى (الفاضحة)، فاضحة المنافقين، وكان يقال لها (المثيرة) أنبأت بمثالبهم وعوراتهم..

حكي ابن الغرس: من أسمائها (المبعثرة)، وأظنه تصحيف المنقرة، فإن صح كملت الأسماء عشرة، ثم رأيته كذلك المبعثرة بخط السخاوي في جمال القراء، وقال: لأنها بعثرت عن أسرار المنافقين. وذكر فيه أيضاً من أسمائها (المخزية) و(المتكلة) و(المشردة) و(المدمدمة).

(النحل) قال قتادة: تسمى سورة (النعم)، أخرج ابن أبي حاتم. قال ابن الغرس: لما عدّد الله فيها من النعم على عباده.

(الإسراء) تسمى أيضاً (سورة سبحان) و(سورة بني إسرائيل).

(الكهف) ويقال لها سورة (أصحاب الكهف)، كذا في حديث أخرجه ابن مردويه. وروي البيهقي من حديث ابن عباس مرفوعاً أنها تدعى في التوراة (الحائلة)، تحول بين قارئها وبين النار. وقال: إنه متكر.

(طه) تسمى أيضاً سورة (الكليم)، ذكره السخاوي في جمال القراء.

(الشعراء) وقع في تفسير الإمام مالك تسميتها بسورة (الجامعة). (النمل)

تسمى أيضاً (سورة سليمان). (السجدة) تسمى أيضاً (المضاجع). (فاطر) تسمى (سورة الملائكة).

أسماء سورة يس:

(يسۤ) سماها ﷺ (قلب القرآن)، أخرجه الترمذي من حديث أنس. وأخرج البيهقي من حديث أبي بكر مرفوعاً: سورة يسۤ تدعى في التوراة (المعمة)، تعم صاحبها بخيري الدنيا والآخرة. وتدعى (المدافعة) و(القاضية): تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضي له كل حاجة. وقال إنه حديث منكر (الزمر) تسمى سورة (الغرف). (غافر) تسمى (سورة الطول) و(المؤمن) لقوله تعالى فيها (وقال رجل مؤمن). (فصلت) تسمى (السجدة) و(سورة المصابيح). (الجاثية) تسمى (الشريعة) و(سورة الدهر)، حكاه الكرماني في العجائب.

(سورة محمد ﷺ) تسمى (القتال). (ق) تسمى (سورة الباسقات). (اقتربت) تسمى (القمر). وأخرج البيهقي عن ابن عباس أنها تدعى في التوراة (المبيضة)، تبيض وجه صاحبها يوم تسود الوجوه. وقال: إنه منكر.

الرحمن عروس القرآن:

(الرحمن) سميت في حديث (عروس القرآن)، أخرجه البيهقي عن عليّ مرفوعاً. (المجادلة) سميت في مصحف أُبيّ (الظهار).

(الحشر) أخرج البخاري عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة الحشر، قال: قل سورة بني النضير. قال ابن حجر: كأنه كره تسميتها بالحشر لئلا يظن أن المراد يوم القيامة، وإنما المراد به ها هنا إخراج بني النضير.

(الممتحنة) قال ابن حجر: المشهور في هذه التسمية أنها بفتح الحاء وقد

تكسر، فعلى الأول هي صفة المرأة التي نزلت السورة بسببها، وعلى الثاني هي صفة السورة كما قيل لبراءة الفاضحة. وفي جمال القراء: تسمى أيضاً (سورة الامتحان) و(سورة المرأة). (الصف) تسمى أيضاً (سورة الحواريين).

أسماء سورة الطلاق:

(الطلاق) تسمى (سورة النساء القصرى)، وكذا سماها ابن مسعود، أخرجه البخاري وغيره، وقد أنكره الداودي فقال: لا أرى قوله القصرى محفوظاً، ولا يقال في سورة من القرآن قصرى ولا صغرى. قال ابن حجر: وهو ردّ للأخبار الثابتة بلا مستند، والقصر والطول أمر نسبي. وقد أخرج البخاري عن زيد بن ثابت أنه قال: طولى الطوليين، وأراد بذلك سورة الأعراف.

(التحريم) يقال لها (سورة المتحرم) وسورة (لمَ تحرم).

أسماء سورة تبارك:

(تبارك) تسمى (سورة الملك). وأخرج الحاكم وغيره عن ابن مسعود قال: هي في التوراة سورة الملك، وهي (المانعة)، تمنع من عذاب القبر. وأخرج الترمذي من حديث ابن عباس مرفوعاً: هي (المانعة) هي (المنجية)، تنجيه من عذاب القبر. وفي مسند عبيد من حديث أنها (المنجية) و(المجادلة)، تجادل يوم القيامة عند ربها لقارئها. وفي تاريخ ابن عساكر من حديث أنس أن رسول الله ﷺ سماها (المنجية). وأخرج الطبراني عن ابن مسعود قال: كنا نسميها في عهد رسول الله ﷺ (المانعة) وفي جمال القراء: تسمى أيضاً (الواقية) و(المانعة).

(سأل) تسمى (المعارج) و(الواقع). (عم) يقال لها (النبأ) و(التساؤل) و(المعصرات)، (لم يكن) تسمى (سورة أهل الكتاب)، وكذلك سميت في مصحف أبيّ، (وسورة البينة) و(سورة القيامة) و(سورة البرية) و(سورة

الانفكاك)، ذكر ذلك في جمال القراء.

(أرأيت) تسمى (سورة الدين) و(سورة الماعون).

(الكافرون) تسمى (المقشقشة)، أخرجه ابن أبي حاتم عن زرارة بن أوفى. قال في جمال القراء: وتسمى أيضاً (سورة العبادة).

قال: وسورة (النصر) تسمى (سورة التوديع) لما فيها من الإيماء إلى وفاته ﷺ. قال: وسورة (تبت) تسمى (سورة المسد).

و(سورة الإخلاص) تسمى (الأساس) لاشتمالها على توحيد الله وهو أساس الدين.

قال: (والفلق والناس) يقال لها المعوّذتان، بكسر الواو، المشقشقتان، من قولهم خطيب مشقشق.

سبب اختصاص السور بأسماء معينة:

[تنبيه] قال الزركشي في البرهان: ينبغي البحث عن تعداد الأسامي، هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان الثاني فلم يعدم الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسماء لها وهو بعيد. قال: وينبغي النظر في اختصاص كل سورة بما سميت به.

ولا شك أن العرب تراعي في كثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى، ويسمون الجملة من الكلام والقصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور القرآن، كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة قصة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها.

وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردّد فيها شيء كثير من أحكام النساء،

وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها، وإن كان ورد لفظ الأنعام في غيرها، إلا أن التفصيل الوارد في قوله تعالى: ﴿ومن الأنعام حمولة وفرشاً﴾ إلى قوله ﴿أم كنتم شهداء﴾ لم يرد في غيرها، كما ورد ذكر النساء في سور، إلا أن ما تكرّر وبسط من أحكامهن لم يرد في غير سورة النساء. وكذا سورة المائدة لم يرد ذكر المائدة في غيرها فسميت بما يخصها.

قال: فإن قيل قد ورد في سورة هود ذكر نوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى فلمَ خصت باسم هود وحده مع أن قصة نوح فيها أوعب وأطول؟ قيل تكررت هذه القصص في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء بأوعب مما وردت في غيرها، ولم يتكرر في واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود كتكرره في سورته، فإنه تكرر فيها في أربعة مواضع، والتكرار من أقوى الأسباب التي ذكرنا. قال: فإن قيل: فقد تكرر اسم نوح فيها في ستة مواضع، قيل: لم أفردت لذكر نوح وقصته مع قومه سورة برأسها فلم يقع فيها غير ذلك، كانت أولى بأن تسمى باسمه من سورة تضمنت قصته وقصة غيره اهـ.

قلت: ولك أن تسأل فتقول قد سميت سور جرت فيها قصص أنبياء بأسمائها كسورة نوح وسورة هود وسورة إبراهيم وسورة يونس وسورة آل عمران وسورة طس سليمان وسورة يوسف وسورة محمد ﷺ وسورة مريم وسورة لقمان وسورة المؤمن، وقصة أقوام كذلك سورة بني إسرائيل وسورة أصحاب الكهف وسورة الحجر وسورة سبأ وسورة الملائكة وسورة الجن وسورة المنافقين وسورة المطففين، ومع هذا كله لم يفرد لموسى سورة تسمى به مع كثرة ذكره في القرآن حتى قال بعضهم: كاد القرآن أن يكون كله لموسى، وكان أولى سورة أن تسمى به سورة طه أو سورة القصص أو الأعراف لبسط قصته في الثلاثة ما لم يبسط في غيرها، وكذلك قصة آدم ذكرت في عدّة سور ولم تسمّ به سورة كأنه اكتفاء بسورة الإنسان، وكذلك قصة الذبيح من بدائع القصص ولم تسم به سورة الصافات،

وقصة داود ذكرت في ص ولم تسم به: فانظر في حكمة ذلك، على أني رأيت بعد ذلك في جمال القراء للسخاوي أن سورة طه تسمى سورة الكليم، وسماها الهذلي في كامله سورة موسى، وأن سورة ص تسمى سورة داود، ورأيت في كلام الجعبري أن سورة الصافات تسمى سورة الذبيح، وذلك يحتاج إلى مستند من الأثر.

بعض فواتح السور أسماء لها:

(فصل) وكما سميت السورة الواحدة بأسماء سميت سور باسم واحد، كالسور المسماة بآلم والر على القول بأن فواتح السور أسماء لها.

أعراب أسماء السور:

[فائدة في إعراب أسماء السور] قال أبو حيان في شرح التسهيل: ما سمي منها بجملة تحكى نحو ﴿قل أوحي﴾ ﴿وأتى أمر الله﴾ أو بفعل لا ضمير فيه أعرب إعراب ما لا ينصرف إلا ما في أوله همزة وصل فتقطع ألفه وتقلب تاؤه هاء في الوقف وتكتب هاء على سورة الوقف فتقول قرأت اقتربة، وفي الوقف اقتربه.

أما الإعراب فلأنها صارت اسماً والأسماء معربة إلا لموجب بناء. وأما قطع همزة الوصل فلأنها لا تكون في الأسماء إلا في ألفاظ محفوظة لا يقاس عليها. وأما قلب تائها هاء فلأن ذلك حكم تاء التأنيث التي في الأسماء. وأما كتبها هاء فلأن الخط تابع للوقف غالباً.

وما سمي منها باسم فإن كان من حروف الهجاء وهو حرف واحد وأضفت إليه سورة فعند ابن عصفور أنه موقوف لا إعراب فيه، وعند الشلوبين يجوز فيه وجهان: الوقف، والإعراب. أما الأول ويعبر عنه بالحكاية فلأنها حروف مقطعة

تحكى كما هي.

وأما الثاني فعلى جعله أسماء لحروف الهجاء، وعلى هذا يجوز صرفه بناء على تذكير الحرف ومنعه بناء على تأنيثه، فإن لم تضف إليه سورة لا لفظاً ولا تقديراً فلك الوقف والإعراب مصروفاً وممنوعاً وإن كان أكثر من حرف.

فإن وازن الأسماء الأعجمية كطس وحم وأضيفت إليه سورة أم لا فلك الحكاية والإعراب ممنوعاً لموازنة قابيل وهابيل وان يوازن فإن أمكن فيه التركيب كطسم وأضيفت إليه سورة فلك الحكاية والإعراب، إما مركباً مفتوح النون كحضرموت أو معرب النون مضافاً لما بعده ومصروفاً وممنوعاً على اعتقاد التذكير والتأنيث، وإن لم تضف إليه سورة فالوقف على الحكاية والبناء كخمسة عشر والإعراب ممنوعاً.

وإن لم يكن التركيب فالوقف ليس إلا أضفت إليه سورة أم لا، نحو كهيعص وحمعسق، ولا يجوز إعرابه لأنه لا نظير له في الأسماء المعربة ولا تركيبه مزجاً لأنه لا يركب كذلك أسماء كثيرة. وجوز يونس إعرابه ممنوعاً. وما سمي منها باسم غير حرف هجاء، فإن كان فيه اللام انجر نحو الأنفال والأعراف والأنعام، إلا منع الصرف إن لم تضف إليه سورة نحو هذه هود ونوح، وقرأت هوداً ونوحاً.

وإن أضيفت بقي على ما كان عليه قبل، فإن كان فيه ما يوجب المنع منع نحو قرأت سورة يونس وإلا صرف نحو سورة نوح وسورة هود. انتهى ملخصاً.

القرآن أربعة أقسام:

[خاتمة] قسم القرآن إلى أربعة أقسام، وجعل لكل قسم منه اسم. أخرج أحمد وغيره من حديث واثلة بن الأسقع أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت

مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل» وسيأتي مزيد كلام في النوع الذي يلي هذا إن شاء الله تعالى.

وفي جمال القراء: قال بعض السلف: في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس ودبابيج ورياض، فميادينه ما افتتح بالم، وبساتينه ما افتتح بالمر، ومقاصيره الحامدات، وعرائسه المسبحات، ودبابيجه آل عمران، ورياضه المفصل، وقالوا الطواسم والطواسين وآل حم والحواميم.

قلت: وأخرج الحاكم عن ابن مسعود قال: الحواميم ديباج القرآن.

قال السخاوي: وقوارع القرآن الآيات التي يتعوّذ بها ويتحصن، سميت بذلك لأنها تفزع الشيطان وتدفعه وتقمعه كآية الكرسي والمعوذتين ونحوها. قلت: وفي مسند أحمد من حديث معاذ بن أنس مرفوعاً آية العزّ ﴿الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً﴾ الآية.

النوع الثامن عشر: في جمعه وترتيبه

قيل لم يجمع القرآن على عهد النبي:

قال الدير عاقولي في فوائده: حدثنا إبراهيم بن بشار، حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبيد عن زيد بن ثابت قال: قبض النبي ﷺ ولم يكن القرآن جمع في شيء. قال الخطابي: إنما لم يجمع ﷺ القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر. وأما ما أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن» الحديث، فلا ينافي ذلك، لأن الكلام في كتابة مخصوصة على صفة مخصوصة، وقد كان القرآن كتب كله في عهد رسول الله ﷺ لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور.

جمع القرآن ثلاث مرات:

قال الحاكم في المستدرك: جمع القرآن ثلاث مرات. إحداها: بحضرة النبي ﷺ. ثم أخرج بسند على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت قال: «كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع» الحديث. وقال البيهقي: شبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النبي ﷺ.

الثانية: بحضرة أبي بكر، روى البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت قال: أرسل إليَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، فقلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هو والله خير، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك رأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن اجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُم رَسُولٌ﴾ حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر.

علي يحفظ القرآن:

وأخرج ابن أبي داود في المصاحف بسند حسن عن عبد خير قال: سمعت علياً يقول: أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع كتاب الله. لكن أخرج أيضاً من طريق ابن سيرين قال: قال عليّ: لما مات رسول الله ﷺ آليت أن لا آخذ عَلَيَّ ردائي إلا لصلاة جمعة حتى أجمع القرآن فجمعته. قال ابن حجر: هذا الأثر ضعيف لانقطاعه، وبتقدير صحته فمراده بجمعه حفظه في صدره، وما تقدم من رواية عبد خير عنه صح فهو المعتمد.

قلت: قد ورد من طريق أخرى أخرجه ابن الضريس في فضائله: حدثنا بشر ابن موسى، حدثنا هودة بن خليفة، حدثنا عون عن محمد بن سيرين عن عكرمة قال: لما كان بعد بيعة أبي بكر قعد عليّ بن أبي طالب في بيته. فقيل لأبي بكر: قد كره بيعتك، فأرسل إليه، فقال: أكرهت بيعتي؟ قال: لا والله. قال: ما أقعدك عني؟ قال: رأيت كتاب الله يزاد فيه فحدثت نفسي أن لا ألبس ردائي إلا لصلاة حتى أجمعه، قال له أبو بكر: فإنك نعم ما رأيت، قال محمد: فقلت لعكرمة: ألفوه كما أنزل الأول فالأول. قال: لو اجتمعت الإنس والجن على أن يؤلفوه هذا التأليف ما استطاعوا. وأخرجه ابن أشتة في المصاحف من وجه آخر عن ابن سيرين، وفيه أنه كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ، وأن ابن سيرين قال: تطلبت ذلك الكتاب وكتبت فيه إلى المدينة فلم أقدر عليه.

من أسباب جمع القرآن:

وأخرج ابن أبي داود من طريق الحسن أن عمر سأل عن آية من كتاب الله، فقيل: كانت مع فلان قتل يوم اليمامة. فقال: إنا لله، وأمر بجمع القرآن، فكان أول من جمعه في المصحف. إسناده منقطع، والمراد بقوله «فكان أول من جمعه» أي أشار بجمعه. قلت: ومن غريب ما ورد في أول من جمعه ما أخرجه ابن أشتة في كتاب المصاحف من طرق كهمس عن ابن بريدة قال: أول من جمع القرآن في مصحف سالم مولى أبي حذيفة، أقسم لا يرتدي برداء حتى يجمعه فجمعه، ثم ائتمروا ما يسمونه فقال بعضهم: سموه السفر، قال: ذلك تسمية اليهود فكرهوه، فقال: رأيت مثله بالحبشة يسمى المصحف، فاجتمع رأيهم على أن يسموه المصحف. إسناده منقطع أيضاً وهو محمول على أنه كان أحد الجامعين بأمر أبي بكر.

زيد يجمع القرآن:

وأخرج ابن أبي داود من طريق يحي بن عبد الرحمن بن حاطب قال: قدم عمر فقال: من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأت به، وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان، وهذا يدل على أن زيداً كان لا يكتفي بمجرد وجدانه مكتوباً حتى يشهد به من تلقاه سماعاً مع كون زيد كان يحفظ، فكان يفعل ذلك مبالغة في الاحتياط.

وأخرج ابن أبي داود أيضاً من طريق هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر قال لعمر ولزيد: اقعدا على باب المسجد. فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه. رجاله ثقات مع انقطاعه.

قال ابن حجر: «وكأن المراد بالشاهدين الحفظ والكتاب» وقال السخاوي في جمال القراء: المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله ﷺ، أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن. قال أبو شامة: وكان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي ﷺ لا من مجرد الحفظ. قال: ولذلك قال في آخر سورة التوبة: لم أجدها مع غيره: أي لم أجدها مكتوبة مع غيره، لأنه كان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة. قلت: أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك مما عرض على النبي ﷺ عام وفاته، كما يؤخذ مما تقدم آخر النوع السادس عشر.

أول من جمع القرآن:

وقد أخرج ابن أشتة في المصاحف عن الليث بن سعد قال: أول من جمع القرآن أبو بكر، وكتبه زيد، وكان الناس يأتون زيد بن ثابت فكان لا يكتب آية إلا بشاهدي عدل، وإن آخر سورة براءة لم توجد إلا مع أبي خزيمة بن ثابت

فقال: اكتبوها، فإن رسول الله ﷺ جعل شهادته بشهادة رجلين فكتب، وإن عمر أتي بآية الرجم فلم يكتبها لأنه كان وحده.

النبي أمر بكتابة القرآن:

وقال الحارث المحاسبي في كتاب فهم السنن: كتابة القرآن ليست بمحدثة، فإنه ﷺ كان يأمر بكتابته، ولكنه كان مفرقاً في الرقاع والأكتاف والعسب، فإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعاً، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله ﷺ فيها القرآن منتشراً، فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء.

قال: فإن قيل: كيف وقعت الثقة بأصحاب الرقاع وصدور الرجال؟ قيل لأنهم كانوا يبدون عن تأليف معجز ونظم معروف قد شاهدوا تلاوته من النبي ﷺ عشرين سنة، فكان تزوير ما ليس منه مأموناً، وإنما كان الخوف من ذهاب شيء من صحفه. وقد تقدم في حديث زيد أنه جمع القرآن من العسب واللخاف. وفي رواية: والرقاع. وفي أخرى: وقطع الأديم. وفي أخرى: والأكتاف. وفي أخرى: والأضلاع. وفي أخرى: والأقتاب. والعسب جمع عسيب وهو جريد النخل، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض. واللخاف بكسر اللام وبخاء معجمة خفيفة آخره فاء جمع لخفة بفتح اللام وسكون الخاء، وهي الحجارة الدقاق. وقال الخطابي: صفائح الحجارة. والرقاع جمع رقعة، وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد. والأكتاف جمع كتف، وهو العظم الذي للبعير أو الشاة، كانوا إذا جفّ كتبوا عليه. والأقتاب جمع قتب، وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه.

وفي موطأ ابن وهب عن مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبدالله بن عمر قال: جمع أبو بكر القرآن في قراطيس، وكان سأل زيد بن ثابت في ذلك فأبى،

حتى استعان عليه بعمر ففعل.

مقتل القراء عجل في كتابة القرآن:

وفي مغازي موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: لما أصيب المسلمون باليمامة فزع أبو بكر وخاف أن يذهب من القرآن طائفة، فأقبل الناس بما كان معهم وعندهم حتى جمع على عهد أبي بكر في الورق، فكان أبو بكر أول من جمع القرآن في المصحف. قال ابن حجر: ووقع في رواية عمارة بن غزية أن زيد بن ثابت قال: فأمرني أبو بكر فكتبته في قطع الأديم والعسب، فلما توفى أبو بكر وكان عمر كتبت ذلك في صحيفة واحدة فكانت عنده. قال: والأول أصح، إنما كان في الأديم والعسب أولاً قبل أن يجمع في عهد أبي بكر، ثم جمع في الصحف في عهد أبي بكر كما دلت عليه الأخبار الصحيحة المترادفة.

عثمان يعيد كتابة القرآن:

قال الحاكم: والجمع الثالث هو ترتيب السور في زمن عثمان. روى البخاري عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل إلى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردّها إليك، فأرسلت بها إلى حفصة، فأمر زيد بن ثابت عبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق. قال زيد

ففقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري ﴿من المؤمنين رِجَالٌ صدقُوا ما عَاهدُوا اللهَ عليه﴾ فألحقناها في سورتها في المصحف. قال ابن حجر: وكان ذلك في سنة خمس وعشرين. قال: وغفل بعض من أدركناه فزعم أنه كان في حدود سنة ثلاثين. ولم يذكر له مستنداً انتهى.

رواية أخرى عن كتابة عثمان:

وأخرج ابن أشتة من طريق أيوب عن أبي قلابة قال: حدثني رجل من بني عامر يقال له أنس بن مالك قال: اختلفوا في القرآن على عهد عثمان حتى اقتتل الغلمان والمعلمون. فبلغ ذلك عثمان بن عفان فقال: عندي تكذبون به وتلحنون فيه، فمن نأى عني كان أشد تكذيباً وأكثر لحناً، يا أصحاب محمد اجتمعوا فاكتبوا للناس إماماً، فاجتمعوا فكتبوا، فكانوا إذا اختلفوا وتدارءوا في أيّ آية قالوا هذه أقرأها رسول الله ﷺ فلاناً، فيرسل إليه وهو على رأس ثلاث من المدينة، فيقال له كيف أقرأك رسول الله ﷺ آية كذا وكذا فيقول كذا وكذا، فيكتبونها وقد تركوا لذلك مكاناً.

وأخرج ابن أبي داود من طريق محمد بن سيرين عن كثير بن أفلح قال: لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار، فبعثوا إلى الربعة التي في بيت عمر فجيء بها، وكان عثمان يتعاهدهم، فكانوا إذا اندرءوا في شيء أخروه. قال محمد: فظننت أنما كانوا يؤخرونه لينظروا أحدثهم عهداً بالعرضة الأخيرة فيكتبونه على قوله.

وأخرج ابن أبي داود بسند صحيح عن سويد بن غفلة قال: قال عليّ لا تقولوا في عثمان إلا خيراً، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا قال ما تقولون في هذه القراءة، فقد بلغني أن بعضهم يقول إن قراءتي خير من

قراءتك، وهذا يكاد يكون كفراً، قلنا: فما ترى؟ قال: أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف، قلنا: فنعم ما رأيت.

الفرق بين جمع أبي بكر وعثمان:

قال ابن التين وغيره: الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته، لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد فجمعه في صحائف مرتباً لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي ﷺ، وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرأوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدّى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض، فخشي من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجاً بأنه نزل بلغتهم، وإن كان قد وسع في قراءته بلغة غيرهم رفعاً للحرج والمشقة في ابتداء الأمر، فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت فاقتصر على لغة واحدة.

وقال القاضي أبو بكر في الانتصار: لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي ﷺ، وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل أثبت مع تنزيل، ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته، وحفظه خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد.

وقال الحارث المحاسبي: المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان، وليس كذلك، إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات، فأما قبلَ ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن، فأما السابق إلى

جمع الجملة فهو الصديق، وقد قال علي: لو وليت لعملت بالمصاحف التي عمل بها عثمان. انتهى.

عدد مصاحف عثمان:

[فائدة] اختلف في عدة المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الآفاق، المشهور أنها خمسة. وأخرج ابن أبي داود من طريق حمزة الزيات قال: أرسل عثمان أربعة مصاحف. قال ابن أبي داود: وسمعت أبا حاتم السجستاني يقول: كتب سبعة مصاحف، فأرسل إلى مكة، والشام، وإلى اليمن، وإلى البحرين، وإلى البصرة، وإلى الكوفة، وحبس بالمدينة واحداً.

ترتيب الآيات توقيفي:

(فصل) الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك. أما الإجماع فنقله غير واحد منهم الزركشي في البرهان وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته، وعبارته: ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين انتهى. وسيأتي من نصوص العلماء ما يدل عليه.

وأما النصوص فمنها حديث زيد السابق «كنا عند النبي ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع».

ومنها ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال: قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال؟ فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السورة ذات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب

فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال.

ومنها: ما أخرجه أحمد بإسناد حسن عن عثمان ابن أبي العاص قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ إذ شخص ببصره ثم صوّبه ثم قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى﴾ إلى آخرها.

ومنها: ما أخرجه البخاري عن ابن الزبير قال: قلت لعثمان ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً﴾ قد نسختها الآية الأخرى فلم تكتبها أو تدعها، قال: يا ابن أخي لا أغير شيئاً من مكانه.

ومنها: ما رواه مسلم عن عمر قال: « ما سألت النبي ﷺ عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة حتى طعن بأصبعه في صدري وقال: تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء ».

ومنها: الأحاديث في خواتيم سورة البقرة. ومنها: ما رواه مسلم عن أبي الدرداء مرفوعاً: « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال ». وفي لفظ عنده: « من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف »..

ومن النصوص الدالة على ذلك إجمالاً ما ثبت من قراءته ﷺ لسور عديدة كسورة البقرة وآل عمران والنساء في حديث حذيفة، والأعراف في صحيح البخاري أنه قرأها في المغرب. و(قد أفلح) روى النسائي أنه قرأها في الصبح

حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون أخذته سعلة فركع. والروم: روى الطبراني أنه قرأها في الصبح. و﴿ألم تنزيل﴾ و﴿هل أتى على الإنسان﴾، روى الشيخان أنه كان يقرؤهما في صبح الجمعة. وق في صحيح مسلم أنه كان يقرؤها في الخطبة. والرحمن: في المستدرك وغيره: أنه قرأها على الجن. والنجم: في الصحيح أنه قرأها بمكة على الكفار وسجد في آخرها. واقتربت: عند مسلم أنه كان يقرؤها مع ق في العيد. والجمعة والمنافقون: في مسلم أنه كان يقرأ بهما في صلاة الجمعة. والصف: في المستدرك عن عبد الله بن سلام أنه ﷺ قرأها عليهم حين أنزلت حتى ختمها في سور شتى من المفصل، تدل قراءته ﷺ لها بمشهد من الصحابة أن ترتيب آياتها توقيفي، وما كان الصحابة ليرتبوا ترتيباً سمعوا النبي ﷺ يقرأ على خلافه، فبلغ ذلك مبلغ التواتر. نعم يشكل على ذلك ما أخرجه ابن أبي داود في المصاحف من طريق ابن محمد بن إسحاق عن يحي بن عباد بن عبد الله ابن الزبير عن أبيه قال: أتى الحارث بن خزيمة بهاتين الآيتين من آخر سورة براءة فقال: أشهد أني سمعتهما من رسول الله ﷺ ووعيتهما، فقال عمر: وأنا أشهد لقد سمعتها ثم قال: لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة، فانظروا آخر سورة من القرآن فألحقوها في آخرها.

قال ابن حجر: ظاهر هذا أنهم كانوا يؤلفون آيات السور باجتهادهم، وسائر الأخبار تدل على أنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك إلا بتوقيف. قلت: يعارضه ما أخرجه ابن أبي داود من طريق أبي العالية عن أُبيّ بن كعب أنهم جمعوا القرآن، فلما انتهوا إلى الآية التي في سورة براءة: ﴿ثم انصرَفُوا صرَفَ اللهُ قُلُوبَهُم بأنهم قومٌ لا يفقهون﴾ ظنوا أن هذا آخر ما أنزل، فقال أُبيّ إن رسول الله ﷺ أقرأني بعد هذا آيتين ﴿لقد جاءَكُمْ رسولٌ﴾ إلى آخر السورة.

وقال مكي وغيره: ترتيب الآيات في السور بأمر من النبي ﷺ ولم يأمر بذلك في أول براءة تركت بلا بسملة.

وقال القاضي أبو بكر في الانتصار: ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم، فقد كان جبريل يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا. وقال أيضاً: الذي نذهب إليه أن جميع القرآن الذي أنزله الله وأمر بإثبات رسمه ولم ينسخه ولا رفع تلاوته بعد نزوله هو هذا الذي بين الدفتين الذي حواه مصحف عثمان وأنه لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى ورتبه عليه رسوله من آي السور لم يقدم من ذلك مؤخر ولا أخر منه مقدم، وإن الأمة ضبطت عن النبي ﷺ ترتيب آي كل سورة و مواضعها، وعرفت مواقعها، كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة، وأنه يمكن أن يكون الرسول ﷺ قد رتب سوره، وأن يكون قد وكل ذلك إلى الأمة بعده ولم يتولّ ذلك بنفسه. قال: وهذا الثاني أقرب.

وأخرج عن ابن وهب قال: سمعت مالكاً يقول: إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي ﷺ. وقال البغوي في شرح السنة: الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله على رسوله من غير أن زادوا أو نقصوا منه شيئاً خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله ﷺ من غير أن قدموا شيئاً وأخروا، أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذوه من رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا، فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب. أنزله الله جملة إلى السماء الدنيا، ثم كان ينزله مفرّقاً عند الحاجة.

وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة. وقال ابن الحصار: ترتيب السور ووضع

الآيات مواضعها إنما كان بالوحي، كان رسول الله ﷺ يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله ﷺ، ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف.

ترتيب السور:

(فصل) وأما ترتيب السور فهل هو توقيفي أيضاً، أو هو باجتهاد من الصحابة؟ خلاف، فجمهور العلماء على الثاني، منهم مالك والقاضي أبو بكر في أحد قوليه.

قال ابن فارس: جمع القرآن على ضربين: أحدهما تأليف السور كتقديم السبع الطوال وتعقيبها بالمئين، فهذا هو الذي تولته الصحابة. وأما الجمع الآخر وهو جمع الآيات في السور فهو توقيفي، تولاه النبي ﷺ كما أخبر به جبريل عن أمر ربه مما استدل به، ولذلك اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور، فمنهم من رتبها على النزول وهو مصحف عليّ، كان أوله اقرأ ثم المدثر ثم نون ثم المزمل ثم تبت ثم التكوير، وهكذا إلى آخر المكي والمدني، وكان أول مصحف ابن مسعود البقرة ثم النساء ثم آل عمران على اختلاف شديد، وكذا مصحف أبيّ وغيره.

وأخرج ابن أشتة في المصاحف من طريق إسماعيل بن عباس عن حبان بن يحي عن أبي محمد القرشي قال: أمرهم عثمان أن يتابعوا الطوال، فجعلت سورة الأنفال وسورة التوبة في السبع ولم يفصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم. وذهب إلى الأول جماعة: منهم القاضي في أحد قوليه.

قال أبو بكر بن الأنباري: أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا ثم فرّقه في بضع وعشرين، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث والآية جواباً لمستخبر، ويوقف جبريل النبي ﷺ على موضع الآية والسورة، فاتساق السور كاتّساق الآيات

والحروف كلها عن النبي ﷺ، فمن قدم سورة أو أخّرها فقد أفسد نظم القرآن.

وقال الكرماني في البرهان: ترتيب السور هكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، وعليه كان ﷺ يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرضه عليه في السنة التي توفي فيها مرتين، وكان آخر الآيات نزولاً ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ فأمره جبريل أن يضعها بين آيتي الربا والدين.

وقال الطيبي: أنزل القرآن أولاً جلة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرّقاً على حسب المصالح، ثم أثبت في المصاحف على التأليف والنظم المثبت في اللوح المحفوظ.

قال الزركشي في البرهان: والخلاف بين الفريقين لفظي، لأن القائل بالثاني يقول إنه رمز إليهم ذلك لعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته، ولهذا قال مالك: إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي ﷺ مع قوله بأن ترتيب السور باجتهاد منهم، فآل الخلاف إلى أنه هل هو بتوقيف قولي أو بمجرد إسناد فعلي بحيث يبقى لهم فيه مجال للنظر، وسبقه إلى ذلك أبو جعفر بن الزبير.

وقال البيهقي في المدخل: كان القرآن على عهد النبي ﷺ مرتباً سوره وآياته على هذا الترتيب إلا الأنفال وبراءة لحديث عثمان السابق.

ومال ابن عطية إلى أن كثيراً من السور كان قد علم ترتيبها في حياته ﷺ كالسبع الطوال والحواميم والمفصل، وأن ما سوى ذلك يمكن أن يكون قد فوّض الأمر فيه إلى الأمة بعده.

وقال أبو جعفر بن الزبير: الآثار تشهد بأكثر مما نص عليه ابن عطية ويبقى

منها قليل يمكن أن يجري فيه الخلاف كقوله: «اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران» رواه مسلم. وكحديث سعيد بن خالد «قرأ ﷺ بالسبع الطوال في ركعة» رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، وفيه أنه عليه الصلاة والسلام كان يجمع المفصل في ركعة. وروى البخاري عن ابن مسعود أنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي، فذكرها نسقاً كما استقرّ ترتيبها. وفي البخاري «أنه ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ: قـل هو الله أحد، والمعوذتين». وقال أبو جعفر النحاس: المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله ﷺ لحديث واثلة: «أعطيت مكان التوراة السبع الطوال» قال: فهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي ﷺ، وأنه من ذلك الوقت، وإنما جمع في المصحف على شيء واحد، لأنه جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله ﷺ على تأليف القرآن.

وقال ابن الحصار: ترتيب السور ووضع الآيات موضعها إنما كان بالوحي.

وقال ابن حجر: ترتيب بعض السور على بعضها أو معظمها لا يمتنع أن يكون توقيفياً. قال: ومما يدل على أن ترتيبها توقيفي ما أخرجه أحمد وأبو داود عن أوس بن أبي أوس عن حذيفة الثقفي قال: «كنت في الوفد الذين أسلموا من ثقيف» الحديث وفيه «فقال لنا رسول الله ﷺ: طرأ عليّ حزب من القرآن فأردت أن لا أخرج حتى أقضيه» فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ قلنا: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة وثلاث عشرة، وحزب المفصل من ق حتى نختم. قال: فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن كان على عهد رسول الله ﷺ قال: ويحتمل أن الذي كان مرتباً حينئذ حزب المفصل خاصة بخلاف ما عداه.

قلت: وما يدل على أنه توقيفي كون الحواميم رتبت ولاء، وكذا الطواسين، ولم ترتب المسبحات ولاء بل فصل بين سورها، وفصل بين طسم الشعراء وطسم القصص بطس مع أنها أقصر منها، ولو كان الترتيب اجتهادياً لذكرت المسبحات ولاء وأخرت طس عن القصص، والذي ينشرح له الصدر ما ذهب إليه البيهقي وهو أن جميع السور ترتيبها توقيفي إلا براءة والأنفال، ولا ينبغي أن يستدل بقراءته ﷺ سوراً ولاء على أن ترتيبها كذلك. وحينئذ فلا يرد حديث قراءته النساء قبل آل عمران، لأن ترتيب السور في القراءة ليس بواجب، ولعله فعل ذلك لبيان الجواز.

وأخرج ابن أشته في كتاب المصاحف من طريق ابن وهب عن سليمان بن بلال قال: سمعت ربيعة يسأل: لمَ قدمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة بمكة وإنما أنزلتا بالمدينة؟ فقال: قدمتا وألف القرآن على علم ممن ألفه به ومن كان معه فيه واجتماعهم على علمهم بذلك فهذا مما ينتهي إليه ولا يسأل عنه.

السبع الطوال:

[خاتمة] السبع الطوال أولها البقرة وآخرها براءة، كذا قال جماعة، لكن أخرج الحاكم والنسائي وغيرهما عن ابن عباس قال: السبع الطوال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف. قال الراوي: وذكر السابعة فنسيتها.

وفي رواية صحيحة عن ابن أبي حاتم وغيره عن مجاهد وسعيد بن جبير أنها يونس، وتقدم عن ابن عباس مثله في النوع الأول. وفي رواية عند الحاكم أنها الكهف. والمئون: ما وليها، سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها.

والمثاني: ما ولي المئين لأنها ثنتها: أي كانت بعدها فهي لها ثوان، والمئون لها أوائل.

وقال الفراء: هي السورة التي آيها أقل من مائة آية، لأنها تثني أكثر مما يثني الطوال والمئون.

وقيل لتثنية الأمثال فيها بالعبر والخبر، حكاه النكزاوي. وقال في جمال القراء: هي السورة التي تثنيت فيها القصص، وقد تطلق على القرآن كله وعلى الفاتحة كما تقدم.

والمفصل: ما ولي المثانيِ من قصار السور، سمي بذلك لكثرة الفصول التي بين السور بالبسملة.

وقيل لقلة المنسوخ منه، ولهذا يسمى بالمحكم أيضاً، كما روى البخاري عن سعيد بن جبير قال: إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم وآخره سورة الناس بلا نزاع.

واختلف في أوله على اثني عشر قولاً.

أحدها: ق لحديث أوس السابق قريباً. الثاني: الحجرات، وصححه النووي. الثالث: القتال، عزاه الماوردي للأكثرين. الرابع: الجاثية، حكاه القاضي عياض. الخامس: الصافات. السادس: الصف. السابع: تبارك، حكى الثلاثة ابن أبي الصيف اليمني في نكته على التنبيه. الثامن: الفتح، حكاه الكمال الذماري في شرح التنبيه. التاسع: الرحمن، حكاه ابن السيد في أماليه على الموطأ. العاشر: الإنسان. الحادي عشر. سبح: حكاه ابن الفركاح في تعليقه عن المرزوقي. الثاني عشر: الضحى، حكاه الخطابي. ووجهه بأن القارىء يفصل بين هذه السور بالتكبير. وعبارة الراغب في مفرداته، المفصل من القرآن السبع الأخير.

المفصل:

[فائدة] للمفصل طوال وأوساط وقصار، قال ابن معن: فطواله إلى عم وأوساطه منها إلى الضحى ومنها إلى آخر القرآن قصاره، هذا أقرب ما قيل فيه.

[تنبيه] أخرج ابن أبي داود في كتاب المصاحف عن نافع عن ابن عمر أنه ذكر عنده المفصل فقال: وآي القرآن ليس بمفصل، ولكن قولوا قصار السور وصغار السور. وقد استدل بهذا على جواز أن يقال سورة قصيرة وصغيرة، وقد كره ذلك جماعة منهم أبو العالية، ورخص فيه آخرون، ذكره ابن أبي داود. وأخرج عن ابن سيرين وأبي العالية قالا: لا تقل سورة خفيفة، فإنه تعالى يقول: ﴿ إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً ﴾ ولكن سورة يسيرة.

مصحف أبيّ:

[فائدة] قال ابن أشتة في كتاب المصاحف: أنبأنا محمد بن يعقوب، حدثنا أبو داود، حدثنا أبو جعفر الكوفي قال: هذا تأليف مصحف أبي: الحمد ثم البقرة ثم النساء ثم آل عمران ثم الأنعام ثم الأعراف ثم المائدة ثم يونس ثم الأنفال ثم براءة ثم هود ثم مريم ثم الشعراء ثم الحج ثم يوسف ثم الكهف ثم النحل ثم الأحزاب ثم بني إسرائيل ثم الزمر أولها حم ثم طه ثم الأنبياء ثم النور ثم المؤمنون ثم سبأ ثم العنكبوت ثم المؤمن ثم الرعد ثم القصص ثم النمل ثم الصافات ثم ص ثم يس ثم الحجر ثم حمعسق ثم الروم ثم الحديد ثم الفتح ثم القتال ثم الظهار ثم تبارك الملك ثم السجدة ثم إنا أرسلنا نوحاً ثم الأحقاف ثم ق ثم الرحمن ثم الواقعة ثم الجن ثم النجم ثم سأل سائل ثم المزمل ثم المدثر ثم اقتربت ثم حم الدخان ثم لقمان ثم الجاثية ثم الطور ثم الذاريات ثم ن ثم الحاقة ثم الحشر ثم الممتحنة ثم المرسلات ثم عم يتساءلون ثم لا أقسم بيوم القيامة ثم إذا الشمس كورت ثم يا أيها النبي إذا طلقتم النساء ثم النازعات ثم التغابن ثم عبس ثم المطففين ثم إذا السماء انشقت ثم والتين

والزيتون ثم اقرأ باسم ربك ثم الحجرات ثم المنافقون ثم الجمعة ثم لم تحرم ثم الفجر ثم لا أقسم بهذا البلد ثم والليل ثم إذا السماء انفطرت ثم والشمس وضحاها ثم والسماء والطارق ثم سبح اسم ربك ثم الغاشية ثم الصف ثم التغابن ثم سورة أهل الكتاب وهي لم يكن ثم الضحى ثم ألم نشرح ثم القارعة ثم التكاثر ثم العصر ثم سورة الخلع ثم سورة الحفد ثم ويل لكل همزة ثم إذا زلزلت ثم العاديات ثم الفيل ثم لئيلاف قريش ثم أرأيت ثم إنا أعطيناك ثم القدر ثم الكافرون ثم إذا جاء نصر الله ثم تبت ثم الصمد ثم الفلق ثم الناس.

مصحف ابن مسعود:

قال ابن أشتة أيضاً: وأخبرنا أبو الحسن بن نافع أن أبا جعفر محمد بن عمرو ابن موسى حدثهم قال: حدثنا محمد بن إسماعيل بن سالم. حدثنا علي بن مهران الطائي، حدثنا جرير بن عبد الحميد قال: تأليف مصحف عبد الله بن مسعود. الطوال: البقرة والنساء وآل عمران والأعراف والأنعام والمائدة ويونس. والمئين: براءة والنحل وهود ويوسف والكهف وبني إسرائيل والأنبياء وطه والمؤمنون والشعراء والصافات. والمثاني: الأحزاب والحج والقصص و (طس) النمل والنور والأنفال ومريم والعنكبوت والروم ويس والفرقان والحجر والرعد وسبأ والملائكة وإبراهيم وص والذين كفروا ولقمان والزمر والحواميم: حم المؤمن والزخرف والسجدة وحمعسق والأحقاف والجاثية والدخان والممتحنات إنا فتحنا لك والحشر وتنزيل السجدة والطلاق ون والقلم والحجرات وتبارك والتغابن وإذا جاءك المنافقون والجمعة والصف وقل أوحي وإنا أرسلنا والمجادلة والممتحنة ويا أيها النبي لِم تحرم .والمفصل: الرحمن والنجم والطور والذاريات واقتربت الساعة والواقعة والنازعات وسأل سائل والمدثر والمزمل والمطففين وعبس وهل أتى والمرسلات والقيامة وعم يتساءلون وإذا الشمس كوّرت وإذا السماء انفطرت

والغاشية وسبح والليل والفجر والبروج وإذا السماء انشقت واقرأ باسم ربك والبلد والضحى والطارق والعاديات وأرأيت والقارعة ولم يكن والشمس وضحاها والتين وويل لكل همزة وألم تر كيف ولئيلاف قريش وألهاكم وإنا أنزلناه وإذا زلزلت والعصر وإذا جاء نصر الله والكوثر وقل يا أيها الكافرون وتبت وقل هو الله أحد وألم نشرح، وليس فيه الحمد ولا المعوذتان.

النوع التاسع عشر: في عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه

الأنفال وبراءة سورتان:

أما سوره فمائة وأربع عشرة سورة بإجماع من يعتدّ به، وقيل وثلاث عشرة بجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة، أخرج أبو الشيخ عن أبي زروق قال: الأنفال وبراءة سورة واحدة. وأخرج عن أبي رجاء قال: سألت الحسن عن الأنفال وبراءة سورتان أم سورة؟ قال: سورتان. ونقل مثل قول أبي زروق عن مجاهد. وأخرجه ابن أبي حاتم عن سفيان.

وأخرج ابن أشتة عن ابن لهيعة قال: يقولون إن براءة من يسئلونك، وإنما لم تكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم لأنها من يسئلونك، وشبهتهم اشتباه الطرفين وعدم البسملة. ويرده تسمية النبي ﷺ كلاً منها. ونقل صاحب الإقناع أن البسملة ثابتة لبراءة في مصحف ابن مسعود: قال: ولا يؤخذ بهذا.

وأخرج القشيري: الصحيح أن التسمية لم تكن فيها لأن جبريل عليه السلام لم ينزل بها فيها. وفي المستدرك عن ابن عباس قال: سألت عليّ بن أبي طالب: لِمَ لم تكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال: لأنها أمان، وبراءة نزلت بالسيف.

وعن مالك أن أولها لما سقط سقط معه البسملة فقد ثبت أنها كانت تعدل البقرة لطولها. وفي مصحف ابن مسعود مائة واثنتا عشرة سورة لأنه لم يكتب المعوذتين، وفي مصحف أبيّ ست عشرة لأنه كتب في آخره سورتي الحفد والخلع.

وأخرج أبو عبيد عن ابن سيرين قال: كتب أبيّ بن كعب في مصحفه فاتحة

الكتاب والمعوّذتين واللهم إنا نستعينك واللهم إياك نعبد وتركهن ابن مسعود. وكتب عثمان منهن فاتحة الكتاب والمعوّذتين. وأخرج الطبراني في الدعاء من طريق عباد ابن يعقوب الأسدي عن يحي بن يعلى الأسلمي عن ابن لهيعة عن أبي هبيرة عن عبد الله بن زرير الغافقي قال: قال لي عبد الملك بن مروان: لقد علمت ما حملت على حبّ أبي تراب، إلا أنك أعرابيّ جاف، فقلت: والله لقد جمعت القرآن من قبل أن يجتمع أبواك، ولقد علمني منه عليّ بن أبي طالب سورتين علمهما إياه رسول الله ﷺ ما علمتها أنت ولا أبوك. اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكفار ملحق.

وأخرج البيهقي من طريق سفيان الثوري عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد ابن عمير أن عمر بن الخطاب قنت بعد الركوع فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى نقمتك، إن عذابك بالكافرين ملحق. قال ابن جريج: حكمة البسملة أنها سورتان في مصحف بعض الصحابة. وأخرج محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة عن أبيّ بن كعب أنه كان يقنت بالسورتين فذكرهما، وأنه كان يكتبهما في مصحفة.

وقال ابن الضريس: أنبأنا أحمد بن جميل المروزي عن عبد الله بن المبارك، أنبأنا الأجلح عن عبدالله بن عبد الرحمن عن أبيه قال: في مصحف ابن عباس قراءة أبيّ وأبي موسى: بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونثني عليك الخير ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، وفيه: اللهم إياك

نعبد ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نخشى عذابك ونرجو رحمتك، إن عذابك بالكفار ملحق.

وأخرج الطبراني بسند صحيح عن أبي إسحاق، قال: أمنا أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد بخراسان، فقرأ بهاتين السورتين: إنا نستعينك ونستغفرك. وأخرج البيهقي وأبو داود في المراسيل عن خالد بن أبي عمران أن جبريل نزل بذلك على النبي ﷺ وهو في الصلاة مع قوله: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ الآية لما قنت يدعو على مضر.

مصحف أبيّ:

[تنبيه] كذا نقل جماعة عن مصحف أبيّ أنه ستّ عشرة سورة، والصواب أنه خمس عشرة، فإن سورة الفيل وسورة لئيلاف قريش فيه سورة واحدة.

ونقل ذلك السخاوي في جمال القراء عن جعفر الصادق وأبي نهيك أيضاً. قلت: ويردّه ما أخرجه الحاكم والطبراني من حديث أم هانىء أن رسول الله ﷺ قال: «فضل الله قريشاً بسبع» الحديث، وفيه: «وإن الله أنزل فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها معهم غيرهم لئيلاف قريش».

وفي كامل الهذلي عن بعضهم أنه قال: الضحى وألم نشرح سورة واحدة، نقله الإمام الرازي في تفسيره عن طاوس وغيره من المفسرين.

الحكمة في تعدد سورة القرآن:

[فائدة] قيل الحكمة في تسوير القرآن سوراً تحقيق كون السورة بمجردها معجزة وآية من آيات الله، والإشارة إلى أن كل سورة نمط مستقلّ.

فسورة يوسف تترجم عن قصته، وسورة إبراهيم براءة تترجم عن أحوال

المنافقين وأسرارهم إلى غير ذلك.

والسور سوراً طوالاً وأوساطاً وقصاراً تنبيهاً على أن الطول ليس من شرط الإعجاز، فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات وهي معجزة إعجاز سورة البقرة، ثم ظهرت لذلك حكمة في التعليم وتدريج الأطفال من السور القصار إلى ما فوقها تيسيراً من الله على عباده لحفظ كتابه.

قال الزركشي في البرهان: فإن قلت: فهلاّ كانت الكتب السالفة كذلك؟ قلت: لوجهين. أحدهما: أنها لم تكن معجزات من جهة النظم والترتيب، والآخر أنها لم تيسر للحفظ.

لكن ذكر الزمخشري ما يخالفه فقال في الكشاف: الفائدة في تفصيل القرآن وتقطيعه سوراً كثيرة، وكذلك أنزل الله التوراة والإنجيل والزبور وما أوحاه إلى أنبيائه مسورة وبوّب المصنفون في كتبهم أبواباً موشحة الصدور بالتراجم.

منها: الجنس إذا انطوت تحته أنواع وأصناف كان أحسن وأفخم من أن يكون باباً واحداً.

ومنها: أن القارىء إذا ختم سورة أو باباً من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له وأبعث على التحصيل منه لو استقر على الكتاب بطوله، ومثله المسافر إذا قطع ميلاً أو فرسخاً نفس ذلك منه ونشط للسير، ومن ثم جزىء القرآن أجزاء وأخماساً.

ومنها: أن الحافظ إذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها فيعظم عنده ما حفظه.

ومنه حديث أنس: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا، ومن ثم كانت القراءة في الصلاة بسورة أفضل. ومنها: أن التفصيل بسبب تلاحق

الأشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض، وبذلك تتلاحظ المعاني والنظم إلى غير ذلك من الفوائد. انتهى. وماذكره الزمخشري من تسوير سائر الكتب هو الصحيح أو الصواب، فقد أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: كنا نتحدث أن الزبور مائة وخمسون سورة كلها مواعظ وثناء ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود. وذكروا أن في الإنجيل سورة تسمى سورة الأمثال.

الآيات:

(فصل في عدد الآي) أفرده جماعة من القراء بالتصنيف. قال الجعبري: حدّ الآية قرآن مركب من جمل ولو تقديراً ذو مبدإ ومقطع منـدرج في سورة وأصلها العلامة.

ومنه: إن آية ملكه، لأنها علامة للفضل والصدق والجماعة لأنها جماعة كلمة. وقال غيره: الآية طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها. وقيل هي الواحدة من المعدودات في السور سميت به لأنها علامة على صدق من أتى بها وعلى عجز المتحدي بها، وقيل لأنها علامة على انقطاع ما قبلها من الكلام وانقطاعه مما بعدها.

قال الواحدي وبعض أصحابنا قال: يجوز على هذا القول تسمية أقل من الآية آية لولا أن التوقيف ورد بما هي عليه الآن.

وقال أبو عمرو الداني: لا أعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله: ﴿مدهامتان﴾ وقال غيره: بل فيه غيرها مثل والنجم والضحى والعصر، وكذا فواتح السور عند من عدها.

قال بعضهم: الصحيح أن الآية إنما تعلم بتوقيف من الشارع كمعرفة السورة قال: فالآية طائفة من حروف القرآن علم بالتوقيف انقطاعها معنى عن الكلام

الذي بعدها في أول القرآن وعن الكلام الذي قبلها في آخر القرآن وعما قبلها وما بعدها في غيرها غير مشتمل على مثل ذلك. قال: وبهذا القيد خرجت السورة.

وقال الزمخشري: الآيات علم توقيفي لا مجال للقياس فيه ولذلك عدّوا الم آية حيث وقعت والمص، ولم يعدّوا المر والر، وعدوا حم آية في سورها وطه ويس، ولم يعدوا طس.

قلت: ومما يدل على أنه توقيفي ما أخرجه أحمد في مسنده من طريق عاصم ابن أبي النجود عن زر عن ابن مسعود قال: أقرأني رسول الله ﷺ سورة من الثلاثين من آل حم. قال: يعني الأحقاف. وقال: كانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سميت الثلاثين، الحديث.

وقال ابن العربي: ذكر النبي ﷺ أن الفاتحة سبع آيات وسورة الملك ثلاثون آية، وصح أنه قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران قال: وتعديد الآي من معضلات القرآن، وفي آياته طويل وقصير، ومنه ما ينقطع، ومنه ما ينتهي إلى تمام الكلام، ومنه ما يكون في أثنائه. وقال غيره: سبب اختلاف السبب في عدد الآي أن النبي ﷺ كان يقف على رؤوس الآي للتوقيف، فإذا علم محلها وصل للتمام فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة.

عدد آيات القرآن وحروفه:

وقد أخرج ابن الضريس من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس قال: جميع آي القرآن ستة آلاف آية وستمائة آية وست عشرة آية، وجميع حروف القرآن ثلاثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألف حرف وستمائة حرف وأحد وسبعون حرفاً.

قال الداني: أجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية، ثم اختلفوا فيما

زاد على ذلك، فمنهم من لم يزد، ومنهم من قال ومائتا آية وأربع آيات، وقيل وأربع عشرة، وقيل وتسع عشرة، وقيل وخمس وعشرون، وقيل وست وثلاثون، قلت: أخرج الديلمي في مسند الفردوس من طريق الفيض بن وثيق عن فرات بن سلمان عن ميمون بن مهران عن ابن عباس مرفوعاً «درج الجنة على قدر آي القرآن، بكل آية درجة» فتلك ستة آلاف آية ومائتا آية وست عشرة آية بين كل درجتين مقدار ما بين السماء والأرض». الفيض قال فيه: ابن معين كذاب خبيث.

وفي الشعب للبيهقي من حديث عائشة مرفوعاً «عدد درج الجنة عدد آي القرآن، فمن دخل الجنة من أهل القرآن فليس فوقه درجة» قال الحاكم: إسناده صحيح لكنه شاذ. وأخرجه الآجرّي في جملة القرآن من وجه آخر عنها موقوفاً.

عدد الآي عند أهل المدينة ومكة وسواها:

قال أبو عبدالله الموصلي في شرح قصيدته ذات الرشد في العدد: اختلف في عدد الآي أهل المدينة ومكة والشام والبصرة والكوفة. ولأهل المدينة عددان: عدد أول وهو عدد أبي جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح، وعدد آخر وهو عدد إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري.

وأما عدد أهل مكة فهو مرويّ عن عبدالله بن كثير عن مجاهد عن ابن عباس عن أبيّ بن كعب.

وأما عدد أهل الشام فرواه هارون بن موسى الأخفش وغيره عن عبدالله بن ذكوان وأحمد بن يزيد الحلواني وغيره عن هشام بن عمار. ورواه ابن ذكوان وهشام عن أيوب بن تميم الزماري عن يحي بن الحارث الزماري قال: هذا العدد الذي نعدّه عدد أهل الشام مما رواه المشيخة لنا عن الصحابة. ورواه عبدالله بن

عامر اليحصبي لنا وغيره عن أبي الدرداء.

وأما عدد أهل البصرة فمداره على عاصم بن العجاج الجحدري.

وأما عدد أهل الكوفة فهو المضاف إلى حمزة بن حبيب الزيات وأبي الحسن الكسائي وخلف بن هشام. قال حمزة: أخبرنا بهذا العدد ابن أبي ليلى عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عليّ بن أبي طالب.

عدد آي كل سورة:

قال الموصلي: ثم سور القرآن على ثلاثة أقسام: قسم لم يختلف فيه لا في إجمالي ولا في تفصيلي، وقسم اختلف فيه تفصيلاً لا إجمالاً، وقسم اختلف فيه إجمالاً وتفصيلاً. فالأول: أربعون سورة يوسف مائة واحدى عشرة، الحجر تسع وتسعون، النحل مائة وثمان وعشرون، الفرقان سبع وسبعون، الأحزاب ثلاث وسبعون، الفتح تسع وعشرون، الحجرات والتغابن ثماني عشرة، ق خمس وأربعون، الذاريات ستون، القمر خمس وخمسون، الحشر أربع وعشرون، الممتحنة ثلاث عشرة، الصف أربع عشرة، الجمعة والمنافقون والضحى والعاديات إحدى عشرة إحدى عشرة، التحريم ثنتا عشرة، ن اثنتان وخمسون، الإنسان إحدى وثلاثون، المرسلات خمسون، التكوير تسع وعشرون، الانفطار وسبح تسع عشرة، التطفيف ست وثلاثون، البروج اثنتان وعشرون، الغاشية ست وعشرون، البلد عشرون، الليل إحدى وعشرون، ألم نشرح والتين وألهاكم ثمان، الهمزة تسع، الفيل والفلق وتبت خمس، الكافرون ست، الكوثر والنصر ثلاث.

والقسم الثاني: أربع سور: القصص: ثمان وثمانون، عدّ أهل الكوفة طسم، والباقون بدلها أمة من الناس يسقون. العنكبوت: تسع وستون، عدّ أهل الكوفة الم والبصرة بدلها مخلصين له الدين والشام وتقطعون السبيل. الجن: ثمان وعشرون

عد المكي لن يجيرني من الله أحد، والباقون بدلها ولن أجد من دونه ملتحدا.
والعصر ثلاث، عدّ المدني الأخير وتواصوا بالحق دون والعصر وعكس الباقون.

والقسم الثالث سبعون: سورة الفاتحة، الجمهور سبع، فعدّ الكوفي والمكي البسملة دون أنعمت عليهم وعكس الباقون. وقال الحسن: ثمان فعدهما، وبعضهم ست فلم يعدهما، وآخر تسع فعدهما وإياك نعبد. ويقوّي الأول ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن خزيمة والحاكم والدارقطني وغيرهم عن أم سلمة: «أن النبي ﷺ كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين. إياك نعبد وإياك نستعين. اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. فقطعها آية آية وعدّها عدّ الأعراب، وعد بسم الله الرحمن الرحيم آية ولم يعد عليهم».

وأخرج الدارقطني بسند صحيح عن عبد خير قال: سئل عليّ عن السبع المثاني فقال: الحمد لله ربّ العالمين، فقيل له إنما هي ست آيات، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم آية. البقرة: مائتان وثمانون وخمس، وقيل ست وقيل سبع. آل عمران: مائتان، وقيل إلا آية. النساء: مائة وسبعون وخمس، وقيل ست، وقيل سبع. المائدة: مائة وعشرون، وقيل واثنتان، وقيل ثلاث. الأنعام: مائة وستون وخمس، وقيل ست، وقيل سبع. الأعراف: مائتان وخمس وقيل ست. الأنفال: سبعون وخمس، وقيل ست، وقيل سبع. براءة: مائة وثلاثون، وقيل إلا آية. يونس: مائة وعشر ، وقيل إلا آية. هود: مائة وإحدى وعشرون، وقيل اثنتان، وقيل ثلاث. الرعد: أربعون وثلاث، وقيل أربع، وقيل، سبع. إبراهيم: إحدى وخمسون، وقيل اثنتان، وقيل أربع، وقيل خمس. الإسراء: مائة وعشر، وقيل وإحدى عشرة. الكهف: مائة وخمس، وقيل وست، وقيل وعشر وقيل وإحدى عشرة. مريم، تسعون وتسع، وقيل ثمان. طه: مائة وثلاثون واثنتان، وقيل أربع،

وقيل خمس، وقيل وأربعون. الأنبياء: مائة وإحدى عشرة، وقيل واثنتا عشرة. الحج: سبعون وأربع، وقيل وخمس، وقيل وست، وقيل وثمان. قد أفلح: مائة وثماني عشرة، وقيل تسع عشرة. النور: ستون واثنتان، وقيل أربع. الشعراء: مائتان وعشرون وست، وقيل سبع. النمل: تسعون واثنتان، وقيل أربع، وقيل خمس. الروم: ستون، وقيل إلا آية. لقمان: ثلاثون وثلاث، وقيل أربع. السجدة: ثلاثون، وقيل إلا آية. سبأ: خمسون وأربع، وقيل خمس. فاطر: أربعون وست، وقيل خمس. يس: ثمانون وثلاث، وقيل اثنتان. الصافات: مائة وثمانون وآية، وقيل آيتان. ص: ثمانون وخمس، وقيل ست، وقيل ثمان. الزمر: سبعون وآيتان، وقيل ثلاث، وقيل خمس. غافر: ثمانون وآيتان، وقيل أربع، وقيل خمس، وقيل ست. فصلت: خمسون واثنتان، وقيل ثلاث، وقيل أربع. الشورى: خمسون، وقيل ثلاث. الزخرف: ثمانون وتسع، وقيل ثمان. الدخان: خمسون وست، وقيل سبع، وقيل تسع. الجاثية: ثلاثون وست، وقيل سبع. الأحقاف: ثلاثون وأربع، وقيل خمس. القتال: أربعون، وقيل إلا آية، وقيل إلا آيتين. الطور: أربعون وسبع، وقيل ثمان، وقيل تسع. النجم: إحدى وستون، وقيل اثنتان. الرحمن: سبعون وسبع، وقيل ست، وقيل ثمان. الواقعة: تسعون وتسع، وقيل سبع، وقيل ست. الحديد: ثلاثون وثمان، وقيل تسع. قد سمع اثنتان، وقيل إحدى وعشرون. الطلاق: إحدى عشرة، وقيل ثنتا عشرة. تبارك: ثلاثون، وقيل إحدى وثلاثون بعد قالوا بلى قد جاءنا نذير. قال الموصلي: والصحيح الأول. قال ابن شنبوذ: ولا يسوغ لأحد خلافه للأخبار الواردة في ذلك. أخرج أحمد وأصحاب السنن وحسنه الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت لصاحبها حتى غفر له، تبارك الذي بيده الملك». وأخرج الطبراني بسند صحيح عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «سورة في القرآن ما هي إلا ثلاثون آية خاصمت عن

صاحبها حتى أدخلته الجنة، وهي سورة تبارك». الحاقة: إحدى وقيل اثنتان وخمسون. المعارج: أربعون وأربع، وقيل ثلاث. نوح: ثلاثون، وقيل إلا آية، وقيل إلا آيتين. المزمل: عشرون، وقيل إلا آية، وقيل إلا آيتين. المدثر: خمسون وخمس، وقيل ست. القيامة: أربعون، وقيل إلا آية. عمّ: أربعون، وقيل وآية. النازعات: أربعون وخمس، وقيل ست. عبس: أربعون، وقيل وآية، وقيل وآيتين. الانشقاق: عشرون وثلاثة، وقيل أربع، وقيل خمس. الطارق: سبع عشرة، وقيل ست عشرة. الفجر: ثلاثون، وقيل إلا آية، وقيل اثنتان وثلاثون. الشمس: خمس عشرة، وقيل ست عشرة. اقرأ: عشرون، وقيل إلا آية. القدر: خمس: وقيل ست. لم يكن: ثمان، وقيل تسع. الزلزلة: تسع، وقيل ثمان. القارعة: ثمان، وقيل عشر، وقيل إحدى عشرة. قريش: أربع، وقيل خمس. أرأيت: سبع، وقيل ست. الإخلاص: أربع، وقيل خمس. الناس: سبع، وقيل ست.

ضوابط الآيات:

ضوابط: البسملة نزلت مع السورة في بعض الأحرف السبعة من قرأ بحرف نزلت فيه عدها، ومن قرأ بغير ذلك لم يعدها.

وعدّ أهل الكوفة الّم حيث وقع آية، وكذا المص وطه وكهيعص وطسم ويس وحم وعدوا حمعسق آيتين، ومن عداهم لم يعد شيئاً من ذلك.

وأجمع أهل العدد على أنه لا يعد الر حيث وقع آية، وكذا المر وطس وص وق ون. ثم منهم من علل بالأثر واتباع المنقول، وأنه أمر لا قياس فيه.

ومنهم من قال: يعدّوا ص ون وق لأنها على حرف واحد، ولا طس لأنها خالفت أخويها بحذف الميم، ولأنها تشبه المفرد كقابيل ويس وإن كانت بهذا

الوزن لكن أولها ياء فأشبهت الجمع، إذ ليس لنا مفرد أوله ياء، ولم يعدوا الر بخلاف الٓمٓ لأنها أشبه بالفواصل من الر، ولذلك أجمعوا على عدّ - يا أيها المدثر - آية لمشاكلته الفواصل بعده. واختلفوا في يا أيها المزمل. قال الموصلي: وعدّوا قوله ثم نظر آية، وليس في القرآن أقصر منها، أما مثلها فعمَّ والفجر والضحى.

[تذنيب] نظم علي بن محمد بن الغالي أرجوزة في القرائن والأخوات ضمنها السور التي اتفقت في عدة الآي كالفاتحة والماعون وكالرحمن والأنفال وكيوسف والكهف والأنبياء وذلك معروف مما تقدم.

يترتب على معرفة الآيات أحكام فقهية:

[فائدة] يترتب على معرفة الآي وعدّها وفواصلها أحكام فقهية. منها: اعتبارها فيمن جهل الفاتحة، فإنه يجب عليه بدلها سبع آيات.

ومنها: اعتبارها في الخطبة فإنه يجب فيها قراءة آية كاملة، ولا يكفي شطرها، إن لم تكن طويلة، وكذا الطويلة على ما أطلقه الجمهور. وها هنا بحث، وهو أن ما اختلف في كونه آخر آية هل تكفي القراءة به في الخطبة، محل نظر، ولم أر من ذكره.

ومنها: اعتبارها في السورة التي تقرأ في الصلاة أو ما يقوم مقامها، ففي الصحيح أنه ﷺ كان يقرأ في الصبح بالستين إلى المائة. ومنها: اعتبارها في قراءة قيام الليل. ففي أحاديث من قرأ بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ بخمسين آية في ليلة كتب من الحافظين، ومن قرأ بمائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ بمائتي آية كتب من الفائزين، ومن قرأ بثلثمائة آية كتب له قنطار من الأجر، ومن قرأ بخمسمائة وبسبعمائة وألف آية أخرجها الدارمي في مسنده مفرقة.

ومنها: اعتبارها في الوقف عليها كما سيأتي. وقال الهذلي في كامله: اعلم أن قوماً جهلوا العدد وما فيه من الفوائد حتى قال الزعفراني: العدد ليس بعلم، وإنما اشتغل به بعضهم ليروّج به سوقه. قال: وليس كذلك، ففيه من الفوائد معرفة الوقف، ولأن الإجماع انعقد على أن الصلاة لا تصح بنصف آية. وقال جمع من العلماء: تجزىء بآية، وآخرون بثلاث آيات، وآخرون لا بد من سبع، والإعجاز لا يقع بدون آية، فللعدد فائدة عظيمة في ذلك .اهـ.

الأحاديث تتحدث عن الآيات:

[فائدة ثانية] ذكر الآيات في الأحاديث والآثار أكثر من أن يحصى، كالأحاديث في الفاتحة أربع آيات من أول البقرة وآية الكرسي والآيتين خاتمة البقرة، وكحديث اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ و﴿الم اللهُ لا إلهَ إلا هو الحيُّ القيومُ﴾.

وفي البخاري عن ابن عباس: إذا سرّك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام: ﴿قد خَسِرَ الذين قَتَلُوا أولادَهم﴾ إلى قوله: ﴿مهتدين﴾.

وفي مسند أبي يعلى عن المسور بن مخرمة قال: قلت لعبد الرحمن بن عوف: يا خال أخبرنا عن قصتكم يوم أحد، قال اقرأ بعد العشرين ومائة آل عمران تجد قصتنا: ﴿وإذ غدوتَ من أهلِكَ تُبَوىءُ المؤمنين مقاعدَ لِلقتال﴾.

عدد كلمات القرآن:

(فصل) وعدّ قوم كلمات القرآن سبعة وسبعين ألف كلمة وتسعمائة وأربعاً وثلاثين كلمة، وقيل وأربعمائة وسبعاً وثلاثين، وقيل ومائتان وسبع وسبعون، وقيل غيرذلك. قيل وسبب الاختلاف في عد الكلمات أن الكلمة لها حقيقة ومجاز

ولفظ ورسم واعتبار، كل منها جائز، وكل من العلماء اعتبر أحد الجوائز.

عدد حروف القرآن:

(فصل) وتقدم عن ابن عباس عدد حروفه، وفيه أقوال أخر، والاشتغال باستيعاب ذلك مما لا طائل تحته، وقد استوعبه ابن الجوزي في فنون الأفنان وعدّ الأصناف والأثلاث إلى الأعشار وأوسع القول في ذلك فراجعه منه، فإن كتابنا موضوع للمهمات لا لمثل هذه البطالات.

وقد قال السخاوي: لا أعلم لعدد الكلمات والحروف من فائدة، لأن ذلك إن أفاد فإنما يفيد في كتاب يمكن فيه الزيادة والنقصان، والقرآن لا يمكن فيه ذلك. ومن الأحاديث في اعتبار الحروف ما أخرجه الترمذي عن ابن مسعود مرفوعاً «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف».

وأخرج الطبراني عن عمر بن الخطاب مرفوعاً «القرآن ألف ألف حرف وسبعة وعشرون ألف حرف، فمن قرأه صابراً محتسباً كان له بكل حرف زوجة من الحور العين» رجاله ثقات إلا شيخ الطبراني محمد بن عبيد بن آدم ابن أبي إياس تكلم فيه الذهبي لهذا الحديث، وقد حمل ذلك على ما نسخ رسمه من القرآن أيضاً، إذ الموجود الآن لا يبلغ هذا العدد.

نصف القرآن:

[فائدة] قال بعض القراء: القرآن العظيم له أنصاف باعتبارات، فنصفه بالحروف النون من ﴿نكرا﴾ في الكهف والكاف من النصف الثاني، ونصفه بالكلمات الدال من قوله ﴿والجلود﴾ في الحج وقوله ﴿ولهم مقامع﴾ من النصف الثاني، ونصف بالآيات ياء ﴿يأفكون﴾ من سورة الشعراء، وقوله ﴿فألقى

السحرة﴾ من النصف الثاني، ونصفه على عدد السور آخر الحديد والمجادلة من النصف الثاني وهو عشرة بالأحزاب. وقيل إن النصف بالحروف الكاف ﴿من نكرا﴾، وقيل الفاء من قوله ﴿وليتلطف﴾.

النوع العشرون: في معرفة حُفّاظه ورواته

روى البخاري عن عبدالله بن عمرو بـن العـاص قـال: سمعـت النبي ﷺ يقول: «خذوا القرآن من أربعة من عبدالله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبيّ بن كعب» أي تعلموا منهم. والأربعة المذكورون اثنان من المهاجرين وهما المبدوء بهما، واثنان من الأنصار، وسالم هو ابن معقل مولى أبي حذيفة ومعاذ هو ابن جبل.

قال الكرماني: يحتمل أنه ﷺ أراد الإعلام بما يكون بعده: أي أن هؤلاء الأربعة يبقون حتى ينفردوا بذلك. وتعقب بأنهم لم ينفردوا، بل الذين مهروا في تجويد القرآن بعد العصر النبوي أضعاف المذكورين، وقد قتل سالم مولى أبي حذيفة في وقعة اليمامة، ومات معاذ في خلافة عمر، ومات أبيّ وابن مسعود في خلافة عثمان، وقد تأخر زيد بن ثابت وانتهت إليه الرياسة في القراءة وعاش بعدهم زمناً طويلاً.

فالظاهر أنه أمر بالأخذ عنهم في الوقت الذي صدر فيه ذلك القول، ولا يلزم من ذلك أن لا يكون أحد في ذلك الوقت شاركهم في حفظ القرآن، بل كان الذين يحفظون مثل الذين حفظوه وأزيد جماعة من الصحابة.

وفي الصحيح في غزوة بئر معونة أن الذين قتلوا بها من الصحابة كان يقال لهم القراء وكانوا سبعين رجلاً.

روى البخاري أيضاً عن قتادة قال: سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن

على عهد رسول الله ﷺ ؟ فقال أربعة كلهم من الأنصار : أبيّ بن كعب ، ومعاذ ابن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد . قلت : من أبو زيد ؟ قال : أحد عمومتي .

روي أيضاً من طريق ثابت عن أنس قال : مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة : أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد . وفيه مخالفة لحديث قتادة من وجهين : أحدهما التصريح بصيغة الحصر في الأربعة ، والآخر ذكر أبي الدرداء بدل أبيّ بن كعب . وقد استنكر جماعة من الأئمة الحصر في الأربعة . وقال المازري : لا يلزم من قول أنس لم يجمعه غيرهم أن يكون الواقع في نفس الأمر كذلك ، لأن التقدير أنه لا يعلم أن سواهم جمعه ، وإلا فكيف الإحاطة بذلك مع كثرة الصحابة وتفرقهم في البلاد ؟ وهذا لا يتم إلا إن كان لقي كل واحد منهم على انفراده وأخبره عن نفسه أنه لم يكمل له جمع في عهد النبي ﷺ ، وهذا في غاية البعد في العادة . وإذا كان المرجع إلى ما في علمه لم يلزم أن يكون الواقع كذلك . قال : وقد تمسك بقول أنس هذا جماعة من الملاحدة ولا متمسك لهم فيه ، فإنا لا نسلم حمله على ظاهره . سلمناه ولكن من أين لهم أن الواقع في نفس الأمر كذلك ، سلمناه لكن لا يلزم من كون كل من الجمّ الغفير لم يحفظه كله أن لا يكون حفظ مجموعه الجم الغفير ، وليس من شرط التواتر أن يحفظ كل فرد جميعه ، بل إذا حفظ الكل الكل ولو على التوزيع كفى .

وقال القرطبي : قد قتل يوم اليمامة سبعون من القراء ، وقتل في عهد النبي ﷺ ببئر معونة مثل هذا العدد . قال : وإنما خص أنس الأربعة بالذكر لشدة تعلقه بهم دون غيرهم ، أو لكونهم كانوا في ذهنه دون غيرهم .

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني : الجواب عن حديث أنس من أوجه . أحدها : أنه لا مفهوم له فلا يلزم أن لا يكون غيرهم جمعه . الثاني : المراد لم يجمعه على جميع الوجوه والقراءات التي نزل بها إلا أولئك . الثالث : لم يجمع ما نسخ منه بعد

تلاوته وما لم ينسخ إلا أولئك. الرابع: أن المراد بجمعه تلقيه من في رسول الله ﷺ لا بواسطة بخلاف غيرهم فيحتمل أن يكون تلقى بعضه بالواسطة. الخامس: أنهم تصدوا إلى إلقائه وتعليمه فاشتهروا به، وخفي حال غيرهم عمن عرف حالهم فحصر ذلك فيهم بحسب علمه، وليس الأمر في نفس الأمر كذلك. السادس: المراد بالجمع الكتابة. فلا ينفى ان يكون غيرهم جمعه حفظاً عن ظهر قلبه، وأما هؤلاء فجمعوه كتابة وحفظوه عن ظهر قلب. السابع: المراد أن أحداً لم يفصح بأنه جمعه بمعنى أكمل حفظه في عهد رسول الله ﷺ إلا أولئك، بخلاف غيرهم فلم يفصح بذلك، لأن أحداً منهم لم يكمله إلا عند وفاة رسول الله ﷺ حين نزلت آخر آية، فلعل هذه الآية الأخيرة وما أشبهها ما حضرها إلا أولئك الأربعة ممن جمع صفات العفو والعذاب، وعلم الحشر والحساب، وعلم النبوات.

الاحرف السبعة:

وقال ابن حجر: ذكر القرطبي عن ابن حبان أنه بلغ الاختلاف في معنى الأحرف السبعة إلى خمسة وثلاثين قولاً، ولم يذكر القرطبي منها سوى خمسة، ولم أقف على كلام ابن حبان في هذا بعد تتبعي مظانه. قلت: قد حكاه ابن النقيب في مقدمة تفسيره عنه بواسطة الشرف المزني المرسي فقال: قال ابن حبان: اختلف أهل العلم في معنى الأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً.

فمنهم من قال: هي زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال.

الثاني: حلال وحرام وأمر ونهي وزجر وخبر ما هو كائن بعد وأمثال.

الثالث: وعد ووعيد وحلال وحرام ومواعظ وأمثال واحتجاج.

الرابع: أمر ونهي وبشارة ونذارة وأخبار وأمثال.

الخامس: محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخصوص وعموم وقصص.

السادس: أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل.

السابع: أمر ونهي وجد وعلم وسر وظهر وبطن.

الثامن: ناسخ ومنسوخ ووعد ووعيد ورغم وتأديب وإنذار.

التاسع: حلال وحرام وافتتاح وأخبار وفضائل وعقوبات.

العاشر: أوامر وزواجر وأمثال وأنباء وعتب ووعظ وقصص.

الحادي عشر: حلال وحرام وأمثال ومنصوص وقصص وإباحات.

الثاني عشر: ظهر وبطن وفرض وندب وخصوص وعموم وأمثال.

الثالث عشر: أمر ونهي ووعد ووعيد وإباحة وإرشاد واعتبار.

الرابع عشر: مقدم ومؤخر وفرائض وحدود ومواعظ ومتشابه وأمثال.

الخامس عشر: مقيس ومجمل ومقضيّ وندب وحتم وأمثال.

السادس عشر: أمر حتم وأمر ندب ونهي وحتم ونهي ندب وأخبار وإباحات.

السابع عشر: أمر فرض ونهي حتم وأمر ندب ونهي مرشد ووعد ووعيد وقصص.

الثامن عشر: سبع جهات لا يتعداها الكلام: لفظ خاص أريد به الخاص، ولفظ عام أريد به العام، ولفظ عام أريد به الخاص، ولفظ خاص أريد به العام، ولفظ يستغنى بتنزيله عن تأويله، ولفظ لا يعلم فقهه إلا العلماء، ولفظ لا يعلم معناه إلا الراسخون.

التاسع عشر: إظهار الربوبية وإثبات الوحدانية وتعظيم الألوهية والتعبد لله

ومجانبة الإشراك والترغيب في الثواب والترهيب من العقاب.

العشرون: سبع لغات، منها خمس في هوازن، واثنتان لسائر العرب.

الحادي والعشرون: سبع لغات متفرّقة لجميع العرب، كل حرف منها لقبيلة مشهورة.

الثاني والعشرون: سبع لغات: أربع لعجز هوازن سعد بن بكر وجشم بن بكر ونصر بن معاوية، وثلاث لقريش.

الثالث والعشرون: سبع لغات: لغة لقريش، ولغة لليمن، ولغة لجرهم، ولغة لهوازن، ولغة لقضاعة، ولغة لتميم، ولغة لطي.

الرابع والعشرون: لغة الكعبين كعب بن عمر وكعب بن لؤي، ولهما سبع لغات.

الخامس والعشرون: اللغات المختلفة لأحياء العرب في معنى واحد مثل هلم وهات وتعال وأقبل.

السادس والعشرون: سبع قراءات لسبعة من الصحابة أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وابن مسعود وابن عباس وأبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنهم.

السابع والعشرون: همز إمالة وفتح وكسر وتفخيم ومدّ وقصر.

الثامن والعشرون: تصريف ومصادر وعروض وغريب وسجع ولغات مختلفة كلها في شيء واحد.

التاسع والعشرون: كلمة واحدة وابن مسعود وحذيفة وسالماً وأبا هريرة وعبدالله بن السائب والعبادلة وعائشة وحفصة وأم سلمة. ومن الأنصار عبادة بن الصامت ومعاذ الذي يكنى أبا حليمة ومجمع بن جارية وفضالة بن عبيد ومسلمة

ابن مخلد، وصرح بأن بعضهم إنما كمله بعد النبي ﷺ فلا يرد على الحصر المذكور في حديث أنس. وعدّ ابن أبي داود منهم تميماً الداري وعقبة بن عامر. وممن جمعه أيضاً أبو موسى الأشعري، ذكره أبو عمرو الداني.

[تنبيه] أبو زيد المذكور في حديث أنس اختلف في اسمه، فقيل سعد بن عبيد بن النعمان أحد بني عمرو بن عوف. وردّ بأنه أوسي وأنس خزرجي، وقد قال: إنه أحد عمومته، وبأن الشعبي عدّه هو وأبو زيد جميعاً فيمن جمع القرآن كما تقدم، فدل على أنه غيره.

من جمع القرآن من الأوس والخزرج:

وقال أبو أحمد العسكري: لم يجمع القرآن من الأوس غير سعد بن عبيد. وقال محمد بن حبيب في المحبر: سعد بن عبيد أحد من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ.

وقال ابن حجر: قد ذكر ابن أبي داود فيمن جمع القرآن قيس ابن أبي صعصعة وهو خزرجيّ يكنى أبا زيد فلعله هو. وذكر أيضاً سعيد بن المنذر بن أوس زهير وهو خزرجي أيضاً، لكن لم أر التصريح بأنه يكنى أبا زيد. قال: ثم وجدت عند ابن أبي داود ما رفع الإشكال، فإنه روى بإسناد على شرط البخاري الى ثمامة عن أنس أن أبا زيد الذي جمع القرآن اسمه قيس بن السكن. قال: وكان رجلاً منا من بني عديّ بن النجار أحد عمومتي ومات ولم يدع عقباً ونحن ورثناه. قال ابن أبي داود: حدثنا أنس بن خالد الأنصاري، قال: هو قيس بن السكن بن زعوراء من بني عديّ بن النجار، قال ابن أبي داود: مات قريباً من وفاة رسول الله ﷺ، فذهب علمه ولم يؤخذ عنه، وكان عقبياً بدرياً. ومن الأقوال في اسمه ثابت وأوس ومعاذ.

صحابية جمعت القرآن:

[فائدة] ظفرت بامرأة من الصحابيات جمعت القرآن لم يعدّها أحد ممن تكلم في ذلك، فأخرج ابن سعد في الطبقات: أنبأنا الفضل بن دكين، حدثنا الوليد ابن عبدالله بن جميع قال: حدثتني جدتي عن أم ورقة بنت عبدالله بن الحارث وكان رسول الله ﷺ يزورها ويسميها الشهيدة، وكانت قد جمعت القرآن «أن رسول الله ﷺ حين غزا بدراً قالت له: أتأذن لي فأخرج معك أداوي جرحاكم وأمرّض مرضاكم لعل الله يهدي لي شهادة؟ قال: إن الله مُهْدٍ لك شهادة» وكان ﷺ قد أمرها أن تؤمّ أهل دارها وكان لها مؤذن، فغمها غلام لها وجارية كانت قد دبرتها فقتلاها في إمارة عمر، فقال عمر: صدق رسول الله ﷺ كان يقول «انطلقوا بنا نزور الشهيدة».

المشتهرون بالقرآن من الصحابة:

(فصل) المشتهرون بإقراء القرآن من الصحابة سبعة: عثمان وعليّ وأبيّ وزيد ابن ثابت وابن مسعود وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري، كذا ذكرهم الذهبي في طبقات القراء قال: وقد قرأ على أبيّ جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وابن عباس وعبدالله بن السائب، وأخذ ابن عباس عن زيد أيضاً، وأخذ عنهم خلق من التابعين.

فمنهم من كان بالمدينة: ابن المسيب وعروة وسالم وعمر بن عبد العزيز وسليمان وعطاء ابنا يسار ومعاذ بن الحارث المعروف بمعاذ القاري وعبد الرحمن ابن هرمز الأعرج وابن شهاب الزهري ومسلم بن جندب وزيد بن أسلم. وبمكة: عبيد بن عمير وعطاء بن أبي رباح وطاوس ومجاهد وعكرمة وابن أبي مليكة.

وبالكوفة علقمة والأسود ومسروق وعبيدة وعمرو بن شرحبيل والحارث بن

قيس والربيع بن خيثم وعمرو بن ميمون وأبو عبد الرحمن السلمي وزر بن حبيش وعبيد بن نضيلة وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي.

وبالبصرة: أبو عالية وأبو رجاء ونصر بن عاصم ويحيى بن يعمر والحسن وابن سيرين وقتادة.

وبالشام: المغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب عثمان، وخليفة بن سعد صاحب أبي الدرداء، ثم تجرد قوم واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية حتى صاروا أئمة يقتدي بهم ويرحل إليهم.

فكان بالمدينة: أبو جعفر يزيد بن القعقاع ثم شيبة بن نصاع ثم نافع بن نعيم.

وبمكة: عبدالله بن كثير وحميد بن قيس الأعرج ومحمد بن أبي محيصن.

وبالكوفة: يحيى بن وثاب وعاصم بن أبي النجود وسليمان الأعمش ثم حمزة ثم الكسائي.

وبالبصرة: عبدالله بن أبي إسحاق وعيسى بن عمر وأبو عمرو بن العلاء وعاصم الجحدري ثم يعقوب الحضرمي.

وبالشام: عبدالله بن عامر وعطية بن قيس الكلابي وإسماعيل بن عبدالله بن المهاجر ثم يحيى بن الحارث الذماري ثم شريح بن يزيد الحضرمي.

الأئمة السبعة المشهورون في الآفاق

واشتهر من هؤلاء في الآفاق الأئمة السبعة. نافع: وقد أخذ عن سبعين من التابعين منهم أبو جعفر وابن كثير وأخذ عن عبدالله بن السائب الصحابي. وأبو عمرو: وأخذ عن التابعين. وابن عامر: وأخذ عن أبي الدرداء وأصحاب عثمان. وعاصم: وأخذ عن التابعين. وحمزة: أخذ عن عاصم والأعمش والسبيعي ومنصور بن المعتمر وغيره.

والكسائي: وأخذ عن حمزة وأبي بكر بن عياش ثم انتشرت القراءات في الأقطار وتفرّقوا أمماً بعد أمم.

واشتهر من رواة كل طريق من طرق السبعة راويان. فعن نافع: قالون وورش عنه. وعن ابن كثير: قنبل والبزي عن أصحابه عنه. وعن أبي عمرو الدوري والسوسي عن اليزيد عنه. وعن ابن عامر: هشام وابن ذكوان عن أصحابه عنه. وعن عاصم: أبو بكر بن عياش وحفص عنه. وعن حمزة: خلف وخلاد عن سليم عنه. وعن الكسائي: الدوري وأبو الحارث.

ضبط القراءات:

ثم لما اتسع الخرق وكاد الباطل يلتبس بالحق قام جهابذة الأمة وبالغوا في الاجتهاد وجمعوا الحروف والقراءات وعزوا الوجوه والروايات، وميزوا الصحيح والمشهور والشاذ بأصول أصلوها وأركان فصلوها. فأول من صنف في القراءات أبو عبيد القاسم بن سلام، ثم أحمد بن جبير الكوفي ثم إسماعيل بن إسحاق المالكي صاحب قالون، ثم أبو جعفر بن جرير الطبري، ثم أبو بكر محمد بن أحمد ابن عمر الدجوني، ثم أبو بكر مجاهد، ثم قام الناس في عصره وبعده بالتأليف في أنواعها جامعاً ومفرداً وموجزاً ومسهباً. وأئمة القراءات لا تحصى، وقد صنف طبقاتهم حافظ الإسلام أبو عبدالله الذهبي، ثم حافظ القراء أبو الخير ابن الجزري.

النوع الحادي والعشرون: في معرفة العالي والنازل من أسانيده

اعلم أن طلب علوّ الإسناد سنة، فإنه قرب إلى الله تعالى، وقد قسمه أهل الحديث إلى خمسة أقسام ورأيتها تأتي هنا.

الأول: القرب من رسول الله ﷺ من حيث العدد بإسناد نظيف غير ضعيف، وهو أفضل أنواع العلو وأجلها، وأعلى ما يقع للشيوخ في هذا الزمان إسناد رجاله أربعة عشر رجلاً، وإنما يقع ذلك من قراءة ابن عامر من رواية ابن ذكوان ثم خمسة عشر، وإنما يقع ذلك من قراءة عاصم من رواية حفص وقراءة يعقوب من رواية رويس.

الثاني: من أقسام العلو عند المحدثين: القرب إلى إمام من أئمة الحديث كالأعمش وهشيم وابن جريج والأوزاعي ومالك، ونظيره هنا القرب إلى إمام من أئمة السبعة، فأعلى ما يقع اليوم للشيوخ بالإسناد المتصل بالتلاوة إلى نافع اثنا عشر، وإلى عامر اثنا عشر.

الثالث عند المحدثين: العلوّ بالنسبة إلى رواية أحد الكتب الستة بأن يروي حديثاً لو رواه من طريق كتاب من الستة وقع أنزل مما لو رواه من غير طريقها، ونظيره هنا العلوّ بالنسبة إلى بعض الكتب المشهورة في القراءة كالتيسير والشاطبية.

ويقع في هذا النوع الموافقات والإبدال والمساواة والمصافحات.

فالموافقة أن تجتمع طريقة مع أحد أصحاب الكتب في شيخه، وقد لا يكون مع علوّ على ما لو رواه من طريقه، وقد لا يكون مثاله في هذا الفن قراءة ابن كثير رواية البزي طريق ابن بنان عن أبي ربيعة عنه يرويها ابن الجزري من كتاب المفتاح لأبي منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون، ومن كتاب المصباح لأبي الكرم الشهرزوري، وقرأ بها كل من المذكورين على عبد السيد بن عتاب، فروايته لها من أحد الطريقين تسمى موافقة للآخر باصطلاح أهل الحديث.

والبدل أن يجتمع معه في شيخ شيخه فصاعداً، وقد لا يكون أيضاً بعلوّ، وقد لا يكون مثاله هنا قراءة أبي عمر ورواية الدوري طريق ابن مجاهد عن أبي الزعراء عنه، رواها ابن الجزري من كتاب التيسير، قرأ بها الداني على أبي القاسم عبد العزيز بن جعفر البغدادي، وقرأ بها على أبي طاهر عن ابن مجاهد. ومن المصباح قرأ بها أبو الكرم على أبي القاسم يحي بن أحمد السبتي، وقرأ بها على أبي الحسن الحمامي، وقرأ على أبي طاهر، فروايته لها من طريق المصباح تسمى بدلاً للداني في شيخ شيخه.

والمساواة أن يكون بين الراوي والنبي ﷺ أو الصحابي أو من دونه أحد أصحاب الكتب كما بين الشيخ إلى أحد الكتب والنبي ﷺ أو الصحابي أو من دونه على من ذكر من العدد.

والمصافحة أن يكون أكثر عدداً منه بواحد، فكأنه لقي صاحب ذلك الكتاب وصافحه وأخذ عنه، مثاله قراءة نافع رواها الشاطبي عن أبي عبدالله محمد ابن علي النفزي عن أبي عبدالله بن غلام الفرس عن سليمان بن نجاح وغيره عن أبي عمرو الداني عن أبي الفتح فارس بن أحمد عن عبد الباقي عن أبي الحسين بن بويان بن الحسن عن إبراهيم بن عمر المقري عن أبي الحيض بن بويان عن أبي بكر ابن الأشعث عن أبي جعفر الربيعي المعروف بأبي نشيط عن قالون عن نافع.

ورواها ابن الجزري عن أبي بكر الخياط عن أبي محمد البغدادي وغيره عن الصائغ عن الكمال بن فارس عن أبي اليمن الكندي عن أبي القاسم هبة الله بن أحمد الحريري عن أبي بكر الخياط عن الغرضي عن ابن بويان، فهذه مساواة لابن الجزري لأنه بينه، وبين ابن بويان سبعة وهي العدد الذي بين الشاطبي وبينه ولمن أخذ عن ابن الجزري مصافحة للشاطبي.

تقسيم القراء أحوال الإسناد:

ومما يشبه هذا التقسيم الذي لأهل الحديث تقسيم القراء أحوال الإسناد إلى قراءة ورواية وطريق ووجه.

فالخلاف إن كان لأحد الأئمة السبعة والعشرة أو نحوهم واتفقت عليه الروايات والطرق عنه فهو قراءة.

وإن كان للراوي عنه فرواية.

أو لمن بعده فنازلاً فطريق.

أولا على هذه الصفة مما هو راجع إلى تخيير القارىء فيه فوجه.

الرابع: من أقسام العلو: تقدم وفاة الشيخ عن قرينه الذي أخذ عن شيخه فالأخذ مثلاً عن التاج بن مكتوم أعلى من الأخذ عن أبي المعالي بن اللبان، وعن ابن اللبان أعلى من البرهان الشامي وإن اشتركوا في الأخذ عن أبي حيان لتقدم وفاة الأول عن الثاني، والثاني عن الثالث.

والخامس: العلوّ بموت الشيخ لا مع التفات لأمر آخر أو شيخ آخر متى يكون، قال بعض المحدثين: يوصف الإسناد بالعلوّ إذا مضى عليه من موت الشيخ خمسون سنة، وقال ابن منده: ثلاثون، فعلى هذا الأخذ عن أصحاب ابن الجزري عال من سنة ثلاث وستين وثمانمائة، لأن ابن الجزري آخر من كان سنده

عالياً ومضى عليه حينئذ من موته ثلاثون سنة، فهذا ما حررته من قواعد الحديث وخرّجت عليه قواعد القراءات ولم أسبق إليه ولله الحمد والمنة. وإذا عرفت العلوّ بأقسامه عرفت النزول فإنه ضده، وحيث ذمّ النزول فهو ما لم ينجبر بكون رجاله أعلم أو أحفظ أو أتقن أو أجل أو أشهر أو أورع، أما إذا كان كذلك فليس بمذموم ولا مفضول.

النوع الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والعشرون

معرفة المتواتر والمشهود والآحاد والشاذ والموضوع والمدرج

إعلم أن القاضي جلال الدين البلقيني قال: القراءة تنقسم إلى متواتر وآحاد وشاذ. فالمتواتر القراءات السبعة المشهورة والآحاد قراءات الثلاثة التي هي تمام العشر، ويلحق بها قراءة الصحابة. والشاذ قراءة التابعين كالأعمش ويحيى بن وثاب وابن جبير ونحوهم، وهذا الكلام فيه نظر يعرف مما سنذكره. وأحسن من تكلم في هذا النوع إمام القراء في زمانه شيخ شيوخنا أبو الخير بن الجزري قال في أول كتابه النشر: كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفةأو شاذة أو باطلة، سواء كنت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف، صرح بذلك الداني ومكي والمهدوي وأبو شامة، وهو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافه.

القراءة الصحيحة ليست مرتبطة بالسبعة:

قال أبو شامة في المرشد الوجيز: لا ينبغي أن يغتر بكل قراءة تعزى إلى أحد

السبعة ويطلق عليها لفظ الصحة وأنها أنزلت هكذا، إلا إذا دخلت في ذلك الضابط وحينئذ لا ينفرد بنقلها مصنف عن غيره، ولا يختص ذلك بنقلها عنهم، بل إن نقلت عن غيرهم من القراء فذلك لا يخرجها عن الصحة، فإن الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف لا على من تنسب إليه، فإن القراءة المنسوبة إلى كل قارىء من السبعة وغيرهم منقسمة إلى المجمع عليه والشاذ غير أن هؤلاء السبعة لشهرتهم وكثرة الصحيح المجمع عليه في قراءتهم تركن النفس إلى ما نقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم.

ثم قال ابن الجزري: فقولنا في الضابط ولو بوجه نريد به وجهاً من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحاً مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضرّ مثله إذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح، إذ هو الأصل الأعظم والركن الأقوم، وكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم ولم يعتبر إنكارهم كإسكان بارئكم ويأمركم، وخفض والأرحام، ونصب ليجزي قوماً، والفصل بين المضافين في قتل أولادهم شركائهم وغير ذلك.

القراءة الصحيحة ما ثبت في النقل:

قال الداني: وأئمة القراء: لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الإفشاء في اللغة، والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل، وإذا ثبتت الرواية لم يردها قياس عربية ولا فشوّ لغة، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها. قلت: أخرج سعيد بن منصور في سننه عن زيد بن ثابت قال: القراءة سنة متبعة.

قال البيهقي: أراد أن اتباع من قبلنا في الحروف سنة متبعة لا يجوز مخالفة المصحف الذي هو إمام، ولا مخالفة القراءات التي هي مشهورة وإن كان غير

ذلك سائغاً في اللغة أو أظهر منها.

ثم قال ابن الجزري: ونعني بموافقة أحد المصاحف ما كان ثابتاً في بعضها دون بعض كقراءة ابن عامر، قالوا: اتخذ الله ولداً في البقرة بغير واو، وبالزبر وبالكتاب بإثبات الباء فيهما، فإن ذلك ثابت في المصحف الشامي. وكقراءة ابن كثير تجري من تحتها الأنهار في آخر براءة بزيادة «من» فإنه ثابت في المصحف المكي ونحو ذلك، فإن لم يكن في شيء من المصاحف العثمانية فشاذ لمخالفتها الرسم المجمع عليه. وقولنا ولو احتمالاً نعني به ما وافقه ولو تقديراً كملك يوم الدين، فإنه كتب في الجميع بلا ألف، فقراءة الحذف توافقه تحقيقاً وقراءة الألف توافقه تقديراً لحذفها في الخط انتصاراً كما كتب ملك الملك، وقد يوافق اختلاف القراءات الرسم تحقيقاً نحو تعلمون بالتاء والياء، ويغفر لكم بالياء والنون ونحو ذلك، مما يدل تجرّده عن النقط والشكل في حذفه وإثباته على فضل عظيم للصحابة رضي الله عنهم في علم الهجاء خاصة، وفهم ثاقب في تحقيق كل علم.

وانظر كيف كتبوا الصراط بالصاد المبدلة من السين، وعدلوا عن السين التي هي الأصل لتكون قراءة السين وإن خالفت الرسم من وجه قد أتت على الأصل فيعتدلان، وتكون قراءة الإشمام محتملة، ولو كتب ذلك بالسين على الأصل لفات ذلك وعدّت قراءة غير السين مخالفة للرسم والأصل، ولذلك اختلف في بسطة الأعراف دون بسطة البقرة لكون حرف البقرة كتب بالسين والأعراف بالصاد، على أن مخالف صريح الرسم في حرف مدغم أو مبدل أو ثابت أو محذوف أو نحو ذلك لا يعد مخالفاً إذا ثبتت القراءة به ووردت مشهورة مستفاضة، ولذا لم يعدوا إثبات ياء الزوائد وحذف ياء تسئلني في الكهف وواو وأكون من الصالحين والظاء من يظنين ونحوه من مخالفة الرسم المردودة، فإن

الخلاف في ذلك مغتفر، إذ هو قريب يرجع إلى معنى واحد وتمشية صحة القراءة وشهرتها وتلقيها بالقبول، بخلاف زيادة كلمة ونقصانها وتقديمها وتأخيرها حتى ولو كانت حرفاً واحداً من حروف المعاني فإن حكمه في حكم الكلمة لا يسوغ مخالفة الرسم فيه، وهذا هو الحدّ الفاصل في حقيقة اتباع الرسم ومخالفته.

قال: وقولنا وصح إسنادها نعني به أن يروي تلك القراءة العدل الضابط عن مثله وهكذا حتى ينتهي وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن غير معدودة عندهم من الغلط أو مما شذّ بها بعضهم.

ما رواه الآحاد لا يثبت به قرآن:

قال: وقد شرط بعض المتأخرين التواتر في هذا الركن، ولم يكتف بصحة السند وزعم أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، وأن ما جاء مجيء الآحاد لا يثبت به قرآن، قال: وهذا مما لا يخفى ما فيه، فإن التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنين الأخيرين من الرسم وغيره، إذ ما ثبت من أحرف الخلاف متواتراً عن النبي ﷺ وجب قبوله وقطع بكونه قرآناً سواء وافق الرسم أم لا، وإذا شرطنا التواتر في كل حرف من حروف الخلاف انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن السبعة.

القراءات السبع متواترة:

وقد قال أبو شامة: شاع على ألسنة جماعة من المقرئين المتأخرين وغيرهم من المقلدين أن السبع كلها متواترة، أي كل فرد فرد فيما روى عنهم. قالوا: والقطع بأنها منزلة من عند الله واجب ونحن بهذا نقول، ولكن فيما اجتمعت على نقله عنهم الطرق واتفقت عليه الفرق من غير نكير له فلا أقل من اشتراط ذلك إذا

لم يتفق التواتر في بعضها. وقال الجعبري: الشرط واحد وهو صحة النقل ويلزم الآخران، فمن أحكم معرفة حال النقلة وأمعن في العربية وأتقن الرسم انجلت له هذه الشبهة.

القرآن على ثلاثة أقسام:

وقال مكي: ما روي في القرآن على ثلاثة أقسام: قسم يقرأ به ويكفر جاحده، وهو ما نقله الثقات ووافق العربية ونمط المصحف. وقسم صح نقله عن الآحاد وصح في العربية وخالف لفظه الخط فيقبل ولا يقرأ به لأمرين: مخالفته لما أجمع عليه، وأنه لم يؤخذ بإجماع بل بخبر الآحاد ولا يثبت به قرآن ولا يكفر جاحده، ولبئس ما صنع إذا جحده. وقسم نقله ثقة ولا حجة له في العربية، أو نقله غير ثقة فلا يقبل وإن وافق الخط.

وقال ابن الجزري: مثال الأول كثير، كمالك وملك ويخدعون ويخادعون، ومثال الثاني: قراءة ابن مسعود وغيره،: والذكر والأنثى، وقراءة ابن عباس، وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة ونحو ذلك. قال: واختلف العلماء في القراءة بذلك، والأكثر على المنع لأنها لم تتواتر، وإن ثبتت بالنقل فهي منسوخة بالعرضة الأخيرة أو بإجماع الصحابة على المصحف العثماني.

ومثال ما نقله غير ثقة كثير مما في كتب الشواذ مما غالب إسناده ضعيف، وكالقراءة المنسوبة إلى الإمام أبي حنيفة التي جمعها أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي ونقلها عنه أبو القاسم الهذلي، ومنها: إنما يخشى الله من عباده العلماء، برفع الله ونصب العلماء. وقد كتب الدارقطني وجماعة بأن هذا الكتاب موضوع لا أصل له.

ومثال ما نقله ثقة ولا وجه له في العربية قليل لا يكاد يوجد، وجعل بعضهم

منه رواية خارجة عن نافع معائش بالهمز. قال: وبقي قسم رابع مردود أيضاً، وهو ما وافق العربية والرسم ولم ينقل البتة، فهذا ردّه أحق ومنعه أشدّ ومرتكبه مرتكب لعظيم من الكبائر. وقد ذكر جواز ذلك عن أبي بكر بن مقسم وعقد له بسبب ذلك مجلس وأجمعوا على منعه، ومن ثم امتنعت القراءة القياس المطلق الذي لا أصل له يرجع إليه، ولا ركن يعتمد في الأداء عليه. قال: أما ما له أصل كذلك فإنه مما يصار إلى قبول القياس عليه كقياس إدغام قال رجلان على قال رب ونحوه مما لا يخالف نصاً ولا يردّ إجماعاً مع أنه قليل جداً.

القراءات أنواع:

قلت: أتقن الإمام ابن الجزري هذا الفصل جداً، وقد تحرّر لي منه أن القراءات أنواع. الأول: المتواتر، وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه، وغالب القراءات كذلك.

الثاني: المشهور وهو ما صح سنده ولم يبلغ درجة المتواتر ووافق العربية والرسم واشتهر عند القراء فلم يعدّوه من الغلط ولا من الشذوذ، ويقرأ به على ما ذكره ابن الجزري ويفهمه كلام أبي شامة السابق، ومثاله: ما اختلف الطرق في نقله عن السبعة فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض، وأمثلة ذلك كثيرة في فرش الحروف من كتب القراءات كالذي قبله. ومن أشهر ما صنف في ذلك التيسير للداني، وقصيدة الشاطبي وأوعية النشر في القراءات العشر، وتقريب النشر كلاهما لابن الجزري.

الثالث: الآحاد، وهو ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية أو لم يشتهر الاشتهار المذكور ولا يقرأ به، وقد عقد الترمذي في جامعه والحاكم في مستدركه لذلك باباً أخرجا فيه شيئاً كثيراً صحيح الإسناد. ومن ذلك ما أخرجه الحاكم من طريق عاصم الجحدري عن أبي بكرة أن النبي ﷺ قرأ: متكئين على رفارف

خضر وعباقريّ حسان. وأخرج من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قرأ: أفلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرات أعين. وأخرج عن ابن عباس أنه ﷺ قرأ: لقد جاءكم رسول من أنفسكم بفتح الفاء. وأخرج عن عائشة أنه ﷺ قرأ: فروح وريحان: يعني بضم الراء.

الرابع: الشاذ، وهو ما لم يصح سنده، وفيه كتب مؤلفة، من ذلك قراءة ملك يوم الدين بصيغة الماضي، ونصب يوم إياك يعبد ببنائه للمفعول.

الخامس: الموضوع، كقراءات الخزاعي. وظهر لي سادس يشبه من أنواع الحديث المدرج، وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير، كقراءة سعد بن أبي وقاص، وله أخ أو أخت من أم أخرجها سعيد بن منصور، وقراءة ابن عباس: ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج، أخرجها البخاري. وقراءة ابن الزبير: ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم. قال عمرو: فما أدري أكانت قراءته أم فسر؟ أخرجه سعيد بن منصور. وأخرجه الأنباري وجزم بأنه تفسير. وأخرج عن الحسن أنه كان يقرأ: وإن منكم إلا واردها. الورود: الدخول. قال الأنباري قوله الورود: الدخول تفسير من الحسن لمعنى الورود، وغلط فيه بعض الرواة فأدخله في القرآن. قال: ابن الجزري في آخر كلامه: وربما كانوا يدخلون التفسير في القراءات إيضاحاً وبياناً لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي ﷺ قرآناً فهم آمنون من الالتباس، وربما كان بعضهم يكتبه معه. وأما من يقول إن بعض الصحابة كان يجيز القراءة بالمعنى فقد كذب، وسأفرد في هذا النوع: أعني المدرج تأليفاً مستقلاً.

[تنبيهات: الاول] لا خلاف أن كل ما هو من القرآن يجب أن يكون متواتراً في أصله وأجزائه، وأما في محله وضعه وترتيبه فكذلك عند محققي أهل

السنة للقطع بأن العادة تقضي بالتواتر في تفاصيل مثله، لأن هذا المعجز العظيم الذي هو أصل الدين القويم والصراط المستقيم مما تتوفر الدواعي على نقل جمله وتفاصيله، فما نقل آحاداً ولم يتواتر يقطع بأنه ليس من القرآن قطعاً.

وذهب كثير من الأصوليين إلى أن التواتر شرط في ثبوت ما هو من القرآن بحسب أصله، وليس بشرط في محله ووضعه وترتيبه، بل يكثر فيها نقل الآحاد. قيل وهو الذي يقتضيه صنع الشافعي في إثبات البسملة من كل سورة.

وردّ هذا المذهب بأن الدليل السابق يقتضي التواتر في الجميع، ولأنه لو لم يشترط لجاز سقوط كثير من القرآن المكرّر وثبوت كثير مما ليس بقرآن. أما الأول: فلأنا لو لم نشترط التواتر في المحل جاز أن لا يتواتر كثير من المكرّرات الواقعة في القرآن مثل ﴿فبِأيّ آلاء ربّكُما تكَذّبان﴾ وأما الثاني: فلأنه إذا لم يتواتر بعض القرآن بحسب المحل جاز إثبات ذلك البعض في الموضع بنقل الآحاد.

وقال: القاضي أبو بكر في الانتصار: ذهب قوم من الفقهاء والمتكلمين: إلى إثبات قرآن حكماً لا علماً بخبر الواحد دون الاستفاضة، وكره ذلك أهل الحق وامتنعوا منه. وقال قوم من المتكلمين: إنه يسوغ إعمال الرأي والاجتهاد في إثبات قراءة وأوجه وأحرف إذا كانت تلك الأوجه صواباً في العربية، وإن لم يثبت أن النبي ﷺ قرأ بها وأبى ذلك أهل الحق وأنكروه وخطأوا من قال به انتهى.

البسملة آية قرآنية:

وقد بنى المالكية وغيرهم ممن قال بإنكار البسملة قوله على هذا الأصل، وقرّروه بأنها لم تتواتر في أوائل السور، وما لم يتواتر فليس بقرآن. وأجيب من

قبلنا بمنع كونها لم تتواتر، فرب متواتر عند قوم دون آخرين وفي وقت دون آخر. ويكفي في تواترها إثباتها في مصاحف الصحابة فمن بعدهم بخط المصحف مع منعهم أن يكتب في المصحف ما ليس منه كأسماء السور وآمين والأعشار. فلو لم تكن قرآناً لما استجازوا إثباتها بخطه من غير تمييز، لأن ذلك يحمل على اعتقادها قرآناً فيكونون مغرّرين بالمسلمين حاملين لهم على اعتقاد ما ليس بقرآن قرآناً، وهذا مما لا يجوز اعتقاده في الصحابة.

فإن قيل: لعلها أثبتت للفصل بين السور؟ أجيب بأن هذا فيه تغرير، ولا يجوز ارتكابه لمجرّد الفصل، ولو كانت له لكتبت بين براءة والأنفال.

ويدل لكونها قرآناً منزّلاً ما أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم وغيرهم عن أم سلمة «أن النبي ﷺ كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين» الحديث. وفيه وعد بسم الله الرحمن الرحيم آية ولم يعد عليهم.

وأخرج ابن خزيمة والبيهقي في المعرفة بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: استرق الشيطان من الناس أعظم آية من القرآن: بسم الله الرحمن الرحيم.

وأخرج البيهقي في الشعب وابن مردويه بسند حسن من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: أغفل الناس آية من كتاب الله لم تنزل على أحد سوى النبي ﷺ إلا أن يكون سليمان بن داود: بسم الله الرحمن الرحيم.

وأخرج الدراقطني والطبراني في الأوسط بسند ضعيف عن بريدة قال: قال النبي ﷺ «لا أخرج من المسجد حتى أخبرك بآية لم تنزل على نبيّ بعد سليمان غيري، ثم قال: بأي شيء تفتتح القرآن إذا افتتحت الصلاة؟ قلت: بسم الله الرحمن الرحيم، قال: هي هي».

البسملة تحدد أوائل السور:

وأخرج أبو داود والحاكم والبيهقي والبزار من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم. زاد البزاز: فإذا نزلت عرف أن السورة قد ختمت واستقبلت أو ابتدئت سورة أخرى.

وأخرج الحاكم من وجه آخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان المسلمون لا يعلمون انقضاء السورة حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم، فإذا نزلت علموا أن السورة قد انقضت إسناده على شرط الشيخين. وأخرج الحاكم أيضاً من وجه آخر عن سعيد عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا جاءه جبريل فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم علم أنها سورة. إسناده صحيح.

وأخرج البيهقي في الشعب وغيره عن ابن مسعود قال: كنا لا نعلم فصلاً بين السورتين حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم. قال أبو شامة: يحتمل أن يكون ذلك وقت عرضه ﷺ على جبريل كان لا يزال يقرأ في السورة إلى أن يأمره جبريل بالتسمية فيعلم أن السورة قد انقضت، وعبر ﷺ بلفظ النزول إشعاراً بأنها قرآن في جميع أوائل السور، ويحتمل أن يكون المراد أن جميع آيات كل سورة كانت تنزل قبل نزول البسملة، فإذا كملت آياتها نزل جبريل بالبسملة واستعرض السورة فيعلم النبي ﷺ أنها قد ختمت ولا يلحق بها شيئاً.

البسملة جزء من الفاتحة:

وأخرج ابن خزيمة والبيهقي بسند صحيح عن ابن عباس قال: السبع المثاني فاتحة الكتاب، قيل فأين السابعة؟ قال: بسم الله الرحمن الرحيم. وأخرج الدارقطني بسند صحيح عن عليّ أنه سُئل عن السبع المثاني فقال: الحمد لله رب

العالمين، فقيل له: إنما هي ستّ آيات، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم آية.

البسملة جزء من كل سورة:

وأخرج الدارقطني وأبو نعيم والحاكم في تاريخه بسند ضعيف عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «كان جبريل إذا جاءني بالوحي أول ما يلقي علي بسم الله الرحمن الرحيم». وأخرج الواحدي من وجه آخر عن نافع عن ابن عمر قال: نزلت بسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة. وأخرج البيهقي من وجه ثابت عن نافع عن ابن عمر أنه كان يقرأ في الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم، وإذا ختم السورة قرأها ويقول: ما كتبت في المصحف إلا لتقرأ. وأخرج الدارقطني بسند صحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأتم الحمد فاقرأوا بسم الله الرحمن الرحيم فإنها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني، وبسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها» وأخرج مسلم عن أنس قال «بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسماً فقال: أنزلت علي آنفاً سورة، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم. إنا أعطيناك الكوثر» الحديث. فهذه الأحاديث تعطي التواتر المعنوي بكونها قرآناً منزلاً في أوائل السور.

رأي منسوب لابن مسعود في الفاتحة:

ومن المشكل على هذا الأصل ما ذكره الإمام فخر الدين الرازي قال: نقل في بعض الكتب القديمة أن ابن مسعود كان ينكر كون سورة الفاتحة والمعوّذتين من القرآن، وهو في غاية الصعوبة لأنا إن قلنا: إن النقل المتواتر كان حاصلاً في عصر الصحابة يكون ذلك من القرآن فإنكاره يوجب الكفر. وإن قلنا: لم يكن حاصلاً في ذلك الزمان فيلزم أن القرآن ليس بمتواتر في الأصل. قال: والأغلب على الظن أن نقل هذا المذهب عن ابن مسعود نقل باطل، وبه يحصل الخلاص

عن هذه العقدة. وكذا قال القاضي أبو بكر: لم يصح عنه أنها ليست من القرآن ولا حفظ عنه، إنما حكها وأسقطها من مصحفه إنكاراً لكتابتها لا جحداً لكونها قرآناً، لأنه كانت السنة عنده أن لا يكتب في المصحف إلا ما أمر النبي ﷺ بإثباته فيه، ولم يجده كتب ذلك ولا سمعه أمر به.

الفاتحة والمعوذتان جزء من القرآن:

وقال النووي في شرح المهذب: أجمع المسلمون على أن المعوّذتين والفاتحة من القرآن، وأن من جحد منها شيئاً كفر، وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح. وقال ابن حزم في كتاب القدح المعلى تتميم المحلى: هذا كذب على ابن مسعود وموضوع، وإنما صح عنه قراءة عاصم عن زرّ عنه، وفيها المعوّذتان والفاتحة.

وقال ابن حجر في شرح البخاري: قد صح عن ابن مسعود إنكار ذلك، فأخرج أحمد وابن حبان عنه أنه كان لا يكتب المعوّذتين في مصحفه. وأخرج عبدالله بن أحمد في زيادات المسند والطبراني وابن مردويه من طريق الأعمش عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد النخعي قال: كان عبدالله بن مسعود يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول: إنهما ليستا من كتاب الله.

وأخرج البزار والطبراني من وجه آخر عنه أنه كان يحك المعوذتين من المصحف ويقول: إنما أمر النبي ﷺ أن يتعوّذ بهما، وكان عبدالله لا يقرأ بهما، أسانيدها صحيحة. قال البزار: ولم يتابع ابن مسعود على ذلك أحد من الصحابة، وقد صح أنه ﷺ قرأهما في الصلاة.

قال ابن حجر: فقول من قال إنه كذب عليه مردود، والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل، بل الروايات صحيحة والتأويل محتمل. قال: وقد

أوله القاضي وغيره على إنكار الكتابة كما سبق. قال: وهو تأويل حسن، إلا أن الرواية الصريحة التي ذكرتها تدفع ذلك حيث جاء فيها: ويقول إنهما ليستا من كتاب الله. قال: ويمكن حمل لفظ كتاب الله على المصحف فيتم التأويل المذكور، لكن قال: من تأمل سياق الطرق المذكورة استبعد هذا الجمع. قال: وقد أجاب ابن الصباغ بأنه لم يستقرّ عنده القطع بذلك ثم حصل الاتفاق بعد ذلك، وحاصلة أنهما كانتا متواترتين في عصره لكنهما لم يتواترا عنده. انتهى.

وقال ابن قتيبة في مشكل القرآن: ظن ابن مسعود أن المعوّذتين ليستا من القرآن، لأنه رأى النبي ﷺ يعوّذ بهما الحسن والحسين فأقام على ظنه. ولا نقول إنه أصاب في ذلك وأخطأ المهاجرون والأنصار. قال: وأما إسقاطه الفاتحة من مصحفه فليس لظنه أنها ليست من القرآن، معاذ الله، ولكنه ذهب إلى أن القرآن إنما كتب وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان والزيادة والنقصان، ورأي أن ذلك مأمون في سورة الحمد لقصرها ووجوب تعلمها على كل أحد. قلت: وإسقاطه الفاتحة من مصحفه أخرجه أبو عبيد بسند صحيح كما تقدم في أوائل النوع التاسع عشر.

القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان:

[التنبيه الثاني] قال الزركشي في البرهان: القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما، والقراءات السبع متواترة عند الجمهور، وقيل بل هي مشهورة. قال الزركشي: والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة، أما تواترها عن النبي ﷺ ففيه نظر، فإن إسنادهم بهذه القراءات السبعة موجود في كتب القراءات، وهي نقل الواحد عن الواحد. قلت: في ذلك نظر لما سيأتي.

واستثنى أبو شامة كما تقدم الألفاظ المختلف فيها عن القراء، واستثنى ابن الحاجب، ما كان من قبيل الأداء كالمد والإمالة وتحقيق الهمزة.

وقال غيره: الحق أن أصل المدّ والإمالة متواتر، ولكن التقدير غير متواتر للاختلاف في كيفيته، كذا قال الزركشي. قال: وأما أنواع تحقيق الهمزة فكلها متواترة.

وقال ابن الجزري: لا نعلم أحداً تقدم ابن الحاجب إلى ذلك، وقد نص على تواتر ذلك كله أئمة الأصول كالقاضي أبي بكر وغيره وهو الصواب، لأنه إذا ثبت تواتر اللفظ ثبت تواتر هيئة أدائه، لأن اللفظ لا يقوم إلا به ولا يصح إلا بوجوده.

القراءات السبع ليست وحدها الصحيحة:

[التنبيه الثالث] قال أبو شامة: ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل. وقال أبو العباس بن عمار: لقد نقل مسبع هذه السبعة ما لا ينبغي له، وأشكل الأمر على العامة بإبهامه كل من قل نظره أن هذه القراءات هي المذكورة في الخبر، وليته إذا اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل الشبهة. ووقع له أيضاً في اقتصاره على كل إمام على راويين أنه صار من سمع قراءة راوٍ ثالث غيرهما أبطلها، وقد تكون هي أشهر وأصح وأظهر، وربما بالغ من لا يفهم فخطأ أو كفر.

وقال أبو بكر ابن العربي: ليست هذه السبعة متعينة للجواز حتى لا يجوز غيرها، كقراءة أبي جعفر وشيبة والأعمش ونحوهم، فإن هؤلاء مثلهم أو فوقهم، وكذا قال غير واحد منهم مكي وأبو العلاء الهمداني وآخرون من أئمة القراء.

وقال أبو حيان: ليس في كتاب ابن مجاهد ومن تبعه من القراءات المشهورة إلا النزر اليسير، فهذا أبو عمرو بن العلاء اشتهر عنه سبعة عشر راوياً ثم ساق أسماءهم، واقتصر في كتاب ابن مجاهد على اليزيدي. واشتهر عن اليزيدي عشرة أنفس فكيف يقتصر على السوسي والدوري وليس لهما مزية على غيرهما، لأن الجميع مشتركون في الضبط والإتقان والاشتراك في الأخذ، قال: ولا أعرف لهذا سبباً إلا ما قضى من نقص العلم.

وقال مكي: من ظن أن قراءة هؤلاء القراء كنافع وعاصم هي الأحرف السبعة التي في الحديث فقد غلط غلطاً عظيماً. قال: ويلزم من هذا أيضاً أن ما خرج عن قراءة هؤلاء السبعة مما ثبت عن الأئمة غيرهم ووافق خط الصحف أن لا يكون قرآناً، وهذا غلط عظيم، فإن الذين صنفوا القراءات من الأئمة المتقدمين كأبي عبيد القاسم بن سلام وأبي حاتم السجستاني وأبي جعفر الطبري وإسماعيل القاضي قد ذكروا أضعاف هؤلاء.

القراءات على رأس المائتين:

وكان الناس على رأس المائتين بالبصرة على قراءة أبي عمرو ويعقوب، وبالكوفة على قراءة حمزة وعاصم، وبالشام على قراءة ابن عامر، وبمكة على قراءة ابن كثير، وبالمدينة على قراءة نافع، واستمروا على ذلك، فلما كان على رأس الثلاثمائة أثبت ابن مجاهد اسم الكسائي وحذف يعقوب.

سب الاقتصار على السبعة:

قال: والسبب في الاقتصار على السبعة مع أن في أئمة القراء من هو أجلّ منهم قدراً أو مثلهم أكثر من عددهم أن الرواة عن الأئمة كانوا كثيراً جداً، فلما تقاصرت الهمم اقتصروا مما يوافق خط المصحف على ما يسهل حفظه وتنضبط

القراءة به، فنظروا إلى من اشتهر بالثقة والأمانة وطول العمر في ملازمة القراءة به والاتفاق على الأخذ عنه، فأفردوا من كل مصر إماماً واحداً ولم يتركوا مع ذلك نقل ما كان عليه الأئمة غير هؤلاء من القراءات ولا القراءة به، كقراءة يعقوب وأبي جعفر وشيبة وغيرهم.

قال: وقد صنف ابن جبر المكي مثل ابن مجاهد كتاباً في القراءات فاقتصر على خمسة، اختار من كل مصر إماماً، وإنما اقتصر على ذلك لأن المصاحف التي أرسلها عثمان كانت خمسة إلى هذه الأمصار. ويقال إنه وجه بسبعة: هذه الخمسة: ومصحفاً إلى اليمن، ومصحفاً إلى البحرين، لكن لما لم يسمع لهذين المصحفين خبراً وأراد ابن مجاهد وغيره مراعاة عدد المصاحف استبدلوا من مصحف البحرين واليمن قارئين كمل بهما العدد، فصادف ذلك موافقة العدد الذي ورد الخبر به، فوقع ذلك لمن لم يعرف أصل المسألة ولم تكن له فطنة، فظن أن المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع، والأصل المعتمد عليه صحة السند في السماع واستقامة الوجه في العربية وموافقة الرسم، وأصح القراءات سنداً نافع وعاصم، وأفصحها أبو عمرو والكسائي انتهى.

التمسك بالقراءات السبع دون سواها ليس فيه أثر:

وقال القراب في الشافي: التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنة، وإنما هو من جمع بعض المتأخرين فانتشر وأوهم أنه لا تجوز الزيادة على ذلك، وذلك لم يقل به أحد.

وقال الكواشي: كل ما صح سنده واستقام وجهه في العربية ووافق خط المصحف الإمام فهم من السبعة المنصوصة، ومتى فُقِدَ شرط من الثلاثة فهو من الشاذ. وقد اشتد إنكار أئمة هذا الشأن على من ظن انحصار القراءات المشهورة في مثل ما في التيسير والشاطبية، وآخر من صرح بذلك الشيخ تقي

الدين السبكي فقال في شرح المنهاج: قال الأصحاب: تجوز القراءة في الصلاة وغيرها بالقراءات السبع ولا تجوز بالشاذ، وظاهر هذا يوهم أن غير السبع المشهورة من الشواذ. وقد نقل البغوي الاتفاق على القراءة بقراءة يعقوب وأبي جعفر مع السبع المشهورة، وهذا القول هو الصواب.

القراءات غير السبع:

قال: واعلم أن الخارج عن السبع المشهور على قسمين: منه ما يخالف رسم المصحف فهذا لا شك في أنه لا تجوز قراءته لا في الصلاة ولا في غيرها.

ومنه ما لا يخالف رسم المصحف ولم تشتهر القراءة به وإنما ورد من طريق غريب لا يعوّل عليها، وهذا يظهر المنع من القراءة به أيضاً.

ومنه ما اشتهر عن أئمة هذا الشأن القراءة به قديماً وحديثاً، فهذا لا وجه للمنع منه، ومن ذلك قراءة يعقوب وغيره. قال: والبغوي أولى من يعتمد عليه في ذلك فإنه مقرىء فقيه جامع للعلوم. قال: وهكذا التفصيل في شواذ السبعة، فإن عنهم شيئاً كثيراً شاذاً انتهى.

وقال ولده في منع الموانع: إنما قلنا في جمع الجوامع والسبع متواترة ثم قلنا في الشاذ والصحيح أنه ما وراء العشرة ولم نقل والعشر متواترة، لأن السبع لم يختلف في تواترها، فذكرنا أولاً موضع الإجماع ثم عطفنا عليه موضع الخلاف. قال: على أن القول بأن القراءات الثلاث غير متواترة في غاية السقوط، ولا يصح القول به عمن يعتبر قوله في الدين، وهي لا تخالف رسم المصحف. قال: وقد سمعت أبي يشدّد النكير على بعض القضاة وقد بلغه أنه منع من القراءة بها. واستأذنه بعض أصحابنا مرة في إقراء السبع فقال: أذنت لك أن تقرأ العشر انتهى.

وقال في جواب سؤال سأله ابن الجزري: القراءات السبع التي اقتصر عليها الشاطبي والثلاث التي هي قراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف متواترة معلومة من الدين بالضرورة، وكل حرف انفرد به واحد من العشرة معلوم من الدين بالضرورة أنه منزل على رسول الله ﷺ لا يكابر في شيء من ذلك إلا جاهل.

اختلاف القراءات يظهر الاختلاف في الأحكام:

[التنبيه الرابع] باختلاف القراءات يظهر الاختلاف في الأحكام، ولهذا بنى الفقهاء نقض وضوء الملموس وعدمه على اختلاف القراءة في [لمستم ولامستم] وجواز وطء الحائض عند الانقطاع قبل الغسل وعدمه على الاختلاف في [يطهرن] وقد حكوا خلافاً غريباً في الآية إذا قرئت بقراءتين، فحكى أبو الليث السمرقندي في كتاب البستان قولين: أحدهما أن الله قال بهما جميعاً. والثاني أن الله قال بقراءة واحدة إلا أنه أذن أن تقرأ بقراءتين، ثم اختار توسطاً وهو أنه إن كان لكل قراءة تفسير يغاير الآخر فقد قال بهما جميعاً وتصير القراءتان بمنزلة آيتين مثل حتى يطهرن وإن كان تفسيرهما واحداً كالبيوت والبيوت، فإنما قال بأحدهما وأجاز القراءة بهما لكل قبيلة على ما تعود لسانهم.

اختلاف القراءات لها فوائد:

فإن قيل: إذا قلتم إنه قال بأحدهما فأيّ القراءتين هي. قلنا: التي بلغة قريش انتهى.

وقال بعض المتأخرين: لاختلاف القراءات وتنوّعها فوائد: منها التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة. ومنها إظهار فضلها وشرفها على سائر الأمم، إذ لم ينزل كتاب غيرهم إلا على وجه واحد. ومنها إعظام أجرها من حيث أنهم يفرغون جهدهم في تحقيق ذلك وضبطه لفظة لفظة حتى مقادير المدات وتفاوت

الإمالات، ثم في تتبع معاني ذلك واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ وإمعانهم الكشف عن التوجيه والتعليل والترجيح. ومنها إظهار سرّ الله في كتابه وصيانته له عن التبديل والاختلاف مع كونه على هذه الأوجه الكثيرة. ومنها المبالغة في إعجازه بإيجازه إذ تنوّع القراءت بمنزلة الآيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدة لم يخف ما كان فيه من التطويل، ولهذا كان قوله: ﴿وأرجلَكُم﴾ منزلاً لغسل الرجل والمسح على الخف واللفظ واحد لكن باختلاف إعرابه. ومنها أن بعض القراءات يبين ما لعله مجمل في القراءة الأخرى، فقراءة (يطهرن) بالتشديد مبينة لمعنى قراءة التخفيف، وقراءة [فامضوا إلى ذكر الله] تبين أن المراد بقراءة (اسعوا) الذهاب لا المشي السريع.

المقصد من القراءة بالشاذة:

وقال أبو عبيد في فضائل القرآن: المقصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها، كقراءة عائشة وحفصة: والصلاة الوسطى صلاة العصر، وقراءة ابن مسعود: [فاقطعوا أيمانهما] وقراءة جابر: [فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم]. قال: فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن، وقد كان يروى مثل هذا عن التابعين في التفسير فيستحسن، فيكف إذ روي عن كبار الصحابة ثم صار في نفس القراءة فهو أكثر من التفسر وأقوى، فأدنى ما يستنبط من هذه الحروف معرفة صحة التأويل انتهى.

وقد اعتنيت في كتابي أسرار التنزيل ببيان كل قراءة أفادت معنى زائداً على القراءة المشهورة.

العمل بالقراءة الشاذة:

[التنبيه الخامس] اختلف في العمل بالقراءة الشاذة، فنقل إمام الحرمين في

البرهان عن ظاهر مذهب الشافعي أنه لا يجوز ، وتبعه أبو نصر القشيري ، وجزم به ابن الحاجب لأنه نقله على أنه قرآن ولم يثبت. وذكر القاضيان أبو الطيب والحسين والروياني والرافعي العمل بها تنزيلاً لها منزلة خبر الآحاد ، وصححه ابن السبكي في جمع الجوامع وشرح المختصر ، وقد احتج الأصحاب على قطع يمين السارق بقراءة ابن مسعود ، وعليه أبو حنيفة أيضاً ، واحتج على وجوب التتابع في صوم كفارة اليمين بقراءته متتابعات ، ولم يحتج بها أصحابنا لثبوت نسخها كما سيأتي.

من المهم معرفة توجيه القراءات:

[التنبيه السادس] من المهم معرفة توجيه القراءات، وقد اعتنى به الأئمة وأفردوا فيه كتباً منها الحجة لأبي عليّ الفارسي والكشف لمكي والهداية للمهدوي والمحتسب في توجيه الشواذ لابن جني.

قال الكواشي: وفائدته أن يكون دليلاً على حسب المدلول عليه أو مرجحاً، إلا أنه ينبغي التنبيه على شيء وهو أنه قد ترجح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحاً يكاد يسقطها، وهذا غير مرضي لأن كلاً منها متواتر.

وقد حكي أبو عمر الزاهد في كتاب اليواقيت عن ثعلب أنه قال: إذا اختلف الإعرابان في القراءات لم أفضل إعراباً على إعراب، فإذا خرجت إلى كلام الناس فضلت الأقوى.

وقال أبو جعفر النحاس: السلامة عند أهل الدين إذا صحت القراءتان أن لا يقال إحداهما أجود لأنهما جميعاً عن النبي ﷺ ، فيأثم من قال ذلك، وكان رؤساء الصحابة ينكرون مثل هذا.

وقال أبو شامة: أكثر المصنفون من الترجيح بين قراءة مالك وملك حتى أن

بعضهم بالغ إلى حدّ يكاد يسقط وجه القراءة الأخرى، وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين انتهى. وقال بعضهم: توجيه القراءات الشاذة أقوى في الصناعة من توجيه المشهورة.

[خاتمة] قال النخعي: كانوا يكرهون أن يقولوا قراءة عبد الله وقراءة سالم وقراءة أُبيّ وقراءة زيد، بل يقال فلان كان يقرأ بوجه كذا وفلان كان يقرأ بوجه كذا. قال النووي: والصحيح أن ذلك لا يكره.

النوع الثامن والعشرون: في معرفة الوقف والابتداء

كانوا يتعلمون الوقف كما يتعلمون القرآن:

أفرده بالتصنيف خلائق، منهم أبو جعفر النحاس وابن الأنباري والزجاجي والداني والعماني والسجاوندي وغيرهم، وهو فن جليل به يعرف كيف أداء القراءة. والأصل فيه ما أخرجه النحاس قال: حدثنا محمد بن جعفر الأنباري، حدثنا هلال بن العلاء، حدثنا أبيّ وعبدالله بن جعفر قالا: حدثنا عبدالله بن عمرو الزرقي عن زيد بن أبي أنيسة عن القاسم بن عوف البكري قال: سمعت عبدالله بن عمر يقول: لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا ليؤتي الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة على محمد ﷺ فنتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم القرآن اليوم. ولقد رأينا اليوم رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما أمره ولا زجره ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه. قال النحاس: فهذا الحديث يدل على أنهم كانوا يتعلمون الأوقاف كما يتعلمون القرآن.

وقول ابن عمر: لقد عشنا برهة من دهره يدل على أن ذلك إجماع من الصحابة ثابت.

ترتيل القرآن يعني تجويد الحروف والوقف:

قلت: أخرج هذا الأثر البيهقي في سننه. وعن عليّ في قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ القُرآن تَرتِيلاً﴾ قال: الترتيل: تجويد الحروف ومعرفة الوقف. قال ابن

الأنباري: من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء. وقال النكزاوي: باب الوقف عظيم القدر جليل الخطر، لأنه لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن ولا استنباط الأدلة الشرعية منه إلا بمعرفة الفواصل.

وفي النشر لابن الجزري: لما لم يكن القارىء أن يقرأ السورة أو القصة في نفس واحد ولم يجز التنفس بين كلمتين حالة الوصل، بل ذلك كالتنفس في أثناء الكلمة وجب حينئذ اختيار وقفة للتنفس والاستراحة وتعين ارتضاء ابتداء بعده، ويتحتم أن لا يكون ذلك مما يحيل المعنى ولا يخلّ بالفهم، إذ بذلك يظهر الإعجاز ويحصل القصد، ولذلك حض الأئمة على تعلمه ومعرفته، وفي كلامه دليل على وجوب ذلك. وفي كلام ابن عمر برهان على أن تعلمه إجماع من الصحابة.

وصح بل تواتر عندنا تعلمه والاعتناء به من السلف الصالح كأبي جعفر يزيد ابن القعقاع أحد أعيان التابعين وصاحبه الإمام نافع وأبي عمرو ويعقوب وعاصم وغيرهم من الأئمة، وكلامهم في ذلك معروف ونصوصهم عليه مشهورة في الكتب، ومن ثم اشترط كثير من الخلف على المجيز أن لا يجيز أحداً إلا بمعرفته الوقف والابتداء وصح عن الشعبي أنه قال: إذا قرأت ﴿كلُّ مَنْ عليها فَان﴾ فلا تسكت حتى تقرأ ﴿ويبقى وجهُ ربِّك ذُو الجلالِ والإكرام﴾ قلت: أخرجه ابن أبي حاتم.

أنواع الوقف ثلاثة:

(فصل) اصطلح الأئمة على أن لأنواع الوقف والابتداء أسماء، واختلفوا في ذلك، فقال ابن الأنباري: الوقف على ثلاثة أوجه: تام، وحسن، وقبيح.

فالتام: الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، ولا يكون بعده ما يتعلق به كقوله: وأولئك هم المفلحون، وقوله: أم لم تنذرهم لا يؤمنون.

والحسن: هو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده كقوله الحمد لله، لأن الابتداء برب العالمين لا يحسن لكونه صفة لما قبله، والقبيح: هو الذي ليس بتام ولا حسن كالوقف على بسم من قوله بسم الله. قال: ولا يتم الوقف على المضاف دون المضاف إليه، ولا المنعوت دون نعته، ولا الرافع دون مرفوعه وعكسه، ولا الناصب دون منصوبه وعكسه. ولا المؤكد دون توكيده، ولا المعطوف دون المعطوف عليه، ولا البدل دون مبدله، ولا إن أو كان أو ظن وأخواتها دون اسمها ولا اسمها دون خبرها ولا المستثنى منه دون الاستثناء ولا الموصول دون صلته اسمياً أو حرفياً، ولا الفعل دون مصدره، ولا الحرف دون متعلقه، ولا شرط دون جزائه.

أنواع الوقف أربعة:

وقال غيره: الوقف ينقسم إلى أربعة أقسام: تام مختار، وكاف جائز، وحسن مفهوم، وقبيح متروك.

فالتام: هو الذي لا يتعلق بشيء مما بعده فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، وأكثر ما يوجد عند رؤوس الآي غالباً كقوله: ﴿وأولئك المفلحون﴾ وقد يوجد في أثنائها كقوله: ﴿وجَعَلُوا أعزّةَ أهلِها أذلةً﴾ هنا التام لأنه انقضى كلام بلقيس، ثم قال تعالى: ﴿وكذلك يَفْعلُون﴾ وكذلك ﴿لقد أَضَلَّني عنِ الذّكر بعد إذ جاءَني﴾ هنا التام لأنه انقضى كلام الظالم أبيّ بن خلف، ثم قال تعالى: ﴿وكان الشيطانُ لِلإِنْسَان خَذُولا﴾ وقد يوجد بعدها كقوله: ﴿مُصبحين، وبِالليل﴾ هنا التام لأنه معطوف على المعنى: أي بالصبح وبالليل، ومثله ﴿يتكئون وزخرفاً﴾ رأس الآية يتكئون، وزخرفاً هو التام لأنه معطوف على ما قبله وآخر كل قصة، وما قبل أولها وآخر كل سورة، وقبل ياء النداء وفعل الأمر والقسم ولامه دون القول. والشرط: ما لم يتقدم جوابه وكان الله وما

كان وذلك ولولا غالبهن تام ما لم يتقدمهن قسم أو قول أو ما في معناه.

والكافي: منقطع في اللفظ متعلق في المعنى فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده أيضا نحو ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ هنا الوقف، ويبتدىء بما بعد ذلك، وهكذا كل رأس آية بعدها لام كي وإلا بمعنى لكن وإن الشديدة المكسورة والاستفهام وبل وألا المخففة والسين وسوف ونعم وبئس وكيلا ما لم يتقدمهن قول أو قسم.

والحسن: هو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده كالحمد لله.

والقبيح: هو الذي لا يفهم منه المراد كالحمد، وأقبح منه الوقف على ﴿لقد كفر الذين قالوا﴾ ويبتدأ ﴿إن الله هو المسيح﴾ لأن المعنى مستحيل بهذا الابتداء، ومن تعمده وقصد معناه فقد كفر، ومثله في الوقف ﴿فبهت الذي كفر﴾ ﴿والله﴾ ﴿فلها النصفُ ولأبويه﴾ وأقبح من هذا الوقف على المنفي دون حرف الإيجاب من نحو لا إله إلا الله ﴿وما أَرْسَلناكَ إلا مبشراً ونذيراً﴾ فإن اضطر لأجل التنفس جاز، ثم يرجع إلى ما قبله حتى يصله بما بعده ولا حرج انتهى.

أنواع الوقف خمسة:

وقال السجاوندي: الوقف على خمس مراتب: لازم، ومطلق، وجائز، ومجوز بوجه، ومرخص ضرورة.

فاللازم: ما لو وصل طرفاه غيَّر المراد نحو قوله ﴿وما هم بمؤمنين﴾ يلزم الوقف هنا، إذ لو وصل بقوله ﴿يخادعون الله﴾ توهم أن الجملة صفة لقوله بمؤمنين، فانتفى الخداع عنهم وتقرّر الإيمان خالصاً عن الخداع كما تقول ـ ما

هو بمؤمن مخادع - وكما في قوله ﴿لا ذلول تثير الأرض﴾ فإن جملة تثير صفة لذلول داخلة في حيز النفي: أي ليست ذلولاً مثيرة، والقصد في الآية إثبات الخداع بعد نفي الإيمان، ونحو ﴿سبُحانه أن يكونَ لَهُ وَلَد﴾ فلو وصلها بقوله ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ لأوهم أنه صفة لولد، وأن المنفي ولد موصوف بأن له ما في السموات، والمراد نفي الولد مطلقاً.

والمطلق: ما يحسن الابتداء بما بعده كالاسم المبتدأ به نحو ﴿الله يجتبي﴾ والفعل المستأنف نحو ﴿يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾ ﴿سيقولُ السفهاء﴾ ﴿سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾ ومفعول المحذوف نحو ﴿وعد الله﴾ ﴿سنة الله﴾ - والشرط نحو - ﴿من يشأ الله يضلله﴾ والاستفهام ولو مقدراً نحو ﴿أتريدون أن تهدوا تريدون عرض الدنيا﴾ والنفي ﴿ما كان لهم الخيرة إن يريدون إلا فراراً﴾ حيث لم يكن كل ذلك مقولاً لقول سابق.

والجائز: ما يجوز فيه الوصل والفصل لتجاذب الموجبين من الطرفين نحو ﴿وما أنزل من قبلك﴾ فإن واو العطف تقتضي الوصل وتقديم المفعول على الفعل يقطع النظم، فإن التقدير: ويوقنون بالآخرة.

والمجوز لوجه: نحو ﴿أولئك الذينَ اشتروا الحياةَ الدُّنيا بالآخرة﴾ لأن الفاء في قوله ﴿فلا يُخففُ عَنْهـمُ﴾ تقتضي التسبب والجزاء وذلـك يـوجـب الوصل، وكون لفظ الفعل على الاستئناف يجعل للفصل وجهاً.

والمرخص ضرورة: ما لا يستغني ما بعده عما قبله، لكنه يرخص لانقطاع النفس وطول الكلام، ولا يلزمه الوصل بالعود لأن ما بعده جملة مفهومة كقوله ﴿والسماء بناء﴾ لأن قوله ﴿وأنزل﴾ لا يستغني عن سياق الكلام، فإن فاعله ضمير يعود إلى ما قبله، غير أن الجملة مفهومة.

وأما ما لا يجوز الوقف عليه: فكالشرط دون جزائه، والمبتدأ دون خبره ونحو ذلك.

وقال غيره: الوقف في التنزيل على ثمانية أضرب: تام، وشبيه به. وناقص، وشبيه به. وحسن وشبيه به. وقبيح. وشبيه به.

الوقف اختياري واضطراري:

وقال ابن الجزري: أكثر ما ذكر الناس في أقسام الوقف غير منضبط ولا منحسر، وأقرب ما قلته في ضبطه أن الوقف ينقسم إلى اختياري واضطراري، لأن الكلام إما أن يتم أو لا، فإن تم كان اختيارياً وكونه تاماً لا يخلو إما أن لا يكون له تعلق بما بعده ألبتة: أي لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى.

فالوقف المسمى بالتام لتمامه المطلق يوقف عليه ويبدأ بما بعده ثم مثله بما تقدم في التام. قال: وقد يكون الوقف تاماً في تفسير وإعراب وقراءة غير تام على آخر نحو ﴿وما يَعْلَمُ تأويلَهُ إلا الله﴾ تام إن كان ما بعده مستأنفاً، غير تام إن كان معطوفاً، ونحو فواتح السور الوقف عليها تام إن أعربت مبتدأ والخبر محذوف أو عكسه: أي الم هذه، أو هذه الم، أو مفعولاً بقل مقدراً غير تام إن كان ما بعده هو الخبر، ونحو ﴿مثابة للناس وأمناً﴾ تام على قراءة واتخذوا بكسر الخاء كاف على قراءة الفتح ونحو ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ تام على قراءة من رفع الاسم الكريم بعدها حسن على قراءة من خفض.

وقد يتفاضل التام نحو ﴿مالك يوم الدين﴾ ﴿إياكَ نعبدُ وإياكَ نستعينُ﴾ كلاهما تام، إلا أن الأول أتم من الثاني لاشتراك الثاني فيما بعده في معنى الخطاب بخلاف الأول، وهذا هو الذي سماه بعضهم شبيهاً بالتام.

ومنه ما يتأكد استحبابه لبيان المعنى المقصود وهو الذي سماه السجاوندي

باللازم، وإن كان له تعلق فلا يخلو إما أن يكون من جهة المعنى فقط وهو المسمى بالكافي للاكتفاء به واستغنائه عما بعده واستغناء ما بعده عنه كقوله ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ وقوله ﴿وما أنزل من قبلك﴾ وقوله ﴿على هُدى من ربِّهم﴾ ويتفاضل في الكفاية كتفاضل التام نحو ﴿في قلوبهم مرض﴾ كافٍ ﴿فزادَهُمُ اللهُ مرَضاً﴾ أكفى منه ﴿بما كانوا يكذبون﴾ أكفى منهما.

وقد يكون الوقف كافياً على تفسير وإعراب وقراءة غير كاف على آخر نحو قوله ﴿يعلمون الناس السحر﴾ كافٍ إن جعلت ما بعده نافية، حسن إن فسرت موصولة ﴿وبالآخرةِ هُم يُوقنون﴾ كاف إن أعرب ما بعده مبتدأ خبره على هدى، حسن إن جعل خبر الذين يؤمنون بالغيب أو خبر ﴿والذينَ يُؤمنون بما أنزلَ ونحن له مُخلصون﴾ كافٍ على قراءة أم تقولون بالخطاب، حسن على قراءة الغيب ﴿يحاسبكم به الله﴾ كافٍ على قراءة من رفع فيغفر ويعذب، حسن على قراءة من جزم.

وإن كان التعلق من جهة اللفظ فهو المسمى بالحسن لأنه في نفسه حسن مفيد يجوز الوقف عليه دون الابتداء مما بعده للتعلق اللفظي، إلا أن يكون رأس آية فإنه يجوز في اختيار أكثر أهل الأداء لمجيئه عن النبي ﷺ في حديث أم سلمة الآتي.

وقد يكون الوقف حسناً على تقدير، وكافياً أو تاماً على آخر نحو ﴿هدى للمتقين﴾ حسن إن جعل ما بعده نعتاً، كاف إن جعل خبراً مقدماً ومفعول مقدر على القطع، تام إن جعل مبتدأ خبره أولئك.

وإن لم يتم الكلام كان الوقف عليه اضطرارياً، وهو المسمى بالقبيح لا يجوز تعمد الوقف عليه إلا لضرورة من انقطاع نفس ونحوه لعدم الفائدة أو لفساد المعنى نحو ﴿صراط الذين﴾ وقد يكون بعضه أقبح من بعض نحو ﴿فلما

النَصفُ ولأبويه﴾ لإيهامه أنها مع البنت شركاء في النصف، وأقبح منه نحو ﴿إن الله لا يَسْتَحيي﴾ ﴿فويلٌ للمصلين﴾ ﴿لا تقربُوا الصلاةَ﴾ فهذا حكم الوقف اختيارياً واضطرارياً.

الابتداء اختياري:

وأما الابتداء فلا يكون إلا اختيارياً لأنه ليس كالوقف تدعو إليه ضرورة فلا يجوز إلا بمستقبل بالمعنى موفٍ بالمقصود، وهو في أقسامه كأقسام الوقف الأربعة، ويتفاوت تماماً وكفاية وحسناً وقبحاً بحسب التام وعدمه وفساد المعنى وإحالته، نحو الوقف على ﴿ومن الناس﴾ فإن الابتداء بالناس قبيح ويؤمن تام، فلو وقف على ﴿من يقول﴾ كان الابتداء بيقول أحسن من ابتدائه بمن، وكذلك الوقف على ﴿ختم الله﴾ قبيح، والابتداء بالله أقبح، وبعزير والمسيح أشدّ قبحاً. ولو وقف على ﴿ما وعدنا الله﴾ ضرورة كان الابتداء بالجلالة قبيحاً، وبوعدنا أقبح منه، وبما أقبح منهما.

وقد يكون الوقف حسناً والابتداء به قبيحاً نحو ﴿يخرجون الرسول﴾ ﴿وإياكم﴾ الوقف عليه حسن، والابتداء به قبيح لفساد المعنى، إذ يصير تحذيراً من الإيمان بالله. وقد يكون الوقف قبيحاً والابتداء جيداً نحو ﴿من بعثنا من مرقدنا هذا﴾ الوقف على هذا قبيح لفصله بين المبتدأ وخبره، ولأنه يوهم أن الإشارة إلى المرقد والابتداء بهذا كاف أو تام لاستئنافه.

تنبيهات في الوقف:

[تنبيهات: الأول] قولهم لا يجوز الوقف على المضاف دون المضاف إليه، ولا كذا قال ابن الجزري: إنما يريدون به الجواز الأدائي، وهو الذي يحسن في القراءة ويروق في التلاوة، ولا يريدون بذلك أنه حرام ولا مكروه، اللهم إلا أن

يقصد بذلك تحريف القرآن وخلاف المعنى الذي أراده الله فإنه يكفر فضلاً عن أن يأثم.

[الثاني] قال ابن الجزري أيضاً: ليس كل ما يتعسفه بعض المعربين أو يتكلفه بعض القراء أو يتأوله بعض أهل الأهواء مما يقتضي وقفاً وابتداء ينبغي أن يتعمد الوقف عليه، بل ينبغي تحرّي المعنى الأتم والوقف الأوجه وذلك نحو الوقف على ﴿وارحمنا أنت﴾ والابتداء ﴿مولانا فانصرُنا﴾ على معنى النداء، ونحو ﴿ثم جاؤوك يحلفون﴾ ويبتدىء ﴿بالله إن أردنا﴾ ونحو ﴿يا بنيّ لا تُشْرِك﴾ ويبتدىء ﴿بالله إن الشِّركَ﴾ على معنى القسم، ونحو ﴿وما تشاؤُون إلا أن يَشَاءَ﴾ ويبتدىء ﴿اللهُ ربُّ العالمين﴾ ونحو ﴿فلا جُناح﴾ ويبتدىء ﴿عليه أن يَطَّوَّفَ بهما﴾ فكله تعسف وتمحل وتحريف للكلم عن مواضعه.

[الثالث] يغتفر في طول الفواصل والقصص والجمل المعترضة ونحو ذلك، وفي حالة جمع القراءات وقراءة التحقيق والتنزيل ما لا يغتفر في غيرها، فربما أجيز الوقف والابتداء لبعض ما ذكر، ولو كان لغير ذلك لم يبح، وهذا الذي سماه السجاوندي المرخص ضرورة، ومثله بقوله ﴿والسماءَ بِناءً﴾.

قال ابن الجزري: والأحسن تمثيله بنحو ﴿قبل المشرق والمغرب﴾ وبنحو ﴿والنبيين﴾ وبنحو ﴿وأقامَ الصلاةَ وآتى الزكاةَ﴾ وبنحو ﴿عاهدوا﴾ وبنحو كل من فواصل ﴿قد أفلحَ المؤمنون﴾ إلى آخر القصة.

وقال صاحب المستوفى: النحويون يكرهون الوقف الناقص في التنزيل مع إمكان التام، فإن طال الكلام ولم يوجد فيه وقف تام حسن الأخذ بالناقص كقوله ﴿قُل أوحي﴾ إلى قوله ﴿فلا تَدعُوا مع اللهِ أحداً﴾ إن كسرت بعده إن، وإن فتحتها فإلى قوله ﴿كادوا يَكُونون عليه لِبَدًا﴾.

قال: ويحسن الوقف الناقص أمور. منها: أن يكون لضرب من البيان كقوله

﴿ولم يجعل له عوجا﴾ فإن الوقف هنا يبين أن قيما منفصل عنه، وأنه حال في نية التقديم، وكقوله ﴿وبناتِ الأُختِ﴾ ليفصل به بين التحريم النسبي والسببي.

ومنها: أن يكون الكلام مبنياً على الوقف نحو ﴿يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه﴾ قال ابن الجزري: وكما اغتفر الوقف لما ذكر قد لا يغتفر ولا يحسن فيما قصر من الجمل، وإن لم يكن التعلق لفظياً نحو ﴿ولقد آتينا مُوسَى الكِتَابَ﴾ ﴿وآتينا عِيسى بنَ مريمَ البيناتِ﴾ لقرب الوقف على بالرسل وعلى القدس. وكذا يراعى في الوقف الازدواج فيوصل ما يوقف على نظيره مما يوجد التام عليه ويقطع تعلقه بما بعده لفظاً، وذلك من أجل ازدواجه نحو ﴿لها ما كَسَبَتْ﴾ ﴿ولكم ما كَسَبْتُمْ﴾ ونحو ﴿فمن تَعَجَّلَ في يومين فلا إثم عليه﴾ مع ﴿ومن تأخرَ فَلا إثمَ عليه﴾ ونحو ﴿يُولجُ الليلَ في النهار﴾ مع ﴿ويُولجُ النهارَ في الليل﴾ ونحو ﴿مَنْ عملَ صالحاً فلِنَفْسِهِ ومن أساءَ فعليها﴾.

[الرابع] قد يجيزون الوقف على حرف وعلى آخر، ويكون بين الوقفين مراقبة على التضادّ، فإذا وقف على أحدهما امتنع الوقف على الآخر، كمن أجاز الوقف على لا ريب فإنه لا يجيزه على فيه، والذي يجيزه على فيه لا يجيزه على لا ريب، وكالوقف على ﴿ولا يأبَ كاتبٌ أنْ يكتبَ﴾ فإن بينه وبين ﴿كما عَلَّمَهُ اللهُ﴾ مراقبة، والوقف على ﴿وما يَعْلَمُ تأويلهُ إلا اللهُ﴾ فإن بينه وبين ﴿والراسخونَ في العِلْمِ﴾ مراقبة. قال ابن الجزري: وأول من نبه على المراقبة في الوقف أبو الفضل الرازي أخذه من المراقبة في العروض.

[الخامس] قال ابن مجاهد: لا يقوم بالتام في الوقف إلا نحوي عالم بالقراءات. عالم بالتفسير والقصص وتخليص بعضها من بعض، عالم باللغة التي نزل بها القرآن. قال غيره: وكذا علم الفقه، ولهذا من لم يقبل شهادة القاذف وإن تاب يقف عند قوله ﴿ولا تَقْبَلُوا لهم شَهَادَةً أبَداً﴾ وممن صرح بذلك النكزاوي

فقال في كتاب الوقف: لا بد للقارىء من معرفة بعض مذاهب الأئمة المشهورين في الفقه، لأن ذلك يعين على معرفة الوقف والابتداء، لأن في القرآن مواضع ينبغي الوقف على مذهب بعضهم ويمتنع على مذهب آخرين، فأما احتياجه إلى علم النحو وتقديراته فلأن من جعل ﴿مِلةَ أبيكمُ إبراهيم﴾ منصوباً على الإغراء وقف على ما قبله، أما إذا عمل فيه ما قبله فلا، وأما احتياجه إلى القراءات فلما تقدم من أن الوقف قد يكون تاماً على قراءة غير تام على أخرى، وأما احتياجه إلى التفسير فلأنه إذا وقف على ﴿إنها محرّمةٌ علَيهِمْ أَربَعينَ سنةً﴾ كان المعنى أنها محرمة عليهم هذه المدة، وإذا وقف على عليهم كان المعنى أنها محرمة عليهم أبدا، وأن التيه أربعين فرجع هذا إلى التفسير.

وقد تقدم أيضا أن الوقف يكون تاماً على تفسير وإعراب غير تام على تفسير وإعراب آخر.

وأما احتياجه إلى المعنى فضرورة، لأن معرفة مقاطع الكلام إنما تكون بعد معرفة معناه، وكقوله ﴿ولا يحزنك قَوْلُهم، إن العزَّة لله﴾ فقوله ﴿إن العزةَ لله﴾ استئناف لا مقولهم، وقوله ﴿فلاَ يصِلُون إليكما بِآياتِنا﴾ ويبتدىء أنتما. وقال الشيخ عز الدين: الأحسن الوقف على إليكما لأن إضافة الغلبة إلى الآيات أولى من إضافة عدم الوصول إليها، لأن المراد بالآيات العصا وصفاتها وقد غلبوا بها السحرة ولم يمنع عنهم فرعون، وكذا الوقف على قوله ﴿ولقد همت به﴾ ويبتدىء ﴿وهمَّ بها﴾ على أن المعنى لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها، فقدم جواب لولا ويكون همه منتفياً، فعلم بذلك أن معرفة المعنى أصل في ذلك كبير.

[السادس] حكى ابن برهان النحوي عن أبي يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة أنه ذهب إلى أن تقدير الموقوف عليه من القرآن بالتام والناقص والحسن والقبيح، وتسميته بذلك بدعة، ومعتمد الوقف على نحوه مبتدع، لأن القرآن

معجز وهو كاللفظة الواحدة. فكله قرآن وبعضه قرآن، وكله تام حسن وبعضه تام حسن.

[السابع] الأئمة القراء مذاهب في الوقف والابتـدا. فنافع كان يراعي تجانسها بحسب المعنى، وابن كثير وحمزة حيث ينقطع النفس، واستثنى ابن كثير ﴿وما يعلم تأويلَهُ إلا اللهُ﴾ ﴿وما يشعركم﴾ ﴿إنما يعلمه بشر﴾ فتعمد الوقف عليها، وعاصم والكسائي حيث تم الكلام، وأبو عمرو يتعمد رؤوس الآي ويقول: هو أحبّ إليّ، فقد قال بعضهم: إن الوقف عليه سنة.

وقال البيهقي في الشعب وآخرون: الأفضل الوقف على رؤوس الآيات وإن تعلقت بما بعدها اتباعاً لهدى رسول الله ﷺ وسنته.

روى أبو داود وغيره عن أم سلمة «أن النبي ﷺ كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية يقول: بسم الله الرحمن الرحيم ثم يقف، الحمد لله رب العالمين ثم يقف، الرحمن الرحيم ثم يقف».

الوقف والقطع والسكت:

[الثامن] الـوقف والقطع والسكت، عبارات يطلقها المتقدمون غالبا مراداً بها الوقف، والمتأخرون فرقوا فقالوا: **القطع** عبارة عن قطع القراءة رأساً فهو كالانتهاء، فالقارىء به كالمعرض عن القراءة والمنتقل إلى حالة أخرى غيرها، وهو الذي يستعاذ بعده للقراءة المستأنفة، ولا يكون إلا على رأس آية لأن رؤوس الآي في نفسها مقاطع.

وأخرج سعيد بن منصور في سننه: حدثنا أبو الأحوص عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل أنه قال: كانوا يكرهون أن يقرؤوا بعض الآيات ويدعوا بعضها إسناده صحيح، وعبدالله بن أبي الهذيل تابعي كبير. وقوله «كانوا» يدل على أن

الصحابة كانوا يكرهون ذلك.

والوقف: عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة لا بنية الإعراض ويكون في رؤوس الآي وأوسطها، ولا يأتي في وسط الكلمة ولا فيما اتصل رسماً.

والسكت: عبارة عن قطع الصوت زمناً هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس، واختلاف ألفاظ الأئمة في التأدية عنه مما يدل على طوله وقصره.

فعن حمزة في السكت على الساكن قبل الهمزة سكتة يسيرة. وقال الأشناني: قصيرة. وعن الكسائي: سكتة مختلسة من غير إشباع. وقال ابن غلبون: وقفة يسيرة. وقال مكي: وقفة خفيفة. وقال ابن شريح: وقفة. وعن قتيبة من غير قطع نفس. وقال الداني: سكتة لطيفة من غير قطع. وقال الجعبري: قطع الصوت زمناً قليلاً أقصر من زمن إخراج النفس، لأنه إن طال صار وقفاً في عبارات أخر.

قال ابن الجزري: والصحيح أنه مقيد بالسماع والنقل، ولا يجوز إلا فيما صحت الرواية به لمعنى مقصود بذاته. وقيل يجوز في رؤوس الآي مطلقاً حالة الوصل لقصد البيان، وحمل بعضهم الحديث الوارد على ذلك.

ضوابط في الوصل والقطع والوقف:

ضوابط: كل ما في القرآن من ﴿الذي والذين﴾ يجوز فيه الوصل بما قبله نعتاً والقطع على أنه خبر، إلا في سبعة مواضع فإنه يتعين الابتداء بها: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه﴾ في البقرة. ﴿الذين آتيناهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونه﴾ فيها أيضا وفي البقرة ﴿الذينَ يَأْكُلُون الرِّبا﴾، ﴿الذين آمنُوا وهاجَرُوا﴾ في براءة. ﴿الذين يحشرون﴾ في الفرقان. ﴿الذين يَحمِلُون العرشَ﴾ في غافر. وفي

الكشاف في قوله ﴿الذي يُوَسْوِسُ﴾ يجوز أن يقف القارىء على الموصوف ويبتدىء ﴿الذي﴾ إن حملته على القطع، بخلاف ما إذا جعلته صفة.

وقال الرماني: الصفة إن كانت للاختصاص امتنع الوقف على موصوفها دونها، وإن كانت للمدح جاز لأن عاملها في المدح غير عامل الموصوف.

الوقف على المستثنى منه:

الوقف على المستثنى منه دون المستثنى إن كان منقطعاً فيه مذاهب: **الجواز مطلقاً** لأنه في معنى مبتدأ حذف خبره للدلالة عليه. **والمنع مطلقاً** لاحتياجه إلى ما قبله لفظاً لأنه لم يعهد استعمال إلا وما في معناها إلا متصلة بما قبلها، ومعنى لأن ما قبلها مشعر بتمام الكلام في المعنى إذ قولك ما في الدار أحد هو الذي صحح إلا الحمار، فلو قلت إلا الحمار على انفراده كان خطأ. والثالث: **التفصيل**، فإن صرح بالخبر جاز لاستقلال الجملة واستغنائها عما قبلها، وإن لم يصرح به فلا لافتقارها، قاله ابن الحاجب في أماليه: الوقف على الجملة الندائية جائز كما نقله ابن الحاجب عن المحققين لأنها مستقلة، وما بعدها جملة أخرى وإن كانت الأولى تتعلق بها. كل ما في القرآن من القول لا يجوز الوقف عليه، لأن ما بعده حكايته، قاله الجويني في تفسيره.

أحكام كلا:

(كلا) في القرآن في ثلاثة وثلاثين موضعاً، منها سبع للردع اتفاقاً فيوقف عليها، وذلك عهداً كلا، عزا كلا في مريم، أن يقتلون قال كلا، إنا لمدركون قال كلا، في الشعراء شركاء كلا، أن أزيد كلا، أين المفر كلا.

والباقي منها ما هو بمعنى حقاً قطعاً فلا يوقف عليه. ومنها: ما احتمل الأمرين ففيه الوجهان.

وقال مكي: هي أربعة أقسام. الأول: ما يحسن الوقف فيه عليها على معنى الردع وهو الاختيار. ويجوز الابتداء بها على معنى حقاً، وذلك أحد عشر موضعاً: اثنان في مريم، وقد أفلح، وفي سبأ. واثنان في المعارج. واثنان في المدثر: أن أزيد كلا، منشرة كلا. وفي المطففين: أساطير الأولين كلا، وفي الفجر أهانني كلا، وفي الحطمة أخلده كلا. الثاني: ما يحسن الوقف عليها ولا يجوز الابتداء بها بل توصل بما قبلها وبما بعدها، وهو موضعان في الشعراء: أن يقتلون قال كلا، إنا لمدركون قال كلا. الثالث: ما لا يحسن الوقف عليها ولا الابتداء بها بل توصل بما قبلها وبما بعدها، وهو موضعان في عم والتكاثر: ثم كلا سيعلمون، ثم كلا سوف تعلمون. الرابع: ما لا يحسن الوقف عليها ولكن يبتدأ بها، وهي الثمانية عشر الباقية.

أحكام بلى:

(بلى) في القرآن في اثنين وعشرين موضعاً، وهي ثلاثة أقسام. **الأول:** ما لا يجوز الوقف عليها إجماعاً لتعلق ما بعدها بما قبلها، وهي سبعة مواضع. في الأنعام: بلى وربنا. في النحل: بلى وعداً عليه حقاً. في سبأ: قل بلى وربي لتأتينكم. في الزمر: بلى قد جاءتك. في الأحقاف: بلى وربنا. في التغابن: قل بلى وربي. في القيامة: بلى قادرين. **الثاني:** ما فيه خلاف، والاختيار المنع، وذلك خمسة مواضع. في البقرة: بلى ولكن ليطمئن قلبي. في الزمر: بلى ولكن حقت، في الزخرف: بلى ورسلنا. في الحديد: قالوا بلى. في تبارك: قالوا بلى قد جاءنا. **الثالث:** ما الاختيار جواز الوقف عليها وهو العشرة الباقية.

أحكام نعم:

(نعم) في القرآن في أربعة مواضع. في الأعراف: قالوا نعم فأذن، والمختار الوقف عليها لأن ما بعدها غير متعلق بما قبلها، إذ ليس من قول أهل النار

والبواقي فيها. وفي الشعراء: قال نعم وإنكم إذن لمن المقرّبين. وفي الصافات: قل نعم وأنتم داخرون، والمختار لا يوقف عليها لتعلق ما بعدها بما قبلها لاتصاله بالقول.

ضابط: قال ابن الجزري في النشر: كل ما أجازوا الوقف عليه أجازوا الابتداء بما بعده.

الوقف على أواخر الكلم:

(فصل: في كيفية الوقف على أواخر الكلم) للوقف في كلام العرب أوجه متعددة، والمستعمل منها عند أئمة القراءة تسعة: السكون، والروم، والإشمام، والإبدال، والنقل، والإدغام، والحذف، والإثبات والإلحاق.

فأما **السكون:** فهو الأصل في الوقف على الكلمة المحركة وصلاً، لأن معنى الوقف: الترك والقطع، ولأنه ضد الابتداء، فكما لا يبتدأ بساكن لا يوقف على متحرّك، وهو اختيار كثير من القراء.

وأما **الروم:** فهو عند القراء عبارة عن النطق ببعض الحركة. وقال بعضهم: تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها. قال ابن الجزري: وكلا القولين واحد، ويختص بالمرفوع والمجزوم والمضموم، والمكسور، بخلاف المفتوح لأن الفتحة خفيفة إذا خرج بعضها خرج سائرها فلا تقبل التبعيض.

وأما **الإشمام:** فهو عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير تصويت. وقيل أن تجعل شفتيك على صورتها، وكلاهما واحد. وتختص بالضمة سواء كانت حركة إعراب أم بناء إذا كانت لازمة. أما العارضة وميم الجمع عند من ضم، وهاء التأنيث فلا روم في ذلك ولا إشمام. وقيد ابن الجزري هاء التأنيث بما يوقف عليها بالهاء، بخلاف ما يوقف عليها بالتاء للرسم. ثم إن الوقف بالروم والإشمام

ورد عن أبي عمرو والكوفيين نصاً ولم يأت عن الباقين فيه شيء، واستحبه أهل الأداء في قراءتهم أيضاً. وفائدته بيان الحركة التي تثبت في الوصل للحرف الموقوف عليه ليظهر للسامع أو الناظر كيف تلك الحركة الموقوف عليها.

وأما **الإبدال:** ففي الاسم المنصوب المنوّن يوقف عليه بالألف بدلاً من التنوين، ومثله إذن. وفي الاسم المفرد المؤنث بالتاء يوقف عليه بالهاء بدلاً منها، وفيما آخره همزة متطرفة بعد حركة أو ألف فإنه يوقف عليه عند حمزة بإبدالها حرف مدّ من جنس ما قبلها، ثم إن كان ألفاً جاز حذفها نحو اقرأ ونبىء وبدأ وإن أمره ومن شاطىء ويشاء ومن السماء ومن ماء.

وأما **النقل:** ففيما آخره همزة بعد ساكن، فإنه يوقف عليه عند حمزة بنقل حركتها إليه فيحرك بها ثم تحذف هي سواء كان الساكن صحيحاً نحو: دفء ملء ينظر المرء لكل باب منهم جزء بين المرء وقلبه وبين المرء وزوجه يخرج الخب ولا ثامن لها أم ياء أو واو أصليتين، وسواء كانتا حرف مد نحو المسيء وجيء ويضيء أن تبوء لتنوء وما عملت من سوء، أم لين نحو: سيء قوم سوء مثل السوء.

وأما **الإدغام:** ففيما آخره همز بعد ياء أو واو زائدتين فإنه يوقف عليه عند حمزة أيضاً بالإدغام بعد إبدال الهمز من جنس ما قبله نحو: النسيء وبريء وقروء.

وأما **الحذف:** ففي الياءات الزوائد عند من يثبتها وصلاً ويحذفها وقفاً، وياءات الزوائد هي التي لم ترسم مائة وإحدى وعشرون، منها خمس وثلاثون في حشو الآي، والباقي في رؤوس الآي. فنافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو جعفر يثبتونها في الوصل دون الوقف، وابن كثير ويعقوب يثبتان في الحالين،

وابن عامر وعاصم وخلف يحذفون في الحالين، وربما خرج بعضهم عن أصله في بعضها.

وأما **الإثبات:** ففي الياءات المحذوفات وصلاً عند من يثبتها وقفاً نحو هاد و وال وواق وباق.

وأما **الإلحاق:** فما يلحق آخر الكلم من هاءات السكت عند من يلحقها في عم وفيم وبم ولم ومم، والنون المشددة من جمع الإناث نحوهن ومثلهن، والنون المفتوحة نحو العالمين والذين والمفلحون، والمشدد المبني نحو: ألا تعلوا عليّ، وخلقت بيديّ، ومصرخيّ، ولديّ.

[قاعدة] أجمعوا على لزوم اتباع رسم المصاحف العثمانية في الوقف إبدالاً وإثباتاً وحذفاً ووصلاً وقطعاً. إلا أنه ورد عنهم اختلاف في أشياء بأعيانها، كالوقف بالهاء على ما كتب بالتاء، وبإلحاق الهاء فيما تقدم وغيره، وبإثبات الياء في مواضع لم يرسم بها، والواو في: ويدع الإنسان، يوم يدع الداع، سندع الزبانية، ويمح الله الباطل. والألف في أيه المؤمنون، أيه الساحر، أيه الثقلان. وتحذف النون في: وكأين حيث وقع، فإن أبا عمرو يقف عليه بالياء، ويوصل أياما في الإسراء ومال في النساء والكهف والفرقان وسأل وقطع ويكأن ويكأنه وألا يسجدوا، ومن القراء من يتبع الرسم في الجميع.

النوع التاسع والعشرون: في بيان الموصول لفظاً المفصول معنى

هو نوع مهم جدير أن يفرد بالتصنيف، وهو أصل كبير في الوقف ولهذا جعلته عقبه، وبه يحصل حلّ إشكالات وكشف معضلات كثيرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الذي خَلَقَكُم من نفسٍ وَاحِدَةٍ وجَعَلَ منها زَوْجَها ليسكُنَ إليها﴾ إلى قوله ﴿جعلا له شُركاءَ فيما آتاهُما فتعالى الله عما يُشْرِكُون﴾ فإن الآية في قصة آدم وحواء كما يفهمه السياق وصرح به في حديث أخرجه أحمد والترمذي وحسنه، والحاكم وصححه من طريق الحسن عن سمرة مرفوعاً، وأخرجه ابن أبي حاتم وغيره بسند صحيح عن ابن عباس، لكن آخر الآية مشكل حيث نسب الإشراك إلى آدم وحواء، وآدم نبيّ مكلم والأنبياء معصومون من الشرك قبل النبوّة وبعدها إجماعاً، وقد جر ذلك بعضهم إلى حمل الآية على غير آدم وحواء، وأنها في رجل وزوجته كانا من أهل الملك، وتعدّى إلى تعليل الحديث والحكم بنكارته وما زلت في وقفة من ذلك حتى رأيت ابن أبي حاتم قال: أخبرنا أحمد ابن عثمان بن حكيم، حدثنا أحمد بن مفضل، حدثنا أسباط عن السدي في قوله ﴿فتعالى اللهُ عَمّا يُشركون﴾ قال: هذه فصل من آية آدم خاصة في آلهة العرب.

وقال عبد الرزاق: حدثنا ابن عيينة، سمعت صدقة بن عبدالله بن كثير المكي يحدّث عن السدي قال: هذا من الموصول المفصول، وقال ابن أبي حاتم: حدثنا عليّ بن الحسين، حدثنا محمد بن أبي حماد، حدثنا مهران عن سفيان عن السدي عن أبي مالك قال: هذه مفصولة إطاعة في الولد ﴿فتعالى الله عما

يشركون﴾ هذه لقوم محمد، فانحلت عني هذه العقدة وانجلت لي هذه المعضلة، واتضح بذلك أن آخر قصة آدم وحواء ﴿فيما آتاهما﴾ وأن ما بعده تخلص إلى قصة العرب وإشراكهم الأصنام ويوضح ذلك تغيير الضمير إلى الجمع بعد التثنية، ولو كانت القصة واحدة لقال عما يشركان كقوله ﴿دَعَوا اللهَ ربَّهُما فلما آتاهما صالحاً جَعَلا له شركاءَ فيما آتاهما﴾ وكذلك الضمائر في قوله ﴿أيشرِكُون ما لا يخلق شيئاً﴾ وما بعده إلى آخر الآيات.

وحسن التخلص والاستطراد من أساليب القرآن، من ذلك قوله تعالى ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون﴾ الآية، فإنه على تقدير الوصل يكون الراسخون يعلمون تأويله، وعلى تقدير الفصل بخلافه. وقد أخرج ابن أبي حاتم عن أبي الشعثاء وأبي نهيك قالا: إنكم تصلون هذه الآية وهي مقطوعة، ويؤيد ذلك كون الآية دلت على ذم متبعي المتشابه ووصفهم بالزيغ.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿﴿وإذا ضَرَبْتُم في الأرضِ فليسَ عليكم جُناحٌ أن تَقْصُرُوا من الصلاةِ إن خِفْتُم أن يَفْتِنكُم الذين كَفَرُوا﴾ فإن ظاهر الآية يقتضي أن القصر مشروط بالخوف، وأنه لا قصر مع الأمن وقد قال به لظاهر الآية جماعة منهم عائشة، لكن بين سبب النزول أن هذا من الموصول المفصول.

فأخرج ابن جرير من حديث عليّ قال: «سأل قوم من بني النجار رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله إنا نضرب في الأرض فكيف نصلي؟ فأنزل الله ﴿وإذا ضَرَبْتُم في الأرضِ فليسَ عليكم أن تَقْصُرُوا منَ الصَّلاةِ﴾ ثم انقطع الوحي، فلما كان بعد ذلك بحول، غزا النبي ﷺ فصلى الظهر، فقال المشركون: لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم؟ فقال قائل منهم، إن لهم أخرى مثلها في أثرها، فأنزل الله بين الصلاتين ﴿إن خِفْتُم أن يَفْتِنَكُمُ الذين كَفَرُوا﴾ إلى قوله ﴿عذاباً مهيناً﴾ فنزلت صلاة الخوف، فتبين بهذا الحديث أن قوله

﴿إن خفتم﴾ شرط فيما بعده وهو صلاة الخوف لا صلاة القصر. وقد قال ابن جرير: هذا تأويل في الآية حسن لو لم يكن في الآية إذا. قال ابن الغرس: ويصح مع إذا على جعل الواو زائدة. قلت: يعني ويكون من اعتراض الشرط على الشرط، وأحسن منه أن تجعل إذا زائدة بناء على قول من يجيز زيادتها.

وقال ابن الجوزي في كتابه النفيس: قد تأتي العرب بكلمة إلى جانب أخرى كأنها معها وهي غير متصلة بها. وفي القرآن ﴿يُريدُ أن يُخْرِجَكُم﴾ هذا قول الملأ، فقال فرعون: ﴿فماذا تأمُرون؟﴾ ومثله ﴿أنا راوَدْتُهُ عن نَفْسِهِ وإنه لمِنَ الصّادِقين﴾ انتهى كلامها، فقال يوسف ﴿ذلك ليعلمَ أَني لم أخنه بالغيب) ومثله ﴿إن الملوكَ إذا دَخَلُوا قريةً أفسدُوها وجعَلُوا أعِزَّةَ أهلِها أَذِلَّة﴾ هذا منتهى قولها فقال تعالى: ﴿وكذلك يَفْعلون﴾ ومثله ﴿من بَعَثَنَا من مَرْقَدِنا﴾ انتهى قول الكفار، فقالت الملائكة ﴿هذا ما وَعَدَ الرحمنُ﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في هذه الآية قال: آية من كتاب الله أوّلها أهل الضلالة وآخرها أهل الهدى ﴿قالوا يا ويلنا من بَعَثَنَا من مَرْقَدِنا﴾ هذا قول أهل النفاق، وقال أهل الهدى حين بعثوا من قبورهم ﴿هذا ما وَعَدَ الرحمنُ وصَدَقَ المُرْسَلُون﴾ وأخرج عن مجاهد في قوله ﴿وما يُشْعِرُكُم أنها إذا جاءَتْ لا يُؤْمِنُون﴾ قال: وما يدريكم أنهم مؤمنون إذا جاءت، ثم استقبل يخبر أنها إذا جاءت لا يؤمنون.

النوع الثلاثون: في الإمالة والفتح وما بينهما

أفرده بالتصنيف جماعة من القراء، منهم ابن القاصح عمل كتابه [قرة العين في الفتح والإمالة وبين اللفظين] قال الداني: الفتح والإمالة لغتان مشهورتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، فالفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس. قال: والأصل فيها حديث حذيفة مرفوعاً «اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم وأصوات أهل الفسق وأهل الكتابين» قال: فالإمالة لا شك من الأحرف السبعة ومن لحون العرب وأصواتها.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش عن إبراهيم قال: كانوا يرون أن الألف والياء في القراءة سواء. قال: يعني بالألف والياء التفخيم والإمالة. وأخرج في تاريخ القراء من طريق ابن عاصم الضرير الكوفي عن محمد ابن عبيد عن عاصم عن زر بن حبيش قال: قرأ رجل على عبدالله بن مسعود طه ولم يكسر، فقال عبدالله: طه وكسر الطاء والهاء فقال الرجل: طه ولم يكسر، فقال عبدالله: طه وكسر، ثم قال: والله هكذا علمني رسول الله ﷺ.

قال ابن الجزري: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ورجاله ثقات إلا محمد بن عبدالله وهو العزرمي فإنه ضعيف عند أهل الحديث، وكان رجلاً صالحاً لكن ذهبت كتبه فكان يحدث من حفظ فأتى عليه من ذلك. قلت: وحديثه هذا أخرجه ابن مردويه في تفسيره، وزاد في آخره: وكذا نزل بها جبريل.

وفي جمال القراء عن صفوان بن عسال «أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ يا يحي، فقيل له: يا رسول الله تميل وليس هي لغة قريش، فقال: هي لغة الأخوال بني سعد». وأخرج ابن أشتة عن أبي حاتم قال: احتج الكوفيون في الإمالة بأنهم وجدوا في المصحف الياءات في موضع الألفات فاتبعوا الخط، وأمالوا ليقربوا من الياءات.

الإمالة:

الإمالة: أن ينحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء كثيراً وهو المحض، ويقال له أيضاً الاضطجاع والبطح والكسر وهو بين اللفظين، ويقال له أيضاً التقليل والتلطيف وبين بين، فهي قسمان: شديدة، ومتوسطة، وكلاهما جائز في القراءة. والشديدة يجتنب معها القلب الخالص والإشباع المبالغ فيه. والمتوسطة بين الفتح المتوسط والإمالة الشديدة. قال الداني: وعلماؤنا مختلفون أيها أوجه وأولى، وأنا أختار الإمالة الوسطى التي هي بين بين، لأن الغرض من الإمالة حاصل بها وهو الإعلام بأن أصل الألف الياء والتنبيه على انقلابها إلى الياء في موضع أو مشاكلتها للكسر المجاور لها أو الياء.

وأما الفتح فهو فتح القارىء فاه بلفظ الحرف ويقال له التفخيم، وهو شديد ومتوسط. فالشديد: هو نهاية فتح الشخص فاه بذلك الحرف، ولا يجوز في القرآن بل هو معدوم في لغة العرب. والمتوسط: ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة. قال الداني: وهذا هو الذي يستعمله أصحاب الفتح من القراء.

واختلفوا هل الإمالة فرع عن الفتح أو كل منهما أصل برأسه. ووجه الأول أن الإمالة لا تكون إلا لسبب، فإن فقد لزم الفتح وإن وجد جاز الفتح والإمالة، فما من كلمة تمال إلا وفي العرب من يفتحها، فدل اطراد الفتح على أصالته وفرعيتها.

الكلام في الإمالة:

والكلام في الإمالة من خمسة أوجه: أسبابها، ووجوهها، وفائدتها، ومن يميل، وما يمال.

أما أسبابها فذكرها القراء عشرة. قال ابن الجزري: وهي ترجع إلى شيئين: أحدهما الكسرة، والثاني الياء وكل منهما يكون متقدماً على محل الإمالة من الكلمة ومتأخراً عنه، ويكون أيضا مقدراً في محل الإمالة، وقد تكون الكسرة والياء غير موجودتين في اللفظ ولا مقدرتين في محل الإمالة ولكنهما مما يعرض في بعض تصاريف الكلمة.

وقد تمال الألف أو الفتحة لأجل ألف أخرى أو فتحة أخرى ممالة، وتسمى هذه إمالة لأجل إمالة، وقد تمال الألف تشبيهاً بالألف الممالة.

قال ابن الجزري: وتمال أيضاً بسبب كثرة الاستعمال وللفرق بين الاسم والحرف، فتبلغ اثنا عشر سبباً.

فأما الإمالة لأجل الكسرة السابقة فشرطها أن يكون الفاصل بينها وبين الألف حرفاً واحداً نحو كتاب وحساب، وهذا الفاصل إنما حصل باعتبار الألف.

وأما الفتحة الممالة فلا فاصل بينها وبين الكسرة، أو حرفين أولهما ساكن نحو إنسان، أو مفتوحتين والثاني هاء لخفائها. وأما الياء السابقة، فإما ملاصقة كالحياة والأيامى، أو مفصولة بحرفين أحدهما الهاء كيدها.

وأما الكسرة المتأخرة فسواء كانت لازمة نحو عابد أم عارضة نحو من الناس وفي النار.

وأما الياء المتأخرة فنحو بائع. وأما الكسرة المقدرة فنحو خاف، إذ الأصل خوف.

وأما الياء المقدرة فنحو يخشى والهدى وأتى والثرى، فإن الألف في كل ذلك منقلبة عن ياء تحركت وانفتح ما قبلها.

وأما الكسرة العارضة في بعض أحوال الكلمة فنحو طاب وجاء وشاء وزاد، لأن الفاء تكسر من ذلك مع ضمير الرفع المتحرك.

وأما الياء العارضة كذلك نحو تلا وغزا فإن ألفهما عن واو، وإنما أميلت لانقلابها ياء في تلا وغزا.

وأما الإمالة لأجل الإمالة فكإمالة الكسائي الألف بعد النون من (إنا لله) لإمالة الألف من الله ولم يمل وإنا إليه لعدم ذلك بعده، وجعل من ذلك إمالة الضحى والقرى وضحاها وتلاها.

وأما الإمالة لأجل الشبه فإمالة ألف التأنيث في نحو الحسنى وألف موسى وعيسى لشبهها بألف الهدى.

وأما الإمالة لكثرة الاستعمال فكإمالة الناس في الأحوال الثلاث على ما رواه صاحب المنهج.

وأما إمالة للفرق بين الاسم والحرف فكإمالة الفواتح كما قال سيبويه أن إمالة نا و يا في حروف المعجم لأنها أسماء فليست مثل ما ولا وغيرهما من الحروف.

وأما وجوهها فأربعة ترجع إلى الأسباب المذكورة أصلها اثنان: المناسبة والإشعار، فأما المناسبة فقسم واحد، وهو فيما أميل لسبب موجود في اللفظ، وفيما أميل لإمالة غيره، فإنهم أرادوا أن يكون عمل اللسان ومجاورة النطق بالحرف الممال بسبب الإمالة من وجه واحد وعلى نمط واحد. وأما الإشعار فثلاثة

أقسام: إشعار بالأصل، وإشعار بما يعرض في الكلمة في بعض المواضع، وإشعار بالشبه المشعر بالأصل.

وأما فائدتها فسهولة اللفظ، وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة، والانحدار أخفّ على اللسان من الارتفاع فلهذا أمال من أمال، وأما من فتح فإنه راعى كون الفتح أمتن أو الأصل.

وأما من أمال فكل القراء العشرة إلا ابن كثير فإنه لم يمل شيئاً في جميع القرآن.

وأما ما يمال فموضع استيعابه كتب القراءات والكتب المؤلفة في الإمالة، ونذكر هنا ما يدخل تحت ضابط. فحمزة والكسائي وخلف أمالوا كل ألف منقلبة عن ياء حيث وقعت في القرآن في اسم أو فعل كالهدى والهوى والفتى والعمى والزنى وأتى وأبى وسعى ويخشى ويرضى واجتبى واشترى ومثوى ومأوى وأدنى وأزكى.

وكل ألف تأنيث على فعلى بضم الفاء وكسرها وفتحها كطوبى وبشرى وقصوى والقربى والأنثى والدنيا وإحدى وذكرى وسيما وضيزى وموتى ومرضى والسلوى والتقوى، وألحقوا بذلك موسى وعيسى ويحيى.

وكل ما كان على وزن فعالى بالضم أو الفتح كسكارى وكسالى وأسارى ويتامى ونصارى والأيامى.

وكل ما رسم في المصاحف بالياء نحو بلى ومتى ويا أسفى ويا ويلتى ويا حسرتى وأنى للاستفهام.

واستثنى من ذلك حتى وإلى وعلى ولدى وما زكى فلم تمل بحال.

وكذلك أمالوا من الواوي ما كسر أوله أو ضم وهو الربا كيف وقع

والضحى كيف جاء والقوى والعلى.

وأمالوا رؤوس الآي من إحدى عشرة سورة جاءت على نسق وهي: طه والنجم وسأل والقيامة والنازعات وعبس والأعلى والشمس والليل والضحى والعلق، ووافق على هذه السور أبو عمرو وورش.

وأمال أبو عمرو كل ما كان فيه راء بعد ألف بأي وزن كان كذكرى وبشرى وأسرى وأراه واشترى وترى والقرى والنصارى وأسارى وسكارى، ووافق على ألفات فعلى كيف أتت.

وأمال أبو عمرو والكسائي كل ألف بعدها راء متطرفة مجرورة نحو الدار والنار والقهار والغفار والنهار والديار والكفار والإبكار وبقنطار وأبصارهم وأوبارها وأشعارها وحمار سواء كانت الألف أصلية أم زائدة.

وأمال حمزة الألف من عين الفعل الماضي من عشرة أفعال، وهي زاد وشاء وجاء وخاب وران وخاف وزاغ وطاب وضاق وحاق حيث وقعت وكيف جاءت.

وأمال الكسائي هاء التأنيث وما قبلها وقفاً مطلقاً بعد خمسة عشر حرفاً يجمعها قولك (فجئت زينب لذود شمس) فالفاء كخليفة ورأفة، والجيم كوليجة ولجة، والثاء كثلاثة وخبيثة، والتاء كبغتة والميتة، والزاي كبارزة وأعزة، والياء كخشية وشيبة، والنون كسنة وجنة، والباء كحبة والتوبة، واللام كليلة وثلة، والذال كلذة والموقوذة، والواو كقسوة والمروة، والدال كبلدة وعدة، والشين كالفاحشة وعيشة، والميم كرحمة ونعمة، والسين كالخامسة وخمسة. وتفتح مطلقاً بعد عشرة أحرف وهي جاع وحروف الاستعلاء (قظ خص ضغط) والأربعة الباقية وهي (الهرّ) إن كان قبل كل منها ياء ساكنة أو كسرة

متصلة أو منفصلة بساكن مميل وإلا تفتح. وبقى أحرف فيها خلف وتفصيل ولا ضابط يجمعها فلتنظر من كتب الفن.

وأما فواتح السور فأمال (الرٓ) في السور الخمسة حمزة والكسائي وخلف وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر، وبين بين ورش، وأمال الهاء من فاتحة مريم وطه أبو عمرو والكسائي وأبو بكر، وأمال حمزة وخلف طه دون مريم وأمال الياء من أول مريم من أمال الراء إلا أبا عمرو على المشهور عنه، ومن أول (يسٓ) الثلاثة الأولون وأبو بكر، وأمال هؤلاء الأربعة من طه وطسم وطس والحاء من حم في السور السبع، ووافقهم في الحاء ابن ذكوان.

كره قوم الإمالة:

[خاتمة] كره قوم الإمالة لحديث «نزل القرآن بالتفخيم» وأجيب عنه بأوجه. أحدها: انه نزل بذلك ثم رخص في الإمالة. ثانيها: أن معناه أنه يقرأ على قراءة الرجال لا يخضع الصوت فيه ككلام النساء. ثالثها: أن معناه أنزل بالشدة والغلظة على المشركين. قال في جمال القراء: وهو بعيد في تفسير الخبر، لأنه نزل أيضاً بالرحمة والرأفة. رابعها: أن معناه بالتعظيم والتجليل: أي عظموه وبجلوه، فحض بذلك على تعظيم القرآن وتبجيله. خامسها: أن المراد بالتفخيم تحريك أوساط الكلم بالضم والكسر في المواضع المختلف فيها دون إسكانها لأنه أشبع لها وأفخم.

قال الداني: وكذا جاء مفسراً عن ابن عباس ثم قال: حدثنا ابن خاقان، حدثنا أحمد بن محمد، حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا القاسم، سمعت الكسائي يخبر عن سلمان عن الزهري قال: قال ابن عباس: نزل القرآن بالتثقيل والتفخيم نحو قوله الجمعة وأشباه ذلك من التثقيل. ثم أورد حديث الحاكم عن زيد بن ثابت مرفوعاً: «نزل القرآن بالتفخيم» قال محمد بن مقاتل أحد رواته: سمعت

عمارا يقول: عذرا نذرا. والصدفين: يعني بتحريك الأوسط في ذلك. قال: ويؤيده قول أبي عبيدة: أهل الحجاز يفخمون الكلام كله إلا حرفاً واحداً عشرة فإنهم يجزمونه، وأهل نجد يتركون التفخيم في الكلام إلا هذا الحرف فإنهم يقولون عشرة بالكسر. قال الداني: فهذا الوجه أولى في تفسير الخبر.

النوع الحادي والثلاثون
في الإدغام والإظهار والإخفاء والاقلاب

١ ـ الإدغام وأنواعه:

أفرد ذلك بالتصنيف جماعة من القراء. الإدغام: هو اللفظ بحرفين حرفاً كالثاني مشدداً. وينقسم إلى كبير وصغير: فالكبير ما كان أول الحرفين متحركاً فيه سواء كانا مثلين أم جنسين أم متقاربين، وسمي كبيراً لكثرة وقوعه، إذ الحركة أكثر من السكون. وقيل لتأثيره في إسكان المتحرك قبل إدغامه، وقيل لما فيه من الصعوبة، وقيل لشموله نوعي المثلين والجنسين والمتقاربين، والمشهور بنسبته إليه من الأئمة العشرة هو أبو عمرو ابن العلاء، وورد عن جماعة خارج العشرة كالحسن البصري والأعمش وابن محيصن وغيرهم. ووجهه طلب التخفيف. وكثير من المصنفين في القراءات لم يذكروه ألبتة كأبي عبيد في كتابه وابن مجاهد في مسبعته ومكي في تبصرته والطلمنكي في روضته وابن سفيان في هاديه وابن شريح في كافيه والمهدوي في هدايته وغيرهم. قال في تقريب النشر: ونعني **بالمتماثلين** ما اتفقا مخرجاً وصفة، **والمتجانسين** ما اتفقا مخرجاً واختلفا صفة، **والمتقاربين** ما تقاربا مخرجاً أو صفة.

إدغام المتماثلين:

فأما المدغم من المتماثلين فوقع في سبعة عشر حرفاً، وهي الباء والتاء والثاء والحاء والراء والسين والعين والغين والفاء والقاف والكاف واللام والميم والنون

والواو والهاء والياء نحو: الكتاب بالحق. الموت تحبسونها. حيث ثقفتموهم. النكاح حتى. شهر رمضان. الناس سكارى. يشفع عنـده. يبتغ غير الإسلام. اختلف فيه. أفاق قال. إنك كنت. لا قبل لهم. الرحيم ملك. نحن نسبح. فهو وليهم. فيه هدى. يأتي يوم.

وشرطه: أن يلتقي المثلان خطا فلا يدغم في نحو: أنا نذير، من أجل وجود الألف خطا، وأن يكون من كلمتين، فإن التقيا من كلمة لا يدغم إلا في حرفين: مناسككم في البقرة، وما سلككم في المدثر. وأن لا يكون الأول تاء ضمير المتكلم أو خطاباً فلا يدغم: كنت تراباً. فأنت تسمع. ولا مشدداً فلا يدغم نحو: مس سقر. رب بما. ولا منوّناً فلا يدغم نحو: غفور رحيم، سميع عليم.

إدغام المتجانسين والمتقاربين:

وأما المدغم من المتجانسين والمتقاربين فهو ستة عشر حرفاً يجمعها (رض سنشد حجتك بذم فنم).

وشرطه: أن لا يكون الأول مشدداً نحو: أشد ذكراً. ولا منوناً نحو: في ظلمات ثلاث. ولا تاء ضمير نحو: خلقت طينا. فالباء تدغم في الميم في: يعذب من يشاء. فقط. والتاء في عشرة أحرف: التاء: بالبينات ثم. والجيم: الصالحات جنات. والذال: السيئات ذلك. والزاي: الجنة زمرا. والسين: الصالحات سندخلهم. ولم يدغم: ولم يؤت سعة. للجزم مع خفة الفتحة. والشين: بأربعة شهداء. والصاد: والملائكة صفا. والضاد: والعاديات ضبحا. والطاء: أقم الصلاة طرفي النهار. والظاء: الملائكة ظالمي. والثاء في خمسة أحرف: التاء: حيث تؤمرون. والذال: الحرث ذلك. والسين: وورث سليمان. والشين: حيث شئتما. والضاد: حديث ضيف. والجيم: في حرفين. الشين: أخرج شطأه. والتاء: ذي المعارج تعرج. والحاء

في العين: زحزح عن النار فقط. والدال في عشرة أحرف: التاء: المساجد تلك. بعد توكيدها. والثاء: يريد ثواب. والجيم: داود جالوت. والذال: القلائد ذلك. والزاي: يكاد زيتها. والسين: والأصفـاد سرابيلهـم. والشين: وشهـد شـاهـد. والصاد: نفقد صواع. والضاد: من بعد ضرّاء. والظاء: يريد ظلماً. ولا تدغم مفتوحة بعد ساكن إلا في التاء لقوة التجانس. والذال في السين في قوله: فاتخذ سبيله. والصاد في قوله: ما اتخذ صاحبة. والراء في اللام نحو: هن أطهر لكم. المصير لا يكلف. والنهار لآيات. فإن فتحت وسكن ما قبلها لم تدغم نحو: والحمير لتركبوها. والسين في الزاي في قوله: وإذا النفوس زوّجت. والشين في قوله: الرأس شيبا. والشين في السين: في ذي العرش سبيلا فقط. والضاد في: لبعض شأنهم فقط. والقاف في الكاف إذا ما تحرّك ما قبلها نحو: ينفق كيف يشاء، وكذا إذا كانت معها في كلمة واحدة وبعدها ميم نحو: خلقكم. والكاف في القاف إذا تحرك ما قبلها نحو: رسل ربك. قال: ونقدس لك. قال: لا إن سكن نحو: وتركوك قائما. واللام في الراء إذا تحرّك ما قبلها نحو: رسل ربك. أو سكن وهي مضمومة أو مكسورة نحو: لقول رسول. إلى سبيل ربك. لا إن فتحت نحو: فيقول رب إلا لام، قال فإنها تدغم حيث وقعت نحو: قال رب. قال رجلان. والميم تسكن عند الباء إذا تحرّك ما قبلها فتخفى بغنة نحو: أعلم بالشاكرين. يحكم بينهم. مريم بهتانا. وهذا نوع من الإخفاء المذكور في الترجمة. وذكر ابن الجزري له في أنواع الإدغام وتبع فيه بعض المتقدمين، وقد قال هو في النشر إنه غير صواب، فإن سكن ما قبلها أظهرت نحو: إبراهيم بنيه. والنون تدغم إذا تحرك ما قبلها في الراء وفي اللام نحو: تأذّن ربك. لن نؤمن لك. فإن سكن أظهرت عندهما نحو: يخافون ربهم. أن تكون لهم. إلا نون نحن فإنها تدغم نحو: نحن له. وما نحن لك، لكثرة دورها وتكرار النون فيها ولزوم حركتها وثقلها.

[تنبيهان: الأول] وافق أبو عمرو وحمزة ويعقوب في أحرف مخصوصة استوعبها ابن الجزري في كتابيه النشر والتقريب.

[الثاني] أجمع الأئمة العشرة على إدغام: مـالـك لا تـأمنـا على يـوسـف. واختلفوا في اللفظ به، فقرأ أبو جعفر بإدغامه محضاً بلا إشارة، وقرأ الباقون بالإشارة روماً وإشماماً.

ضابط: قال ابن الجزري: جميع ما أدغمه أبو عمرو من المثلين والمتقاربين إذا وصل السورة بالسورة ألف حرف وثلاثمائة وأربعة أحرف لدخول آخر القدر بلم يكن، وإذا بسمل ووصل آخر السورة بالبسملة ألف وثلاثمائة وخمسة لدخول آخر الرعد بأول إبراهيم وآخر إبراهيم بأول الحجر، وإذا فصل بالسكت ولم يبسمل ألف وثلاثمائة وثلاثة.

الادغام الصغير:

وأما الإدغام الصغير: فهو ما كان الحرف الأول فيه ساكناً. وهو واجب وممتنع وجائز، والذي جرت عادة القراء بذكره في كتب الخلاف هو الجائز، لأنه الذي اختلف القراء فيه، وهو قسمان:

الأول: إدغام حرف من كلمة في حروف متعددة من كلمات متفرقة، وتنحصر في إذ وقد وتاء التأنيث وهل وبل، فإذا اختلف في إدغامها وإظهارها عند ستة أحرف: التاء: إذ تبرأ. والجيم: إذ جعل. والدال: إذ دخلت. والزاي: إذ زاغت. والسين: إذا سمعتموه. والصاد: وإذ صرفنا. وقد اختلف فيها عند ثمانية أحرف: الجيم: ولقد جاءكم. والذال: ولقد ذرأنا. والزاي: ولقد زينا. والسين: قد سألها. والشين: قد شغفها. والصاد: ولقد صرفنا. والضاد: فقد ضلوا. والظاء: فقد ظلم. وتاء التأنيث اختلف فيها عند ستة أحرف: التاء: بعدت

ثمود . والجيم: نضجت جلودهم. والزاي: خبت زدناهم. والسين: أنبتت سبع سنابل. والصاد: لهدمت صوامع. والظاء: كانت ظالمة. لام: هل وبل اختلف فيها عند ثمانية أحرف تختص بل منها بخمسة. الزاي: بل زين. والسين: بل سوّلت. والضاد: بل ضلوا. والطاء: بل طبع. والظاء: بل ظننتم، وتختص هل بالثاء: هل ثوّب. ويشتركان في التاء والنون: هل تنقمون، بل تأتيهم هل نحن، بل نتبع.

القسم الثاني: إدغام حروف قربت مخارجها، وهي سبعة عشر حرفاً اختلف فيها. أحدها: الباء عند الفاء في: أو يغلب فسوف. وإن تعجب فعجب. اذهب فمن. فاذهب فإن. ومن لم يتب فأولئك. الثاني: يعذب من يشاء في البقرة. الثالث: اركب معنا في هود. الرابع: نخسف بهم في سبأ. الخامس: الراء الساكنة عند اللام نحو: يغفر لكم. واصبر لحكم ربك. السادس: اللام الساكنة في الذال: من يفعل ذلك، حيث وقع. السابع: الثاء في الذال في: يلهث ذلك. الثامن: الدال في الثاء: من يرد ثواب، حيث وقع. التاسع: الذال في التاء من: اتخذتم، وما جاء من لفظه. العاشر: الذال فيها من: فنبذتها في طه. الحادي عشر: الدال فيها أيضاً في: عذت، في غافر والدخان. الثاني عشر: الثاء من لبثتم. ولبثت، كيف جاء. الثالث عشر: التاء في فيها في: أورثتموها في الأعراف والزخرف. الرابع عشر: الدال في الذال في: كهيعص ذكر. الخامس عشر: النون في الواو من: يس والقرآن. السادس عشر: النون فيها من: ن والقلم. السابع عشر: النون عند الميم من طسم أول الشعراء أو القصص.

قاعدة هامة في الادغام:

[قاعدة] كل حرفين التقيا أولها ساكن وكانا مثلين أو جنسين وجب إدغام الأول منهما لغة وقراءة، فالمثلان نحو: اضرب بعصاك. ربحت تجارتهم. وقد دخلوا. اذهب. وقل لهم. وهم من. عن نفس. يدرككم، يوجهه. والجنسان:

نحو: قالت طائفة. وقد تبين. إذ ظلمتم. بل ران. هل رأيتم. قل ربّ، ما لم يكن أول المثلين حرف مدّ: قالوا وهم. الذي يوسوس: أو أول الجنسين حرف حلق نحو: فاصفح عنهم.

[فائدة] كره قوم الإدغام في القرآن. وعن حمزة أنه كرهه في الصلاة فتحصلنا على ثلاثة أقوال.

أحكام النون الساكنة والتنوين:

[تذنيب] يلحق بالقسمين السابقين قسم آخر اختلف في بعضه، وهو أحكام النون الساكنة والتنوين: ولها أحكام أربعة: **إظهار، وإدغام، وإقلاب. وإخفاء.**

فالإظهار لجميع القراء عند ستة أحرف وهي حروف الحلق: الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء، نحو: ينأون. من آمن. فانهار. من هاد. جرف هار. أنعمت. من عمل. عذاب عظيم. وانحر. من حكيم حميد. فسينغضون. من غلّ. إله غيره. والمنخنقة. من خير. قوم خصمون. وبعضهم يخفي عند الخاء والغين.

والإدغام: في ستة: حرفان بلا غنة وهما اللام والراء نحو: فإن لم تفعلوا. هدى للمتقين. من ربهم. ثمرة رزقا. وأربعة بغنة، وهي النون والميم والياء والواو نحو: عن نفس. حطة نغفر. من مال. مثلاً ما. من وال. ورعد وبرق يجعلون.

والإقلاب: عند حرف واحد وهو الباء نحو: أنبئهم. من بعدهم. صمّ بكم، بقلب النون والتنونين عند الباء ميا خاصة فتخفى بغنة.

والإخفاء عند باقي الحروف، وهي خمسة عشرة: التاء والثاء والجيم والدال والذال والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والفاء والقاف والكاف نحو: كنتم. من باب. جنات تجري. والأنثى. من ثمرة. قولاً ثقيلاً.

أنجيتنا. أن جعل. خلقاً جديداً. أنداداً. أن دعوا. كأساً دهاقاً. أأنذرتهم. من ذهب. وكيلا ذرية، تنزيل. من زوال. صعيداً زلقاً. الإنسان. من سوء. ورجلا سلما، أنشره. إن شاء. غفور شكور. الأنصار. أن صدوكم. جمالات صفر، منضود، من ضل. وكلا ضربنا. المقنطرة. من طين، صعيداً طيباً. ينظرون. من ظهير. ظلاً ظليلاً. فانفلق. من فضله. خالداً فيها. انقلبوا. من قرار. سميع قريب. المنكر من. كتاب كريم.

والإخفاء حالة بين الإدغام والإظهار، ولا بد من الغنة معه.

النوع الثاني والثلاثون: في المد والقصر

أفرده جماعة من القراء بالتصنيف، والأصل ما أخرجه سعيد بن منصور في سننه: حدثنا شهاب بن حراش، حدثني مسعود بن يزيد الكندي قال: كان ابن مسعود يقرىء رجلاً، فقرأ الرجل: إنما الصدقات للفقراء والمساكين مرسلة، فقال ابن مسعود: ما هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقال: كيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: أقرأنيها: إنما الصدقات للفقراء والمساكين، فمدوها. وهذا حديث حسن جليل حجة، ونص في الباب، رجال إسناده ثقات، أخرجه الطبراني في الكبير.

المدّ: عبارة عن زيادة مط في حرف المدّ على المدّ الطبيعي، وهو الذي لا تقوم ذات حرف المدّ دونه.

والقصر: ترك تلك الزيادة وإبقاء المد الطبيعي على حاله.

وحرف المدّ الألف مطلقاً والواو الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها. وسببه لفظي ومعنوي.

فاللفظي إما همز أو سكون، فالهمز يكون بعد حرف المدّ وقبله. والثاني نحو: آدم. ورآى. وإيمان. وخاطئين. وأوتوا. والموءودة. والأول إن كان معه في كلمة واحدة **فهو المتصل** نحو: أولئك. شاء الله. والسوآى. ومن سوء. ويضيء.

وإن كان حرف المد آخر كلمة والهمز أول أخرى **فهو المنفصل** نحو: بما أنزل. يا أيها. قالوا آمنا. أمره إلى الله، في أنفسكم. به إلا الفاسقين. ووجه المدّ

لأجل الهمز أن حرف المدّ خفيّ والهمز صعب، فزيد في الخفي ليتمكن من النطق بالصعب. والسكون: إما لازم وهو الذي لا يتغير في حاليه نحو: الضالين. ودابة. والّم.وأتحاجوني. أوعارض وهو الذي يعرض للوقف ونحوه نحو: العباد. والحساب. ونستعين. والرحيم. ويوقنون.

حالة الوقف. وفيه هدى. وقال لهم. ويقول ربنا، حالة الإدغام. ووجه المدّ للسكون التمكن من الجمع بين الساكنين فكأنه قام مقام حركة.

وقد أجمع القراء على مدّ نوعي المتصل وذي الساكن اللازم وإن اختلفوا في مقداره، واختلفوا في مدّ النوعين الآخرين، وهما المنفصل وهو الساكن العارض، وفي قصرهما.

فأما المتصل فاتفق الجمهور على مدّه قدراً واحداً مشبعاً من غير إفحاش، وذهب آخرون إلى تفاضله كتفاضل المنفصل، فالطولي لحمزة وورش، ودونها لعاصم، ودونها لابن عامر والكسائي وخلف، ودونها لأبي عمرو والباقين.

وذهب بعضهم إلى أنه مرتبتان فقط: الطولي لمن ذكر، والوسطي لمن بقي. وأما ذو الساكن ويقال له العدل، لأنه يعدل حركة، فالجمهور أيضاً على مده مشبعاً قدراً واحداً من غير إفراط. وذهب بعضهم إلى تفاوته.

وأما المنفصل، ويقال له مدّ الفصل لأنه يفصل بين الكلمتين، ومدّ البسط لأنه يبسط بين الكلمتين، ومد الاعتبار لاعتبار الكلمتين من كلمة، ومدّ حرف بحرف: أي مدّ كلمة لكلمة.

والمدّ جائز من أجل الخلاف في مده وقصره فقد اختلفت العبارات في مقدار مده اختلافاً لا يمكن ضبطه.

مراتب المد:

والحاصل أن له سبع مراتب. الأولى: القصر وهو حذف المد العرضي وإبقاء ذات حرف المد على ما فيها من غير زيادة، وهي في المنفصل خاصة لأبي جعفر وابن كثير ولأبي عمرو عند الجمهور. الثانية: فويق القصر قليلاً، وقدرت بألفين، وبعضهم بألف ونصف. وهي لأبي عمرو. وفي المتصل والمنفصل عند صاحب التيسير. الثالثة: فويقها قليلاً، وهي التوسط عند الجميع، وقدرت بثلاث ألفات، وقيل بألفين ونصف، وقيل بألفين على أن ما قبلها بألف ونصف، وهي لابن عامر والكسائي في الضربين عند صاحب التيسير. الرابعة: فويقها قليلاً، وقدرت بأربع ألفات، وقيل بثلاث ونصف، وقيل بثلاث على الخلاف فيما قبلها، وهي لعاصم في الضربين عند صاحب التيسير. الخامسة: فويقها قليلاً، وقدرت بخمس ألفات وبأربع ونصف وبأربع على الخلاف، وهي فيها لحمزة وورش عنده. السادسة: فوق ذلك، وقدرها الهذلي بخمس ألفات على تقديره الخامسة بأربع وذكر أنها لحمزة. السابعة: الإفراط، قدرها الهذلي بست، وذكرها لورش.

قال ابن الجزري: وهذا الاختلاف في تقدير المراتب بالألفات لا تحقيق وراءه، بل هو لفظي لأن المرتبة الدنيا وهي القصر إذا زيد عليها أدنى زيادة صارت ثانية، ثم كذلك حتى تنتهي إلى القصوى. وأما العارض فيجوز فيه لكل من القراء كل من الأوجه الثلاثة: المدّ، والتوسط، والقصر. وهي أوجه تخيير.

السبب المعنوي للمد:

وأما السبب المعنوي فهو قصد المبالغة في النفي، وهو سبب قويّ مقصود عند العرب، وإن كان أضعف من اللفظي عند القراء، ومنه مد التعظيم في نحو: لا إله إلا هو. لا إله إلا الله. لا إله إلا أنت. وقد ورد عن أصحاب القصر في

المفصل لهذا المعنى ويسمى **مدّ المبالغة**.

مد المبالغة:

قال ابن مهران في كتاب المدات: إنما سمي مدّ المبالغة لأنه طلب للمبالغة في نفي إلهية سوى الله تعالى، قال: وهذا مذهب معروف عند العرب لأنها تمدّ عند الدعاء وعند الاستغاثة وعند المبالغة في نفي شيء، ويمدون ما لا أصل له بهذه العلة. قال ابن الجزري: وقد ورد عن حمزة مدّ المبالغة للنفي في لا التي للتبرئة نحو: لا ريب فيه. لاشية فيها. لا مردّ له. لا جرم. وقدره في ذلك وسط لا يبلغ الإشباع لضعف سببه، نص عليه ابن القصاع. وقد يجتمع السببان اللفظي والمعنوي في نحو: لا إله إلا الله. ولا إكراه في الدين. ولا إثم عليه، فيمد لحمزة مدّاً مشبعاً على أصله في المدّ لأجل الهمز، ويلغى المعنوي إعمالاً للأقوى وإلغاء للأضعف.

[قاعدة] إذا تغير سبب المدّ جاز المد مراعاة للأصل والقصر نظراً للفظ، سواء كان السبب همزاً أو سكوناً، سواء تغير الهمز بين بين أو بإبدال أو حذف، والمد أولى فيما بقي لتغير أثره نحو: هؤلاء إن كنتم في قراءة قالون والبزي، والقصر فيما ذهب أثره نحوها في قراءة أبي عمرو.

إذا اجتمع سببان للمد:

(قاعدة) متى اجتمع سببان قوي وضعيف عمل بالقوي وألغي الضعيف إجماعاً، ويتخرج عليها فروع، منها: الفرع السابق في اجتماع اللفظي والمعنوي، ومنها: نحو: جاءوا أباهم. ورأى أيديهم، إذا قرىء لورش لا يجوز فيه القصر ولا التوسط بل الإشباع عملاً بأقوى السببين وهو المدّ لأجل الهمز، فإن وقف جاءوا ورأى، جازت الأوجه الثلاثة بسبب تقدم الهمز على حرف المدّ وذهاب سببية الهمز بعده.

أنواع المد:

[فائدة] قال أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري: مدات القرآن على عشرة أوجه.

مد الحجز في ونحو: أأنذرتهم. أأنت قلت للناس. أئذا متنا، ءألقي الذكر عليه، لأنه أدخل بين الهمزتين حاجزاً خففهما لاستثقال العرب جمعهما وقدره ألف تامة في الإجماع، فحصول الحجز بذلك.

ومد العدل في كل حرف مشدد وقبله حرف مد.

ولين ونحو: الضالين، لأنه يعدل حركة: أي يقوم مقامها في الحجز بين الساكنين.

ومد التمكين في نحو: أولئك، والملائكة، وسائر المدات التي تليها همزة لأنه جلب ليتمكن به من تحقيقها وإخراجها من مخرجها.

ومد البسط ويسمى أيضاً مد الفصل في نحو: بما أنزل لأنه يبسط بين كلمتين ويفصل به بين كلمتين متصلتين.

ومد الروم في نحو: ها أنتم، لأنهم يرومون الهمزة من أنتم ولا يخفونها ولا يتركونها أصلاً ولكن يلينونها ويشيرون إليها، وهذا على مذهب من لا يهمز ها أنتم، وقدره ألف ونصف.

ومدّ الفرق في نحو: آلآن، لأنه يفرق به بين الاستفهام والخبر، وقدره ألف تامة بالإجماع، فإن كان بين ألف المد حرف مشدد زيد ألف أخرى ليتمكن به من تحقيق الهمزة نحو: الذاكرين الله.

ومدّ البنية في نحو: ساء، ودعاء، ونداء، وزكرياء، لأن الاسم بني على المدّ فرقاً بينه وبين المقصور.

ومدّ المبالغة في نحو: لا إله الا الله.

ومد البدل من الهمـزة في نحو: آدم، وآخـر، وآمـن، وقـدره ألـف تـامـة بالإجماع.

ومد الأصل في الأفعال الممدودة نحو: جاء وشاء، والفرق بينه وبين مد البنية أن تلك الأسماء بنيت على المد فرقاً بينها وبين المقصور، وهذه مدات في أصول أفعال أحدثت لمعان انتهى.

النوع الثالث والثلاثون: في تخفيف الهمز

فيه تصانيف مفردة. اعلم أن الهمز لما كان أثقل الحروف نطقاً وأبعدها مخرجاً تنوع العرب في تحقيقه بأنواع التخفيف، وكانت قريش وأهل الحجاز أكثرهم تخفيفاً، ولذلك أكثر ما يرد تخفيفه من طرقهم كابن كثير من رواية ابن فليح وكنافع من رواية ورش وكأبي عمرو، فإن مادة قراءته عن أهل الحجاز. وقد أخرج ابن عديّ من طريق موسى بن عبيدة عن نافع عن ابن عمر قال: ما همز رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا الخلفاء، وإنما الهمز بدعة ابتدعوها من بعدهم. قال أبو شامة: هذا حديث لا يحتج به، وموسى بن عبيدة الربذي ضعيف عند أئمة الحديث. قلت: وكذا الحديث الذي أخرجه الحاكم في المستدرك من طريق حمران بن أعين عن أبي الأسود الدؤلي عن أبي ذرّ قال: «جاء أعرابيّ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا نبيء الله، فقال: لست بنبيء الله، ولكني نبيّ الله» قال الذهبي: حديث منكر، وحمران رافضي ليس بثقة.

أحكام الهمز أربعة:

وأحكام الهمز كثيرة لا يحصيها أقل من مجلد، والذي نورده هنا أن تحقيقه أربعة أنواع. أحدها: النقل لحركته إلى الساكن قبله فيسقط قد أفلح بفتح الدال، وبه قرأ نافع من طريق ورش، وذلك حيث كان الساكن صحيحاً آخراً والهمزة أولاً. واستثنى أصحاب يعقوب عن ورش: كتابيه. إني ظننت، فسكنوا الهاء وحققوا الهمزة. وأما الباقون فحققوا وسكنوا في جميع القرآن.

ثانيها: الإبدال، أن تبدل الهمزة الساكنة حرف ممدّ من جنس حركة ما قبلها فتبدل ألفاً بعد الفتح نحو: وأمر أهلك، وواواً بعد الضم نحو: يؤمنون، وياء بعد الكسر نحو: جيت، وبه يقرأ أبو عمرو، وسواء كانت الهمزة فاء أم عيناً أم لاماً، إلا أن يكون سكونها جزماً نحو: ننسأها، ونحو: أرجئه. أو يكون ترك الهمز فيه أثقل وهو: تؤوي إليك، في الأحزاب، أو يوقع في الالتباس وهو: رئيا، في مريم، فإن تحركت فلا خلاف عنه في التحقيق نحو: يئوده.

ثالثها: التسهيل بينها وبين حركتها، فإن اتفق الهمزتان في الفتح سهل الثانية الحرميان وأبو عمرو وهشام، وأبدلها ورش ألفاً، وابن كثير لا يدخل قبلها ألفاً، وقالون وهشام وأبو عمرو يدخلونها، والباقون من السبعة يحققون. وإن اختلفا بالفتح والكسر سهل الحرميان وأبو عمرو الثانية، وأدخل قالون وأبو عمرو قبلها ألفاً، والباقون يحققون. أو بالفتح والضم وذلك في: قل أؤنبئكم. وأأنزل عليه الذكر. وأألقي فقط. فالثلاثة يسهلون. وقالون يدخل ألفاً والباقون يحققون. قال الداني: وقد أشار الصحابة إلى التسهيل بكتابة الثانية واواً.

رابعها: الإسقاط بلا نقل، وبه قرأ أبو عمرو إذا اتفقا في الحركة وكانا في كلمتين، فإن اتفقا كسرا نحو: هؤلاء إن كنتم، جعل ورش وقنبل الثانية كياء ساكنة، وقالون والبزي الأولى كياء مكسورة، وأسقطها أبو عمرو، والباقون يحققون، وإن اتفقا فتحاً نحو: جاء أجلهم، جعل ورش وقنبل الثانية كمدة، وأسقط الثلاثة الأولى، والباقون يحققون. أو ضماً وهو: أولياء أولئك فقط. أسقطها أبو عمرو، وجعلها قالون والبزي كواو مضمومة، والآخران يجعلان الثانية كواو ساكنة، والباقون يحققون، ثم اختلف في الساقط هل هو الأولى أو الثانية؟ والأول عن أبي عمرو. والثاني عن الخليل من النحاة. وتظهر فائدة الخلاف في المد، فإن كان الساقط الأولى فهو منفصل، أو الثانية فهو متصل.

النوع الرابع والثلاثون: في كيفية تحمله

حفظ القرآن فرض كفاية:

اعلم أن حفظ القرآن فرض كفاية على الأمة، صرّح به الجرجاني في الشافي والعبادي وغيرهما. قال الجويني: والمعنى فيه أن لا ينقطع عدد التواتر فيه فلا يتطرّق إليه التبديل والتحريف، فإن قام بذلك قوم يبلغون هذا العدد سقط عن الباقين، وإلا أثم الكل. وتعليمه أيضاً فرض كفاية، وهو أفضل القرب، ففي الصحيح «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»

كيفية تعلم القرآن:

وأوجه التحمل عند أهل الحديث السماع من لفظ الشيخ والقراءة عليه والسماع عليه بقراءة غيره والمناولة والإجازة والمكاتبة والعرضية والإعلام والوجادة. فأما غير الأولين فلا يأتي هنا لما يعلم مما سنذكره. وأما القراءة على الشيخ فهي المستعملة سلفاً وخلفاً. وأما السماع من لفظ الشيخ فيحتمل أن يقال به هنا، لأن الصحابة رضي الله عنهم إنما أخذوا القرآن من النبي ﷺ، لكن لم يأخذ به أحد من القراء. والمنع فيه ظاهر لأن المقصود هنا كيفية الأداء، وليس كل من سمع من لفظ الشيخ يقدر على الأداء كهيئته، بخلاف الحديث فإن المقصود فيه المعنى أو اللفظ لا بالهيئات المعتبرة في أداء القرآن. وأما الصحابة فكانت فصاحتهم وطباعهم السليمة تقتضي قدرتهم على الأداء كما سمعوه من النبي ﷺ لأنه نزل بلغتهم. ومما يدل للقراءة على الشيخ عرض النبي ﷺ القرآن على جبريل في

رمضان كل عام.

تعلم القراءة جماعياً:

ويحكى أن الشيخ شمس الدين بن الجزري لما قدم القاهرة وازدحمت عليه الخلق لم يتسع وقته لقراءة الجميع، فكان يقرأ عليهم الآية ثم يعيدونها عليه دفعة واحدة، فلم يكتف بقراءته. وتجوز القراءة على الشيخ ولو كان غيره يقرأ عليه في تلك الحالة إذا كان بحيث لا يخفي عليه حالهم. وقد كان الشيخ علم الدين السخاوي يقرأ عليه اثنان وثلاثة في أماكن مختلفة ويردّ على كل منهم. وكذا لو كان الشيخ مشتغلاً بشغل آخر كنسخ ومطالعة. وأما القراءة من الحفظ فالظاهر أنها ليست بشرط بل يكتفى ولو من المصحف.

كيفيات القراءة:

(فصل) كيفيات القراءة ثلاث. إحداها: التحقيق، وهو إعطاء كل حرف حقه من إشباع المدّ وتحقيق الهمزة، وإتمام الحركات، واعتماد الإظهار والتشديدات، وبيان الحروف وتفكيكها، وإخراج بعضها من بعض بالسكت والترتيل والتؤدة، وملاحظة الجائز من الوقوف بلا قصر ولا اختلاس ولا إسكان محرك ولا إدغامه، وهو يكون لرياضة الألسن وتقويم الألفاظ.

ويستحب الأخذ به على المتعلمين من غير أن يتجاوز فيه إلى حدّ الإفراط بتوليد الحروف من الحركات وتكرير الراءات وتحريك السواكن وتطنين النونات بالمبالغة في الغنات. كما قال حمزة لبعض من سمعه يبالغ في ذلك: أما علمت أن ما فوق البياض برص. وما فوق الجعودة قطط، وما فوق القراءة ليس بقراءة. وكذا يحترز من الفصل بين حروف الكلمة كمن يقف على التاء من نستعين وقفة لطيفة مدّعياً أنه يرتل، وهذا النوع من القراءة مذهب حمزة وورش.

وقد أخرج فيه الداني حديثاً في كتاب التجويد مسلسلاً إلى أُبيّ بن كعب أنه قرأ على رسول الله ﷺ التحقيق، وقال: إنه غريب مستقيم الإسناد.

الثانية: الحدر بفتح الحاء وسكون الدال المهملتين، وهو إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفها بالقصر والتسكين والاختلاس والبدل والإدغام الكبير وتخفيف الهمزة ونحو ذلك مما صحت به الرواية، مع مراعاة إقامة الإعراب وتقويم اللفظ وتمكين الحروف بدون بتر حروف المدّ واختلاس أكثر الحركات وذهاب صوت الغنة والتفريط إلى غاية لا تصح بها القراءة ولا توصف بها التلاوة. وهذا النوع مذهب ابن كثير وأبي جعفر ومن قصر المنفصل كأبي عمرو ويعقوب.

الثالثة: التدوير، وهو التوسط بين المقامين بين التحقيق والحدر، وهو الذي ورد عن أكثر الأئمة ممن مدّ المنفصل ولم يبلغ فيه الإشباع، وهو مذهب سائر القراء، وهو المختار عند أكثر أهل الأداء.

[تنبيه] سيأتي في النوع الذي يلي هذا استحباب الترتيل في القراءة والفرق بينه وبين التحقيق فيما ذكره بعضهم أن التحقيق يكون للرياضة، والتعليم والتمرين. والترتيل يكون للتدبير والتفكر والاستنباط، فكل تحقيق ترتيل، أو ليس كل ترتيل تحقيقاً.

تجويد القرآن ضروري:

(فصل) من المهات تجويد القرآن، وقد أفرده جماعة كثيرون بالتصنيف منهم الداني وغيره. أخرج عن ابن مسعود أنه قال: جوّدوا القرآن. قال القراء: التجويد حلية القراءة، وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها، وردّ الحرف إلى مخرجه وأصله، وتلطيف النطق به على كمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف

ولا إفراط ولا تكلف، وإلى ذلك أشار ﷺ بقوله «من أحبّ أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد» يعني ابن مسعود. وكان رضي الله عنه قد أُعطي حظاً عظيماً في تجويد القرآن.

ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده هم متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراء المتصلة بالحضرة النبوية.

اللحن الخفي والجلي:

وقد عدّ العلماء القراءة بغير تجويد لحناً، فقسموا اللحن إلى جليّ وخفيّ. فاللحن خلل يطرأ على الألفاظ فيخل، إلا أن الجليّ يخل إخلالاً ظاهراً يشترك في معرفته علماء القراءة وغيرهم، وهو الخطأ في الإعراب. والخفيّ يخلّ إخلالاً يختص بمعرفته علماء القراءة وأئمة الأداء الذين تلقوه من أفواه العلماء وضبطوه من ألفاظ أهل الأداء.

إتقان التلاوة:

قال ابن الجزري: ولا أعلم لبلوغ النهاية في التجويد مثل رياضة الألسن، والتكرار على اللفظ المتلقى من فم المحسن، وقاعدته ترجع إلى كيفية الوقف والإمالة والإدغام وأحكام الهمز والترقيق والتفخيم ومخارج الحروف، وقد تقدمت الأربعة الأول. وأما الترقيق فالحروف المستقلة كلها مرققة لا يجوز تفخيمها إلا اللام من اسم الله بعد فتحة أو ضمة إجماعاً، أو بعد حروف الإطباق في رواية إلا الراء المضمومة أو المفتوحة مطلقاً أو الساكنة في بعض الأحوال، والحروف المستعلية كلها مفخمة لا يستثنى منها شيء في حال من الأحوال.

مخارج الحروف:

وأما مخارج الحروف: فالصحيح عند القراء ومتقدمي النحاة كالخليل أنها سبعة عشر، وقال كثير من الفريقين: ستة عشر، فأسقطوا مخرج الحروف الحرفية، وهي حروف المد واللين، وجعلوا مخرج الألف من أقصى الحلق، والواو من مخرج المتحركة، وكذا الياء. وقال قوم: أربعة عشر. فأسقطوا مخرج النون واللام والراء وجعلوها من مخرج واحد. قال ابن الحاجب: وكل ذلك تقريب، وإلا فلكل حرف مخرج على حدة. قال الفراء: واختار مخرج الحرف محققاً أن تلفظ بهمز الوصل وتأتي بالحرف بعده ساكناً أو مشدداً وهو أبين ملاحظاً فيه صفات ذلك الحرف المخرج الأول: الجوف للألف والواو والياء الساكنين بعد حركة تجانسها. الثاني: أقصى الحلق للهمزة والهاء. الثالث: وسطه للعين والحاء المهملتين. الرابع: أدناه للفم الغين والخاء. الخامس: أقصى اللسان مما يلي الحلق وما فوقه من الحنك للقاف. السادس: أقصاه من أسفل مخرج القاف قليلاً وما يليه من الحنك للكاف. السابع: وسطه بينه وبين وسط الحنك للجيم والسين والياء. الثامن: للضاد المعجمة من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر، وقيل الأيمن. التاسع: اللام من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرفه وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى. العاشر: للنون من طرفه أسفل اللام قليلا. الحادي عشر: للراء من مخرج النون لكنها أدخل في ظهر اللسان. الثاني عشر للطاء والدال والتاء من طرفه وأصول الثنايا العليا مصعداً إلى جهة الحنك. الثالث عشر: لحرف الصفير الصاد والسين والزاي من بين طرف اللسان وفويق الثنايا السفلى. الرابع عشر: للظاء والثاء والذال من بين طرفه وأطراف الثنايا العليا. الخامس عشر: للفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا. السادس عشر: للباء والميم والواو غير المدية بين الشفتين. السابع عشر: الخيشوم للغنة في الإدغام والنون والميم الساكنة.

النشر:

قال في النشر: فالهمزة والهاء اشتركا مخرجاً وانفتاحاً واستفالاً، وانفردت الهمزة بالجهر والشدة، والعين والحاء اشتركا كذلك، وانفردت الحاء بالهمس والرخاوة الخالصة، والغين والخاء اشتركا مخرجاً ورخاوة واستعلاء وانفتاحاً، وانفردت الغين بالجهر، والجيم والشين والياء اشتركت مخرجاً وانفتاحاً واستفالاً، وانفردت الجيم بالشدة واشتركت مع الياء في الجهر، وانفردت الشين بالهمس والتفشي واشتركت مع الياء في الرخاوة، والضاد والظاء اشتركا صفة وجهراً ورخاوة واستعلاء وإطباقاً، وافترقا مخرجاً، وانفردت الضاد بالاستطالة، والطاء والدال والتاء اشتركت مخرجاً وشدة، وانفردت الطاء بالإطباق والاستعلاء واشتركت مع الدال في الجهر، وانفردت التاء بالهمس واشتركت مع الدال في الانفتاح والاستفال، والظاء والذال والثاء اشتركت مخرجاً ورخاوة، وانفردت الظاء بالاستعلاء والإطباق واشتركت مع الدال في الجهر، وانفردت التاء بالهمس، واشتركت مع الذال انفتاحاً واستفالاً، والصاد والزاي والسين اشتركت مخرجاً ورخاوة وصفيراً وانفردت الزاي بالجهر واشتركت مع السين في الانفتاح والاستفال، فإذا أحكم القارىء النطق بكل حرف على حدته موف حقه فليعمل نفسه بأحكامه حالة التركيب، لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حاله الإفراد بحسب ما يجاورها من مجانس ومقارب وقويّ وضعيف ومفخم ومرقق، فيجذب القوي الضعيف ويغلب المفخم المرقق ويصعب على اللسان النطق بذلك على حقه إلا بالرياضة الشديدة، فمن أحكم صحة التلفظ حالة التركيب حصّل حقيقة التجويد. ومن قصيدة الشيخ علم الدين في التجويد ومن خطه نقلت:

لا تحسب التجويد مداً مفرطاً ... ومدّ ما لا مدّ فيه لوان
أو أن تشدد بعد مدّ همزة ... أو أن تلوك الحرف كالسكران
أو أن تفوه بهمزة متهوعاً ... فيفرّ سامعها من الغثيان

للحـرف ميـزان فلا تـك طـاغيـاً | فيـــه ولا تـــك مخسر الميـــزان
فـإذا همـزت فجـيء بـه متلطفـاً | مـــن غير مـــا بهر وغير تـــوان
وامـدد حـروف المدّ عـد مسكـــن | أو همـزة حسنـاً أخـا إحسـان

قراءات مبتدعة:

[فائدة] قال في جمال القراء: قد ابتدع الناس في قراءة القرآن أصوات الغناء، فقال: إن اول ما غنى به من القرآن قوله تعالى - أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر - نقلوا ذلك من تغنيهم بقول الشاعر:

أمـا القطـاة فـإني ســوف أنعتهـا | نعتاً يوافق عنـدي بعـض مـا فيهـا

وقد قال ﷺ في هؤلاء «مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم» ومما ابتدعوه شيء سموه الترعيد، وهو أن يرعد صوته كأنه يرعد من برد أو ألم.

وآخر سموه الترقيص، وهو أن يروم السكوت على الساكن ثم ينفر مع الحركة كأنه في عدو أو هرولة.

وآخر يسمى التطريب، وهو أن يترنم بالقرآن ويتنغم به فيمدّ في غير مواضع المد ويزيد في المدّ على ما لا ينبغي.

وآخر يسمى التحزين، وهو أن يأتي على وجه حزين يكاد يبكي من خشوع وخضوع، ومن ذلك نوع أحدثه هؤلاء الذين يجتمعون فيقرأون كلهم بصوت واحد فيقولون في قوله تعالى - أفلا تعقلون - أفل تعقلون بحذف الألف، قال: آمنا بحذف الواو يمدون ما لا يمد ليستقيم لهم الطريق التي سلكوها، وينبغي أن يسمى التحريف انتهى.

إفراد القراءات:

(فصل) في كيفية الأخذ بإفراد القراءات وجمعهـا الذي كان عليه السلف

أخذ كل ختمة برواية لا يجمعون رواية إلى غيرها إلى أثناء المائة الخامسة فظهر جمع القراءات في الختمة الواحدة واستقر عليه العمل. ولم يكونوا يسمحون به إلا لمن أفرد القراءات وأتقن طرقها وقرأ لكل قارىء بختمة على حدة، بل إذا كان للشيخ راويان قرأوا لكل راو بختمة ثم يجمعون له وهكذا. وتساهل قوم فسمحوا أن يقرأ لكل قارىء من السبعة بختمة سوى نافع وحمزة، فإنهم كانوا يأخذون ختمة لقالون ثم ختمة لورش ثم ختمة لخلف ثم ختمة لخلاد، ولا يسمح أحد بالجمع إلا بعد ذلك. نعم إذا رأوا شخصاً أفرد وجمع على شيخ معتبر وأجيز وتأهل وأراد أن يجمع القراءات في ختمة لا يكلفونه الإفراد لعلمهم بوصوله إلى حدّ المعرفة والإتقان.

الجمع في القراءة:

ثم لهم في الجمع مذهبان، أحدهما: الجمع بالحرف بأن يشرع في القراءة. فإذا مر بكلمة فيها خلف أعادها بمفردها حتى يستوفي ما فيها، ثم يقف عليها إن صلحت للوقف، وإلا وصلها بآخر وجه حتى ينتهي إلى الوقف. وإن كان الخلف يتعلق بكلمتين كالمدّ المنفصل وقف على الثانية واستوعب الخلاف وانتقل إلى ما بعدها. وهذا مذهب المصريين، وهو أوثق في الاستيفاء وأخفّ على الآخذ، لكنه يخرج عن رونق القراءة وحسن التلاوة.

الثاني: الجمع بالوقف بأن يشرع بقراءة من قدمه حتى ينتهي إلى وقف ثم يعود إلى القارىء الذي بعده إلى ذلك الوقف ثم يعود، وهكذا حتى يفرغ. وهذا مذهب الشاميين وهو أشدّ استحضاراً وأشدّ استظهاراً وأطول زمناً وأجود مكاناً. وكان بعضهم يجمع بالآية على هذا الرسم

شروط الجمع:

وذكر أبو الحسن القبحاطي في قصيدته وشرحها لجامع القراءات شروطاً سبعة

حاصلها خمسة. أحدها: حسن الوقف. ثانيها: حسن الابتدا. ثالثها: حسن الأداء. رابعها: عدم التركيب، فإذا قرأ القارىء لا ينتقل إلى قراءة غيره حتى يتم ما فيها، فإن فعل لم يدعه الشيخ بل يشير إليه بيده، فإن لم يتفطن قال لم تصل، فإن لم يتفطن مكث حتى يتذكر، فإن عجز ذكر له. الخامس: رعاية الترتيب في القراء والابتداء بما بدأ به المؤلفون في كتبهم، فيبدأ بنافع قبل ابن كثير، وبقالون قبل ورش. قال ابن الجزري: والصواب أن هذا ليس بشرط بل مستحب، بل الذين أدركناهم من الأستاذين لا يعدون منها إلا من يلتزم تقديم شخص بعينه، وبعضهم كان يراعي في الجمع التناسب فيبدأ بالقصر ثم بالرتبة التي فوقه. وهكذا إلى آخر مراتب المد، أو يبدأ بالمشبع ثم بما دونه إلى القصر، وإنما يسلك ذلك مع شيخ بارع عظيم الاستحضار، أما غيره فيسلك معه ترتيب واحد.

قال: وعلى الجامع أن ينظر ما في الأحرف من الخلاف أصولاً وفرشاً، فما أمكن فيه التداخل اكتفي منه بوجه، وما لا يمكن فيه نظر، فإن أمكن عطفه على ما قبله بكلمة أو كلمتين أو بأكثر من غير تخليط ولا تركيب اعتمده، وإن لم يحسن عطفه رجع إلى موضع ابتدائه حتى يستوعب الأوجه كلها من غير إهمال ولا تركيب ولا إعادة ما دخل، فإن الأول ممنوع، والثاني مكروه، والثالث معيب.

وأما القراءة بالتلفيق وخلط قراءة بأخرى فسيأتي بسطه في النوع الذي يلي هذا. وأما القراءات والروايات والطرق والأوجه فليس للقارىء أن يدع منها شيئاً أو يخل به فإنه خلل في إكمال الرواية الأوجه، فإنها على سبيل التخيير. فأيّ وجه أتى به أجزأه في تلك الرواية. وأما قدر ما يقرأ حال الأخذ فقد كان الصدر الأول لا يزيدون على عشر آيات لكائن من كان. وأما من بعدهم فرواه

بحسب قوّة الأخذ. قال ابن الجزري: والذي استقرّ عليه العمل الأخذ في الإفراد بجزء من أجزائه مائة وعشرين، وفي الجمع بجزء من أجزاء مائتين وأربعين، ولم يحدّ له آخرون حداً وهو اختيار السخاوي، وقد لخصت هذا النوع ورتبت فيه متفرقات كلام أئمة القراءات، وهو نوع مهم يحتاج إليه القارىء كاحتياج المحدث إلى مثله من علم الحديث.

الاحتياط في أداء القرآن:

[فائدة] ادّعى ابن خير الإجماع على أنه ليس لأحد أن ينقل حديثاً عن النبي ﷺ ما لم يكن له به رواية ولو بالإجازة، فهل يكون حكم القرآن كذلك فليس لأحد أن ينقل آية أو يقرأها ما لم يقرأها على شيخ؟ لم أر في ذلك نقلاً ولذلك وجه من حيث أن الاحتياط في أداء ألفاظ القرآن أشدّ منه في ألفاظ الحديث، ولعدم اشتراطه فيه وجه من حيث أن اشتراطه ذلك في الحديث إنما هو لخوف أن يدخل في الحديث ما ليس منه، أو يتقوّل على النبي ﷺ ما لم يقله، والقرآن محفوظ متلقى متداول ميسر، وهذا هو الظاهر.

إجازة القراءة ليست ضرورية:

[فائدة ثانية] الإجازة من الشيخ غير شرط في جواز التصدّي للإقراء والإفادة، فمن علم من نفسه الأهلية جاز له ذلك وإن لم يجزه أحد، وعلى ذلك السلف الأولون والصدر الصالح، وكذلك في كل علم وفي الإقراء والإفتاء خلافاً لما يتوهمه الأغبياء من اعتقاد كونها شرطاً، وإنما اصطلح الناس على الإجازة لأن أهلية الشخص لا يعلمها غالباً من يريد الأخذ عنه من المبتدئين ونحوهم لقصور مقامهم عن ذلك والبحث عن الأهلية قبل الأخذ شرط، فجعلت الإجازة كالشهادة من الشيخ للمجاز بالأهلية.

أحكام الإجازة:

[فائدة ثالثة] ما اعتاده كثير من مشايخ القراء من امتناعهم من الإجازة إلا بأخذ مال في مقابلها لا يجوز إجماعاً، بل إن علم أهليته وجب عليه الإجازة أو عدمها حرم عليه، وليست الإجازة مما يقابل بالمال فلا يجوز أخذه عنها ولا الأجرة عليها. وفي فتاوى الصدر موهوب الجزري من أصحابنا أنه سئل عن شيخ طلب من الطالب شيئاً على إجازته فهل للطالب رفعه إلى الحاكم وإجباره على الإجازة. فأجاب: لا تجب الإجازة على الشيخ، ولا يجوز أخذ الأجرة عليها.

وسئل أيضاً عن رجل أجازه الشيخ بالإقراء ثم بان أنه لا دين له وخاف الشيخ من تفريطه، فهل له النزول عن الإجازة، فأجاب: لا تبطل الإجازة بكونه غير دين.

وأما أخذ الأجرة على التعليم فجائز، ففي البخاري «إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله» وقيل إن تعين عليه لم يجز، واختاره الحليمي. وقيل لا يجوز مطلقاً، وعليه أبو حنيفة لحديث أبي داود عن عبادة بن الصامت «أنه علّم رجلاً من هل الصفَّة القرآن، فأهدى له قوساً، فقال له النبي ﷺ: إن سرّك أن تطوّق بها طوقاً من نار فاقبلها». وأجاب من جوّزه بأن في إسناده مقالاً، وأنه تبرع بتعليمه فلم يستحق شيئاً، ثم أهدى إليه على سبيل العوض فلم يجز له الأخذ بخلاف من يعقد معه إجازة قبل التعليم.

أحكام التعليم:

وفي البستان لأبي الليث: التعليم على ثلاثة أوجه. أحدها للحسبة، ولا يأخذ به عوضاً. والثاني: أن يعلم بالأجرة. والثالث: أن يعلم بغير شرط، فإذا أهدى

إليه قبل، فالأول مأجور وعليه عمل الأنبياء، والثاني مختلف فيه، والأرجح الجواز، والثالث يجوز إجماعاً لأن النبي ﷺ كان معلماً للخلق وكان يقبل الهدية.

[فائدة رابعة] كان ابن بطحان إذا ردّ على القارىء شيئاً فاته فلم يعرفه كتبه عليه عنده، فإذا أكمل الختمة وطلب الإجازة سأله عن تلك المواضع، فإن عرفها أجازه وإلا تركه يجمع ختمة أخرى.

[فائدة أخرى] على مريد تحقيق القراءات وأحكام تلاوة الحروف أن يحفظ كتابا كاملاً يستحضر به اختلاف القراء وتمييز الخلاف الواجب من الخلاف الجائز.

[فائدة أخرى] قال ابن الصلاح في فتاويه: قراءة القرآن كرامة أكرم الله بها البشر، فقد ورد أن الملائكة لم يعطوا ذلك، وأنها حريصة لذلك على استماعه من الإنس.

النوع الخامس والثلاثون: في آداب تلاوته وتأليفه

أفرده بالتصنيف جماعة منهم النووي في التبيان، وقد ذكر فيه وفي شرح المهذب في الأذكار جملة من الآداب، وإني ألخصها هنا وأزيد عليها أضعافها وأفصلها مسألة مسألة ليسهل تناولها.

الإكثار من التلاوة:

[مسألة] يستحب الإكثار من قراءة القرآن وتلاوته، قال تعالى مثنياً على من كان ذلك دأبه ﴿يتلون آيات الله آناء الليل﴾ وفي الصحيحين من حديث ابن عمر « لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ». وروى الترمذي من حديث ابن مسعود: « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها ».

وأخرج من حديث أبي سعيد عن النبي ﷺ: « يقول الرب سبحانه وتعالى: من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه ».

وأخرج مسلم من حديث أبي أمامة « اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ».

وأخرج البيهقي من حديث عائشة « البيت الذي يُقرأ فيه القرآن يتراءى لأهل السماء كما تتراءى النجوم لأهل الأرض ».

وأخرج من حديث أنس « نوّروا منازلكم بالصلاة وقراءة القرآن ». وأخرج

من حديث النعمان بن بشير «أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن»، وأخرج من حديث سمرة بن جندب «كل مؤدب يحبّ أن تؤتى مأدبته ومأدبة الله القرآن فلا تهجروه».

وأخرج من حديث عبيدة المكي مرفوعاً وموقوفاً: «يا أهل القرآن لا توسدوا القرآن واتلوه حق تلاوته آناء الليل والنهار، وأفشوه وتدبروا ما فيه لعلكم تفلحون».

مقدار القراءة:

وقد كان للسلف في قدر القراءة عادات، فأكثر ما ورد في كثرة القراءة من كان يختم في اليوم والليلة ثماني ختمات، أربعاً في الليل وأربعاً في النهار، ويليه من كان يختم في اليوم والليلة أربعاً ويليه ثلاثاً ويليه ختمتين ويليه ختمة. وقد ذمت عائشة ذلك، فأخرج ابن أبي داود عن مسلم بن مخراق قال: «قلت لعائشة: إن رجالاً يقرأ أحدهم القرآن في ليلة مرتين أو ثلاثاً، فقالت: قرأوا أو لم يقرأوا، كنت أقوم مع رسول الله ﷺ ليلة التمام فيقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء، فلا يمرّ بآية فيها استبشار إلا دعا ورغب، ولا بآية فيها تخويف إلا دعا واستعاذ».

ويلي ذلك من كان يختم في ليلتين ويليه من كان يختم في كل ثلاث، وهو حسن، وكره جماعات الختم في أقل من ذلك، لما روى أبو داود والترمذي وصححه من حديث عبدالله بن عمر مرفوعاً «لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث».

وأخرج ابن أبي داود وسعيد بن منصور عن ابن مسعود موقوفاً قال: «لا تقرأوا القرآن في أقل من ثلاث». وأخرج أبو عبيد عن معاذ بن جبل أنه كان يكره أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث. وأخرج أحمد وأبو عبيد عن سعيد بن المنذر وليس له غيره قال: «قلت يا رسول الله أقرأ القرآن في ثلاث؟ قال: نعم إن استطعت».

ويليه من ختم في أربع ثم في خمس ثم في ستّ ثم في سبع، وهذا أوسط الأمور وأحسنها، وهو فعل الأكثرين من الصحابة وغيرهم.

أخرج الشيخان عن عبدالله بن عمرو قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرإ القرآن في شهر، قلت: إني أجد قوّة، قال: اقرأه في عشر، قلت: إني أجد قوة، قال: اقرأه في سبع ولا تزد على ذلك».

وأخرج أبو عبيد وغيره من طريق واسع بن حبان عن قيس بن أبي صعصعة وليس له غيره أنه قال: «يا رسول الله في كم أقرأ القرآن؟ قال: في خمسة عشر، قلت: إني أجد أقوى من ذلك، قال: اقرأه في جمعة».

ويلي ذلك من ختم في ثمان ثم في عشر ثم في شهر ثم في شهرين. أخرج ابن أبي داود عن مكحول قال: كان أقوياء أصحاب رسول الله ﷺ يقرؤون القرآن في سبع وبعضهم في شهر وبعضهم في شهرين وبعضهم في أكثر من ذلك.

وقال الليث في البستان: ينبغي للقارىء أن يختم في السنة مرتين إن لم يقدر على الزيادة. وقد روى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة أنه قال: من قرأ القرآن في كل سنة مرتين فقد أدّى حقه، لأن النبي ﷺ عرض على جبريل في السنة التي قبض فيها مرتين. وقال غيره: يكره التأخير عن ختمه أكثر من أربعين يوماً بلا عذر، نص عليه أحمد «لأن عبدالله بن عمر سأل النبي ﷺ: في كم تختم القرآن؟ قال: في أربعين يوماً» رواه أبو داود.

وقال النووي في الأذكار: المختار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له معه كمال فهم ما يقرأ، وكذلك من كان مشغولاً بنشر العلم أو فصل الحكومات أو غير ذلك من مهمات الدين والمصالح العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له ولا فوات كماله، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين

فليكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حدّ الملل أو الهذرمة في القراءة.

نسيان القرآن كبيرة:

[مسألة] نسيانه كبيرة، صرّح به النووي في الروضة وغيرها لحديث أبي داود وغيره « عرضت عليّ ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها ». وروي أيضاً حديث: « من قرأ القرآن ثم نسيه لقي الله يوم القيامة أجذم » وفي الصحيحين: « تعاهدوا القرآن فو الذي نفس محمد بيده لهو أشدّ تفلّتاً من الإبل في عقلها ».

الوضوء عند قراءة القرآن:

[مسألة] يستحب الوضوء لقراءة القرآن لأنه أفضل الأذكار، وقد كان ﷺ يكره أن يذكر الله إلا على طهر كما ثبت في الحديث.

قال إمام الحرمين: ولا تكره القراءة للمحدث، لأنه صح أن النبي ﷺ كان يقرأ مع الحدث. قال في شرح المهذب: إذا كان يقرأ فعرضت له ريح أمسك عن القراءة حتى يستتم خروجها.

وأما الجنب والحائض فتحرم عليهما القراءة، نعم يجوز لهما النظر في المصحف وإمراره على القلب، وأما متنجس الفم فتكره له القراءة، وقيل تحرم كمس المصحف باليد النجسة.

نظافة مكان القراءة:

[مسألة] تسن القراءة في مكان نظيف وأفضله المسجد. وكره قوم القراءة في الحمام والطريق، قال النووي: ومذهبنا لا تكره فيهما. قال: وكرهها الشعبي في الحشّ وبيت الرحا وهي تدور. قال: وهو مقتضى مذهبنا.

[مسألة] يستحب أن يجلس مستقبلاً متخشّعاً بسكينة ووقار مطرقاً رأسه.

[مسألة] يُسَنُّ أن يستاك تعظيماً وتطهيراً، وقد روي ابن ماجه عن علي موقوفاً والبزار بسند جيد عنه مرفوعاً: « إن أفواهكم طرق للقرآن فطيبوها بالسواك ». قلت: ولو قطع القراءة وعاد من قرب فمقتضى استحباب التعوّذ إعادة السواك أيضاً.

التعوذ قبل القراءة:

[مسألة] يسن التعوذ قبل القراءة، قال تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ أي أردت قراءته. وذهب قوم إلى أنه يتعوّذ بعدها لظاهر الآية. وقوم إلى وجوبها لظاهر الأمر. قال النووي: فلو مرّ على قوم سلم عليهم وعاد إلى القراءة، فإن أعاد التعوّذ كان حسناً.

قال: وصفته المختارة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. وكان جماعة من السلف يزيدون السميع العليم انتهى.

وعن حمزة: أستعيذ ونستعيذ واستعذت واختاره صاحب الهداية من الحنفية لمطابقته لفظ القرآن. وعن حميد بن قيس: أعوذ بالله القادر من الشيطان الغادر. وعن أبي السمان: أعوذ بالله القويّ من الشيطان الغويّ.

وعن قوم: أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم. وعن آخرين: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إنه هو السميع العليم. وفيها ألفاظ أخر. قال الحلواني في جامعه: ليس للاستعاذة حدّ ينتهى إليه، من شاء زاد ومن شاء نقص.

الجهر في القراءة:

وفي النشر لابن الجزري: المختار عند أئمة القراءة الجهر بها، وقيل يسرّ

مطلقاً، وقيل فيما عدا الفاتحة. قال: وقد أطلقوا اختيار الجهر بها، وقيده أبو شامة بقيد لا بد منه، وهو أن يكون بحضرة من يسمعه. قال: لأن الجهر بالتعوذ إظهار شعار القراءة كالجهر بالتلبية وتكبيرات العيد. ومن فوائده أن السامع ينصت للقراءة من أولها لا يفوت منها شيء، وإذا أخفي التعوّذ لم يعلم السامع بها إلا بعد أن فاته من المقروء شيء، وهذا المعنى هو الفارق بين القراءة في الصلاة وخارجها.

قال: واختلف المتأخرون في المراد بإخفائها، فالجمهور على أن المراد به الإسرار، فلا بد من التلفظ وإسماع نفسه. وقيل الكتمان بأن يذكرها بقلبه بلا تلفظ. قال: وإذا قطع القراءة إعراضاً أو بكلام أجنبيّ، ولو ردّ السلام استأنفها أو يتعلق بالقراءة فلا. قال: وهل هي سنة كفاية أو عين، حتى لو قرأ جماعة جملة فهل يكفي استعاذة واحد منهم كالتسمية على الأكل أو لا ؟ لم أر فيه نصاً. والظاهر الثاني لأن المقصود اعتصام القارىء والتجاؤه بالله من شرّ الشيطان، فلا يكون تعوّذ واحد كافياً عن آخر. انتهى كلام ابن الجزري.

البسملة:

[مسألة] وليحافظ على قراءة البسملة أول كل سورة غير براءة، لأن أكثر العلماء على أنها آية، فإذا أخل بها كان تاركاً لبعض الختمة عند الأكثرين، فإن قرأ من أثناء سورة استحبّ له أيضاً، نص عليه الشافعي فيما نقله العبادي. قال القراء: ويتأكد عند قراءة نحو ﴿إليه يُرَدُّ عِلمُ السّاعَةِ﴾ ﴿وهو الذي أنْشَأَ جناتٍ﴾ لما في ذكر ذلك بعد الاستعاذة من البشاعة وإيهام رجوع الضمير إلى الشيطان. قال ابن الجزري: والابتداء بالآي وسط براءة قلّ من تعرض له، وقد صرح بالبسملة فيه أبو الحسن السخاوي وردّ عليه الجعبري.

النية:

[مسألة] لا تحتاج قراءة القرآن إلى نية كسائر الأذكار إلا إذا أنذرها خارج الصلاة فلا بد من نية النذر أو الفرض ولو عين الزمان. فلو تركها لم تجز نقله القمولي في الجواهر.

الترتيل:

[مسألة] يُسَنُّ الترتيل في قراءة القرآن، قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ القُرآن تَرْتِيلاً﴾ وروى أبو داود وغيره عن أم سلمة أنها نعتت قراءة النبي ﷺ قراءة مفسرة حرفاً حرفاً. وفي البخاري عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: كانت مدًّا، ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، يمدّ الله ويمدّ الرحمن ويمدّ الرحيم.

وفي الصحيحين عن ابن مسعود أن رجلاً قال له: إني اقرأ المفصل في ركعة واحدة، فقال: هذا كهذا الشعر، إن قوماً يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع.

وأخرج الآجريّ في جملة القرآن عن ابن مسعود قال: لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب، ولا يكون همّ أحدكم آخر السورة.

وأخرج من حديث ابن عمر مرفوعاً: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق في الدرجات ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها» قال في شرح المهذب: واتفقوا على كراهة الإفراط في الإسراع. قالوا: وقراءة جزء بترتيل أفضل من قراءة جزءين في قدر ذلك الزمان بلا ترتيل.

الترتيل للتدبر:

قالوا: واستحباب الترتيل للتدبر، لأنه أقرب إلى الإجلال والتوقير وأشدّ

تأثيراً في القلب، ولهذا يستحبّ للأعجمي الذي لا يفهم معناه انتهى. وفي النشر: اختلف هل الأفضل الترتيل وقلة القراءة أو السرعة مع كثرتها؟ وأحسن بعض أئمتنا فقال: إن ثواب قراءة الترتيل أجلّ قدراً، وثواب الكثرة أكثر عدداً، لأن بكل حرف عشر حسنات.

وفي البرهان للزركشي: كمال الترتيل تفخيم ألفاظه والإبانة عن حروفه، وأن لا يدغم حرف في حرف. وقيل هذا أقله، وأكمله أن يقرأه على منازله، فإن قرأ تهديداً لفظ به لفظ التهديد، أو تعظيماً لفظ به على التعظيم.

التدبر مطلوب:

[مسألة] وتسن القراءة بالتدبر والتفهم فهو المقصود الأعظم والمطلوب والأهم، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب، قال تعالى: ﴿كتابٌ أنزلناهُ إليكَ مباركٌ لِيَدبَّرُوا آياتِهِ﴾. وقال: ﴿أفلا يَتَدَبَّرُون القرآن﴾ وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كل آية ويتأمل الأوامر والنواهي ويعتقد قبول ذلك، فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مرّ بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوّذ أو تنزيه نزّه وعظم، أو دعاء تضرّع وطلب.

أخرج مسلم عن حذيفة قال: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة فقرأها، ثم النساء فقرأها، ثم آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوّذ تعوّذ». وروى أبو داود والنسائي وغيرهما عن عوف بن مالك قالت: «قمت مع النبي ﷺ ليلة، فقام فقرأ سورة البقرة لا يمرّ بآية رحمة إلا وقف وسأل، ولا يمرّ بآية عذاب إلا وقف وتعوّذ».

ما يقال عقب بعض السور:

وأخرج أبو داود والترمذي حديث «من قرأ والتين والزيتون فانتهى إلى آخرها فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة فانتهى إلى آخرها أليس ذلك بقادر على أن يحي الموتى فليقل بلى. ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأيّ حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله».

وأخرج أحمد وأبو داود عن ابن عباس «أن النبي ﷺ كان إذا قرأ سبح اسم ربك الأعلى قال: سبحان ربي الأعلى».

وأخرج الترمذي والحاكم عن جابر قال: «خرج رسول الله ﷺ على الصحابة فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا، فقال: لقد قرأتها على الجنّ فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد».

وأخرج ابن مردويه والديلمي وابن أبي الدنيا في الدعاء وغيرهم بسند ضعيف جداً عن جابر «أن النبي ﷺ قرأ: ﴿وإذَا سَألَكَ عِبادِي عنّي فإنّي قَرِيبٌ﴾ الآية، فقال: اللهم أمرت بالدعاء وتكفلت بالإجابة، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، أشهد أنك فرد أحد صمد لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفواً أحد، وأشهد أن وعدك حق ولقاءك حق والجنة حق والنار حق والساعة آتية لا ريب فيها وأنك تبعث من في القبور». وأخرج أبو داود وغيره عن وائل بن حجر «سمعت النبي ﷺ قرأ ﴿ولا الضالين﴾ فقال: آمين، يمدّ بها صوته» وأخرجه الطبراني بلفظ «قال: آمين، ثلاث مرات».

وأخرجه البيهقي بلفظ «قال: رب اغفر لي آمين». وأخرج أبو عبيد عن أبي

ميسرة «أن جبريل لقن رسول الله ﷺ عند خاتمة البقرة آمين». وأخرج عن معاذ بن جبل أنه كان إذا ختم سورة البقرة قال آمين. قال النووي: ومن الآداب إذا قرأ نحو ﴿وقالت اليهودُ عُزيرٌ ابنُ اللهِ﴾. ﴿وقالتِ اليَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولة﴾ أن يخفض بها صوته، كذا كان النخعي يفعل.

[مسألة] لا بأس بتكرير الآية وترديدها، روى النسائي وغيره عن أبي ذرّ أن النبي ﷺ قام بآية يرددها حتى أصبح ﴿إن تُعذِبْهُمْ فإنهم عِبادُك﴾ الآية.

البكاء عند القراءة

[مسألة] يستحب البكاء عند قراءة القرآن، والتباكي لمن لا يقدر عليه، والحزن والخشوع، قال تعالى - ﴿ويخرّون للأذقان يبكون﴾. وفي الصحيحين حديث قراءة ابن مسعود على النبي ﷺ، وفيه «فإذا عيناه تذرفان».

وفي الشعب للبيهقي عن سعد بن مالك مرفوعاً «إن هذا القرآن نزل بحزن وكآبة، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا». وفيه من مرسل عبد الملك ابن‌عمير أن رسول الله ﷺ قال: «إني قارىء عليكم سورة فمن بكى فله الجنة، فإن لم تبكوا فتباكوا». وفي مسند أبي يعلى حديث «اقرأوا القرآن بالحزن، فإنه نزل بالحزن». وعند الطبراني: «أحسن الناس قراءة من إذا قرأ القرآن يتحزّن» قال في شرح المهذب: وطريقه في تحصيل البكاء أن يتأمل ما يقرأ من التهديد والوعيد الشديد والمواثيق والعهود، ثم يفكر في تقصيره فيها، فإن لم يحضره عند ذلك حزن وبكاء فليبك على فقد ذلك فإنه من المصائب.

تحسين الصوت بالقراءة:

[مسألة] يسن تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها لحديث ابن حبان وغيره «زينوا القرآن بأصواتكم». وفي لفظ عند الدارمي «حسنوا القرآن بأصواتكم،

فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً». وأخرج البزار وغيره حديث «حُسْنُ الصوت زينة القرآن» وفيه أحاديث صحيحة كثيرة. فإن لم يكن حسن الصوت حسّنه ما استطاع بحيث لا يخرج إلى حدّ التمطيط.

وأما القراءة بالألحان فنص الشافعي في المختصر أنه لا بأس بها. وعن رواية الربيع الجيزي أنها مكروهة. قال الرافعي: فقال الجمهور: ليست على قولين، بل المكروه أن يفرط في المدّ وفي إشباع الحركات حتى يتولد من الفتحة ألف ومن الضمة واو ومن الكسرة ياء أو يدغم في غير موضع الإدغام، فإن لم ينته إلى هذا الحدّ فلا كراهة.

قال: وفي زوائد الروضة: والصحيح أن الإفراط على الوجه المذكور حرام يفسق به القارىء ويأثم المستمع، لأنه عدل به عن نهجه القويم. قال: وهذا مراد الشافعي بالكراهة. قلت: وفيه حديث «اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الكتابين وأهلِ الفسق، فإنه سيجيء أقوام يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم» أخرجه الطبراني والبيهقي. قال النووي: ويستحب طلب القراءة من حسن الصوت والإصغاء إليها للحديث الصحيح، ولا بأس باجتماع الجماعة في القراءة ولا بإدارتها، وهي أن يقرأ بعض الجماعة قطعة ثم البعض قطعة بعدها.

القراءة بالتفخيم:

[مسألة] يستحب قراءته بالتفخيم لحديث الحاكم «نزل القرآن بالتفخيم» قال الحليمي: ومعناه أنه يقرؤه على قراءة الرجال ولا يخضع الصوت فيه ككلام النساء. قال: ولا يدخل في هذا كراهة الإمالة التي هي اختيار بعض القراء، وقد يجوز أن يكون القرآن نزل بالتفخيم فرخص مع ذلك في الإمالة ما يحسن إمالته.

رفع الصوت بالقراءة:

[مسألة] وردت أحاديث تقتضي استحباب رفع الصوت بالقراءة، وأحاديث تقتضي الإسرار وخفض الصوت. فمن الأول حديث الصحيحين « ما أذن الله لشيء ما أذن لنبيّ حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به » ومن الثاني حديث أبي داود والترمذي والنسائي « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة. والمسرّ بالقرآن كالمسرّ بالصدقة ».

قال النووي: والجمع بينهما أن الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء، أو تأذى مصلون أو نيام بجهره. والجهر أفضل في غير ذلك لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته تتعدّى إلى السامعين، ولأنه يوقظ قلب القارىء ويجمع همه إلى الفكر ويصرف سمعه إليه ويطرد النوم ويزيد في النشاط، ويدل لهذا الجمع حديث أبي داود بسند صحيح عن أبي سعيد « اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر وقال: ألا إن كلكم مناج لربه، فلا يؤذينّ بعضكم بعضاً، ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة ». وقال بعضهم: يستحب الجهر ببعض القراءة والإسرار ببعضها، لأن المسرّ قد يملّ فيأنس بالجهر، والجاهر قد يكلّ فيستريح بالإسرار.

القراءة في المصحف أفضل:

[مسألة] القراءة في المصحف أفضل من القراءة من حفظه، لأن النظر فيه عبادة مطلوبة. وقال النووي: هكذا قال أصحابنا والسلف أيضاً، ولم أر فيه خلافاً. قال: ولو قيل إنه يختلف باختلاف الأشخاص فيختار القراءة فيه لمن استوى خشوعه وتدبره في حالة القراءة فيه ومن الحفظ، ويختار القراءة من الحفظ لمن يكمل بذلك خشوعه، ويزيد على خشوعه وتدبره لو قرأ من المصحف لكان هذا قولاً حسناً.

قلت: ومن أدلة القراءة في المصحف ما أخرجه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث أوس الثقفي مرفوعاً «قراءة الرجل في غير المصحف ألف درجة، وقراءته في المصحف تضاعف ألفي درجة». وأخرج أبو عبيد بسند صحيح «فضل قراءة القرآن نظراً على ما يقرؤه ظاهراً كفضل الفريضة على النافلة». وأخرج البيهقي عن ابن مسعود مرفوعاً «من سرّه أن يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف» وقال: إنه منكر. وأخرج بسند حسن عنه موقوفاً «أديموا النظر في المصحف». وحكى الزركشي في البرهان ما بحثه النووي قولاً، وحكى معه قولاً ثالثاً: أن القراءة من الحفظ أفضل مطلقاً. وأن ابن عبد السلام اختاره لأن فيه من التدبر ما لا يحصل بالقراءة في المصحف.

إذا ارتج على القارىء:

[مسألة] قال في التبيان: إذا ارتج على القارىء فلم يدر ما بعد الموضع الذي انتهى إليه فسأل عنه غيره فينبغي له أن يتأدّب بما جاء عن ابن مسعود والنخعي وبشير ابن أبي مسعود قالوا: إذا سأل أحدكم أخاه عن آية فليقرأ ما قبلها ثم يسكت، ولا يقول كيف كذا وكذا فإنه يلبس عليه انتهى.

وقال ابن مجاهد: إذا شك القارىء في حرف هل هو بالتاء أو بالياء فليقرأه بالياء، فإن القرآن مذكر، وإن شك في حرف هل هو مهموز أو غير مهموز فليترك الهمز.

وإن شك في حرف هل يكون موصولاً أو مقطوعاً فليقرأ بالوصل، وإن شك في حرف هل هو ممدود أو مقصور فليقرأ بالقصر.

وإن شك في حرف هل هو مفتوح أو مكسور فليقرأ بالفتح، لأن الأول غير لحن في موضع، والثاني لحن في بعض المواضع. قلت: أخرج عبد الرزاق عن

ابن مسعود قال: إذا اختلفتم في ياء وتاء فاجعلوها ياء ذكروا القرآن. فهم منه ثعلب أن ما احتمل تذكيره وتأنيثه كان تذكيره أجود. وردّ بأنه يمتنع إرادة تذكير غير الحقيقي التأنيث لكثرة ما في القرآن منه بالتأنيث نحو: ﴿النار وعدها الله﴾ ﴿التفتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ ﴿قالت لهم رُسُلُهم﴾.

وإذا امتنع إرادة غير الحقيقي فالحقيقي أولى. قالوا: ولا يستقيم إرادة أن ما احتمل التذكير والتأنيث غلب فيه التذكير كقوله تعالى: ﴿والنخل باسقات﴾ ﴿أعجاز نخل خاوية﴾ فأنث مع جواز التذكير، قال تعالى ﴿أعجازُ نخلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ ﴿من الشَّجَرِ الأخْضَرِ﴾ قالوا: فليس المراد ما فهم، بل المراد أن يذكروا الموعظة والدعاء كما قال تعالى: ﴿فذكر بالقرآن﴾ إلاّ أنه حذف الجار، والمقصود: ذكروا الناس بالقرآن: أي ابعثوهم على حفظه كيلا ينسوه. قلت: أول الأثر يأبى هذا الحمل.

وقال الواحدي: الأمر ما ذهب إليه ثعلب. والمراد أنه إذا احتمل اللفظ التذكير والتأنيث ولم يحتج في التذكير إلى مخالفة المصحف ذكر نحو ﴿ولا يُقْبَلْ منها شَفَاعَةٌ﴾ قال: ويدل على إرادة هذا أن أصحاب عبد الله من قراء الكوفة كحمزة والكسائي ذهبوا إلى هذا فقرأوا ما كان من هذا القبيل بالتذكير نحو ﴿يَومَ يَشْهَدُ عَليهم ألسِنَتُهُم﴾ وهذا في غير الحقيقي.

يكره قطع القراءة:

[مسألة] يكره قطع القراءة لمكالمة أحد. قال الحليمي: لأن كلام الله لا ينبغي أن يؤثر عليه كلام غيره، وأيده البيهقي بما في الصحيح: كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه. ويكره أيضاً الضحك والعبث والنظر إلى ما يلهي.

قراءة القرآن بالعجمية:

[مسألة] لا يجوز قراءة القرآن بالعجمية مطلقاً سواء أحسن العربية أم لا في الصلاة أم خارجها. وعن أبي حنيفة أنه يجوز مطلقاً. وعن أبي يوسف ومحمد: لمن لا يحسن العربية، لكن في شارح البزدوي أن أبا حنيفة رجع عن ذلك. ووجه المنع أنه يذهب إعجازه المقصود منه.

وعن القفال من أصحابنا: إن القراءة بالفارسية لا تتصوّر، قيل له: فإذا لا يقدر أحد أن يفسر القرآن؟ قال: ليس كذلك، لأن هناك يجوز أن يأتي ببعض مراد الله ويعجز عن البعض. أما إذا أراد أن يقرأه بالفارسية فلا يمكن أن يأتي بجميع مراد الله تعالى لأن الترجمة إبدال لفظة بلفظة تقوم مقامها، وذلك غير ممكن بخلاف التفسير.

القراءة الشاذة:

[مسألة] لا تجوز القراءة بالشاذ، نقل ابن عبد البرّ الإجماع على ذلك، لكن ذكر موهوب الجزري جوازها في غير الصلاة قياساً على رواية الحديث بالمعنى.

القراءة على ترتيب المصحف:

[مسألة] الأولى أن يقرأ على ترتيب المصحف. قال في شرح المهذب: لأن ترتيبه لحكمة فلا يتركها إلا فيما ورد فيه الشرع كصلاة صبح يوم الجمعة بالّم تنزيل وهل أتى ونظائره، فلو فرّق السور أو عكسها جاز وترك الأفضل.

قال: وأما قراءة السورة من آخرها إلى أولها فمتفق على منعه، لأن يذهب بعض نوع الإعجاز ويزيل حكمة الترتيب. قلت: وفيه أثر. أخرج الطبراني بسند جيد عن ابن مسعود أنه سئل عن رجل يقرأ القرآن منكوساً؟ قال: ذاك منكوس القلب.

وأما خلط سورة بسورة فعدّ الحليمي تركه من الآداب لما أخرجه أبو عبيد عن سعيد بن المسيب «أن رسول الله ﷺ مرّ ببلال وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة، فقال: يا بلال مررت بك وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة، قال: أخلط الطيب بالطيب، فقال: اقرأ السورة على وجهها» أو قال «على نحوها» مرسل صحيح، وهو عند أبي داود موصول عن أبي هريرة بدون آخره. وأخرجه أبو عبيد من وجه آخر عن عمر مولى عفرة «أن النبي ﷺ قال لبلال: إذا قرأت السورة فانفذها».

وقال: حدثنا معاذ عن ابن عوف قال: سألت ابن سيرين عن الرجل يقرأ من السورة آيتين ثم يدعها، ويأخذ في غيرها. قال: ليتق أحدكم أن يأثم إثماً كبيراً وهو لا يشعر. وأخرج عن ابن مسعود قال: إذا ابتدأت في سورة فأردت أن تتحوّل منها إلى غيرها فتحوّل إلى ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أحَد﴾ فإذا ابتدأت فيها فلا تتحوّل حتى تختمَها.

وأخرج عن ابن أبي الهذيل قال: كانوا يكرهون أن يقرأوا بعض الآية ويدعوا بعضها. قال أبو عبيد: الأمر عندنا على كراهة قراءة الآيات المختلفة كما أنكر رسول الله ﷺ على بلال، وكما أنكره ابن سيرين. وأما حديث عبد الله فوجهه عندي أن يبتدىء الرجل في السورة يريد إتمامها ثم يبدو له في أخرى. فأما من ابتدأ القراءة وهو يريد التنقل من آية إلى آية وترك التأليف لآي القرآن فإنما يفعله من لا علم له، لأن الله لو شاء لأنزله على ذلك انتهى.

وقد نقل القاضي أبو بكر الإجماع على عدم جواز قراءة آية آية من كل سورة. قال البيهقي: وأحسن ما يحتج به أن يقال إن هذا التأليف لكتاب الله مأخوذ من جهة النبي ﷺ وأخذه عن جبريل، فالأولى للقارىء أن يقرأه على التأليف المنقول. وقد قال ابن سيرين: تأليف الله خير من تأليفكم.

إذا ابتدأ بقراءة من السبع أتمها:

[مسألة] قال الحليمي: يسن استيفاء كل حرف أثبته قارىء ليكون قد أتى على جميع ما هو قرآن. وقال ابن الصلاح والنووي: إذا ابتدأ بقراءة أحد من القراء فينبغي أن لا يزال على تلك القراءة ما دام الكلام مرتبطاً فإذا انقضى ارتباطه فله أن يقرأ بقراءة أخرى، والأولى دوامه على الأولى في هذا المجلس. وقال غيرهما بالمنع مطلقاً.

قال ابن الجزري: والصواب أن يقال: إن كانت إحدى القراءتين مرتبطة على الأخرى منع ذلك منع تحريم كمن يقرأ ﴿فتلقى آدَمُ من رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ برفعهما أو نصبهما، أخذ رفع آدم من قراءة غير ابن كثير ورفع كلمات من قراءته ونحو ذلك مما لا يجوز في العربية واللغة، وما لم يكن كذلك فرق فيه بين مقام الرواية وغيرها فإن كان على سبيل الرواية حرم أيضاً لأنه كذب في الرواية وتخليط وإن كان على سبيل التلاوة جاز

الإستماع للتلاوة:

[مسألة] يسن الاستماع لقراءة القرآن وترك اللغط والحديث بحضور القراءة، قال تعالى ﴿وإذا قُرِىءَ القُرآنُ فاستَمِعُوا له وأَنْصِتُوا لعلكم تُرْحَمُون﴾.

السجود عند آية السجدة:

[مسألة] يسن السجود عند قراءة آية السجدة وهي أربع عشرة في الأعراف والرعد والنحل والإسراء ومريم وفي الحج سجدتان، والفرقان والنمل والَم تنزيل وفصلت والنجم وإذا السماء انشقت واقرأ باسم ربك، وأما صَ فمستحبة وليست من عزائم السجود: أي متأكداته. وزاد بعضهم آخر الحجر، نقله ابن الغرس في أحكامه.

الأوقات المختارة للقراءة:

[مسألة] قال النووي: الأوقات المختارة للقراءة أفضلها ما كان في الصلاة ثم الليل ثم نصفه الأخير وهي بين المغرب والعشاء محبوبة.

وأفضل النهار بعد الصبح ولا تكره في شيء من الأوقات لمعنى فيه. وأما ما رواه ابن أبي داود عن معاذ بن رفاعة عن مشايخه أنهم كرهوا القراءة بعد العصر وقالوا هو دراسة يهود فغير مقبول ولا أصل له.

ونختار من الأيام يوم عرفة ثم الجمعة ثم الإثنين والخميس، ومن الأعشار العشر الأخير من رمضان، والأول من ذي الحجة، ومن الشهور رمضان ونختار لابتدائه ليلة الجمعة ونختمه ليلة الخميس، فقد روى ابن أبي داود عن عثمان بن عفان أنه كان يفعل ذلك.

والأفضل الختم أول النهار أو أول الليل، لما رواه الدارمي بسند حسن عن سعد بن أبي وقاص قال: إذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح وإن وافق ختمه أول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي.

قال في الإحياء: ويكون الختم أول النهار في ركعتي الفجر وأول الليل في ركعتي سنة المغرب. وعن ابن المبارك: يستحب الختم في الشتاء أول الليل وفي الصيف أول النهار.

صوم يوم الختم والدعاء فيه:

[مسألة] يسن صوم يوم الختم. أخرجه ابن أبي داود عن جماعة من التابعين، وأن يحضر أهله وأصدقاءه. أخرج الطبراني عن أنس أنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا. وأخرج ابن أبي داود عن الحكم ابن عتيبة قال: أرسل إلى مجاهد وعنده ابن أبي أمامة وقالا: إنا أرسلنا إليك لأنا أردنا أن نختم القرآن، والدعاء

يستجاب عند ختم القرآن. وأخرج عن مجاهد قال: كانوا يجتمعون عند ختم القرآن ويقول عنده تنزل الرحمة.

التكبير من الضحى إلى آخر القرآن:

[مسألة] يستحب التكبير من الضحى إلى آخر القرآن وهي قراءة المكيين. أخرج البيهقي في الشعب وابن خزيمة من طريق ابن أبي بزة: سمعت عكرمة بن سليمان قال: قرأت على إسماعيل بن عبد الله المكي، فلما بلغت الضحى قال: كبِّر حتى تختم، فإني قرأت على عبد الله بن كثير فأمرني بذلك، وقال: قرأت على محمد فأمرني بذلك. وأخبر مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك. وأخبر ابن عباس أنه قرأ على أبيّ بن كعب فأمره بذلك، كذا أخرجناه موقوفاً. ثم أخرجه البيهقي من وجه آخر عن ابن أبي بزة مرفوعاً. وأخرجه من هذا الوجه: أعني المرفوع الحاكم في مستدركه وصححه، وله طرق كثيرة عن البزي. وعن موسى بن هارون قال: قال لي البزي: قال لي محمد بن إدريس الشافعي: إن تركت التكبير فقدت سنة من سنن نبيك. قال الحافظ عماد الدين بن كثير: وهذا يقتضي تصحيحه للحديث.

وروى أبو العلاء الهمداني عن البزي أن الأصل في ذلك أن النبي ﷺ انقطع عنه الوحي فقال المشركون: قلا محمداً ربه، فنزلت سورة الضحى، فكبر النبيّ ﷺ. قال ابن كثير: ولم يرد ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف. وقال الحليمي: نكتة التكبير التشبيه للقراءة بصوم رمضان إذا أكمل عدته يكبر، فكذا هنا يكبر إذا أكمل عدة السورة. قال: وصفته أن يقف بعد كل سورة وقفة ويقول الله أكبر.

وكذا قال سليم الرازي من أصحابنا في تفسيره: يكبر بين كل سورتين تكبيرة، ولا يصل آخر السورة بالتكبير بل يفصل بينهما بسكتة.

قال: ومن لا يكبر من القراء حجتهم أن في ذلك ذريعة إلى الزيادة في القرآن بأن يداوم عليه فيتوهم أنه منه. وفي النشر اختلف القراء في ابتدائه، هل هو من أول الضحى أو من آخرها، وفي انتهائه هل هو أول سورة الناس أو آخرها، وفي وصله بأولها أو آخرها وقطعه. والخلاف في الكل مبني على أصل وهو أنه هل هو لأول السورة أو لآخرها.

وفي لفظه فقيل الله أكبر، وقيل لا إله إلا الله والله أكبر، وسواء في التكبير في الصلاة وخارجها، صرح به السخاوي وأبو شامة.

الدعاء عقب الختم:

[مسألة] يسن الدعاء عقب الختم، لحديث الطبراني وغيره عن العرباض بن سارية مرفوعاً « من ختم القرآنَ فله دعوة مستجابة » وفي الشعب من حديث أنس مرفوعاً « من قرأ القرآن وحمد الربّ وصلى على النبي ﷺ واستغفر ربه فقد طلب الخير مكانه ».

الشروع بعد الختم:

[مسألة] يسن إذا فرغ من الختمة أن يشرع في أخرى عقب الختم لحديث الترمذي وغيره « أحبّ الأعمال إلى الله الحالّ المرتحل الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره. كلما أحلّ ارتحل ». وأخرج الدارمي بسند حسن عن ابن عباس عن أبيّ بن كعب « أن النبي ﷺ كان إذا قرأ قل أعوذ برب الناس افتتح من الحمد ثم قرأ من البقرة إلى وأولئك هم المفلحون، ثم دعا بدعاء الختمة ثم قام ».

تكرير سورة الإخلاص عند الختم:

[مسألة] عن الإمام أحمد أنه منع من تكرير سورة الإخلاص عند الختم لكن عمل الناس على خلافه. قال بعضهم والحكمة فيه ما ورد أنها تعدل ثلث القرآن

فيحصل بذلك ختمة. فإن قيل: فكان ينبغي أن تقرأ أربعاً ليحصل له ختمتان. قلنا: المقصود أن يكون على يقين من حصول ختمة. إما التي قرأها، وإما التي حصل ثوابها بتكرير السورة انتهى..

قلت: وحاصل ذلك يرجع إلى جبر ما لعله حصل في القراءة من خلل، وكما قاس الحليمي التكبير عند الختم على التكبير عند إكمال رمضان فينبغي أن يقاس تكرير سورة الإخلاص على اتباع رمضان بست من شوال.

يكره اتخاذ القرآن معيشة:

[مسألة] يكره اتخاذ القرآن معيشة يتكسب بها. وأخرج الآجري من حديث عمران بن الحصين مرفوعاً « من قرأ القرآن فليسأل الله به، فإنه سيأتي قوم يقرأون القرآن يسألون الناس به ». وروى البخاري في تاريخه الكبير بسند صالح حديث « من قرأ القرآن عند ظالم ليرفع منه لعن بكل حرف عشر لعنات ».

[مسألة] يكره أن يقول نسيت آية كذا، بل أنسيتها لحديث الصحيحين في النهي عن ذلك.

ثواب القراءة للميت:

[مسألة] الأئمة الثلاثة على وصول ثواب القراءة للميت، ومذهبنا خلافه لقوله تعالى ﴿وأن ليسَ للإنسان إلا ما سَعَى﴾.

الاقتباس من القرآن:

(فصل: في الاقتباس وما جرى مجراه) الاقتباس تضمين الشعر أو النثر بعض القرآن لا على أنه منه بأن لا يقال فيه قال الله تعالى ونحوه، فإن ذلك حينئذ لا

يكون اقتباساً وقد اشتهر عن المالكية تحريمه وتشديد النكير على فاعله.

وأما أهل مذهبنا فلم يتعرّض له المتقدمون ولا أكثر المتأخرين مع شيوع الاقتباس في أعصارهم واستعمال الشعراء له قديماً وحديثاً، وقد تعرّض له جماعة من المتأخرين فسئل عنه الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام فأجازه، واستدل له بما ورد عنه ﷺ من قوله في الصلاة وغيرها «وجهت وجهي الخ» وقوله «اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً، اقض عني الدين وأغنني من الفقر». وفي سياق كلام لأبي بكر: ﴿وسَيَعْلَمُ الذين ظَلَمُوا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنقَلِبُون﴾. وفي آخر حديث لابن عمر «قد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة» انتهى.

وهذا كله إنما يدل على جوازه في مقام المواعظ والثناء والدعاء، وفي النثر، ولا دلالة فيه على جوازه في الشعر وبينهما فرق. فإن القاضي أبا بكر من المالكية صرّح بأنّ تضمينه في الشعر مكروه، وفي النثر جائز. واستعمله أيضاً في النثر القاضي عياض في مواضع من خطبة الشفاء.

وقال الشرف إسماعيل بن المقرى اليمني صاحب مختصر الروضة في شرح بديعته: ما كان منه في الخطب والمواعظ ومدحه صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه ولو في النظم فهو مقبول، وغيره مردود.

وفي شرح بديعته من حجة الاقتباس: ثلاثة أقسام: مقبول، ومباح، ومردود. فالأول ما كان في الخطب والمواعظ والعهود، والثاني ما كان في الغزل والرسائل والقصص، والثالث على ضربين: أحدهما ما نسبه الله إلى نفسه، ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه كما قيل عن أحد بني مروان أنه وقع على مطالعة فيها شكاية عماله ﴿إنّ إلينا إيابَهُمْ ثم إن علينا حِسَابَهُم﴾ والآخر تضمين آية في معنى هزل، ونعوذ بالله من ذلك كقوله:

أرخى إلى عشاقه طرفه   هيهات هيهات لما توعدون
وردفه ينطق من خلفه   لمثل هذا فليعمل العاملون

قلت: وهذا التقسيم حسن جداً وبه أقول. وذكر الشيخ تاج الدين بن السبكي في طبقاته في ترجمة الإمام أبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي من كبار الشافعية وأجلائهم أن من شعره قوله:

يا من عدى ثم اعتدى ثم اقترف   ثم انتهى ثم ارعوى ثم اعترف
أبشر بقول الله في آياته   إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

وقال استعمال مثل الأستاذ أبي منصور مثل هذا الاقتباس في شعره له فائدة، فإنه جليل القدر والناس ينهون عن هذا، وربما أدّى بحث بعضهم إلى أنه لا يجوز. وقيل إن ذلك إنما يفعله من الشعراء الذين هم في كل واد يهيمون، ويثبون على الألفاظ وثبة من لا يبالي. وهذا الأستاذ أبو منصور من أئمة الدين وقد فعل هذا، وأسند عنه هذين البيتين الأستاذ أبو القاسم ابن عساكر. قلت: ليس هذان البيتان من الاقتباس لتصريحه بقول الله، وقد قدمنا أن ذلك خارج عنه. وأما أخوه الشيخ بهاء الدين فقال في عروس الأفراح: الورع اجتناب ذلك كله، وأن ينزّه عن مثله كلام الله ورسوله. قلت: رأيت استعمال الاقتباس لأئمة أجلاء منهم الإمام أبو القاسم الرافعي، وأنشده في أماليه ورواه عنه أئمة كبار:

الملك لله الذي عنت الوجو   ه له وذلت عنده الأرباب
متفرد بالملك والسلطان قد   خسر الذين تجاذبوه وخابوا
دعهم وزعم الملك يوم غرورهم   فسيعلمون غداً من الكذاب

وروى البيهقي في شعب الإيمان عن شيخه أبي عبد الرحمن السلمي قال:

أنشدنا أحمد بن محمد بن يزيد لنفسه:

سـل الله مـن فضلـه واتقـه ... فـإن التقـى خير مـا تكتسـب
ومـن يتـق الله يصنـع لـه ... ويـرزقـه مـن حيث لا يحتسـب

ويقرب من الاقتباس شيئان أحدهما: قراءة القرآن يراد بها الكلام. قال النووي في التبيان: ذكر ابن أبي داود في هذا اختلافاً، فروى عن النخعي أنه كان يكره أن يتأول القرآن بشيء يعرض من أمر الدنيا. وأخرج عن عمر بن الخطاب أنه قرأ في صلاة المغرب بمكة ﴿والتين والزيتون وطور سينين﴾ ثم رفع صوته فقال: ﴿وهذا البلد الأمين﴾.

وأخرج عن حكيم بن سعد: أن رجلاً من المحكمة أتى علياً وهو في صلاة الصبح فقال: ﴿لئِنْ أشْرَكْتَ ليحبَطَنَّ عمَلُك﴾ فأجابه في الصلاة: ﴿فَٱصْبِرْ إنَّ وعْدَ ٱللهِ حَقٌّ ولا يَسْتَخِفَنَّكَ الذين لا يُوقِنُونَ﴾ انتهى.

وقال غيره: يكره ضرب الأمثال من القرآن، صَرح به من أصحابنا العماد البيهقي تلميذ البغوي كما نقله ابن الصلاح في فوائد رحلته. الثاني: التوجيه بالألفاظ القرآنية في الشعر وغيره، وهو جائز بلا شك. وروينا عن الشريف تقي الدين الحسيني أنه لما نظم قوله:

مجـاز حقيقتهـا فـاعبروا ... ولا تعمـروا هـوِّنـوهـا تهُن
ومـا حسـن بيـت لـه زخـرف ... تـراه إذا زلـزلـت لم يكـن

خشي أن يكون ارتكب حراماً لاستعماله هذه الألفاظ القرآنية في الشعر، فجاء إلى شيخ الإسلام تقيّ الدين ابن دقيق العيد يسأله عن ذلك، فأنشده إياها، فقال له: قل وما حسن كهف، فقال: يا سيدي أفدتني وأفتيتني.

لا يجوز تعدي أمثلة القرآن

[خاتمة] قال الزركشي في البرهان: لا يجوز تعدي أمثلة القرآن، ولذلك أنكر على الحريري قوله فأدخلني بينا أخرج من التابوت وأوهى من بيت العنكبوت، وأيّ معنى أبلغ من معنى أكده الله من ستة أوجه حيث قال ﴿وإن أوهنَ البيوتِ لبيتُ العَنْكبُوتِ﴾ فأدخل إن وبنى أفعل التفضيل وبناه من الوهن وأضافه إلى الجمع وعرف الجمع باللام وأتى في خبر إن باللام، لكن استشكل هذا بقوله تعالى ﴿إن اللهَ لايَسْتَحْيِي أن يَضْرِبَ مثلاً ما بعَوُضةً فما فَوقَها﴾ وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل بما دون البعوضة فقال «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة». قلت: قد قال قوم في الآية إن معنى (فما فوقها) في الخسة، وعبر بعضهم عن هذا بقوله: فما دونها، فزال الإشكال.

النوع السادس والثلاثون في معرفة غريبه

أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون: منهم أبو عبيدة وأبو عمر الزاهد وابن دريد، ومن أشهرها كتاب العزيزي، فقد أقام في تأليفه خمس عشرة سنة يحرره هو وشيخه أبو بكر ابن الأنباري، ومن أحسنها المفردات للراغب، ولأبي حيان في ذلك تأليف مختصر في كراسين. قال ابن الصلاح: وحيث رأيت في كتب التفسير قال أهل المعاني: فالمراد به مصنفو الكتب في معنى القرآن كالزجاج والفراء والأخفش وابن الأنباري انتهى.

وينبغي الاعتناء به، فقد أخرج البيهقي من حديث أبي هريرة مرفوعاً «أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه» وأخرج مثله عن عمرو بن عمرو بن مسعود موقوفاً. وأخرج من حديث ابن عمر مرفوعاً «من قرأ القرآن فأعربه كان له بكل حرف عشرون حسنة، ومن قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنات» المراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه وليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة وهو ما يقابل اللحن، لأن القراءة مع فقده ليست قراءة ولا ثواب فيها، وعلى الخائض في ذلك التثبت والرجوع إلى كتب أهل الفن وعدم الخوض بالظن فهذه الصحابة وهم العرب العرباء وأصحاب اللغة الفصحى ومن نزل القرآن عليهم وبلغتهم توقفوا في ألفاظ لم يعرفوا معناها فلم يقولوا فيها شيئاً. فأخرج أبو عبيد في الفضائل عن إبراهيم التيمي أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله ﴿وفَاكِهَةً وأبّا﴾ فقال: أيّ سماء تظلني، وأيّ أرض تقلني إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم.

وأخرج عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر ﴿وفاكهة وأبًا﴾ فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبُّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو الكلف يا عمر. وأخرج من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها.

وأخرج ابن جريج عن سعيد بن جبير أنه سئل عن قوله﴿وحَناناً مِن لَدُنَّا﴾ فقال: سألت عنها ابن عباس فلم يجب فيها شيئاً. وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: لا والله ما أدري ما حناناً.

وأخرج الفريابي: حدثنا إسرائيل، حدثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال: كل القرآن أعلمه إلا أربعاً: غسلين، وحناناً، وأواه، والرقيم. وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: قال ابن عباس: ما كنت أدري ما قوله ﴿رَبَّنَا افتحْ بيننا وبينَ قوْمِنَا بالحَقِّ﴾ حتى سمعت قول بنت ذي يزن: تعال أفاتحك، تريد: أخاصمك. وأخرج من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: ما أدري ما الغسلين، ولكني أظنه الزقوم.

معرفة غريب القرآن ضروري:

(فصل) معرفة هذا الفن للمفسر ضرورية كما سيأتي في شروط المفسر. قال في البرهان يحتاج: الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة أسماء وأفعالاً وحروفاً. فالحروف نقلتها تكلم النحاة على معانيها. فيؤخذ ذلك من كتبهم، وأما الأسماء والأفعال فتؤخذ من كتب علم اللغة وأكبرها كتاب ابن السيد، ومنها: التهذيب للأزهري، والمحكم لابن سيده، والجامع للقزاز، والصحاح للجوهري، والبارع للفارابي، ومجمع البحرين للصاغاني. ومن الموضوعات في الأفعال كتاب ابن القوطية وابن الظريف والسرقسطي، ومن أجمعها كتاب ابن القطاع.

قلت: وأولى ما يرجع إليه في ذلك ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه

الآخذين عنه. فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة، وها أنا أسوق هنا ما ورد من ذلك عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة خاصة، فإنها من أصح الطرق عنه، وعليها اعتمد البخاري في صحيحه مرتباً على السور. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي (ح) وقال ابن جرير: حدثنا المثنى قالا: حدثنا أبو صالح عبدالله بن صالح، حدثني معاوية بن صالح عن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: يؤمنون. قال: يصدقون. يعمهون: يتمادون. مطهرة: من القذر والأذى. الخاشعين: المصدقين بما أنزل الله. وفي ذلكم بلاء: نعمة. وفومها: الحنطة. إلا أماني: أحاديث. قلوبنا غلف: في غطاء. ما ننسخ: نبدّل. أو ننسها: نتركها فلا نبدلها. مثابة: يثوبون إليه، ثم يرجعون. حنيفاً: حاجاً. شطره: نحوه. فلا جناح: فلا حرج. خطوات الشيطان: عمله. أهلّ به لغير الله: ذبح للطواغيت. ابن السبيل: الضيف الذي ينزل بالمسلمين. إن ترك خيراً: مالاً. جنفاً: إثماً. حدود الله: طاعة الله. لا تكون فتنة: شرك. فرض: أحرم. قل العفو: ما لا يتبين في أموالكم. لأعنتكم: لأخرجكم وضيق عليكم. ما لم تمسوهن أو تفرضوا. المس: الجماع، والفريضة: الصداق. فيه سكينة: رحمة. سِنة: نعاس. ولا يئوده: يثقل عليه. صفوان: حجر. صلد: ليس عليه شيء. متوفيك: مميتك. ربيون: جموع. حوباً كبيراً: إثماً عظيماً. نِحلة: مهراً. وابتلوا: اختبروا. آنستم: عرفتم. رشداً: صلاحاً. كلالة: من لم يترك والداً ولا ولداً. ولا تعضلوهن: تقهروهن. والمحصنات: كل ذات زوج. طولاً: سعة. محصنات غير مسافحات: عفائف غير زوان في السر والعلانية. ولا متخذات أخدان: أخلاء. فإذا أحصن: تزوجن. العنت: الزنا. موالي: عصبة. قوامون: أمراء. قانتات: مطيعات. والجار ذي القربى: الذي بينك وبينه قرابة. والجار الجنب: الذي ليس بينك وبينه قرابة. والصاحب بالجنب: الرفيق. فتيلاً: الذي في الشق الذي في بطن النواة الجبت: الشرك. نقير: النقطة التي في ظهر النواة.

وأولي الأمر: أهل الفقه والدين. ثبات: عصباً. سرياً: متفرقين. مقيتاً: حفيظاً. أركسهم: أوقعهم. حصرت: ضاقت. أولي الضرر: العذر. مراغما: التحول من الأرض إلى الأرض وسعة الرزق. موقوتاً: مفروضاً. تألمون: توجعون. خلق الله: دين الله. نشوزاً: بغضاً كالمعلقة لا هي أيم ولا هي ذات زوج. وإن تلووا ألسنتكم: بالشهادة. أو تعرضوا عنها. وقولهم على مريم بهتاناً. يعني رموها بالزنا. أوفوا بالعقود: ما أحل الله وما حرم وما فرض وما حد في القرآن كله. يجرمنكم: يحملنكم. شنآن: عداوة. البرّ: ما أمرت به. والتقوى: ما نهيت عنه. المنخنقة: التي تخنق فتموت، والموقوذة: التي تضرب بالخشب فتموت، والمتردية: التي تتردّى من الجبل، والنطيحة: الشاة التي تنطح الشاة، وما أكل السبع: ما أخذ. إلا ما ذكيتم: ذبحتم وبه روح. الأزلام: القداح. غير متجانف: متعدّ لإثم. الجوارح: الكلاب والفهود والصقور وأشباهها. مكلبين: ضواري. وطعام الذين أوتوا الكتاب: ذبائحهم. فافرق: افصل. ومن يرد الله فتنته: ضلالته. ومهيمناً: أميناً: القرآن أمين على كل كتاب قبله. شرعة ومنهاجا: سبيلاً وسنة. أذلة على المؤمنين: رحماء. مغلولة: يعنون بخيل أمسك ما عنده تعالى الله عن ذلك. بحيرة: هي الناقة إذا أنتجت خمسة أبطن نظروا إلى الخامس. فإن كان ذكراً ذبحوه فأكله الرجال دون النساء، وإن كان أنثى جذعوا أذنيها. وأما السائبة فكانوا يسيبون أنعامهم لآلهتهم لا يركبون لها ظهراً ولا يحلبون لها لبناً ولا يجزون لها وبراً ولا يحملون عليها شيئاً. وأما الوصيلة فالشاة إذا أنتجت سبعة أبطن نظروا للسابع، فإن كان ذكراً أو أنثى وهو ميت اشترك فيه الرجال والنساء، وإن كان أنثى وذكراً في بطن استحيوها وقالوا: وصلته أخته فحرمته علينا. وأما الحام فالفحل من الإبل اذا ولد لولده قالوا حمى هذا ظهره فلا يحملون عليه شيئاً، ولا يجزون له وبراً، ولا يمنعونه من حمى رعي، ولا من حوض يشرب منه وإن كان الحوض لغير صاحبه. مدراراً: بعضها يتبع بعضاً. وينأون عنه: يتباعدون. فلما

نسوا تركوا : مبلسون. آيسون : يصدفون يعدلون. يدعون : يعبدون. جرحتم : كسبتم من الإثم. يفرطون: يضيعون: شيعاً : أهواء مختلفة. لكل نبأ مستقر : حقيقة. نبسل : نفضح. باسطوا أيديهم: البسط الضرب. فالق الإصباح: ضوء الشمس بالنهار وضوء القمر بالليل. حسباناً : عدد الأيام والشهور والسنون. قنوان دانية: قصار النخل اللاصقة عروقها بالأرض. وخرقوا : تخرّصوا. قبلاً : معاينة. ميتاً فأحييناه: ضالاً فهديناه. مكانتكم: ناحيتكم. حجراً : حرام حمولة الإبل والخيل والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه. وفرشاً : الغنم. مسفوحاً : مهراقا. حملت ظهورهما : ما علق بها من الشحم. الحوايا : المبعر. املاق: الفقر: دراستهم: تلاوتهم. صدف: أعرض. مذؤوماً : ملوماً. ريشاً : مالاً. حثيثاً : سريعاً. رجس: سخط. صراط: الطريق. افتح: اقض. آسي: احزن. عفوا: كثروا. ويذرك وآلهتك: يترك عبادتك. الطوفان: المطر. متبر: خسران. آسفا: الحزين. إن هي الا فتنتك: إن هو إلا عذابك. عزّروه: حموه ووقّروه. ذرأنا: خلقنا. فانبجست: انفجرت: نتقنا الجبل: رفعناه. كأنك خفيّ عنها: لطيف بها. الطائف: اللمة. لولا اجتبيتها: لولا أحدثتها. لولا تلقنتها فأنشأتها. بنان: الأطراف. جاءكم الفتح: المدد. فرقاناً: المخرج. ليثبتوك: ليوثقوك. يوم الفرقان: يوم بدر فرق الله فيه بين الحق والباطل. فشرد بهم من خلفهم: نكل بهم من بعدهم من لا يتهم ميراثهم. يضاهئون: يشبهون. كافة جميعاً. ليواطئوا :: يشبهوا. ولا تفتني: ولا تخرجني. إحدى الحسنيين: فتح أو شهادة. مغارات: الغيران في الجبل. مدخلا: السرب. أذن: يسمع من كل أحد. وأغلظ عليهم: اذهب الرفق عنهم. وصلوات الرسول: استغفاره. سكن لهم: رحمة. ريبة: الشك. إلا أن تقطع قلوبهم: يعني الموت. الأواه: المؤمن التوّاب. طائفة: عصبة. قدم صدق: لهم السعادة في الذكر الأول. ولا أدراكم: أعلمكم. ترهقهم: تغشاهم. عاصم: مانع. تفيضون: تفعلون. يعزب: يغيب. يثنون: يكنون. يستغشون

ثيابهم: يغطون رؤوسهم. لا جرم: بلى. أخبتوا: خافوا. فار التنور: نبع. أقلعي: أسكني. كأن لم يغنوا: يعيشوا. حنيذ: نضيج. سيء بهم: ساء ظناً بقومه وضاق ذرعاً بأضيافه. عصيب: شديد. يهرعون: يسرعون، يقطع سواد. مسومة: معلمة. مكانتكم: ناحيتكم. أليم: موجع. زفير: صوت شديد. وشهيق: صوت ضعيف. غير مجذوذ: غير منقطع. ولا تركنوا: تذهبوا. شغفها: غلبها. متكأ: مجلساً. أكبرنه: أعظمنه. فاستعصم: امتنع. بعد أمة: حين. تحصنون: تخزنون. يعصرون: الأعناب والدهن. حصحص: تبين. زعيم: كفيل. ضلالك القديم: خطأك. صنوان: مجتمع. هاد: داع. معقبات: الملائكة يحفظونه من أمر الله بإذنه. بقدرها: على قدر طاقتها. سوء الدار: سوء العاقبة. طوبى: فرح وقرة عين. ييأس: يعلم. مهطعين: ناظرين. في الأصفاد: في وثاق. قطران: النحاس المذاب. يودّ: يتمنى. مسلمين: موحدين. شيع: أمم. موزون: معلوم. حمأ مسنون: طين رطب. أغويتني: أضللتني. فاصدع بما تؤمر: فامضه. بالروح: بالوحي. دفء: الثياب، ومنها جائز: الأهواء المختلفة. تسيمون: ترعون. مواخر: جواري. تشاقون: تخالفون. تتفيأ: تتميل. حفدة: الأصهار. الفحشاء: الزنا. يعظكم: يوصيكم. أربى: أكثر. وقضينا: أعلمنا. فجاسوا: فمشوا. حصيرا: سجنا. فصلناه. بيناه. أمرنا مترفيها: سلطنا شرارها. دمرنا: أهلكنا. وقضى: أمر. ولا تقف: لا تقل. رفاتا: غبارا. فسينغضون: يهزون. بحمده: بأمره. لأحتنكن: لأستولين. يزجي: يجري. قاصفا: عاصفا. تبيعا: نصيرا. زهوقا: ذاهبا. يؤوسا: قنوطا. شاكلته: ناحيته. كسفا: قطعا. مثبورا: ملعونا. فرّقناه: فصلناه. عوجا: ملتبسا. قيما: عدلا. الرقيم: الكتاب. تزاور: تميل. تقرضهم: تذرهم. بالوصيد: بالفناء. ولا تعد عيناك عنهم: لا تتعدّاهم إلى غيرهم. كالمهل: عكر الزيت. الباقيات الصالحات: ذكر الله. موبقا: مهلكا. موئلا: ملجأ. حقبا: دهرا. من كل شيء سببا: علما. عين حمئة: حارّة. زبر

الحديد : قطع الحديد . الصدفين : الجبلين . سويا : من غير خرس . حنانا من لدنا : رحمة من عندنا . سريا : هو عيسى ، جبارا : شقيا عصيا . واهجرني : اجتنبني . حفيا : لطيفا . لسان صدق عليا : الثناء الحسن . غيا : خسرانا . لغوا : باطلا . أثاثاً : مالا . ضدا : أعوانا . تؤزّهم أزّا : تغويهم إغواء . نعدّ لهم عدّا : أنفاسهم التي يتنفسون في الدنيا تهيجهم . وردا : عطاشا . عهدا : شهادة أن لا إله إلا الله . إدّا : عظيما . هدّا : هدما . ركزا : صوتا . بالواد المقدس : المبارك ، واسمه طوى . أكاد أخفيها : لا أظهر عليها أحداً غيري . سيرتها : حالتها . وفتناك فتوناً : اختبرناك اختباراً . ولا تنيا : تبطئا . أعطى كل شيء خلقه : خلق لكل شيء زوجة . ثم هدى : لمنكحه ، ومطعمه ، ومشربه ، ومسكنه . لا يضل : لا يخطىء . تارة : حاجة . فيسحتكم : فيهلككم . السلوى : طائر شبيه بالسماني . ولا تطغوا : لا تظلموا . فقد هوى : شقي . بملكنا : بأمرنا . ظلت : أقمت : لننسفنه في اليم : لنذرينه في البحر . ساء : بئس . يتخافتون : يتسارون . قاعا : مستويا . صفصفا : لا نبات فيه . عوجا : واديا . أمتا : رابية . وخشعت الأصوات : سكنت . همسا : الصوت الخفيّ . وعنت الوجوه : ذلت . فلا يخاف ظلما : أن يظلم فيزاد في سيئاته . فلك : دوران . يسبحون : يجرون . ننقصها من أطرافها : ننقص أهلها وبركتها . جذاذا : حطاما . فظن أن لن نقدر عليه : أن لن يأخذه العذاب الذي أصابه . حدب : شرف . ينسلون : يقبلون . حصب : شجر . كطيّ السجل للكتاب : كطيّ الصحيفة على الكتاب . بهيج : حسن . ثاني عطفه : مستكبرا في نفسه . وهدوا : ألهموا . تفثهم : وضع إحرامهم من حلق الرأس ولبس الثياب وقص الأظفار ونحو ذلك . منسكا : عيدا . القانع : المتعفف . المعتر : السائل . إذا تمنى : حدث . في أمنيته : حديثه . يسطون : يبطشون . خاشعون : خائفون ساكنون . تنبت بالدهن : هو الزيت . هيهات هيهات : بعيد بعيد . تترى : يتبع بعضها بعضا . وقلوبهم وجلة : خائفين . يجأرون : يستغيثون ، تنكصون : تدبرون . سامرا تهجرون : تسمرون حول البيت

وتقولون هجرا . عن الصراط لناكبون: عن الحق عادلون. تسحرون: تكذبون. كالحون: عابسون. يرمون المحصنات: الحرائر. ما زكى: ما اهتدى. ولا يأتل: لا يقسم. دينهم: حسابهم. تستأنسوا : تستأذنوا . ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن: لا تبدي خلاخيلها ومعضديها ونحرها وشعرها إلا لزوجها. غير أولى الإربة: المغفل الذي لا يشتهى النساء . إن علمتم فيهم خيراً : إن علمتم لهم حيلة. وآتوهم من مال الله: ضعوا عنهم من مكاتبتهم. فتياتكم: إمائكم. البغاء : الزنى. نور السموات. هادي السموات. مثل نوره: هداه في قلب المؤمن. كمشكاة: موضع الفتيلة في بيوت المساجد. ترفع: تكرم. ويذكر فيها اسمه: يتلى فيها كتابه. يسبح: يصلي. بالغدو:صلاة الغداة. والآصال: صلاة العصر. بقيعة: أرض مستوية. تحية: السلام. ثبورا: وابلا. بورا. هلكى. هباء منثورا: الماء المهراق. ساكنا: دائماً. قبضا يسيرا: سريعا. جعل الليل والنهار خلفة: من فاته شيء من الليل أن يعمله أدركه بالنهار أو من النهار أدركه بالليل. عباد الرحمن: المؤمنون. هونا: بالطاعة والعفاف والتواضع. لولا دعاؤكم: إيمانكم. كالطود: كالجبل. فكبكبوا: جمعوا. ريع: شرف. لعلكم تخلدون: كأنكم. خلق الاولين: دين الأولين: هضيم: معشبة. فرهين: حاذقين. الأيكة: الغيضة. الجبلة: الخلق. في كل واد يهيمون: في كل لغو يخوضون. بورك: قدّس. أوزعني: اجعلني. يخرج الخبء: يعلم كل خفية في السماء والأرض. طائركم: مصائبكم. ادّارك علمهم: غاب علمهم. ردف: قرب. يوزعون: يدفعون. داخرين: صاغرين. جامدة: قائمة. أتقن: أحكم. جذوة: شهاب. سرمدا: دائماً. لتنوء: تثقل. وتخلقون: تصنعون. إفكا: كذبا. أدنى الأرض: طرف الشام. أهون: أيسر. يصدعون: يتفرّقون. ولا تصعر خدك للناس: لا تتكبر فتحتقر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك إلا كلموك. الغرور: الشيطان. نسيناكم: تركناكم. العذاب الأدنى: مصائب الدنيا وأسقامها وبلاؤها. سلقوكم: استقبلوكم. ترجى: تؤخر. لنغرينك

بهم: لنسلطنك عليهم. الأمانة: الفرائض. جهولا: غرّا بأمر الله. دابة الأرض: الأرضة. منسأته: عصاه. سيل العرم: الشديد. خمط: الأراك. فزع: جلى. الفتاح: القاضي. فلا فوت: فلا نجاة. وأنى لهم التناوش: فكيف لهم بالردّ. الكلم الطيب: ذكر الله. والعمل الصالح: أداء الفرائض. قطمير: الجلدُ الذي يكون على ظهر النواة. لغوب: إعياء. حسرة: ويل. كالعرجون القديم: أصل العذق العتيق. المشحون: الممتلىء. الأجداث: القبور. فاكهون: فرحون. فاهدوهم: وجهوهم. غول: صداع. بيض مكنون: اللؤلؤ المكنون. سواء الجحيم: وسط الجحيم. ألفوا: وجدوا. وتركنا عليه في الآخرين: لسان صدق للأنبياء كلهم. شيعته: أهل دينه. بلغ معه السعي: العمل. تله: صرعه. فنبذناه: ألقيناه. بالعراء: بالساحل. بفاتنين: مضلين. ولات حين مناص: ليس حين فرار، اختلاق: تخريص. فليرتقوا في الأسباب: السماء. فواق: ترداد. قطنا: العذاب. فطفق مسحا: جعل يمسح جسداً: شيطاناً. رخاء حيث أصاب: مطيعة له حيث أراد. ضغثا: حزمة. أولى الأيدي: القوّة. والأبصار: الفقه في الدين. قاصرات الطرف: عن غير أزواجهن. أتراب: مستويات. غساق: الزمهرير، أزواج: ألوان من العذاب. يكور: يحمل. الساخرين: المخرفين. المحسنين: المهتدين. ذي الطول: السعة والغنى. دأب: حال. تباب: خسران. ادعوني: وحدوني، فهديناهم: بينا لهم. رواكد: وقوفا. يوبقهن: يهلكهن. مقرنين: مطيعين. معارج: الدرج، وزخرفا: الذهب. وإنه لذكر: شرف. تحبرون: تكرمون. رهوا: سمتا. أضله الله على علم: في سابق علمه. فيما إن مكناكم: لم نمكنكم فيه. آسن: متغير. لا تقدموا بين يدي الله ورسوله: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة. ولا تجسسوا: هو أن تتبع عورات المؤمن. المجيد: الكريم، مريج: مختلف. باسقات: طوال. لبس: شك. حبل الوريد: عرق العنق. قتل الخراصون: يعني المرتابون. في غمرة ساهون: في ضلالتهم يتمادون. يفتنون: يعذبون. يهجعون: ينامون. صرّة: ضجة: فصكت:

لطمت. بركنه: بقوته.بأيد: بقوة. المتين: الشديد. ذنوبا: دلوا. المسجور: المحبوس. تمور: تحرك. يدعون: يدفعون. فاكهين: معجبين. وما ألتناهم: ما نقصناهم. تأثيم: كذب. ريب المنون: الموت. المسيطرون: المتسلطون الجبارون. ذو مرة: منظر حسن. أغنى وأقنى: أعطى وأرضى. الآزفة: من أسماء يوم القيامة. ساهون: لاهون. النجم: ما يبسط على الأرض، والشجر: ما ينبت على ساق. للأنام: الخَلق. العصف: التبن. والريحان: خضرة الزرع. فبأي آلاء ربكما: بأيّ نعمة الله. مارج: خالص النار. مرج: أرسل. برزخ: حاجز. ذو الجلال: ذو العظمة والكبرياء. سنفرغ لكم: هذا وعيد من الله لعباده وليس بالله شغل. لا تنفذون: لا تخرجون من سلطاني. شواظ: لهب النار. ونحاس: دخان النار. جنى: ثمار. يطمثهن: يدن منهن. نضاختان: فائضتان. رفرف خضر: بسط أو وسائد. مترفين: منعمين. للمقوين: المسافرين. لمدينين: محاسبين. فروح: راحة. نبرؤها: نخلقها. لا تجعلنا فتنة للذين كفروا: لا تسلطهم علينا فيفتنونا. ولا يأتين ببهتان يفترينه: لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم. قاتلهم الله: لعنهم، وكل شيء في القرآن قتل فهو لعن. وأنفقوا: تصدقوا. ومن يتق الله يجعل له مخرجاً: ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة. عتت: عصت، يعني أهلها. تميز: تتفرّق. فسحقاً: بعداً. لو تدهن فيدهنون: لو ترخص لهم فيرخصون. زنيم: ظلوم. أوسطهم: أعدلهم. يوم يكشف عن ساق: هو الأمر الشديد المفظع من الهول يوم القيامة. مكظوم: مغموم. مذموم: ملوم. ليزلقونك: ينفذونك. طغى الماء: كثر. واعية: حافظة. إني ظننت: أيقنت: غسلين: صديد أهل النار. ذي المعارج: العلو والفواضل. سبلا: طرقاً. فجاجا: مختلفة. جدّ ربنا: فعله وأمره وقدرته. فلا يخاف بخسا: نقصا من حسناته. ولا رهقا: زيادة في سيئاته. كثيبا مهيلا: الرمل السائل. وبيلا: شديدا. يوم عسير: شديد. لواحة: معرضة. فإذا قرأناه: بيناه. فاتبع قرآنه: اعمل به. والتفت الساق بالساق: آخر يوم من

أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، فتلتقي الشدة بالشدة. سدى: هملا. أمشاج: مختلفة الألوان. مستطيرا: فاشيا. عبوسا: ضيقا. قمطريرا: طويلا. كفاتا: كنا. رواسي: جبالا، شامخات: مشرفات. فراتا: عذبا. سراجا وهاجا: مضيئا. المعصرات: السحاب. ثجاجا: منصبا. ألفافاً: مجتمعة. جزاء وفاقا: وفق أعمالهم. مفازا: متنزّها. كواعب: نواهد. الروح: ملك من أعظم الملائكة خلقا. وقال صوابا: لا إله إلا الله. الرادفة: النفخة الثانية. واجفة: خائفة. الحافرة: الحياة. سمكها: بناها. وأغطش: أظلم. سفرة: كتبة. قضبا: القتّ. وفاكهة: الثمار الرطبة. مسفرة: مشرقة، كورت: أظلمت: انكدرت: تغيرت. عسعس: أدبر. فجرت بعضها في بعض. بعثرت: بحثت. عليين: الجنة. يحور: يبعث. يوعون: يسرون. الودود: الحبيب. لقول فصل: حقّ. بالهزل: الباطل. غثاء: هشيماً. أحوئز متغيراً. من تزكي: من الشرك. وذكر اسم ربه: وحّد الله. فصلّى: الصلوات الخمس. الغاشية والطامّة والصاخّة والقارعة: من أسماء يوم القيامة. ضريع: شجر من نار. ونمارق: المرافق. بمسيطر: بجبار. لبالمرصاد: يسمع ويرى. جمّاً: شديداً. وأنّى: كيف له. النجدين: الضلالة والهدى. طحاها: قسّمها. فألهمها فجورها وتقواها: بيّن الخير والشر. ولا يخاف عقباها: لا يخاف من أحد تابعة. سجى: ذهب. ما ودّعك ربك وما قلى: ما تركك وما أبغضك. فانصب: في الدعاء. إيلافهم: لزومهم. شانئك: عدوّك. الصمد: السيد الذي كمل في سؤدده. الفلق: الخلق. هذا لفظ ابن عباس، أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيرهما مفرقا فجمعته، وهو وإن لم يستوعب غريب القرآن فقد أتى على جملة صالحة منه، وهذه الألفاظ لم تذكر في هذه الرواية سقتها من نسخة الضحاك عنه. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا منجاب بن الحارث (ح) وقال ابن جرير: حدثت عن المنجاب، حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى ـ الحمد لله ـ قال: الشكر لله ربّ

العالمين. قال: له الخلق كله. للمتقين: المؤمنين الذين يتقون الشرك ويعملون بطاعتي. ويقيمون الصلاة: إتمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والإقبال عليها فيها. مرض: نفاق. عذاب أليم: نكال موجع. يكذبون: يبدلون ويحرفون. السفهاء: الجهال. طغيانهم: كفرهم. كصيب: المطر. أندادا: أشباها. التقديس: التطهير. رغدا: سعة المعيشة. تلبسوا: تخلطوا. أنفسهم يظلمون: يضرون. وقولوا حطة: قولوا هذا الأمر حق كما قيل لكم. الطور: ما أنبت من الجبال، وما لم ينبت فليس بطور. خاسئين: ذليلين. نكالاً: عقوبة. لما بين يديها: من بعدهم. وما خلفها: الذين بقوا معهم. وموعظة: تذكرة. بما فتح الله عليكم: بما أكرمكم به. بروح القدس: الاسم الذي كان عيسى يحيي به الموتى. قانتون: مطيعون. القواعد: أساس البيت. صبغة: دين. أتحاجوننا: أتخاصموننا. ينظرون: يؤخرون. ألدّ الخصام: شديد الخصومة. السلم: الطاعة. كافة: جميعا. كدأب: كصنع. بالقسط: بالعدل، الأكمه: الذي يولد وهو أعمى. ربانيين: علماء فقهاء: ولا تهنوا. لا تضعفوا. واسمع غير مسمع: يقولون اسمع لا سمعت. ليا بألسنتهم: تحريفا بالكذب، إلا إناثاً: موتى، وعزرتموهم: أعنتموهم. لبئس ما قدمت لهم أنفسهم، قال: أمرتهم. ثم لم تكن فتنتهم: حجتهم. بمعجزين: بسابقين. قوما عمين: كفارا. بسطة: شدة. لا تبخسوا: لا تنقصوا. القمل: الجراد الذي ليس له أجنحة. يعرشون: يبنون. متبر: هالك. فخذها بقوة: بجدّ وحزم، إصرهم: عهدهم ومواثيقهم. مرساها: منتهاها. خذا العفو: أنفق الفضل. وأمر بالعرف: بالمعروف. وجلت: فرقت. البكم: الخرس. فرقانا: نصرا. بالعدوة الدنيا: شاطىء الوادي. إلاًّ ولا ذمة: الإلّ القرابة. والذمة العهد. أنى يؤفكون: كيف يكذبون. ذلك الدين: القضاء. عرضاً: غنيمة. الشقة: المسير. فثبطهم: حبسهم. ملجأ: الحرز في الجبل: أو مغارات: الأسراب. في الأرض المخيفة، أو مدخلا: المأوى. والعاملين عليها: السعاة. نسوا الله: تركوا طاعة الله. فنسيهم:

تركهم من ثوابه وكرامته. بخلافهم: بدينهم. المعذرون: أهل العذر. مخمصة: مجاعة. غلظة: شدة. يفتنون: يبتلون. عزيز: شديد. ما عنتم: ما شق عليكم. اقضوا إليّ: انهضوا إليّ. ولا تنظرون: تؤخرون. حقت: سبقت. ويعلم مستقرها: يأتيها رزقهـا حيث كانت. منيب: المقبل إلى طاعة الله. ولا يلتفت: يتخلف. تعثوا: تسعوا. هيت لك: تهيأت لك، وكان يقرؤها مهموزة. وأعتدت: هيأت. على العرش: السرير. هذه سبيلي: دعوتي. المثلات: ما أصاب القرون الماضية من العذاب. الغيب والشهادة: السرّ والعلانية. شديد المحال: شديد المكر والعداوة. على تخوف: نقص من أعمالهم. وأوحى ربك إلى النحل: ألهمها. وأضلّ سبيلا: أبعد حجة. قبيلا: عيانا. وابتغ بين ذلك سبيلاً: اطلب بين الإعلان والجهر وبين التخافت والخفض طريقاً. لا جهراً: شديداً. ولا خفضاً، لا يسمع أذنيك. رطبا جنياً: طرياً. يفرط: يعجل. يطغى: يعتدي. لا تظمأ: لا تعطش. ولا تضحى: لا يصيبك حر. ربوة: المكان المرتفع. ذات قرار: خصب. ومعين: ماء طاهر. أمتكم: دينكم. تبارك: تفاعل من البركة. كرة: رجعة. خاوية: سقـط اعلاهـا إلى أسفلها. فله خير: ثواب. يبلس: ييأس. جدد: طرائق. صراط الجحيم: طريق النار. وقفوهم: احبسوهم: إنهم مسئولون: محاسبون. مالكم لا تناصرون: تمانعون. مستسلمون: مستنجدون. وهو مليم: مسيء مذنب. والغوا فيه: عيبوه. فصلت: بينت. مهطعين: مقبلين. بست: فتتت. ولا ينزفون: لا يقيئون كما يقيء صاحب خمر الدنيا. الحنث العظيم: الشرك. المهيمن: الشاهد. العزيز: المقتدر على ما يشاء. الحكيم: المحكم لما أراد. خشب مسندة: نخل قيام. من فطور: تشقق. حسير: كليل ضعيف. لا ترجون لله وقارا: لا تخافون له عظمة. جدّ ربنا: عظمته. أتانا اليقين: الموت. يتمطى: يختال. أترابا: في سن واحدة ثلاث وثلاثين سنة. متاعا لكم: منفعة. مرساها: منتهاها. ممنون: منقوص.

الاحتجاج على غريب القرآن بالشعر:

(فصل) قال أبو بكر ابن الأنباري: قد جاء عن الصحابة والتابعين كثيراً الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر، وأنكر جماعة لا علم لهم على النحويين ذلك. وقالوا: إذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلا للقرآن. قالوا: وكيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن وهو مذموم في القرآن والحديث.

قال: وليس الأمر كما زعموه من أنا جعلنا الشعر أصلا للقرآن، بل أردنا تبيين الحرف الغريب من القرآن بالشعر، لأن الله تعالى قال: ﴿إنا جَعَلْنَاهُ قُرآناً عَرَبِياً﴾ وقال: ﴿بِلِسَانٍ عربيٍّ مُبِين﴾ وقال ابن عباس: الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه. ثم أخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب.

وقال أبو عبيد في فضائله: حدثنا هشيم عن حصين بن عبد الرحمن عن عبدالله بن عبدالرحمن بن عتبة عن ابن عباس أنه كان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر. قال أبو عبيد: يعني كان يستشهد به على التفسير قلت: قد روينا عن ابن عباس كثيراً من ذلك، وأوعب ما رويناه عن مسائل نافع بن الأزرق، وقد أخرج بعضها ابن الأنباري في كتاب الوقف والطبراني في معجمه الكبير، وقد رأيت أن أسوقها هنا بتمامها لتستفاد.

أخبرني أبو عبدالله محمد بن علي الصالحي بقراءتي عليه عن أبي إسحاق التنوخي عن القاسم بن عساكر، أنبأنا أبو نصر محمد بن عبدالله الشيرازي، أنبأنا أبو المظفر محمد بن أسعد العراقي، أنبأنا أبو علي محمد بن سعيد بن نبهان الكاتب، أنبأنا أبو علي ابن شاذان، حدثنا أبو الحسين عبد الصمد بن علي بن محمد بن مكرم المعروف بابن الطستي، حدثنا أبو سهل السريّ بن سهل الجنديسابوري، حدثنا يحي ابن أبي عبيدة بحر بن فروخ المكي، أنبأنا

سعيد ابن أبي سعيد، أنبأنا عيسى بن دأب عن حميد الأعرج وعبدالله بن أبي بكر ابن محمد عن أبيه قال: بينا عبدالله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن، فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر: قم بنا إلى هذا الذي يجترىء على تفسير القرآن بما لا علم له به، فقاما إليه فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقه من كلام العرب، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربيّ مبين، فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما، فقال نافع: أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿عن اليمين وعن الشمال عزين﴾ قال: العزون: حلق الرفاق. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال نعم: أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول:

فجاءوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا

قال: أخبرني عن قوله: ﴿وابتغُوا إليهِ الوسِيلَةَ﴾ قال: الوسيلة: الحاجة، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عنترة وهو يقول:

إن الرجال لهم إليك وسيلة إن يأخذوك تكحلي وتخضبي

قال: أخبرني عن قوله: ﴿شُرعَةً ومِنهَاجاً﴾ قال: الشرعة: الدين، والمنهاج: الطريق، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو يقول:

لقد نطق المأمون بالصدق والهدى وبيّن للإسلام دينا ومنهجا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿إذا أَثَمْرَ وَيَنْعِه﴾ قال: نضجه وبلاغه، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

إذا ما مشت وسط النساء تأوّدت كما اهتزّ غصن ناعم النبت يانع

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وريشا﴾ قال: الريش المال، قال: وهل

تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت الشاعر يقول:

فـرشني بخير طـال مـا قـد بـريتني وخير الموالي مـن يـريش ولا يبري

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لقد خَلَقْنَا الإنسانَ في كَبَد﴾ قال: في اعتدال واستقامة، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت لبيد ابنَ ربيعة وهو يقول:

يـا عين هلا بكيـت أربـد إذ قمنـا وقـام الخصـوم في كبـد

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿يكاد سَنَا بَرْقِه﴾ قال: السنا الضوء، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت أبا سفيان بن الحارث يقول:

يدعـو إلى الحق لا يبغـي بـه بـدلاً يجلـو بضـوء سنـاه داجـي الظلم

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وحَفَدَة﴾ قال: ولد الولد، وهم الأعوان. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال نعم. أما سمعت الشاعر يقول:

حفـد الولائـد حـولهنَّ وأسلمـت بـأكفهـن أزمـة الأجمـال

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وحناناً من لَدُنَّا﴾ قال: رحمة من عندنا، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت طرفة بن العبد يقول:

أبا منـذر أفنيـت فاستبـقِ بعضنـا حنانيك بعض الشرّ أهون من بعـض

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿أفلم ييأسِ الذينَ آمنوا﴾ قال: أفلم يعلم بلغة بني مالك، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت مالك بن عوف يقول:

لقـد يئس الأقـوام أني أنـا ابنـه وإن كنت عن أرض العشيرة نـائيـا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿مثبورا﴾ قال ملعونا محبوسا من الخير، قال:

وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم: أما سمعت عبدالله بن الزبعرى يقول:

إذا أتاني الشيطان في سِنَةِ النو م ومن مال ميله مثبورا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فأجاءها المخاضُ﴾ قال: ألجأها، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت حسان بن ثابت يقول:

إذ شددنا شدة صادقة فأجأناكم إلى سفح الجبل

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿نديا﴾ قال: النادي: المجلس، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت الشاعر يقول:

يومان يوم مقامات وأندية ويوم سير إلى الأعداء تأويب

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿أثاثا ورئيا﴾ قال: الأثاث: المتاع، والرئي: من الشراب، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت الشاعر يقول:

كان على الحمول غداة ولوا من الرئي الكريم من الأثاث

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فَيَذَرها قاعاً صفصفا﴾ قال: القاع: الأملس، والصفصف: المستوي، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت الشاعر يقول:

بملمومة شهباء لو قذفوا بها شماريخ من رضوى إذن عاد صفصفا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وأنك لا تظمأ فيها ولا تَضْحَى﴾ قال: لا تعرق فيها من شدة حرّ الشمس، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت الشاعر يقول:

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشي فيخصر

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿له خُوار﴾ قال: له صياح، قال: وهل تعرف

العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

كـأنّ بني معـاويـة بـن بكـر ... إلى الإسـلام صـائحـة تخـور

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ولاتنيا في ذِكرى﴾ قال: لا تضعفا عن أمري، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

إني وجـدك مـا ونيـت ولم أزل ... أبغـي الفكـاك لـه بكـل سبيـل

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿القانعَ والمعتَـر﴾ قال: القانع: الذي يقنع بما أعطى، والمعتر: الذي يعترض الأبواب، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

على مكثريهم حـق معترّ بـابهم ... وعنـد المقلين السماحـة والبـذل

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وقصرٍ مَشِيد﴾ قال: مشيد بالجص والآجرّ، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عدي بن زيد يقول:

شـاده مـرمـراً وجللـه كلـ ... ـسـاً فللطير في ذراه وكـور

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿شُواظ﴾ قال: الشواظ: اللهب الذي لا دخان له، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول أمية ابن أبي الصلت:

يظـل يشـب كيراً بعـد كير ... وينفـخ دائبـاً لهب الشـواظ

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿قد أَفْلَحَ المؤمنون﴾ قال: فازوا وسعدوا، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول لبيد بن ربيعة:

فـاعقلي ان كنـت لما تعقلـي ... ولقـد أفلـح مـن كـان لـه عقـل

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿يؤيدُ بِنَصْرِهِ من يَشَاء﴾ قال: يقوي، قال:

وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول حسان بن ثابت:

برجال لستمو أمثالهم ... أيدوا جبريل نصرا فنزل

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ونحاس﴾ قال: هو الدخان الذي لا لهب فيه، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

يضيء كضوء سراج السليط ... لم يجعل الله فيه نحاسا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿أمشاج﴾ قال: اختلاط ماء الرجل وماء المرأة إذا وقع في الرحم، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول أبي ذؤيب:

كان الريش والفوق منه ... خلال النصل خالطه مشيج

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وفومها﴾ قال: الحنطة، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، اما سمعت قول أبي محجن الثقفي:

قد كنت أحسبني كأغنى واحد ... قدم المدينة عن زراعة فوم

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وأنتم سامدون﴾ قال: السمود: اللهو والباطل، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول هذيلة بنت بكر وهي تبكي قوم عاد:

ليت عاداً قبلوا الحق ... ولم يبدوا جحودا

قيل قم فانظر إليهم ... ثم دع عنك السمودا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لا فيها غول﴾ قال: ليس فيها نتن ولا كراهية كخمر الدنيا، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول امرىء القيس:

ربّ كأسٍ شربت لا غول فيها   وسقيت النديم منها مزاجا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿والقمر إذا اتسق﴾ قال: اتساقه: اجتماعه، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول طرفة بن العبد:

إن لنا قلائصاً نقانقا   مستوسقات لم يجدن سائقا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وهم فيها خالدون﴾ قال: باقون لا يخرجون منها أبداً، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول عديّ بن زيد:

فهل من خالد إما هلكنا   وهل بالموت يا للناس عار

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وجفان كالجواب﴾ قال: كالحياض الواسعة، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول طرفة بن العبد:

كالجوابي لاتني مترعة   بقرى الأضياف أو للمحتضر

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فَيَطْمَعُ الذي في قَلْبِه مَرَض﴾ قال: الفجور والزنى، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الأعشى:

حافظ للفرج راض بالتقى   ليس ممن قلبه فيه مرض

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿من طينٍ لازِب﴾ قال: الملتزق، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول النابغة:

فلا تحسبون الخير لا شر بعده   ولا تحسبون الشر ضربة لازب

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿أندادا﴾ قال: الأشباه والأمثال، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول لبيد بن ربيعة:

أحمد الله فلا ندّ له   بيديه الخير ما شاء فعل

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لشوباً من حميم﴾ قال: الخلط بماء الحميم والغساق. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

تلك المكارم لا قعبان من لبن   شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿عجل لنا قطنا﴾ قال: القط: الجزاء، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الأعشى:

ولا الملك النعمان يوم لقيته   بنعمته يعطي القطوط ويطلق

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿من حمأ مسنون﴾ قال: الحمأ السواد، والمسنون: المصوّر، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول حمزة بن عبد المطلب:

أغر كأن البدر شقة وجهه   جلا الغيم عنه ضوؤه فتبددا

قال: فأخبرني عن قوله تعالى: ﴿البائس الفقير﴾ قال: البائس: الذي لا يجد شيئاً من شدة الحال، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول طرفة:

يغشاهم البائس المدقع والضيـ   ـف وجار مجاور جنب

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ماء غدقاً﴾ قال: كثيراً جارياً، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

تدنى كراديس ملتفاً حدائقها   كالنبت جادت بها أنهارها غدقا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿بشهاب قبس﴾ قال: شعلة من نار يقتبسون منه، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول طرفة بن العبد:

هــمّ عـــراني فبـــت أدفعـــه دون سهـــادي كشعلـــة القبس

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿عذاب أليم﴾ قال: الأليم: الوجيع، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

نـام مـــن كـــان خليـــاً مـــن ألم وبقيـــت الليـــل طـــولاً لم أنـــم

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنا على آثارِهِم﴾ قال: أتبعنا على أثار الأنبياء. أي بعثنا، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم: أما سمعت قول عديّ بن زيد:

يـوم قفـت عيرهـــم مـــن عيرنـــا واحتمال الحي في الصبـــح فلـــق

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿إذا تردّى﴾ قال إذا مات وتردّى في النار، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول عديّ بن زيد:

خطفتـــــه منيـــــة فتـــــردّى وهـــو في الملـــك يـــأمـــل التعميرا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿في جناتٍ وَنَهر﴾ قال: النهر: السعة، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول لبيد بن ربيعة:

ملكـت بها كفـي فـأنهرت فتقهـــا يرى قـــائـم مـــن دونها مـــا وراءهـــا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَضَعَها للأنام﴾ قال: الخلق، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول لبيد بن ربيعة:

فـإن تسـألينـا مـــمَّ نحن فـــإننـــا عصافير مـــن هـــذا الأنـــام المسحـــر

قال: فأخبرني عن قوله تعالى: ﴿أن لن يَحُورَ﴾ قال: أن لن يرجع بلغة الحبشة، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد إذ هو ساطع

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ذلك أدنى أن لا تَعُولُوا﴾ قال: أجدر أن لا تميلوا، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر.

إنا تبعنا رسول الله واطرحوا قول النبي وعالوا في الموازين

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وهو مُليم﴾ قال: المسيء المذنب، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول أمية ابن أبي الصلت:

بريء من الآفات ليس لها بأهل ولكن المسيء هو المليم

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿إذ تحسونهم بإذنه﴾ قال: تقتلونهم، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

ومنا الذي لاقى بسيف محمد فحس به الأعداء عرض العساكر

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ما ألفينا﴾ قال: يعني وجدنا، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول نابغة بني ذبيان:

فحسبوه فألفوه كما زعمت تسعاً وتسعين لم تنقص ولم تزد

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿جَنَفاً﴾ قال: الجور والميل في الوصية، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول عديّ بن زيد:

وأمك يا نعمان في أخواتها تأتين ما يأتينه جنفا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿بالبأساء والضراء﴾ قال: البأساء: الخصب، والضراء: الجدب، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول زيد بن عمرو:

إن الإله عزيز واسع حكم بكفه الضرّ والبأساء والنعم

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿إلا رمزاً﴾ قال: الإشارة باليد والايماء بالرأس، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم: أما سمعت قول الشاعر:

ما في السماء من الرحمن مرتمز إلا إليه وما في الأرض من وزر

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فقد فاز﴾ قال: سعد ونجا، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول عبدالله بن رواحة:

وعسى أن أفوز ثمت ألقى حجة أتقي بها الفتانا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿سواء بيننا وبينكم﴾ قال: عدل، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

تلاقينا فقاضينا سواء ولكن جر عن حال بحال

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿الفلك المشحون﴾ قال: السفينة الموقرة، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول لبيد بن الأبرص:

شحنا أرضهم بالخيل حتى تركناهم أذل من الصراط

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿زنيم﴾ قال: ولد الزنى، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

زنيم تداعته الرجال زيادة كما زيد في عرض الأديم الأكارع

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿طرائق قددا﴾ قال: المنقطعة في كل وجه، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

ولقد قلت وزيد حاسر يوم ولت خيل زيد قددا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿بربّ الفلق﴾ قال: الصبح إذ انفلق من ظلمة

الليل، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول زهير بن أبي سلمى:

الفارج الهمّ مسدولاً عساكره كما يفرج غم الظلمة الفلق

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿خلاق﴾ قال: نصيب، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول أمية ابن أبي الصلت:

يدعون بالويل فيها لا خلاق لهم إلاّ سرابيل من قطر وأغلال

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كلٌّ لَهُ قانتون﴾ قال: مقرّون، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول عديّ بن زيد:

قانتاً لله يرجو عفوه يوم لا يكفر عبد ما ادخر

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿جدّ ربنا﴾، قال: عظمة ربنا، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم. أما سمعت قول أمية ابن أبي الصلت:

لك الحمد والنعماء والملك ربنا فلا شيء أعلى منك جداً وأمجد

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿حميمٍ آن﴾ قال: الآني الذي انتهى طبخه وحرّه، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول نابغة بني ذبيان:

ويخضب لحية غدرت وخانت بأحمر من نجيع الخوف آن

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿سَلَقُوكم بألسنةٍ حِدَاد﴾ قال: الطعن باللسان، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الأعشى:

فيهم الخصب والسماحة والنجدة فيهم والخاطب المسلاق

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وأَكْدَى﴾ قال: كدره بمنه، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم: أما سمعت قول الشاعر:

أعطـى قليلا ثم أكـدى بمنـه ... ومن ينشر المعروف في الناس يحمـد

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لا وَزَرَ﴾ قال: الوزر: الملجأ، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول عمرو بن كلثوم:

لعمـرك مـا إن لـه صخـرة ... لعمـرك مـا إن لـه مـن وزر

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿قضى نَحْبَه﴾ قال: أجله الذي قدّر له، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول لبيد بن ربيعة:

ألا تسـألان المرء مـاذا يحاول ... أنحبٌ فيقضى أم ضلال وباطـل

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّة﴾ قال: ذو شدة في أمر الله. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول نابغة بن ذبيان:

★ وهـنا قـوي ذي مـرة حـازم ★

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿المعُصِراتِ﴾ قال: السحاب يعصر بعضها بعضا فيخرج الماء من بين السحابتين، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول نابغة:

تجربها الأرواح مـن بين شمـأل ... وبين صباهـا المعصرات الدوامس

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ قال: العضد: المعين الناصر، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول النابغة الذبياني:

في ذمة مـن أبي قابـوس منقـذه ... للخائفين ومـن ليست لـه عضد

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿في الغابرين﴾ قال: في الباقين، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول عبيد بن الأبرص:

ذهبوا وخلفني المخالف فيهم فكأنني في الغابرين غريب

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فلا تأسَ﴾ قال: لا تحزن، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول امرىء القيس:

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمل

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿يصدفون﴾ قال يعرضون عن الحق، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول أبي سفيان:

عجبت لحلم الله عنا وقد بدا له صدفنا عن كل حق منزل

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿أن تبسل﴾ قال: تحبس، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول زهير:

وفارقتك برهن لافكاك له يوم الوداع فقلبي مبسل غلقا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فلما أفلت﴾ قال: زالت الشمس من كبد السماء، أما سمعت قول كعب بن مالك:

فتغير القمر المنير لفقده والشمس قد كسفت وكادت تأفل

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كالصريم﴾ قال: الذاهب، أما سمعت قول الشاعر:

غدوت عليه غدوة فوجدته قعوداً لديه بالصريم عواذل

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿تفتؤ﴾ قال: لا تزال، أما سمعت قول الشاعر:

لعمرك ما تفتأ تذكر خالداً وقد غاله ما غال من قبل تبع

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿خشيةَ إملاق﴾ قال: مخافة الفقر، أما سمعت قول الشاعر:

وإني على الإملاق يا قوم ماجد أعدّ لأضيافي الشواء المضهبا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿حَدَائِقَ﴾ قال: البساتين، أما سمعت قول الشاعر:

بلاد سقاها الله أما سهولها فقضب ودر مغدق وحدائق

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿مقيتاً﴾ قال: قادراً، أما سمعت قول أحيحة الأنصاري:

وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على مساءته مقيتا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ولا يَئُودُه﴾ قال: لا يثقله، أما سمعت قول الشاعر:

يعطي المئين ولا يئوده حملها محض الضرائب ماجد الأخلاق

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿سَرِيّا﴾ قال: النهر الصغير، أما سمعت قول الشاعر:

سهل الخليقة ماجد ذو نائل مثل السريّ تمده الأنهار

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كأساً دِهَاقاً﴾ قال: ملأى، أما سمعت قول

الشاعر:

أتانا عامر يرجو قرانا ... فأترعنا له كأساً دهاقا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لَكَنُود﴾ قال: كفور للنعم، وهو الذي يأكل وحده ويمنع رفده ويجيع عبده، أما سمعت قول الشاعر:

شكرت له يوم العكاظ نواله ... ولم أك للمعروف ثم كنود

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إليك رؤُوسَهُم﴾ قال: يحركون رؤوسهم استهزاء بالناس، أما سمعت قول الشاعر:

أتنغض لي يوم الفخار وقد ترى ... خيولاً عليها كالأسود ضواريا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿يُهرعون﴾ قال: يقبلون إليه بالغضب، أما سمعت قول الشاعر:

أتونا يهرعون وهم أسارى ... نسوقهم على رغم الأنوف

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿بِئس الرِّفد المرفود﴾ قال: بئس اللعنة بعد اللعنة. أما سمعت قول الشاعر:

لا تقذفني بركن لاكفاء له ... وإن تأسفك الأعداء بالرفد

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿غير تتبيب﴾ قال: تخسير. أما سمعت قول بشر ابن أبي حازم:

هم جدعوا الأنوف فأوعبوها ... وهم تركوا بني سعد تبابا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فأسرِ بأهلكَ بِقِطَعٍ من الليل﴾ ما القطع؟

قال: آخر الليل سَحَراً، قال مالك ابن كنانة:

ونـائحـة تقـوم بقطـع ليـل ... على رجل أصـابتـه شعـوب[1]

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿هَيْتَ لك﴾ قال: تهيأت لك، أما سمعت قول أحيحة الجلاح الأنصاري:

بـه أحمي المضـاف إذا دعـاني ... إذا مـا قيـل للأبطـال هيتـا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿يوم عَصِيب﴾ قال: شديد، أما سمعت قول الشاعر:

هـم ضربـوا قـوانس خيـل حجـر ... بجنـب الرده في يـوم عصيـب

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿مُؤْصَدَة﴾ قال: مطبقة، أما سمعت قول الشاعر:

تحن إلى أجبـال مكـة نـاقتي ... ومن دوننا أبواب صنعاء مؤصـده

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لا يَسْأَمُون﴾ قال: لا يفترون ولا يملون، أما سمعت قول الشاعر:

من الخوف لا ذو سأمة مـن عبـادة ... ولا هـو مـن طـول التعبـد يجهـد

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿طيراً أَبَابيل﴾ قال: ذاهبة وجائية تنقل الحجارة بمناقيرها وأرجلها فتبلبل عليهم فوق رؤوسهم، أما سمعت قول الشاعر:

---

(١) أي داهية.

وبالفوارس من ورقـاء قـد علمـوا　　أحلاس خيـل على جـرد أبـابيـل

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ثَقِفْتُمُوهم﴾ قال: وجدتموهم، أما سمعت قول حسان:

فـإمَّـا تثقفـنّ بني لـؤي　　جـذيمة إن قتلهـم دواء

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فَأَثَرنَ بِـهِ نَقْعاً﴾ قال: النقع: ما يسطع من حوافر الخيل، أما سمعت قول حسان:

عـدمنـا خيلنـا إن لم تـروهـا　　تثير النقـع مـوعـدهـا كـداء

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿في سَوَاءِ الجَحِيمِ﴾ قال: في وسط الجحيم، أما سمعت قول الشاعر:

رماها بسهم فـاستـوى في سـوائهـا　　وكان قبولاً للهـوى ذي الطـوارق

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿في سِدرٍ مَخْضُود] قال: الذي ليس له شوك، أما سمعت قول أمية ابن أبي الصلت:

إن الحدائـق في الجنـان ظليلـة　　فيها الكـواعـب سـدرهـا مخضـود

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ قال: منضم بعضه إلى بعض، أما سمعت قول امرىء القيس:

دار لبيضـاء العـوارض طفلـة　　مهضـومـة الكشحين ريـا المعصم

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿قولاً سديداً﴾ قال: قولاً عدلاً حقاً، أما سمعت قول حمزة:

أمين على مـا استـودع الله قلبـه　　فإن قـال قـولاً كـان فيـه مسـددا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿إلاًّ ولا ذِمةً﴾ قال: الإلّ: القرابة، والذمة: العهد، أما سمعت قول الشاعر:

جـزى الله إلاّ كـان بيني وبينهـم جـزاء ظلـوم لا يـؤخـر عـاجلا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿خَامِدِين﴾ قال: ميتين، أما سمعت قول لبيد:

حلـوا ثيـابهم على عـوراتهم فهـم بـأفنيـة البيـوت خمود

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿زُبُرَ الحَدِيد﴾ قال: قطع الحديد، أما سمعت قول كعب بن مالك:

تلظـى عليهـم حين أن شـدّ حميهـا بـزبـر الحديـد والحجـارة سـاجـر

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فَسُحْقاً﴾ قال: بُعداً، أما سمعت قول حسان:

ألا مـن مبلـغ عني أبيـا فقـد ألقيـت في سحـق السعير

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿إلا في غُرُور﴾ قال: في باطل، أما سمعت قول حسان:

تمنتـك الأمـاني مـن بعيـد وقـول الكفـر يـرجـع في غـرور

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وحَصُورا﴾ قال: الذي لا يأتي النساء، أما سمعت قول الشاعر:

وحصـور عـن الخنـا يـأمـر النـا س بفعـل الخيـرات والتشمير

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾ قال: الذي ينقبض وجهه من شدة الوجع، أما سمعت قول الشاعر:

ولا يوم الحساب وكان يوماً عبوساً في الشدائد قمطريرا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿يومَ يُكْشَفُ عن سَاقٍ﴾ قال: عن شدة الآخرة، أما سمعت قول الشاعر:

★ قد قامت الحرب بنا على ساق ★

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿إيابَهُمْ﴾ قال: الإياب: المرجع، أما سمعت قول عبيد بن الأبرص:

وكل ذي غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿حُوباً﴾ قال: إثماً بلغة الحبشة، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الأعشى:

فإني وما كلفتموني من أمركم ليعلم من أمسى أعق وأحوبا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿العَنَت﴾ قال: الإثم. أما سمعت قول الشاعر:

رأيتك تبتغي عنتي وتسعى مع الساعي علي بغير دخل

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فَتيلا﴾ قال: التي تكون في شق النواة، أما سمعت قول نابغة:

يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو ثم لا يرزأ الأعادي فتيلا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿من قِطْمِير﴾ قال: الجلدة البيضاء التي على النواة، أما سمعت قول أمية ابن أبي الصلت:

لم أنل منهم فسيطاً ولا زبداً ولا فوفه ولا قطميرا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿أركسهم﴾ قال: حبسهم، أما سمعت قول أمية:

أركسوا في جهنم إنهم كانوا عتاتاً يقولون كذباً وزورا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿أَمَرْنا مُتْرَفِيها﴾ قال: سلطنا، أما سمعت قول لبيد:

إن يغبطوا ييسروا وإن أمروا يوماً يصيروا للهلك والفقد

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿أن يفتِنَكُم الذينَ كَفَرُوا﴾ قال: يضلكم بالعذاب والجهد بلغة هوازن، أما سمعت قول الشاعر:

كل امرىء من عباد الله مضطهد ببطن مكة مقهور ومفتون

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كأن لم يَغْنَوا﴾ قال: كأن لم يسكنوا، أما سمعت قول لبيد:

وغنيت سبتا قبل مجري داحس لو كان للنفس اللجوج خلود

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿عَذابَ الهُون﴾ قال: الهوان: أما سمعت قول الشاعر:

إنا وجدنا بلاد الله واسعة تنجي من الذل والمخزاة والهون

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ولا يُظْلَمُون نَقِيرا﴾ قال: النقير: ما في شق النواة، ومنه تنبت النخل، أما سمعت قول الشاعر:

وليس الناس بعدك في نقير وليسوا غير أصداء وهام

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لا فارِض﴾ قال: الهرمة، أما سمعت قول الشاعر:

لعمري لقد أعطيت ضيفك فارضاً يساق إليه ما يقوم على رجل

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسوَدِ﴾ قال: بياض النهار من سواد الليل، وهو الصبح إذا انفلق، أما سمعت قول أمية:

الخيط الأبيض ضوء الصبح منفلق والخيط الأسود لون الليل مكموم

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿بِئسما شَرَوْا بِهِ أنفُسَهُمْ﴾ قال: باعوا نصيبهم من الآخرة بطمع يسير من الدنيا، أما سمعت قول الشاعر:

يعطي بها ثمناً فيمنعها ويقول صاحبها ألا تشري

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿حُسْبَاناً من السماء﴾ قال: نار من السماء، أما سمعت قول حسان:

بقية معشر صبت عليهم شآبيب من الحسبان شهب

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وعَنَتِ الوُجُوه﴾ قال: استسلمت وخضعت، أما سمعت قول الشاعر:

ليبك عليك كل عان بكربة وآل قصي من مقل وذي وفر

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿معيشةً ضَنْكا﴾ قال: الضنك: الضيق الشديد، أما سمعت قول الشاعر:

والخيل لقد لحقت بها في مأزق ضنك نواحيه شديد المقدم

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿من كُلِ فَجٍّ﴾ قال: طريق، أما سمعت قول الشاعر:

حازوا العيال وسدّوا الفجاج بأجساد عاد لها آيدان

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ذات الحُبُك﴾ قال: ذات الطرائق والخلق الحسن، أما سمعت قول زهير ابن أبي سلمى:

هم يضربون حبيك البيض إذ لحقوا   لا ينكصون إذا ما استلحموا وحموا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿حَرَضاً﴾ قال: الدنف الهالك من شدة الوجع، أما سمعت قول الشاعر:

أمن ذكر ليلى إن نأت غربة بها   كأنك جمّ للأطباء محرض

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿يَدُعُّ اليَتيم﴾ قال: يدفعه عن حقه، أما سمعت قول أبي طالب:

يقسم حقاً لليتيم ولم يكن   يدع لذا أيسارهن الأصاغرا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿السماءُ مُنفَطِرٌ به﴾ قال: منصدع من خوف يوم القيامة، أما سمعت قول الشاعر:

طباهن حتى أعرض الليل دونها   أفاطير وسمي رواء جدورها

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فهم يُوزَعُون﴾ قال يحبس أولهم على آخرهم حتى تنام الطير، أما سمعت قول الشاعر:

وزعت رعيلها بأقب نهد   إذا ما القوم شدّوا بعد خمس

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كلما خَبَتْ﴾ قال: الخبء: الذي يطفأ مرة ويسعر أخرى، أما سمعت قول الشاعر:

والنار تخبو عن آذانهم   وأضرمها إذا ابتدروا سعيرا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كالمُهْل﴾ قال: كدرديّ الزيت، أما سمعت قول الشاعر:

تباري بها العيس السموم كأنها   تبطنت الأقراب من عرق مهلا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿أَخذاً وَبِيلاً﴾ قال: شديداً ليس له ملجأ، أما سمعت قول الشاعر:

خـــزي الحيـــاة وخـــزي المات وكـــلا أراه طعـــامـــاً وبيـــلا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فَنَقَبُوا في البِلاد﴾ قال: هربوا بلغة اليمن، أما سمعت قول عديّ بن زيد:

فنقبـوا في البلاد مـــن حـــذر المو ت وجـــالـــوا في الأرض أي مجال

قال: أخبرني عن قوله تعالى: (إلا هَمْساً﴾ قال: الوطء الخفيّ والكلام الخفي، أما سمعت قول الشاعر:

فبـاتـــوا يـــدلجون وبـــات يسري بصير بـالـدجـا هـاد همـوس

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿مُقْمَحُون﴾ قال: المقمح: الشامخ بأنفه المنكس رأسه، أما سمعت قول الشاعر:

ونحن على جـــوانبهـــا قعـــود نغـض الطـرف كـالإبـل القماح

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿في أمرٍ مَرِيج﴾ قال: المريج: الباطل، أما سمعت قول الشاعر:

فـراعـت فـانتقـدت بـه حشـاهـا فخـر كـأنـه خـوط مـريـج

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿حتماً مَقْضِياً﴾ قال: الحتم: الواجب، أما سمعت قول أمية:

عبـــادك يخطئـــون وأنـــت رب بكفيـــك المنـــايـــا والحتـــوم

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وأكوابٍ﴾ قال: القلال التي لا عرى لها، أما سمعت قول الهذلي:

فلم ينطــــق الديــــك حتى ملأت   كؤوب الدنــان لــه فــاســتــدارا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ولا هم عنها يُنْزَفُون﴾ قال: لا يسكرون، أما سمعت قول عبدالله بن رواحة:

ثم لا ينــزفــون عنهــا ولكـــن   يــذهــب الهم عنهــم والغليـــل

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كان غَرَاماً﴾ قال: ملازماً شديداً كلزوم الغريم الغريم، أما سمعت قول بشر ابن أبي حازم:

ويــوم النســار ويــوم الجفــار   وكــان عــذاباً وكــان غــرامــا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿والتَّرَائِب﴾ قال: هو موضع القلادة من المرأة، أما سمعت قول الشاعر:

والزعفــران على تـــرائبهـــا   شرقــاً بـــه اللبـــات والنحـــر

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وكنتم قَوماً بُورا﴾ قال: هلكى بلغة عمان وهم من اليمن، أما سمعت قول الشاعر:

فلا تكفروا ما قد صنعنـا اليكمـــو   وكافوا به فــالكفــر بـور لصــانعــه

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿نَفَشَتْ﴾ قال: النفش: الرعي بالليل، أما سمعت قول لبيد:

بـــدلـــن بعـــد النفش الوجيفـــا   وبعـــد طـــول الجرة الصريفـــا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿أَلَدَّ الخِصَام﴾ قال: الجدل المخاصم في الباطل، أما سمعت قول مهلهل:

إن تحت الأحجار حـزمـاً وجـوداً   وخصيمــاً ألـــدّ ذا مغـــلاق

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿بعجلٍ حَنِيذ﴾ قال: النضيج مما يشوى بالحجارة، أما سمعت قول الشاعر:

لهم راح ونـــار المســك فيهـــم   وشـــاويهم إذ شـــاءوا حنيـــذا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿من الأجْدَاثِ﴾ قال: القبور، أما سمعت قول ابن رواحة:

حيناً يقولون إذا مرّوا على جـدثـي   أرشده يا رب من عانٍ وقـد رشـدا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿هَلُوعا﴾ قال: ضجراً جزوعاً، أما سمعت قول بشر ابن أبي حازم:

لا مـــانعـــاً لليتيم نحلتـــه   ولا مكبـــاً لخلقـــه هلعـــا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ولاتَ حينَ مَنَاص﴾ قال: ليس بحين فرار، أما سمعت قول الأعشى:

تـذكـرت ليلى حين لات تـذكـر   وقـد بنـت منهـا والمنـاص بعيـد

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ودُسُر﴾ قال: الدسر: الذي تخرز به السفينة، أما سمعت قول الشاعر:

سفينـة نـوتي قـد أحكـم صنعهـا   منحتـة الألـواح منسـوجـة الدسر

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿رِكْزا﴾ قال: حساً، أما سمعت قول الشاعر:

وقـد تـرجس ركـزاً مفقـر نـدس   بنبأة الصوت مـا في سمعـه كـذب

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿بَاسِرة﴾ قال: كالحة، أما سمعت قول عبيد ابن الأبرص:

صبحنـــا تمياً غـــداة النســـا ر شبهـــاء ملمـــومـــة بـــاسره

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ضِيزَى﴾ قال: جائرة، أما سمعت قول امرىء القيس:

ضـــازت بنـــو أســـد بحكمهـــم إذ يعـدلـون الرأس بـــالـــذنـــب

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لم يَتَسَنَّه﴾ قال: لم تغيره السنون، أما سمعت قول الشاعر:

طـاب منـه الطعـم والريـــح معـــا لـــن تـــراه مـــتغيـــراً مـــن أســـنِ

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ختار﴾ قال: الغدار الظلوم الغشوم، أما سمعت قول الشاعر:

لقد علمت واستيقنت ذات نفسهـــا بأن لا تخاف الدهر صرمي ولا ختري

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿عَينَ القِطْر﴾ قال: الصفر، أما سمعت قول الشاعر:

فـألقـى في مـراجـل مـن حـديـد قـــدور القطـــر ليس مـــن البراة

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ قال: الأراك، أما سمعت قول الشاعر:

مـــا مغـــزل فـــرد تـــراعـــى بعينهـــا أغن غضيض الطرف من خلل الخمط

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿اشمأزّتْ﴾ قال: نفرت، أما سمعت قول عمرو بن كلثوم:

إذا عـــض الثقـــات بها اشمأزّت وولتـــه عشـــوزنـــة زبـــونـــا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿جُدَدٌ﴾ قال: طرائق، أما سمعت قول الشاعر:

قد غادر النسع في صفحاتها جددا ... كأنها طرق لاحت على أكم

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿أَغْنَى وأَقْنَى﴾ قال: أغنى من الفقر، وأقنى من الغنى، أما سمعت قول عنترة العبسي:

فاقني حياءك لا أبالك واعلمي ... أني امرؤ سأموت إن لم أقتل

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لا يَلِتْكُم﴾ قال: لا ينقصكم بلغة بني عبس، أما سمعت قول الحطيئة العبسي:

أبلغ سراة بني سعد مغلغلة ... جهد الرسالة لا ألتاً ولا كذبا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وأَبّا﴾ قال: الأبّ: ما يعتلف منه الدواب، أما سمعت قول الشاعر:

ترى به الأبّ واليقطين مختلطاً ... على الشريعة يجري تحتها الغرب

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿تُواعِدُوهن سِرّاً﴾ قال: السر: الجماع، أما سمعت قول امرىء القيس:

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني ... كبرت وأن لا يحسن السر أمثالي

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فيه تُسِيمون﴾ قال: تزرعون، أما سمعت قول الأعشىٰ:

ومشي القوم بالعماد إلى الدر ... حاء أعيي المسيم أين المساق

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لا تَرجُون للهِ وَقَارا﴾ قال: لا تخشون لله

عظمة، أما سمعت قول أبي ذؤيب:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها ... وحالفها في بيت نوب عوامل

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ذا مَتْرَبَة﴾ قال: ذا حاجة وجهد، أما سمعت قول الشاعر:

تربت يد لك ثم قل نوالها ... وترفعت عنك السماء سجالها

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِين﴾ قال: مذعنين خاضعين، أما سمعت قول تبع:

تعبدني نمر بن سعد وقد درى ... ونمر بن سعد مدين ومهطع

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿هل تَعْلَمُ له سَمِيًّا﴾ قال: ولداً، أما سمعت قول الشاعر:

أما السميّ فأنت منه مكثر ... والمال فيه تغتدي وتروح

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿يَصْهَرُ﴾ قال: يذاب، أما سمعت قول الشاعر:

سخنت صهارته فظل عثاله ... في سيطل كفيت به يتردد

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لتنوءُ بالعُصْبَةِ﴾ قال: لتثقل، أما سمعت قول امرىء القيس:

تمشي فتثقلها عجيزتها ... مشي الضعيف ينوء بالوسق

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كُلَّ بَنَان﴾ قال: أطراف الأصابع، أما سمعت قول عنترة:

فنعم فوارس الهيجاء قومي إذا علق الأعنة بالبنان

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿إعصارا﴾ قال: الريح الشديدة، أما سمعت قول الشاعر:

فله في آثارهن خوان وحفيف كأنه إعصار

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿مُراغِماً﴾ قال: منفسحاً بلغة هذيل، أما سمعت قول الشاعر:

واترك أرض جهرة إن عندي رجاء في المراغم والتعادي

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿صَلْدا﴾ قال: أملس، أما سمعت قول أبي طالب:

وإني لقرم وابن قرم لهاشم لآباء صدق مجدهم معقل صلد

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لأجراً غير مَمْنُون﴾ قال: غير منقوص، أما سمعت قول زهير:

فضل الجواد على الخيل البطاء فلا يعطي بذلك ممنوناً ولا ترقا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿جابُوا الصَخْرَ﴾ قال: نقبوا الحجارة في الجبال فاتخذوها بيوتاً، أما سمعت قول أمية:

وشقّ أبصارنا كيما نعيش بها وجاب للسمع أصماخاً وآذانا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿حباً جمّاً﴾ قال: كثيراً، أما سمعت قول أمية:

إن تغفر اللهم تغفر جمّا وأي عبد لك لا ألمّا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿غَاسِق﴾ قال: الظلمة: أما سمعت قول زهير:

ظلت تجوب يداها وهي لاهية　　حتى إذا جنح الإظلام والغسق

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿في قُلُوبِهم مَرَضٌ﴾ قال: النفاق، أما سمعت قول الشاعر:

أجامل أقواماً حيَاء وقد أرى　　صدورهم تغلي على مراضها

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿يَعْمَهُون﴾ قال: يلعبون ويترددون، أما سمعت قول الأعشي:

أراني قد عمهت وشاب رأسي　　وهذا اللعب شين بالكبير

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿إلى بارِئِكم﴾ قال: خالقكم، أما سمعت قول تبع:

شهدت على أحمد أنه　　رسول من الله بارىء النسم

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لا رَيْبَ فيه﴾ قال: لا شك فيه، أما سمعت قول ابن الزبعرى:

ليس في الحق يا أمامة ريب　　إنما الريب ما يقول الكذوب

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ختم اللهُ على قُلُوبهم﴾ قال: طبع عليها، أما سمعت قول الأعشي:

وصهباء طاف يهود بها　　فأبرزها وعليها ختم

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿صَفْوَان﴾ قال: الحجر الأملس، أما سمعت قول أوس بن حجر:

على ظهر صفوان كأن متونه عللن بدهن يزلق المتنزلا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فيها صِرٌّ﴾ قال: برد، أما سمعت قول نابغة:

لا يبرمون إذا ما الأرض جللها صرّ الشتاء من الإمحال كالأدم

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿تُبَوِّىءُ المؤمنين﴾ قال: توطن المؤمنين، أما سمعت قول الأعشي:

وما بوأ الرحمن بيتك منزلاً بأجياد غزى الغني والمحرم

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿رِبِّيُّون﴾ قال: جوع كثيرة، أما سمعت قول حسان:

وإذا معشر تجافوا عن الـ ـقصد حملنا عليهم ربينا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿مَخْمَصَةَ﴾ قال: مجاعة، أما سمعت قول الأعشى:

تبيتون في المشتى ملأى بطونكم وجاراتكم سغب يبتن خمائصا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ولِيَقْتَرِفُوا ما هم مُقتَرِفُون﴾ قال: ليكتسبوا ما هم مكتسبون، أما سمعت قول لبيد:

وإني لآت مَا أتيت وإنني لما اقترفت نفسي عليّ لراهب

هذا آخر مسائل نافع بن الأزرق، وقد حذفت منها يسيراً نحو بضعة عشر سؤالاً، وهي أسئلة مشهورة أخرج الأئمة أفراداً منها بأسانيد مختلفة إلى ابن عباس. وأخرج أبو بكر بن الأنباري في كتاب الوقف والابتداء منها قطعة وهي المعلم عليها بالحمرة صورة (ك) قال: حدثنا بشر بن أنس. أنبأنا محمد بن عليّ

ابن الحسن بن شقيق. أنبأنا أبو صالح هدبة بن مجاهد. أنبأنا مجاهد بن شجاع. أنبأنا محمد بن زياد اليشكري عن ميمون بن مهران قال: دخل نافع بن الأزرق المسجد فذكره. وأخرج الطبراني في معجمه الكبير منها قطعة وهي المعلم عليها صورة (ط) من طريق جويبر عن الضحاك بن مزاحم قال: خرج نافع بن الأزرق فذكره.

النوع السابع والثلاثون: فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز

تقدم الخلاف في ذلك في النوع السادس عشر، ونورد هنا أمثلة ذلك، وقد رأيت فيه تأليفاً مفرداً. أخرج أبو عبيد من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿وأنتم سَامِدُون﴾ قال: الغناء: وهي يمانية. وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة هي بالحميرية.

وأخرج أبو عبيد عن الحسن قال: كنا لا ندري ما (الأرائِك) حتى لقينا رجل من أهل اليمن فأخبرنا أن الأريكة عندهم الحجلة فيها السرير.

وأخرج عن الضحاك في قوله تعالى: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ قال: ستوره بلغة أهل اليمن.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك في قوله تعالى: ﴿لا وزر﴾ قال: لا حيل، وهي بلغة أهل اليمن.

وأخرج عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿وَزوَّجناهُم بحورٍ﴾ قال هي لغة يمانية، وذلك أن أهل اليمن يقولون زوّجنا فلاناً بفلانة. قال الراغب في مفرداته: ولم يجيء في القرآن زوّجناهم حوراً، كما يقال زوّجته امرأة تنبيهاً أن ذلك لا يكون على حسب المتعارف فيما بيننا بالمناكحة.

وأخرج عن الحسن في قوله تعالى: ﴿لو أردنا أن نَتّخِذَ لَهواً﴾ قال: اللهو بلسان اليمن المرأة. وأخرج عن محمد بن علي في قوله تعالى ـ ونادى تعالى: ﴿لو

أردنا أن نتخذ لهواً﴾ قال: اللهو بلسان اليمن المرأة.

وأخرج عن محمد بن علي في قوله تعالى: ﴿ونادى نُوحٌ ابنَهُ﴾ قال: هي بلغة طيء ابن امرأته. قلت: وقد قرىء (ونادي نوح ابنها) وأخرج عن الضحاك في قوله تعالى: ﴿أعصِرُ خَمْراً﴾ قال: عنباً بلغة أهل عمان يسمون العنب خمراً.

وأخرج ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أتدعون بعلاً﴾ قال: رباً بلغة أهل اليمن. وأخرج عن قتادة قال: بعلاً: رباً بلغة أزد شنوءة.

وأخرج أبو بكر بن الأنباري في كتاب الوقف عن ابن عباس قال: الوزر: ولد الولد بلغة هذيل.

وأخرج فيه عن الكلبي قال: المرجان: صغار اللؤلؤ بلغة اليمن.

وأخرج في كتاب الردّ على من خالف مصحف عثمان عن مجاهد قال: الصواع: الطر جهالة بلغة حمير.

وأخرج فيه عن أبي صالح في قوله تعالى: ﴿أفلم ييأس الذين آمنوا﴾ قال: أفلم يعلموا بلغة هوازن. وقال الفراء: قال الكلبي: بلغة النخع. وفي مسائل نافع ابن الأزرق لابن عباس (يفتنكم) يضلكم بلغة هوازن، وفيها (بورا). هلكى بلغة عمان. فنقبوا: هربوا بلغة اليمن.

وفيها: لا يلتكم: لا ينقصكم بلغة بني عبس. وفيها: مراغماً: منفسحاً: بلغة هذيل. وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن عمرو بن شرحبيل في قوله تعالى: ﴿سيل العرم﴾ المسناة بلغة اليمن.

وأخرج جويبر في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿في الكتاب مسطوراً﴾ قال: مكتوباً، وهي لغة حميرية يسمون الكتاب أسطوراً.

لغة كنانة:

وقال أبو القاسم في الكتاب الذي ألفه في هذا النوع في القرآن بلغة كنانة: السفهاء: الجهال. خاسئين: صاغرين. شطره: تلقاءه. لا خلاق: لا نصيب. وجعلكم ملوكا: أحرارا. قبيلا: عيانا. معجزين: سابقين. يعزب: يغيب. تركنوا: تميلوا. فجوة: ناحية. مؤئلا: ملجأ. مبلسون: آيسون. دحورا: طردا. الخراصون: الكذابون. أسفارا: كتبا. أقتت: جمعت. كنود: كفور للنعم.

لغة هذيل:

وبلغة هذيل: الرجز: العذاب. شروا: باعوا. عزموا الطلاق: حققوا. صلدا: نقيا. آناء الليل: ساعاته. فورهم: وجههم. مدرارا: متتابعا. فرقانا: مخرجا. حرض: حض. عيلة: فاقة. وليجة: بطانة. انفروا: اغزوا. السائحون: الصائمون. العنت: الإثم. ببدنك: بدرعك. غمة: شبهة. دلوك الشمس: زوالها. شاكلته: ناحيته. رجما: ظنا. ملتحدا: ملجأ. يرجو: يخاف. هضما: نقصا. هامدة: مغبرة. واقصد في مشيك: أسرع. الأجداث: القبور. ثاقب: مضيء. بالهم: حالهم. يهجعون: ينامون. ذنوبا: عذابا. دسر: المسامير. تفاوت: عيب. أرجائها: نواحيها. أطوار: ألوانا. بردا: نوما. واجفة: خائفة. مسغبة: مجاعة. المبذر: المسرف.

لغة حمير:

وبلغة حمير: تفشلا: تجبنا. عثر: اطلع. سفاهة: جنون. زيلنا: ميزنا. مرجوا: حقيرا. السقاية: الإناء. مسنون: منتن. إمام: كتاب. ينغضون: يحركون. حسبانا: بردا. من الكبر. عتيا: نحو لا مآرب: حاجات. خرجا: جعلا. غراما: بلاء. الصرح: البيت. أنكر الأصوات: أقبحها. يتركم: ينقصكم. مدينين:

محاسبين. رابية: شديدة. وبيلا: شديدا.

لغة جرهم:

وبلغة جرهم: بجبار: بمسلط. مرض: زنا. القطر: النحاس. محشورة: مجموعة. معكوفا: محبوسا. فباءوا: استوجبوا. شقاق: ضلال. خيرا: مالا. كدأب: كأشباه. تعولوا: تميلوا. يغنوا: يتمتعوا. شرد: نكل. أراذلنا: سفلتنا. عصيب: شديد. لفيفاً: جميعاً. محسوراً: منقطعاً. حدب: جانب. الخلال: السحاب. الودق: المطر. شرذمة: عصابة. ريع: طريق. ينسلون. يخرجون. شوبا: مزجاً. الحبك: الطرائق. سور: الحائط.

لغة ازد شنوءة:

وبلغة أزد شنوءة: لاشية: لا وضح. العضل: الحبس. أمة: سنين. الرس: البئر. كاظمين: مكروبين. غسلين: الحارّ الذي تناهى حرّه. لوّاحة: حرّاقة.

لغة مذحج:

وبلغة مذحج: رفث: جماع. مقيتا: مقتدرا. بظاهر من القول: بكذب. الوصيد: الفناء. حقبا: دهرا. والخرطوم: الأنف.

لغة خثعم:

وبلغة خثعم: تسيمون: ترعون. مريج: منتشر. صفت: مالت. هلوعا: ضجورا. شططا: كذباً.

لغة قيس عيلان

وبلغة قيس عيلان: نحلة: فريضة. حرج: ضيق. لخاسرون: مضيعون. تفندون: تستهزءون. صياصيهم: حصونهم. تحبرون: تنعمون. رجيم: ملعون. يلتكم: ينقصكم.

لغات أخرى

وبلغة سعد العشيرة. حفدة: أختان. كل: عيال.

وبلغة كندة: فجاجا: طرقا. بست: فتتت. تبتئس: تحزن.

وبلغة عذرة: اخسئوا: اخزوا.

وبلغة حضر موت: ربيون: رجال. دمرنا: أهلكنا. لغوب: إعياء. منسأته: عصاه.

وبلغة غسان: طفقا: عمدا. بئيس: شديد. سيء بهم: كرههم.

وبلغة مزينة: لا تغلوا: لا تزيدوا.

وبلغة لخم: إملاق: جوع. ولتعلن: تقهرن.

وبلغة جذام: جاسوا خلال الديار: تخللوا الأزقة.

وبلغة بني حنيفة: العقود: العهود. الجناح: اليد. والرهب: الفزع.

وبلغة اليمامة: حصرت: ضاقت.

وبلغة سبأ: تميلوا ميلا عظيما: تخطئون خطأ بينا. تبرنا: أهلكنا.

وبلغة سُلَيْم: نكص: رجع.

وبلغة عمارة: الصاعقة: بلغة طيّ. ينعق: يصيح. رغدا: خصبا. سفه نفسه: خسرها. يسٓ: يا إنسان.

وبلغة خزاعة: أفيضوا: انفروا. والإفضاء: الجماع.

وبلغة عمان: خبالا: غيا. نفقا: سربا. حيث أصاب: أراد.

وبلغة تميم: أمد: نسيان. بغيا: حسدا.

وبلغة أنمار: طائره: عمله. أغطش: أظلم.

وبلغة الأشعريين. لأحتنكن. لأستأصلن. تارة: مرة. اشمأزّت: مالت ونفرت.

وبلغة الأوس: لينة: النخل.

وبلغة الخزرج: ينغضون: يذهبون.

وبلغة مدين: فافرق: فاقضِ.

اهـ. ما ذكره أبو القاسم ملخصاً.

في القرآن خمسون لغة:

وقال أبو بكر الواسطي في كتابه الإرشاد في القراءات العشر: في القرآن من اللغات خمسون لغة: لغة قريش وهذيل وكنانة وخثعم والخزرج وأشعر ونمير وقيس عيلان وجرهم واليمن وأزدشنوءة وكندة وتميم وحمير ومدين ولخم وسعد العشيرة وحضرموت وسدوس والعمالقة وأنمار وغسان ومذحج وخزاعة وغطفان وسبأ وعمان وبنو حنيفة وثعلب وطي وعامر بن صعصعة وأوس ومزينة وثقيف وجذام وبلي وعذرة وهوازن والنمر واليمامة. ومن غير العربية: الفرس والروم والنبط والحبشة والبربر والسريانية والعبرانية والقبط، ثم ذكر في أمثلة ذلك غالب ما تقدم عن أبي القاسم، وزاد الرجز: العذاب بلغة بلي. طائف من الشيطان: نخسة بلغة ثقيف. الأحقاف: الرمال بلغة ثعلب.

من لغات العرب:

وقال ابن الجوزي في فنون الأفنان في القرآن بلغة همدان: الريحان: الرزق. والعيناء: البيضاء. والعبقري: الطنافس. وبلغة نصر بن معاوية: الختار: الغدار. وبلغة عامر بن صعصعة: الحفدة: الخدم. وبلغة ثقيف. العول: الميل. وبلغة عك. الصور: القرن.

نزل بلغة قريش:

وقال ابن عبد البرّ في التمهيد: قول من قال نزل بلغة قريش معناه عندي الأغلب، لأن غير لغة قريش موجودة في جميع القراءات من تحقيق الهمزة ونحوها، وقريش لا تهمز.

وقال الشيخ جمال الدين بن مالك: أنزل الله القرآن بلغة الحجازيين إلاّ قليلاً، فإنه نزل بلغة التميميين كالإدغام في: من يشاقّ الله، وفي من يرتد منكم عن دينه، فإن إدغام المجزوم لغة تميم ولهذا قل، والفك بلغة الحجاز ولهذا كثر نحو: وليملل. يحببكم الله. يمددكم. واشدد به أزري. ومن يحلل عليه غضبي. قال: وقد أجمع القراء على نصب: إلا اتباع الظن، لأن لغة الحجازيين التزام النصب في المنقطع كما أجمعوا على نصب ما هذا بشرا، لأن لغتهم إعمال ما. وزعم الزمخشري في قوله تعالى ـ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ـ أنه استثناء منقطع جاء على لغة بني تميم.

[فائدة] قال الواسطي: ليس في القرآن حرف غريب من لغة قريش غير ثلاثة أحرف، لأن كلام قريش سهل لين واضح، وكلام العرب وحشي غريب، فليس في القرآن إلا ثلاثة أحرف غريبة: فيسنغضون، وهو تحريك الرأس. مقيتا: مقتدار. فشرد بهم: سمع.

النوع الثامن والثلاثون: فيما وقع فيه بغير لغة العرب

ليس في القرآن كلام غير عربي:

قد أفردت في هذا النوع كتاباً سميته [المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب] وأنا ألخص هنا فوائدة فأقول: اختلف الأئمة في وقوع المعرب في القرآن، فالأكثرون ومنهم الإمام الشافعي وابن جرير وأبو عبيدة والقاضي أبو بكر وابن فارس على عدم وقوعه فيه لقوله تعالى: ﴿قُرآناً عربياً﴾ وقوله تعالى: ﴿ولو جَعَلْنَاهُ قرآناً أَعْجَمِياً لقالوا لولا فُصِّلَتْ آياتُه أأعجميٌ وعَرَبِي﴾ وقد شدّد الشافعي النكير على القائل بذلك. وقال أبو عبيدة: إنما أنزل القرآن بلسان عربيّ مبين. فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول، ومن زعم أن كذابا بالنبطية فقد أكبر القول. وقال ابن أوس: لو كان فيه من لغة غير العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله لأنه أتى بلغات لا يعرفونها.

في القرآن ألفاظ أعجمية:

وقال ابن جرير: ما ورد عن ابن عباس وغيره من تفسير ألفاظ من القرآن إنها بالفارسية والحبشية والنبطية أو نحو ذلك إنما اتفق فيها توارد اللغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد.

وقال غيره: بل كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلغتهم بعد مخالطة لسائر الألسن في أسفارهم فعلقت من لغاتهم ألفاظاً غيرت بعضها بالنقص من حروفها

واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العـربـي الفصيح ووقع بها البيان، وعلى هذا الحدّ نزل بها القرآن.

وقال آخرون: كل هذه الألفاظ عربية صرفة، ولكن لغة العرب متسعة جداً ولا يبعد أن تخفى على الأكابر الجلة. وقد خفي على ابن عباس معنى فاطر وفاتح. قال الشافعي في الرسالة: لا يحيط باللغة إلا نبيّ. وقال أبو المعالي عزيزي ابن عبد الملك: إنما وجدت هذه الألفاظ في لغة العرب لأنها أوسع اللغات وأكثرها ألفاظاً. ويجوز أن يكونوا سبقوا إلى هذه الألفاظ.

الألفاظ القليلة لا تخرجه عن العربية:

وذهب آخرون إلى وقوعه فيه. وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿قرآناً عربياً﴾ بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربياً، والقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلفظة فيها عربية. وعن قوله تعالى: ﴿أأعجميٌّ وعربيّ﴾ بأن المعنى من السياق أكلام أعجميّ ومخاطب عربي. واستدلوا باتفاق النحاة على أن منع صرف نحو إبراهيم للعلمية والعجمية. وردّ هذا الاستدلال بأن الأعلام ليست محل خلاف، فالكلام في غيرها موجه بأنه إذا اتفق على وقوع الأعلام فلا مانع من وقوع الأجناس. وأقوى ما رأيته للوقوع وهو اختياري ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبي ميسرة التابعي الجليل قال: في القرآن من كل لسان وروي مثله عن سعيد بن جبير ووهب بن منبه. فهذه إشارة إلى أن حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن أنه حوى علوم الأولين والآخرين ونبأ كل شيء، فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن ليتم إحاطته بكل شيء، فاختير له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالاً للعرب.

من خصائص لغة القرآن:

ثم رأيت ابن النقيب صرح بذلك فقال: من خصائص القرآن على سائر كتب الله تعالى المنزلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم، لم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم، والقرآن احتوى على جميع لغات العرب، وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير انتهى. وأيضاً فالنبي ﷺ مرسل إلى كل أمة، وقد قال تعالى ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ فلا بد وأن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم وإن كان أصله بلغة قومه هو.

وقد رأيت الجويني ذكر لوقوع المعرب في القرآن فائدة أخرى فقال: إن قيل إن إستبرق ليس بعربيّ وغير العربي من الألفاظ دون العربي في الفصاحة والبلاغة فنقول: لو اجتمع فصحاء العالم وأرادوا أن يتركوا هذه اللفظة ويأتوا بلفظ يقوم مقامها في الفصاحة لعجزوا عن ذلك، وذلك لأن الله تعالى إذا حثّ عباده على الطاعة، فإن لم يرغبهم بالوعد الجميل ويخوّفهم بالعذاب الوبيل لا يكون حثه على وجه الحكمة، فالوعد والوعيد نظرا إلى الفصاحة واجب.

ثم إن الوعد بما يرغب فيه العقلاء وذلك منحصر في أمور الأماكن الطيبة ثم المآكل الشهية ثم المشارب الهنية ثم الملابس الرفيعة ثم المناكح اللذيذة ثم ما بعده مما يختلف فيه الطباع، فإذا ذكر الأماكن الطيبة والوعد به لازم عند الفصيح، ولو تركه لقال من أمر بالعبادة ووعد عليها وبالأكل والشرب إن الأكل والشرب لا ألتذ به إذا كنت في حبس أو موضع كريه، فلذا ذكر الله الجنة ومساكن طيبة فيها، وكان ينبغي أن يذكر من الملابس ما هو أرفعها، وأرفع الملابس في الدنيا الحرير.

وأما الذهب فليس مما ينسج منه ثوب، ثم إن الثوب من غير الحرير لا يعتبر فيه الوزن والثقل، وربما يكون الصفيق الخفيف أرفع من الثقيل الوزن.

وأما الحرير فكلما كان ثوبه أثقل كان أرفع، فحينئذ وجب على الفصيح أن يذكر الأثقل الأثخن ولا يتركه في الوعد لئلا يقصر في الحثّ والدعاء، ثم إن هذا الواجب الذكر إما أن يذكر بلفظ واحد موضوع له صريح، أولا يذكر بمثل هذا.، ولا شك أن الذكر باللفظ الواحد الصريح أولى لأنه أوجز وأظهر في الإفادة وذلك إستبرق، فإن أراد الفصيح أن يترك هذا اللفظ ويأتي بلفظ آخر لم يمكنه، لأن ما يقوم مقامه إما لفظ واحد أو ألفاظ متعددة، ولا يجد العربي لفظا واحداً يدل عليه لأن الثياب من الحرير عرفها العرب من الفرس ولم يكن لهم بها عهد ولا وضع في اللغة العربية للديباج الثخين اسم، وإنما عرّبوا ما سمعوا من العجم واستغنوا به عن الوضع لقلة وجوده عندهم وندرة تلفظهم به.

وأما إن ذكره بلفظين فأكثر فإنه يكون قد أخلّ بالبلاغة، لأن ذكر لفظين بمعنى يمكن ذكره بلفظ تطويل، فعلم بهذا أن لفظ إستبرق يجب على كل فصيح أن يتكلم به في موضعه ولا يجد ما يقوم مقامه، وأيّ فصاحة أبلغ من أن لا يوجد غيره مثله؟ انتهى.

الخلاف في وجود المعرب:

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام بعد أن حكى القول بالوقوع عن الفقهاء والمنع عن أهل العربية: والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعاً، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، لكنها وقعت للعرب فعرّبتها بألسنتها وحوّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال: إنها عربية فهو صادق، ومن قال عجمية فصادق. ومال إلى هذا القول الجواليقي وابن الجوزي وآخرون.

الألفاظ المعربة في القرآن (بالألف) :

وهذا سرد الألفاظ الواردة في القرآن من ذلك مرتبة على حروف المعجم:

(أباريق) حكى الثعالبي في فقه اللغة أنها فارسية. وقال الجواليقي: الإبريق فارسي معرّب، ومعناه طريق الماء، أو صبّ الماء على هينة.(أبّ) قال بعضهم هو: الحشيش بلغة العرب، حكاه شيدلة.(ابلعي) أخرج ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه في قوله تعالى ﴿ابلعي ماءك﴾ قال بالحبشية: ازدرديه: وأخرج أبو الشيخ من طريق جعفر بن محمد عن أبيه قال: اشربي بلغة الهند.(أخلد) قال الواسطي في الإرشاد: أخلد إلى الأرض: ركن بالعبرية.(الأرائك) حكى ابن الجوزي في فنون الأفنان أنها السرر بالحبشية.(آزر) عدّ في المعرب على قول من قال: إنه ليس بعلم لأبي إبراهيم ولا للصنم. وقال ابن أبي حاتم: ذكر عن معتمر بن سليمان قال: سمعت أبي يقرأ ﴿وإذ قالَ إبراهيم لأبيه آزرَ﴾ يعني بالرفع قال: بلغني أنها أعوج، وأنها أشد كلمة قالها إبراهيم لأبيه. وقال بعضهم: هي بلغتهم يا مخطىء.(أسباط) حكى أبو الليث في تفسيره أنها بلغتهم كالقبائل بلغة العرب.(إستبرق) أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك أنه الديباج الغليظ بلغة العجم.(أسفار) قال الواسطي في الإرشاد: هي الكتب بالسريانية. وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال: هي الكتب بالنبطية.(إصري) قال أبو القاسم في لغات القرآن: معناه عهدي بالنبطية. (أكواب) حكى ابن الجوزي أنها الأكواز بالنبطية. وأخرج ابن جرير عن الضحاك أنها بالنبطية، وأنها جرار ليست لها عرى.(إلّ) قال ابن جني: ذكروا أنه اسم الله تعالى بالنبطية (أليم) حكى ابن الجوزي أنه الموجع بالزنجية، وقال شيدلة: بالعبرانية.(إناه) نضجه بلسان أهل المغرب، ذكره شيدلة. وقال أبو القاسم: بلغة البربر. وقال في قوله تعالى ﴿حميم آن﴾ هو الذي انتهى حرّه بها، وفي قوله تعالى ﴿من عين آنية﴾ أي حارّة بها.(أواه) أخرج أبو الشيخ ابن حبان من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: الأوّاه: الموقن بلسان الحبشة. وأخرج ابن أبي حاتم مثله عن مجاهد وعكرمة. وأخرج عن عمرو بن شرحبيل

قـــال: الرحيم بلســـان الحبشـــة. وقـــال الواسطـــي: الأوّاه: الدعـــاء بـالعبريـة. (أوّاب) أخـرج ابـن أبي حـاتم عـن عمـرو بـن شرحبيـل قال: الأوّاب: المسبح بلسان الحبشة، وأخرج ابن جرير عنه في قوله تعالى ﴿أوّبي معه﴾ قال: سبحي بلسان الحبشة.(الأولى والآخرة) قال شيدلة: الجاهلية الأولى: أي الآخرة في الملة الآخرة: أي الأولى بالقبطية، والقبط يسمون الآخرة الأولى والأولى الآخرة، وحكاه الزركشي في البرهان.

المعرب المبدوء (بالباء):

(بطائنها) قال شيدلة في قوله تعالى ﴿بَطائِنُها من استَبرَق﴾ أي ظواهرها بالقبطية، وحكاه الزركشي.(بعير) أخرج الفريابي عن مجاهد في قوله تعالى ﴿كيل بعير﴾ أي كيل حمار. وعن مقاتل أن البعير كل ما يحمل عليه بالعبرانية (بيع) قال الجواليقي في كتاب المعرب: البيعة والكنيسة جعلهما بعض العلماء فارسيين معربين.

المبدوء (بالتاء):

(تنور) ذكر الجواليقي والثعالبي أنه فارسي معرب.(تتبيرا) أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿وَلِيُتَبّروا ما عَلَوْا تَتْبِيرا﴾ قال: تبره بالنبطية.(تحت) قال أبو القاسم في لغات القرآن في قوله تعالى ﴿فناداها من تحتها﴾ أي بطنهـا بالنبطية، ونقل الكرماني في العجائب مثله عن مؤرخ.

المبدوء (بالجيم):

(الجبت) أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: الجبت: اسم الشيطان بالحبشية. وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة قال: الجبت بلسان الحبشة: الشيطان. وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: الجبت: الساحر بلسان الحبشة.(جهنم)

قيل عجمية، وقيل فارسية، وقيل عبرانية أصلها كهنام.

المبدوء (بالحاء) :

(حرم) أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: وحرم: وجب بالحبشية. (حصب) أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿حَصَبُ جهنم﴾ قال: حطب جهنم بالزنجية.(حطة) قيل معناه: قولوا صواباً بلغتهم. (حواريون) أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال: الحواريون: الغسالون بالنبطية، وأصله هواري. (حوب) تقدم في مسائل نافع بن الأزرق عن ابن عباس أنه قال: حوباً: إثماً بلغة الحبشة.

(الدال) :

(دارست) معناه: قارأت بلغة اليهود.(درّي) معناه: المضيء بالحبشية، حكاه شيدلة وأبو القاسم.(دينار) ذكر الجواليقي وغيره أنه فارسي.

(الراء) :

(راعِنا) أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة عن ابن عباس قال: راعنا: سبّ بلسان اليهود.(ربانيون) قال الجواليقي: قال أبو عبيدة: العرب لا تعرف الربانيين وإنما عرفها الفقهاء وأهل العلم. قال: وأحسب الكلمة ليست بعربية، وإنما هي عبرانية أو سريانية، وجزم القاسم بأنها سريانية.(ربيون) ذكر أبو حاتم أحمد بن حمدان اللغوي في كتاب الزينة أنها سريانية.(الرحمن) ذهب المبرّد وثعلب إلى أنه عبراني، وأصله الخاء المعجمة.(الرسّ) في العجائب للكرماني أنه عجمي، ومعناه البئر. (الرقيم) قيل إنه اللوح بالرومية، حكاه شيدلة. وقال أبو القاسم: هو الكتاب بها. وقال الواسطي: هو الدواة بها.(رمزا) عده ابن الجوزي في فنون الأفنان من المعرب. وقال الواسطي: هو تحريك الشفتين بالعبرية

(رهواً) قال أبو القاسم في قوله تعالى ﴿واترك البحَر رَهْواً﴾ أي سهلاً دمثاً بلغة النبط. وقال الواسطي: أي ساكناً بالسريانية.(الروم) قال الجواليقي: هو أعجميّ اسم لهذا الجيل من الناس.

(الزاي):

(زنجبيل) ذكر الجواليقي والثعالبي أنه فارسي.

(السين):

(السجل) أخرج ابن مردويه من طريق أبي الجوزاء عن ابن عباس: قال: السجل بلغة الحبشة: الرجل. وفي المحتسب لابن جني: السجل: الكتاب. قال قوم: هو فارسي معرب.(سجيل) أخرج الفريابي عن مجاهد قال: سجيل بالفارسية أولها حجارة وآخرها طين.(سجين) ذكر أبو حاتم في كتاب الزينة أنه غير عربي.(سرادق) قال الجواليقي: فارسي معرب. وأصله سرادر وهو الدهليز. وقال غيره: الصواب أنه بالفارسية: سرا برده: أي ستر الدار.(سريّ) أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله تعالى ﴿سريّاً﴾ قال: نهراً بالسريانية. وعن سعيد بن جبير بالنبطية، وحكى شيدلة أنه باليونانية.(سفرة) أخرج ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿بأيدي سَفَرة﴾ قال بالنبطية: القراء.(سقر) ذكر الجواليقي أنها عجمية.(سجداً) قال الواسطي في قوله تعالى ﴿وادخلوا الباب سُجَّداً﴾ أي مقنعي الرءوس بالسريانية.(سكرا) أخرج ابن مردويه من طريق العوفى عن ابن عباس قال: السكر بلسان الحبشة: الخل.(سلسبيل) حكى الجواليقي أنه عجمي.(سنا) عدّه الحافظ بن حجر في نظمه ولم أقف عليه لغيره.(سندس) قال الجواليقي: هو رقيق الديباج بالفارسية. وقال الليث: لم يختلف أهل اللغة والمفسرون في أنه معرب. وقال شيدلة: هو بالهندية.(سيدها) قال الواسطي في قوله تعالى ﴿وألفيا سيدها لدى

الباب﴾ أي زوجها بلسان القبط. قال أبو عمرو: لا أعرفها في لغة العرب. (سينين) أخرج ابن أبي حاتم وابن جرير عن عكرمة قال: سينين: الحسن بلسان الحبشة.(سيناء) أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال: سيناء بالنبطية: الحسن.

(الشين):

(شطـر) أخرج ابن أبي حاتم عن رفيع في قوله تعالى ﴿شَطْرَ المسْجِدِ﴾ قال: تلقاءه بلسان الحبش.(شهر) قال الجواليقي: ذكر بعض أهل اللغة أنه بالسريانية.

(الصاد):

(الِصراط) حكى النقاش وابن الجوزي أنه الطريق بلغة الروم، ثم رأيته في كتاب الزينة لأبي حاتم.(صرهن) أخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿فصرهن﴾ قال: هي نبطية فشققهن. وأخرج مثله عن الضحاك. وأخرج ابن المنذر عن وهب بن منبه قال: ما من اللغة شيء إلا منها في القرآن شيء، قيل وما فيه من الرومية قال: ﴿فصرهُن﴾ يقول: قطعهن.(صلوات) قال الجواليقي: هي بالعبرانية كنائس اليهود وأصلها صلوتا. وأخرج ابن أبي حاتم نحوه عن الضحاك.

(الطاء):

(طه) أخرج الحاكم في المستدرك من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿طه﴾ قال: هو كقولك يا محمد بلسان الحبش: وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: طه بالنبطية. وأخرج عن سعيد بن جبير قال: طه: يا رجل بالنبطية. وأخرج عن عكرمة قال: طه: يا رجل بلسان الحبشة (الطاغوت) هو الكاهن بالحبشية.(طفقا) قال بعضهم: معناه قصدا بالرومية، حكاه شيدلة.(طوبى) أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: طوبى

اسم الجنة بالحبشية. وأخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال بالهندية.(طور) أخرج الفريابي عن مجاهد قال: الطور: الجبل بالسريانية. وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك أنه بالنبطية.(طوى) في العجائب للكرماني قيل هو معرب، معناه ليلا، وقيل هو رجل بالعبرانية.

(العين):

(عبدت) قال أبو القاسم في قوله تعالى ﴿عبَّدْتَ بني إسرائيل) معناه: قتلت بلغة النبط.(عدن) أخرج ابن جرير عن ابن عباس أنه سأل كعباً عن قوله تعالى ﴿جنات عدن﴾ قال: جنات الكروم وأعناب بالسريانية، ومن تفسير جويبر أنه بالرومية.(العرم) أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: العرم بالحبشية هي المسناة التي تجمع فيها الماء ثم ينبثق.

(الغين):

(غساق) قال الجواليقي والواسطي: هو البارد المنتن بلسان الترك. وأخرج ابن جرير عن عبدالله بن بريدة قال: الغساق: المنتن، وهو بالطحارية.(غيض) قال ابو القاسم: غيض: نقص بلغة الحبشة.

(الفاء):

(فردوس) أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: الفردوس: بستان بالرومية. وأخرج عن السدي قال: الكرم بالنبطية وأصله فرداسا.(فوم) قال الواسطي: هو الحنطة بالعبرية.

(القاف):

(قراطيس) قال الجواليقي: يقال إن القرطاس أصله غير عربي.(قسط) أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: القسط: العدل بالرومية.(قسطاس) أخرج

الفريابي عن مجاهد قال: القسطاس: العدل بالرومية. وأخرج بن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: القسطاس بلغة الروم الميزان.(قسورة) أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: الأسد يقال له بالحبشية قسورة.(قطنا) قال أبو القاسم معناه كتابنا بالنبطية (قفل) حكى الجواليقي عن بعضهم أنه فارسي معرب.(قمل) قال الواسطي: هو الدبا بلسان العبرية والسريانية. قال أبو عمرو: لا أعرفه في لغة أحد من العرب إنه فارسي معرب.(قنطار) ذكر الثعالبي في فقه اللغة أنه بالرومية اثنا عشر ألف أوقية. وقال الخليل: زعموا أنه بالسريانية ملء جلد ثور ذهباً أو فضة. وقال بعضهم: إنه بلغة بربر ألف مثقال. وقال ابن قتيبة: قيل إنه ثمانية آلاف مثقال بلسان أهل إفريقية.(القيوم) قال الواسطي: هو الذي لا ينام بالسريانية.

(الكاف):

(كافور) ذكر الجواليقي وغيره أنه فارسي معرب.(كفَّر) قال ابن الجوزي: كفر عنا، معناه امح عنا بالنبطية. وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي عمران الجوني في قوله تعالى ﴿كفر عنهم سيئاتهم﴾ قال بالعبرانية: محا عنهم.(كفلين) أخرج ابن أبي حاتم عن أبي موسى الأشعري قال: كفلين: ضعفين بالحبشية.(كنز) ذكر الجواليقي أنه فارسي معرب.(كوّرت) أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: كورت: غوّرت وهي بالفارسية.

(اللام):

(لينة) في الإرشاد للواسطي: هي النخلة. قال الكلبي: لا أعلمها الا بلسان يهود يثرب.

(الميم):

(متكأ) أخرج ابن أبي حاتم عن سلمة بن تمام الشقري قال: متكأ بلسان

الحبش. يسمونَ الترنج متكأ.(مجوس) ذكر الجواليقي أنه أعجمي.(مرجان) حكى الجواليقي عن بعض أهل اللغة أنه أعجمي.(مسك) ذكر الثعالبي أنه فارسي.(مشكاة) أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: المشكاة: الكوة بلغة الحبشة (مقاليد) أخرج الفريابي عن مجاهد قال: مقاليد: مفاتيح بالفارسية. وقال ابن دريد والجواليقي: الإقليد والمقليد: المفتاح فارسي معرب.(مرقوم) قال الواسطي في قوله تعالى ﴿كتاب مرقوم﴾ أي مكتوب بلسان العبرية.(مزجاة) قال الواسطي: مزجاة: قليلة بلسان العجم وقيل بلسان القبط.(ملكوت) أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله تعالى ﴿ملكوت﴾ قال: هو الملك ولكنه بكلام النبطية ملكوتا. وأخرجه أبو الشيخ عن ابن عباس. وقال الواسطي في الإرشاد: هو الملك بلسان النبط (مناص) قال أبو القاسم: معناه فرار بالنبطية.(منسأة) أخرج ابن جرير عن السدي قال: المنسأة: العصا بلسان الحبشة.(منفطر) أخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿السماء منفطر به﴾ قال: ممتلئة به بلسان الحبشة.(مهل) قيل هو عكر الزيت بلسان أهل المغرب، حكاه شيدلة، وقال أبو القاسم: بلغة البربر.

(النون):

(ناشئة) أخرج الحاكم في مستدركه عن ابن مسعود قال ﴿ناشئة الليل﴾ قيام الليل بالحبشية. وأخرج البيهقي عن ابن عباس مثله. (نٓ) حكى الكرمانى في العجائب عن الضحاك أنه فارسي أصله أنون، ومعناه: اصنع ما شئت.

(الهاء):

(هُدْنا) قيل معناه تبنا بالعبرانية، حكاه شيدلة وغيره.(هود) قال الجواليقي: الهود: اليهود أعجمي.(هون) أخرج ابن أبي حاتم عن ميمون بن مهران في قوله تعالى ﴿يمشُون على الأرض هوْناً﴾ قال: حكماء بالسريانية

وأخرج عن الضحاك مثله. وأخرج عن أبي عمران الجوني أنه بالعبرانية (هيت لك) أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: هيت لك: هلم لك بالقبطية. وقال الحسن: هي بالسريانية كذلك، أخرجه ابن جرير: وقال عكرمة: هي بالحورانية، كذلك أخرجه أبو الشيخ. وقال أبو زيد الأنصاري: هي بالعبرانية، وأصله هينلج: أي تعاله.

(الواو):

(وراء) قيل معناه أمام بالنبطية، حكاه شيدلة وأبو القاسم. وذكر الجواليقي أنها غير عربية. (وردة) ذكر الجواليقي أنها غير عربية. (وزر) قال أبو القاسم: هو الجبل والملجأ بالنبطية.

(الياء):

(ياقوت) ذكر الجواليقي والثعالبي وآخرون أنه فارسي. (يحور) أخرج ابن أبي حاتم عن داود بن هند في قوله تعالى ﴿إنه ظَنَّ أن لن يَحُور﴾ قال بلغة الحبشة: يرجع. وأخرج مثله عن عكرمة. وتقدم في أسئلة نافع بن الأزرق عن ابن عباس (يسٓ) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿يسٓ﴾ قال: يا إنسان بالحبشية. وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: يسٓ: يا رجل بلغة الحبشة. (يصدون) قال ابن الجوزي، معناه يضجون بالحبشية. (يصهر) قيل معناه ينضج بلسان أهل المغرب، حكاه شيدلة بالقبطية. (اليمّ) قال ابن قتيبة: اليم: البحر بالسريانية. وقال ابن الجوزي بالعبرانية. وقال شيدلة بالقبطية. (اليهود) قال الجواليقي: أعجمي معرّب، منسوبون إلى يهوذ بن يعقوب، فعرب بإهمال الدال، فهذا ما وقفت عليه من الألفاظ المعربة في القرآن بعد الفحص الشديد سنين، ولم يجتمع قبل في كتاب قبل هذا.

نظم الكلمات المعربة:

وقد نظم القاضي تاج الدين بن السبكي منها سبعة وعشرين لفظاً في أبيات، وذيل عليها الحافظ أبو الفضل ابن حجر بأبيات فيها أربعة وعشرون لفظاً، وذيلت عليهما بالباقي وهو بضع وستون، فتمت أكثر من مائة لفظة، فقال ابن السبكي:

السلسبيل وطه كورت بيع ... روم وطوبى وسجيل وكافور
والزنجبيل ومشكاة سرادق مع ... إستبرق صلوات سندس طور
كذا قراطيس ربانيهم وغسا ... ق ثم دينار القسطاس مشهور
كذاك قسورة واليم ناشئة ... ويؤت كفلين مذكور ومسطور
له مقاليد فردوس يعد كذا ... فيما حكى ابن دريد منه تنور

وقال ابن حجر:

وزدت حرم ومهل والسجل كذا ... السرى والأب ثم الجبت مذكور
وقطنا وإناه ثم متكئا ... دارست يصهر منه فهو مصهور
وهيت والسكر الأواه مع حصب ... وأوبي معه والطاغوت مسطور
صرهن إصرى وغيض الماء مع وزر ... ثم الرقيم مناص والسنا النور

وقلت أيضاً:

وزدت يس والرحمن مع ملكو ... ت ثم سينين شطر البيت مشهور
ثم الصراط ودرّيء يحور ومر ... جان اليم مع القنطار مذكور
وراعنا طفقا هدنا ابلعي ووراء ... والأرائك والأكواب مأثور
هود وقسط وكفر زمرة سقر ... هون يصدون والمنساة مسطور
شهر مجوس وأقفال يهود حوا ... ريون كنز وسجين وتتبير

بعير آزر حـــــوب وردة عـــــرم إلّ ومـن تحتهـا عبـدت والصـــور

ولينـة فـومهـا رهـو واخلـد مـز جـاة وسيـدهـا القيـوم مـــوفـــور

وقمـــــل ثم أسفـــار عني كتبـــا وسجـــــدا ثم ربيـــــون تكثيـــر

وحطـة وطـوى والرس نـون كـذا عدن ومنفطـر الأسبـاط مـذكـور

مسك أباريـق يـاقـوت رووا فهنـا ما فات من عدد الألفـاظ محصـور

وبعضهم عـد الأولى مـع بطـائنهـا والآخـرة لمعـاني الضـد مقصـــور

النوع التاسع والثلاثون: في معرفة الوجوه والنظائر

صنف فيه قديماً مقاتل بن سليمان، ومن المتأخرين ابن الجوزي وابن الدامغاني وأبو الحسين محمد بن عبد الصمد المصري وابن فارس وآخرون.

فالوجوه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الأمة، وقد أفردت في هذا الفن كتاباً سميته [معترك الأقران في مشترك القرآن].

والنظائر: كالألفاظ المتواطئة. وقيل: النظائر في اللفظ، والوجوه في المعاني. وضعف لأنه لو أُريد هذا لكان الجمع في الألفاظ المشتركة، وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة، فيجعلون الوجوه نوعاً لأقسام، والنظائر نوعاً لآخر.

وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجهاً وأكثر وأقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر.

الوجوه والنظائر ضرورية للفقيه:

وذكر مقاتل في صدر كتابه حديثاً مرفوعاً: لا يكون الرجل فقيهاً كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة. قلت: هذا اخرجه ابن سعد وغيره عن أبي الدرداء موقوفاً، ولفظه « لا يفقه الرجل كل الفقه » وقد فسره بعضهم بأن المراد أن يرى اللفظ الواحد يحتمل معاني متعددة فيحمله عليها إذا كانت غيره متضادة

ولا يقتصر به على معنى واحد.

وأشار آخرون إلى أن المراد به استعمال الإشارات الباطنة وعدم الاقتصار على التفسير الظاهر. وقد أخرجه ابن عساكر في تاريخه من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي الدرداء قال: إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً. قال حماد: فقلت لأيوب: أرأيت قوله: حتى ترى للقرآن وجوهاً، أهو أن ترى له وجوهاً فتهاب الإقدام عليه؟ قال: نعم هو هذا.

وأخرج ابن سعد من طريق عكرمة عن ابن عباس أن عليّ بن أبي طالب أرسله إلى الخوارج فقال: اذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجهم بالقرآن فإنه ذو وجوه، ولكن خاصمهم بالسنة. وأخرج من وجه آخر أن ابن عباس قال له: يا أمير المؤمنين فأنا أعلم بكتاب الله منهم، في بيوتنا نزل قال: صدقت، ولكن القرآن حمال ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن خاصمهم بالسنن، فإنهم لم يجدوا عنها محيصاً، فخرج إليهم فخاصمهم بالسنن فلم تبق بأيديهم حجة.

أمثله من الألفاظ المشتركة (الهدى):

وهذه عيون من أمثلة هذا النوع. ومن ذلك: الهدى، يأتي على سبعة عشر وجهاً. بمعنى الثبات: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾. والبيان: ﴿أولئك على هدى من ربهم﴾. والدين: ﴿إن الهدى هدى الله﴾. والإيمان: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾. والدعاء: ﴿ولكل قوم هاد﴾. ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾. وبمعنى الرسل والكتب: ﴿فإما يأتينكم مني هدى﴾. والمعرفة: ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾. وبمعنى النبي ﷺ: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى﴾. وبمعنى القرآن: ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾. والتوراة: ﴿ولقد آتينا موسى الهدى﴾. والاسترجاع: ﴿وأولئك هم المهتدون﴾. والحجة: ﴿لا يهدي القوم الظالمين﴾ بعد قوله تعالى: ﴿ألم تَرَ إلى الذي حَاجَّ إبراهيمَ في

رَبِّهِ﴾ أي لا يهديهم حجة. والتوحيد: ﴿إن نَتّبعِ الهُدَى معك﴾. والسنة: ﴿فبِهُدَاهُم اقْتَدِه﴾ ﴿وإنا على آثارِهم مُهتدون﴾. والإصلاح: ﴿إن اللهَ لا يَهدي كَيدَ الخائنين﴾. والإلهام: ﴿أعطى كُلَّ شَيءٍ خَلْقَه ثم هَدَى﴾: أي ألهم المعاش. والتوبة: ﴿إنا هُدْنَا إليك﴾. والإرشاد: ﴿أن يَهْدِيَني سَوَاءَ السَبيل﴾.

المثال الثاني (السوء):

ومن ذلك: السوء، يأتي على أوجه الشدة: ﴿يَسُومُونَكُم سُوءَ العَذاب﴾. والعقر: ﴿ولا تَمَسُّوها بِسُوء﴾. والزنى: ﴿ما جزاءُ من أرادَ بأهْلِكَ سُوءاً﴾. ﴿ما كان أبوك امرأ سوء﴾. والبرص: ﴿بيضاءَ مِن غَيرِ سُوء﴾. والعذاب: ﴿إن الخزي اليوم والسوء﴾. والشرك: ﴿ما كُنا نَعْمَلُ من سُوء﴾. والشتم: ﴿لا يحبُّ اللهُ الجهرَ بالسُّوء﴾. ﴿وألسِنَتَهم بالسُّوء﴾. والذنب: ﴿يَعْمَلُون السُّوءَ بِجَهَالة﴾. وبمعنى بئس: ﴿ولهم سوءُ الدار﴾. والضرّ: ﴿ويكشف السُّوءَ﴾. ﴿وما مسنى السُّوءَ﴾. والقتل والهزيمة: ﴿لم يَمْسَسْهُم سوء﴾.

المثال الثالث (الصلاة):

ومن ذلك: الصلاة، تأتي على أوجه: الصلوات الخمس ﴿يُقِيمون الصلاة﴾ وصلاة العصر. ﴿يحبسونَهُما من بعدِ الصلاة﴾. وصلاة الجمعة: ﴿إذا نُودِيَ للصلاةِ﴾. والجنازة: ﴿ولا تُصَلِّ على أحدٍ منهم﴾. والدعاء: ﴿وصَلِّ عليهم﴾، والدين: ﴿أصلاتُكَ تَأمُرُك﴾. والقراءة: ﴿ولا تجهَرْ بصلاتك﴾. والرحمة والاستغفار: ﴿إن الله وملائكته يُصَلُّون على النبي﴾. ومواضع الصلاة: ﴿وصَلَوات ومَسَاجد﴾. ﴿لا تَقْرَبُوا الصلاة﴾.

المثال الرابع (الرحمة):

ومن ذلك: الرحمة، وردت على أوجه: الإسلام: ﴿يَختصُّ برحمتِهِ من

يَشَاءُ﴾. والإيمان: ﴿وآتاني رحمةً مِنْ عِنْده﴾. والجنة: ﴿ففي رحمةِ اللهِ هُم فيها خَالِدون﴾. والمطر: ﴿نشراً بينَ يَدَي رحمته﴾. والنعمة: ﴿ولولا فَضْلُ الله عليكُم ورحمته﴾. والنبوّة: ﴿أم عندهم خزائنُ رحمةِ ربِّك﴾. أهم ﴿يَقْسِمُون رَحْمَةَ ربك﴾. والقرآن: ﴿قل بِفَضْلُ الله وبِرَحْمَتِه﴾. والرزق: ﴿خزائِن رحمةِ ربي﴾. والنصر والفتح: ﴿إن أرادَ بِكُم سُوءاً أو أرادَ بِكُم رَحْمة﴾. والعَافية: ﴿أو أرادني بِرَحْمَةٍ﴾ والمودة: ﴿رأفةً ورحمة﴾ ﴿رُحَمَاء بينهم﴾. والسعة: ﴿تخفيف من ربِّكُم ورحمة﴾. والمغفرة: ﴿كَتَبَ على نفسِهِ الرَحْمَةَ﴾. والعصمة: ﴿لا عاصمَ اليومَ من أمرِ اللهِ إلا مَنْ رَحِم﴾.

المثال الخامس (الفتنة):

ومن ذلك: الفتنة: وردت على أوجه. الشِّرك: ﴿والفتنةُ أَشَدُّ من القتل﴾. ﴿حتى لا تكونَ فِتْنة﴾. والإضلال: ﴿وابتغاءَ الفِتنة﴾. والقتل: ﴿أن يَفْتِنَكُمُ الذينَ كَفَرُوا﴾. والصدّ: ﴿واحذَرْهُم أن يفتِنُوك﴾. والضلالة: ﴿ومن يُرِدِ اللهُ فتنَتَهُ﴾. والمعذرة: ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾. والقضاء: ﴿إن هي إلا فِتنتُك﴾. والإثم: ﴿ألا في الفِتنة سَقَطُوا﴾. والمرض: ﴿يُفتنون في كل عام﴾. والعبرة: ﴿لا تَجْعَلْنَا فتنة﴾. والعقوبة: ﴿أن تصيبهُم فِتنة﴾. والاختبار: ﴿ولقد فَتَنا الذين من قبلهم﴾. والعذاب: ﴿جَعَلَ فتنةَ الناسِ كَعَذابِ الله﴾. والإحراق: ﴿يوم هم على النار يُفْتَنُون﴾. والجنون: ﴿بأيِّكُمُ المفتون﴾.

المثال السادس (الروح):

ومن ذلك: الروح: ورد على أوجه، الأمر: ﴿وروح منه﴾، والوحي: ﴿ينزل الملائكة بالروح﴾. والقرآن: ﴿أوحينا إليك رُوحاً من أمرنا﴾. والرحمة: ﴿وأيدهم بروحٍ منه﴾. والحياة: ﴿فَرَوْحٌ ورَيحانٌ﴾. وجبريل: ﴿فأرسلنا إليها رُوحَنا﴾. ﴿نزل به الرُّوحُ الأمين﴾. وملك عظيم: ﴿يومَ يَقُومُ

الرُّوحُ﴾. وجيش من الملائكة: ﴿تنزل الملائكةُ والرُّوحُ فيها﴾. وروح البدن: ﴿ويسألونك عن الرُّوح﴾.

السابع المثال (القضاء):

ومن ذلك: القضاء، ورد على أوجه: الفراغ: ﴿فإذا قَضَيْتُم مَنَاسِكَكم﴾. والأمر: ﴿إذا قضى أمراً﴾. والأجل: ﴿فمنهم من قضى نَحْبَه﴾. والفصل: ﴿لقضي الأمر بيني وبينكم﴾. والمضيّ: ﴿ليقْضِيَ اللهُ أمراً كانَ مَفْعُولا﴾. والهلاك: ﴿لقضي إليهم أجلهم﴾. والوجوب: ﴿قضي الأمر﴾. والإبرام: ﴿في نفسِ يَعْقُوبَ قضاها﴾. والإعلام: ﴿وقَضَيْنَا إلى بني إسرَائيل﴾. والوصية: ﴿وقضى ربُّكَ أن لا تعبُدُوا إلا إياه﴾. والموت: ﴿فقضي عليه﴾. والنزول: ﴿فلما قَضَيْنا عليه الموتَ﴾. والخلق: ﴿فقضاهن سَبْعَ سَمَوات﴾. والفعل: ﴿كلا لما يَقْضِ ما أَمَرَه﴾: يعني حقاً لم يفعل. والعهد: ﴿إذ قَضَيْنا إلى مُوسى الأمر﴾.

المثال الثامن (الذكر):

ومن ذلك: الذكر، ورد على أوجه: ذكر اللسان: ﴿فاذكروا الله كَذِكْرِكُم آباءَكُم﴾. وذكر القلب: ﴿ذكروا الله فاستغفروا لذُنُوبهم﴾. والحفظ: ﴿واذكروا ما فيه﴾. والطاعة والجزاء: ﴿فَاذكُرُوني أذكُرْكُم﴾. والصلوات الخمس: ﴿فإذا أمنتم فاذكُروا الله﴾. والعظة: ﴿فلما نَسُوا ما ذُكِّرُوا به﴾. ﴿وذَكِّر فإن الذِّكرى﴾. والبيان: ﴿أو عَجِبْتُم أن جاءَكم ذكرٌ من رَبّكم﴾. والحديث: ﴿اذكرني عند ربك﴾: أي حدثه بحالي. والقرآن: ﴿ومن أعرض عن ذِكري﴾. ﴿ما يأتيهم من ذكر﴾. والتوراة: ﴿فاسألوا أهلَ الذِّكر﴾. والخبر: ﴿سأتلوا عليكُم منه ذِكرا﴾. والشرف: ﴿وإنه لَذِكرٌ لك﴾. والعيب:

﴿أهذا الذي يَذْكُرُ آلهتكم﴾. واللوح المحفوظ: ﴿من بعد الذكر﴾. والثناء: ﴿وذكروا الله كثيرا﴾. والوحي: ﴿فالتاليات ذِكرا﴾. والرسول: ﴿ذكراً رَسُولاً﴾. والصلاة: ﴿ولذِكرُ اللهِ أكبر﴾. وصلاة الجمعة: ﴿فاسعَوا إلى ذِكرِ الله﴾. وصلاة العصر: ﴿عن ذِكرِ ربي﴾.

المثال التاسع (الدعاء):

ومن ذلك: الدعاء: ورد على أوجه: العبادة: ﴿ولا تدعُ من دونِ اللهِ ما لا ينفعُك ولا يَضرُّك﴾. والاستعانة: ﴿وادعوا شُهدَاءَكُم﴾. والسؤال: ﴿ادعُوني أَسْتَجبْ لَكُم﴾. والقول: ﴿دَعْواهم فيها سُبحَانك اللهم﴾. والنداء: ﴿يومَ يَدْعوكُم﴾. والتسمية: ﴿لا تجعلوا دعاءَ الرسولِ بينكم كدُعاءِ بعضِكم بعضا﴾.

المثال العاشر (الإحصان):

ومن ذلك: الإحصان: ورد على أوجه: العفة: ﴿والذين يرمون المحصنات﴾. والتزوّج: ﴿فإذا أحصنّ﴾. والحرية: ﴿نِصْف ما على المحصَنَات من العَذَاب﴾.

تعدد اللفظ واتحاد المعنى مع استثناء:

(فصل) قال ابن فارس في كتاب الأفراد: كل ما في القرآن من ذكر الأسف فمعناه الحزن إلا ﴿فلما آسفُونا﴾ فمعناه: أغضبونا.

وكل ما فيه من ذكر البروج فهي الكواكب إلا ﴿ولو كُنتم في بروج مُشَيدَة﴾ فهي القصور الطوال الحصينة.

وكل ما فيه من ذكر البر والبحر، فالمراد بالبحر الماء، وبالبر التراب اليابس

إلا ﴿ظهر الفساد في البرّ والبحر﴾ فالمراد به البرية والعمران.

وكل ما فيه من بخس فهو النقص إلا ﴿بثَمَنٍ بخس﴾ أي حرام.

وكل ما فيه من البعل فهو الزوج إلا ﴿أتَدعُون بَعْلاً﴾ فهو الصنم.

وكل ما فيه من البكم فالخرس عن الكلام بالإيمان ﴿إلا عُميا وبُكما وصُما﴾ في الإسراء ﴿وأحدهما أبكم﴾ في النحل، فالمراد به عدم القدرة على الكلام مطلقا.

وكل ما فيه جثيا فمعناه: جميعا إلا ﴿وترى كُلَّ أمةٍ جَاثية﴾ فمعناه: تجثو على ركبها. وكل ما فيه من حسبانا فهو العدد إلا ﴿حسبانا من السماء﴾ في الكهف فهو العذاب.

وكل ما فيه حسرة فالندامة إلا ﴿ليجعلَ اللهُ ذلك حَسْرةً في قُلُوبِهم﴾ فمعناه: الحزن.

وكل ما فيه من الدحض فالباطل إلا ﴿فكانَ مِن المُدْحَضِين﴾ فمعناه: من المقروعين.

وكل ما فيه من رجز فالعذاب إلا ﴿والرّجْزَ فاهْجُر﴾ فالمراد به الصنم.

وكل ما فيه من ريب فالشك إلا ﴿رَيب المنون﴾ يعني حوادث الدهر.

وكل ما فيه من الرجم فهو القتل إلا ﴿لأَرجُمنَّكَ﴾ فمعناه: لأشتمنك ﴿ورجماً بالغيب﴾ أي ظنًّا.

وكل ما فيه من الزور فالكذب مع الشرك إلا ﴿مُنكَراً من القولِ وزُورًا﴾ فإنه كذب غير الشرك.

وكل ما فيه من زكاة فهو المال إلا ﴿وحَناناً من لَدُنا وزكاة﴾ أي طهرة.

وكل ما فيه من الزيغ فالميل إلا ﴿وإذ زاغتِ الأَبْصَار﴾ أي شخصت.

وكل ما فيه من سخر فالاستهزاء إلا ﴿سِخْرِيا﴾ في الزخرف فهو من التسخير والاستخدام.

وكل سكينة فيه طمأنينة إلا التي في قصة طالوت، فهو شيء كرأس الهرة له جناحان.

وكل سعير فيه فهو النار والوقود إلا ﴿في ضَلال وسُعُر﴾ فهو العناء.

وكل شيطان فيه فإبليس وجنوده إلا ﴿وإذا خَلَوْا إلى شياطينهم﴾.

وكل شهيد فيه غير القتلى فمن يشهد في أمور الناس إلا ﴿وادعوا شهدَاءَكُم﴾ فهو شركاؤكم.

وكل ما فيه من أصحاب النار فأهلها إلا ﴿وما جَعْلنا أصحابَ النارِ إلا مَلائكة﴾ فالمراد خزنتها.

وكل صلاة فيه عبادة ورحمة، إلا ﴿وصَلَوات ومَسَاجِد﴾: فهي الأماكن.

وكل صمم فيه ففي سماع الإيمان والقرآن خاصة إلا الذي في الإسراء.

وكل عذاب فيه فالتعذيب إلا ﴿وليشهدْ عَذَابَهُما﴾ فهو الضرب.

وكل قنوت فيه طاعة إلا ﴿كلٌّ له قَانِتُون﴾ فمعناه: مقرون.

وكل كنز فيه مال إلا الذي في الكهف فهو صحيفة علم.

وكل مصباح فيه كوكب إلا الذي في النور فالسراج.

وكل نكاح فيه تزوّج إلا ﴿حتى إذ بَلَغُوا النكاح﴾ فهو الحلم.

وكل نبأ فيه خبر إلا ﴿فعَمِيتْ عليهم الأنباء﴾ فهي الحجج.

وكل ورود فيه دخول إلا ﴿ولما وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ﴾ يعني هجم عليه ولم يدخله.

وكل ما فيه من ﴿لا يُكَلِّفُ الله نَفْساً إلا وسعَها﴾ فالمراد منه العمل إلا التي في الطلاق فالمراد منه النفقة.

وكل يأس فيه قنوط إلا التي في الرعد فمن العلم.

وكل صبر فيه محمود إلا ﴿لولا أن صَبَرنا عَليها﴾. ﴿واصبرُوا على آلهَتَكُم﴾ هذا آخر ما ذكره ابن فارس.

من الالفاظ التي انفردت بمعنى جانبي:

وقال غيره: كل صوم فيه فمن العبادة إلا ﴿نذرتُ للرحمنِ صَوْماً﴾ أي صمتاً.

وكل ما فيه من الظلمات والنور فالمراد الكفر والايمان إلا التي في أول الأنعام فالمراد ظلمة الليل ونور النهار.

وكل إنفاق فيه فهو الصدقة إلا ﴿فآتوا الذينَ ذَهَبتْ أزواجُهُم مِثلَ ما أنْفَقُوا﴾ فالمراد به المهر.

وقال الداني: كل ما فيه من الحضور فهو بالضاد من المشاهدة إلا موضعا واحدا فإنه بالظاء من الاحتظار وهو المنع، وهو قوله تعالى: ﴿كهشيمِ المحْتَظِرِ﴾.

وقال ابن خالويه: ليس في القرآن بعد بمعنى قبل إلا حرف واحد ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر﴾. قال مغلطاي في كتاب الميسر: قد وجدنا حرفاً آخر وهو قوله تعالى: ﴿والأرضَ بعدَ ذلك دَحَاها﴾ قال أبو موسى في

كتاب المغيث: معناه هنا قبل، لأنه تعالى خلق الأرض في يومين ثم استوى إلى السماء، فعلى هذا خلق الأرض قبل خلق السماء انتهى.

الصحابة يتعرضون لهذا النوع من الألفاظ:

قلت: قد تعرّض النبي ﷺ والصحابة والتابعون لشيء من هذا النوع. فأخرج الإمام أحمد في مسنده وابن أبي حاتم وغيرُهما من طريق دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة» هذا إسناده جيد وابن حبان يصححه.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: كل شيء في القرآن أليم فهو الموجع.

وأخرج من طريق عليّ ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: كل شيء في القرآن قتل فهو لعن.

وأخرج من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: كل شيء في كتاب الله من الرجز: يعني به العذاب. وقال الفريابي: حدثنا قيس عن عمار الذهبي عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: كل تسبيح في القرآن صلاة، وكل سلطان في القرآن حجة. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال كل شيء في القرآن الدين فهو الحساب.

وأخرج ابن الأنباري في كتاب الوقف والابتداء من طريق السدي عن أبي مالك عن ابن عباس قال: كل ريب شك إلا مكاناً واحداً في والطور: ﴿رَيْبَ المَنُونِ﴾ يعني حوادث الأمور.

وأخرج ابن أبي حاتم وغيره عن أبيّ بن كعب قال: كل شيء في القرآن من الرياح فهي رحمة، وكل شيء فيه من الريح فهو عذاب.

التابعون يتعرضون للألفاظ القرآنية ومعانيها:

وأخرج عن الضحاك قال: كل كأس ذكره الله في القرآن إنما عنى به الخمر. وأخرج عنه قال: كل شيء في القرآن فاطر فهو خالق. وأخرج عن سعيد بن جبير قال: كل شيء في القرآن إفك فهو كذب. وأخرج عن أبي العالية قال: كل آية في القرآن في الأمر بالمعروف فهو الإسلام، والنهي عن المنكر فهو عبادة الأوثان.

وأخرج عن أبي العالية قال: كل آية في القرآن يذكر فيها حفظ الفرج فهو من الزنى إلا قوله تعالى: ﴿قل لِلمُـؤمِنين يَغُضُّـوا مـن أبصـارهـم ويَحْفَظُـوا فُروجَهُم﴾ فالمراد أن لا يراها أحد، وأخرج عن مجاهد قال: كل شيء في القرآن ﴿إن الإنسانَ لَكَفُور﴾ إنما يعني به الكفار. وأخرج عن عمر بن عبد العزيز قال: كل شيء في القرآن [خلود] فإنه لا توبة له. وأخرج عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: كل شي في القرآن يقدر فمعناه يقل. وأخرج عنه قال: [التزكي] في القرآن كله الإسلام. وأخرج عن أبي مالك قال: [وراء] في القرآن: أمام كله غير حرفين ﴿فمن ابتغى وراء ذلك﴾ يعني سوى ذلك ﴿وأحَلَّ لكم ما وراءَ ذلِكُم﴾ يعني سوى ذلكم. وأخرج عن أبي بكر بن عياش قال: ما كان [كِسَفاً] فهو عذاب، وما كان [كَسفاً] فهو قطع السحاب. وأخرج عن عكرمة قال: ما صنع الله فهو السد، وما صنع الناس فهو السد. وأخرج ابن جرير عن أبي روق قال: كل شيء في القرآن [جعل] فهو خلق. وأخرج عن مجاهد قال: [المباشرة] في كل كتاب الله: الجماع. وأخرج عن أبي زيد قال: كل شيء في القرآن [فاسق] فهو كاذب إلا قليلا. وأخرج ابن المنذر عن السدي قال: ما كان في القرآن [حنيفا]: مسلما، وما كان في القرآن [حنفاء]: مسلمين حجاجا.

وأخرج عن سعيد بن جبير قال: [العفو] في القرآن على ثلاثة أنحاء: نحو: - تجاوز عن الذنب - ونحو في القصد في النفقة ﴿ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو﴾ ونحو الإحسان فيما بين الناس ﴿إلا أن يعفون﴾ ﴿أو يعفو الذي بيده عُقْدَة النكاح﴾ وفي صحيح البخاري قال سفيان بن عيينة: ما سمى الله [المطر] في القرآن إلا عذاباً، وتسمية العرب الغيث. قلت: استثني من ذلك ﴿إن كان بكم أذى من مَطَرٍ﴾ فإن المراد به الغيث قطعاً. وقال أبو عبيدة: إذا كان في العذاب فهو أمطرت، وإذا كان في الرحمة فهو مطرت.

[فرع] أخرج أبو الشيخ عن الضحاك قال: قال لي ابن عباس: احفظ عني كل شيء في القرآن: ﴿وما لهم في الأَرْضِ من وليٍّ ولا نَصِيرٍ﴾ فهو للمشركين، فأما المؤمنون فما أكثر أنصارهم وشفعاءهم.

وأخرج سعيد بن منصور عن مجاهد قال: كل [طعام] في القرآن فهو نصف صاع. وأخرج ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه قال: كل شيء في القرآن [قليل] [وإلا قليل] فهو دون العشرة. وأخرج عن مسروق قال: ما كان في القرآن على صلاتهم يحافظون، حافظوا على الصلوات فهو على مواقيتها. وأخرج عن سفيان ابن عيينة قال: كل شيء في القرآن [ومايُدرِيك] فلم يخبر به، وما أدراك فقد أخبر به.

وأخرج عنه قال: كل [مكر] في القرآن فهو عمل. وأخرج عن مجاهد قال: ما كان في القرآن [قتل لعن] فإنما عنى به الكافر. وقال الراغب في مفرداته: قيل كل شيء ذكره الله بقوله: [وما أدراك] فسره، وكل شيء ذكره بقوله [وما يدريك] تركه. وقد ذكر ﴿وما أدْراك ماسجّين﴾ ﴿وما أدرك ما عِلّيُون﴾ ثم فسر الكتاب، لا السجين ولا العليون، وفي ذلك نكتة لطيفة انتهى ولم يذكرها وبقيت أشياء تأتي في النوع الذي يلي هذا إن شاء الله تعالى.

النوع الأربعون

في معرفة معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسر، وأعني بالأدوات الحروف وما شاكلها من الأسماء والأفعال والظروف

دقائق معاني الأدوات:

أعلم أن معرفة ذلك من المهمات المطلوبة لاختلاف مواقعها، ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها كما في قوله تعالى: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هُدًى أو في ضَلالٍ مُبين﴾ فاستعملت على في جانب الحق وفي جانب الضلال لأن صاحب الحق مستعمل يصرف نظره كيف شاء، وصاحب الباطل كأنه منغمس في ظلام منخفض لا يدري أين يتوجه.

وقوله تعالى: ﴿فابعثوا أحدَكُم بِوَرِقِكُم هذه إلى المدينة فلينْظُرْ أيها أزكَى طَعاماً فليأتِكُم بِرزْق منه وليتَلَطَّفْ﴾ عطف على الجملة الأولى بالفاء والأخيرة بالواو ولما انقطع نظام الترتيب، لأن التلطف غير مرتب على الإتيان بالطعام كما كان الإتيان به مترتباً على النظر فيه مترتباً على التوجه في طلبه، والتوجه في طلبه مترتباً على قطع الجدال في المسألة عن مدة اللبث وتسليم العلم له تعالى.

وقوله تعالى: ﴿إنما الصدقاتُ للفقراءِ﴾ الآية، عدل عن اللام إلى في الأربعة الأخيرة إيذاناً إلى أنهم أكثر استحقاقاً للمتصدق عليهم بمن سبق ذكره باللام، لأن [في] للوعاء، فنبه باستعمالها على أنهم أحقاء بأن يجعلوا مظنة لوضع

الصدقات فيهم كما يوضع الشيء في وعاء مستقراً فيه. وقال الفارسي: إنما قال وفي الرقاب ولم يقل وللرقاب، ليدل على أن العبد لا يملك.

وعن ابن عباس قال: الحمد لله الذي قال: ﴿عن صلاتِهم ساهُون﴾ ولم يقل في صلاتهم، وسيأتي ذكر كثير من أشباه ذلك؛ وهذا سردها مرتب على حروف المعجم، وقد أفرد هذا النوع بالتصنيف خلائق من المتقدمين كالهروي في الأزهية، والمتأخرين كابن أم قاسم في الجنيّ الداني.

الأدوات المبدوءة بالهمزة:

(الهمزة) تأتي على وجهين. أحدهما: الاستفهام، وحقيقته طلب الإفهام، وهي أصل أدواته ومن ثم اختصت بأمور:

أحدها: جواز حذفها كما سيأتي في النوع السادس والخمسين.

ثانيها: أنها ترد لطلب التصوّر والتصديق، بخلاف هل، فإنها للتصديق خاصة، وسائر الأدوات للتصوّر خاصة.

ثالثها: أنها تدخل على الإثبات نحو ﴿أكان للناس عجباً﴾ ﴿آلذكرين حرّم﴾ وعلى النفي نحو ﴿ألم نَشْرَحْ﴾ وتفيد حينئذ معنيين: أحدهما التذكير والتنبيه كالمثال المذكور، وكقوله تعالى: ﴿ألم تَرَ إلى ربِّكَ كيفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ والآخر التعجب من الأمر العظيم كقوله تعالى: ﴿ألم تَرَ إلى الذين خَرَجُوا من ديارِهم وهمُ أُلوفٌ حَذَرَ الموت﴾ وفي كلا الحالين هي تحذير نحو: ﴿ألم نُهْلِكِ الأوّلين﴾.

رابعها: تقديمها على العاطف تنبيهاً على أصالتها في التصدير نحو: ﴿أو كُلّما عاهدوا عهدا﴾ ﴿أفأمن أَهْلُ القُرى﴾ ﴿أثم إذا ما وقع﴾، وسائر أخواتها يتأخر عنه كما هو قياس جميع أجزاء الجملة المعطوفة نحو ﴿فكيف تتقون﴾

﴿فأين تَذْهَبُون﴾ ﴿فأنى تُؤفَكُون﴾ ﴿فهل يَهْلِك﴾ ﴿فأي الفريقين﴾ ﴿فما لكم في المنافقين﴾.

خامسها: أنه لا يستفهم بها حتى يهجس في النفس إثبات ما يستفهم عنه، بخلاف هل فإنه لما يترجح عنده فيه نفي ولا إثبات، حكاه أبو حيان عن بعضهم.

سادسها: أنها تدخل على الشرط نحو: ﴿أفإن متّ فهُمُ الخالدون﴾ ﴿أفإن مَاتَ أو قُتِلَ انقلبتُم﴾ بخلاف غيرها. وتخرج عن الاستفهام الحقيقي فتأتي لمعان تذكر في النوع السابع والخمسين.

[فائدة] إذا دخلت على رأيت امتنع أن تكون من رؤية البصر أو القلب وصار بمعنى أخبرني قنبل، وقد تبدل هاء وخرج على ذلك قراءة قنبل ﴿ها أنتم هؤلاء﴾ بالقصر، وقد تقع في القسم. ومنه مما قرىء ﴿ولا نكتم شهادة - بالتنوين - الله﴾ بالمد الثاني من وجهي الهمزة أن تكون حرفاً ينادى به القريب وجعل منه القراءة قوله تعالى ﴿أمَّن هُو قانتٌ آناءَ الليلِ﴾ على قراءة تخفيف الميم: أي يا صاحب هذه الصفات. قال ابن هشام: ويبعده أنه ليس في التنزيل نداء بغير يا، ويقرّبه سلامته من دعوى المجاز إذ لا يكون الاستفهام منه تعالى على حقيقته ومن دعوى كثرة الحذف إذ التقدير عند من جعلها للاستفهام: أمن هو قانتٌ خيرٌ ام هذا الكافر: أي المخاطب بقوله ﴿قل تَمَتَّعْ بِكُفْرك قليلاً﴾ فحذف شيئان: معادل الهمزة والخبر.

أحد وواحد والفرق بينهما:

(أحد) قال أبو حاتم في كتاب الزينة: هو اسم أكمل من الواحد، ألا ترى أنك إذا قلت فلان لا يقوم له واحد جاز في المعنى أن يقوم اثنان فأكثر،

بخلاف قولك لا يقوم له أحد. وفي الأحد خصوصية ليست في الواحد، تقول ليس في الدار واحد، فيجوز أن يكون من الدواب والطير والوحش والإنس فيعم الناس وغيرهم. بخلاف ليس في الدار أحد، فإنه مخصوص بالآدميين دون غيرهم.

قال: ويأتي الأحد في كلام العرب بمعنى الأول وبمعنى الواحد، فيستعمل في الإثبات وفي النفي نحو ﴿قل هُو اللهُ أحَد﴾ أي واحد وأول ﴿فابعثوا أحَدَكُم بوَرِقِكُم﴾ وبخلافهما فلا يستعمل إلا في النفي، تقول: ما جاءني من أحد، ومنه ﴿أيحسبُ أن لَنْ يقْدِرَ عليه أحَدٌ﴾ ﴿أن لم يَرَهُ أحَد﴾. ﴿فما مِنْكُمُ مِن أحَدٍ﴾ ﴿ولا تُصَلِّ على أحَدٍ﴾.

وواحد يستعمل فيهما مطلقاً وأحد يستوي فيه المذكر والمؤنث، قال تعالى ﴿لستُنَّ كأحدٍ من النِساءِ﴾ بخلاف الواحد فلا يقال كواحد من النساء بل كواحدة.

وأحد يصلح في الإفراد والجمع. قلت: ولهذا وصف به في قوله تعالى ﴿فما مِنكُم من أحدٍ عنه حاجزين﴾ بخلاف الواحد والأحد له جمع من لفظه وهو الأحدون والآحاد، وليس للواحد جمع من لفظه، فلا يقال واحدون بل اثنان وثلاثة.

والأحد ممتنع الدخول في الضرب والعدد والقسمة وفي شيء من الحساب، بخلاف الواحد انتهى ملخصاً.

وقد تحصل من كلامه بينهما سبعة فروق. وفي أسرار التنزيل للبارزي في سورة الإخلاص. فإن قيل: المشهور في كلام العرب أن الأحد يستعمل بعد النفي والواحد بعد الإثبات. قلنا: قد اختار أبو عبيد أنهما بمعنى واحد، وحينئذ فلا يختص أحدهما بمكان دون الآخر وإن غلب استعمال أحد في النفي. ويجوز

أن يكون العدول هنا عن الغالب رعاية للفواصل انتهى.

وقال الراغب في مفردات القرآن: أحد يستعمل على ضربين: أحدهما في النفي فقط. والآخر في الإثبات. فالأول لاستغراق جنس الناطقين ويتناول الكثير والقليل، ولذلك صح أن يقال ما من أحد فاضلين كقوله تعالى ﴿فما مِنْكُم من أحدٍ عنه حاجزين﴾ والثاني على ثلاثة أوجه: الأول المستعمل في العدد مع العشرات نحو أحد عشر وأحد وعشرون. والثاني المستعمل مضافاً إليه بمعنى الأول نحو ﴿أما أحدكما فَيَسقِي ربَّهُ خَمراً﴾ والثالث المستعمل وصفا مضافاً، ويختص بوصف الله نحو ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أحَد﴾ وأصله وحد، إلا أن وحداً يستعمل في غيره اهـ.

(إذ) وما تحمل من معان:

(إذ) ترد على أوجه. أحدها: أن تكون اسماً للزمن الماضي وهو الغالب، ثم قال الجمهور: لا تكون إلاّ ظرفاً نحو ﴿فقد نَصَرَهُ اللهُ إذ أخْرَجَهُ الذينَ كَفَرُوا﴾ أو مضافاً إليها الظرف نحو ﴿بَعْدَ إذ هَدَيْتَنَا﴾ ﴿يومئذٍ تُحدِّثُ﴾ ﴿وأنتم حيئَنذٍ تَنْظُرون﴾.

وقال غيرهم: تكون مفعولاً به نحو ﴿واذكروا إذ كُنتم قليلاً﴾ وكذا المذكورة في أوائل القصص كلها مفعول به بتقدير اذكروا بدلا منه نحو ﴿واذكرْ في الكتاب مَرْيم إذِ انتبذَتْ﴾ فإذ بدل اشتمال من مريم على حد البدل في ﴿يسألونكَ عن الشهْرِ الحَرام قِتَالٌ فيه﴾ ﴿اذكروا نعمةَ اللهِ عليكم إذ جَعَلَ فِيكم أنبياء﴾ أي اذكروا النعمة التي هي الجعل المذكور فهي بدل كل من كل، والجمهور يجعلونها في الأول ظرفاً لمفعول محذوف: أي واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم قليلاً. وفي الثاني ظرف لمضاف إلى مفعول محذوف: أي واذكر قصة مريم، ويؤيد ذلك التصريح به في ﴿واذكروا نعمة اللهِ عليكم اذ كنتم أعَداءً﴾.

وذكر الزمخشري أنها تكون مبتدأ، وخرج عليه قراءة بعضهم لمن منّ الله على المؤمنين قال: التقدير منه إذ بعث، فإذ في محل رفع كإذا في قولك أخطب ما يكون الأمير إذا كان قائماً: أي لمن منّ الله على المؤمنين وقت بعثه انتهى.

قال ابن هشام: ولا نعلم بذلك قائلاً. وذكر كثير أنها تخرج عن المضي إلى الاستقبال نحو ﴿يومئذٍ تُحَدِّثُ أخبارها﴾ والجمهور أنكروا ذلك وجعلوا الآية من باب ﴿ونُفِخَ في الصُّور﴾: أعني من تنزيل المستقبل الواقع منزلة الماضي الواقع. واحتج المثبتون منهم ابن مالك بقوله تعالى ﴿فسوفَ يعلمون إذ الأغلال في أعناقِهم﴾ فإن يعلمون مستقبل لفظاً ومعنى لدخول حرف التنفيس عليه، وقد عمل في إذ فيلزم أن تكون بمنزلة إذا. وذكر بعضهم أنها تأتي للحال نحو ﴿ولا تعملون من عملٍ إلا كنا عليكم شُهوداً إذ تفيضون فيه﴾ أي حين تفيضون فيه.

[فائدة] أخرج ابن أبي حاتم من طريق السدي عن أبي مالك قال: ما كان في القرآن إن بكسر الألف فلم يكن، وما كان إذ فقد كان.

الوجه الثاني: أن تكون للتعليل نحو ﴿ولن يَنفعَكُم اليومَ إذ ظَلَمْتُمْ أنكم في العذاب مُشْتَرِكُون﴾ أي ولن ينفعكم اليوم إشراككم في العذاب لأجل ظلمكم في الدنيا. وهل هي حرف بمنزلة لام العلة أو ظرف بمعنى وقت، والتعليل مستفاد من قوة الكلام لا من اللفظ، قولان المنسوب إلى سيبويه الأول، وعلى الثاني في الآية إشكال لأن إذ لا تبدل من اليوم لاختلاف الزمانين ولا تكون ظرفاً لينفع لأنه لا يعمل في ظرفين ولا المشتركون لأن معمول خبر إن وأخواتها لا يقدم عليها، ولأن معمول الصلة لا يتقدم على الموصول، ولأن إشراكهم في الآخرة لا في زمن ظلمهم، ومما حمل على التعليل ﴿وإذ لم يَهْتَدُوا به فَسَيَقُولُونَ هذا إفكٌ قَدِيم﴾.

﴿وإذ اعتزلتُمُوهم وما يعبُدون إلا اللهَ فَأْوُوا إلى الكَهْفِ﴾ وأنكر الجمهور هذا القسم وقالوا: التقدير بعد إذ ظلمتم. وقال ابن جني: راجعت أبا علي مراراً في قوله تعالى: ﴿ولن ينفعَكُمُ اليومَ﴾ الآية مستشكلاً إبدال إذ من اليوم، فآخر ما تحصل منه أن الدنيا والآخرة متصلتان، وأنهما في حكم الله سواء فكان اليوم ماض وانتهى.

الوجه الثالث: التوكيد بأن تحمل على الزيادة، قاله أبو عبيدة وتبعه ابن قتيبة، وحملا عليه آيات منها ﴿وإذ قال ربُّكَ للملائكة﴾.

الرابع: التحقيق كقد، وحملت عليه الآية المذكورة، وجعل منه السهيلي قوله ﴿بعد إذ أنتم مسلمون﴾ قال ابن هشام: وليس القولان بشيء.

[مسألة] تلزم إذ الإضافة إلى جملة: إما اسمية نحو ﴿اذكروا إذ أنتم قليلٌ﴾ أو فعلية فعلها ماض لفظاً ومعنى نحو ﴿وإذ قالَ ربُّكَ للملائكة﴾ ﴿وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه﴾ أو معنى لا لفظاً نحو ﴿وإذ تقولُ للذي أنعمَ اللهُ عليه﴾ وقد اجتمعت الثلاثة في قوله تعالى ﴿إلا تنصرُوه فقد نَصَره اللهُ إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغارِ إذْ يَقُول لصاحبِه﴾ وقد تحذف الجملة للعلم بها ويعوّض عنها التنوين وتكسر الذال لالتقاء الساكنين نحو ﴿ويومئذٍ يفرحُ المؤمنونَ﴾ ﴿وأنتم حينئذٍ تَنْظُرون﴾ وزعم الأخفش أن إذ في ذلك معربة لزوال افتقارها إلى الجملة، وأن الكسرة إعراب لأن اليوم والحين مضاف إليها. وردّ بأن بناءها لوضعها على حرفين، وبأن الافتقار باق في المعنى كالموصول تحذف صلته.

(اذا) ومعانيها:

(إذا) على وجهين. أحدهما: أن تكون للمفاجأة فتختص بالجمل الاسمية ولا تحتاج لجواب ولا تقع في الابتداء، ومعناها الحال لا الاستقبال نحو ﴿فألقاها

فإذا هي حية تُسعَى﴾ ﴿فلما أنجاهم إذا هُم يَبغُون﴾ ﴿وإذا أذَقْنَا الناس رحمةً من بعد ضَرَّاءَ مستهُم إذا لهم مكر في آياتنا﴾ قال ابن الحاجب: ومعنى المفاجأة حضور الشيء معك في وصف من أوصافك الفعلية تقول: خرجت فإذا الأسد بالباب، فمعناه: حضور الأسد معك في زمن وصفك بالخروج أو مكان خروجك، وحضوره معك في مكان خروجك ألصق بك من حضوره في خروجك، لأن ذلك المكان يخصك دون ذلك الزمان، وكل ما كان ألصق كانت المفاجأة فيه أقوى.

واختلف في إذا هذه، فقيل انها حرف، وعليه الأخفش ورجحه ابن مالك. وقيل ظرف مكان، وعليه المبرد ورجحه ابن عصفور. وقيل ظرف زمان، وعليه الزجاج، ورجحه الزمخشري وزعم أن عاملها فعل مقدر مشتق من لفظ المفاجأة قال: التقدير ثم إذا دعاكم فاجأتم الخروج في ذلك الوقت. قال ابن هشام: ولا يعرف ذلك لغيره، وإنما يعرف ناصبها عندهم الخبر المذكور أو المقدر. قال: ولم يقع الخبر معها في التنزيل إلا مصرحاً به.

الثاني: أن تكون لغير المفاجأة، فالغالب أن تكون ظرفاً للمستقبل مضمنة معنى الشرط، وتختص بالدخول على الجمل الفعلية وتحتاج لجواب، وتقع في الابتداء عكس الفجائية، والفعل بعدها إما ظاهر نحو ﴿إذا جاءَ نصرُ الله﴾ أو مقدر نحو ﴿إذا السماءُ انشقت﴾ وجوابها إما فعل نحو ﴿فإذا جاء أمرُ اللهِ قضى بالحق﴾ وجملة اسمية مقرونة بالفاء نحو ﴿فإذا نُقِرَ في الناقور فذلك يومئذٍ يومٌ عَسير﴾ ﴿فإذا نفخَ في الصُور فلا أنساب﴾ أو فعلية طلبية كذلك نحو ﴿فسبحْ بِحَمْدِ ربكِ﴾ أو اسمية مقرونة بإذا الفجائية نحو ﴿إذا دعاكم دعوةً من الأرض إذا أنتم تخرُجون﴾ ﴿فإذا أصاب به من يشاءُ من عباده إذا هم يَسْتبشِرُون﴾ وقد يكون مقدر الدلالة ما قبله عليه أو لدلالة المقام، وسيأتي في أنواع الحذف.

وقد تخرج إذا عـن الظـرفيـة. قـال الأخفش في قـولـه تعـالى ﴿حتى إذا جَاءوها﴾ أن إذا جرّ بحتي. وقال ابن جني في قوله تعالى ﴿إذا وقَعتِ الواقِعَة﴾ الآية فيمن نصب خافضة رافعة أن إذا الأولى مبتدأ، والثانية خبر، والمنصوبان حالان. وكذا جملة ليس ومعمولاها، والمعنى: وقت وقوع الواقعة خافضة لقوم رافعة لآخرين هو وقت رجّ الأرض.

والجمهور أنكروا خروجها عن الظرفية وقالوا في الآية الأولى: إن حتى حرف ابتداء داخل على الجملة بأسرها ولا عمل له، وفي الثانية أن إذا الثانية بدل من الأولى، والأولى ظرف وجوابها محذوف لفهم المعنى وحسنه طول الكلام وتقديره بعد إذا الثانية: أي انقسمتم أقساماً وكنتم أزواجاً ثلاثة.

وقد تخرج عن الاستقبال فترد للحال نحو ﴿والليل إذا يغْشَى﴾ فإن الغشيان مقارن الليل ﴿والنهار إذا تجلى﴾ ﴿والنجم إذا هوى﴾ وللماضي نحو ﴿وإذا رأوا تجارةً أو لهواً﴾ الآية، فإن الآية نزلت بعد الرؤية والانفضاض وكذا قوله تعالى ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه﴾ ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس﴾ ﴿حتى إذا ساوى بين الصَدَفَين﴾ وقد تخرج عن الشرطية نحو ﴿وإذا ما غضِبُوا هم يغفرون﴾ ﴿والذين إذا أصابَهُمْ البغيُ هم يَنْتَصِرُون﴾ فإذا في الآية ظرف لخبر المبتدأ بعدها. ولو كانت شرطية والجملة الاسمية جواباً لاقترنت بالفاء. وقول: بعضهم: إنه على تقديرها مردود بأنها لا تحذف إلا لضرورة. وقول آخر: إن الضمير توكيد لا مبتدأ، أو أن ما بعده الجواب تعسف. وقول آخر: جوابها محذوف مدلول عليه بالجملة بعدها تكلف من غير ضرورة.

[تنبيهات: الأول] المحققون على أن ناصب إذا شرطها، والأكثرون أنه ما في جوابها من فعل أو شبهة.

الثاني: قد تستعمل إذا للاستمرار في الأحوال الماضية والحاضرة والمستقبلة كما يستعمل الفعل المضارع لذلك، ومنه ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون﴾ أي إن هذا شأنهم أبداً، وكذا قوله تعالى ﴿وإذا قَامُوا إلى الصلاةِ قاموا كُسالى﴾.

إذما وإذا ما:

الثالث: ذكر ابن هشام في المغنى [إذ ما] ولم يذكر [إذا ما]، وقد ذكرها الشيخ بهاء الدين السبكي في عروس الأفراح في أدوات الشرط، فأما [إذ ما] فلم يقع في القرآن، ومذهب سيبويه أنها حرف. وقال المبرد وغيره: إنها باقية على الظرفية، وأما [إذا ما] فوقعت في القرآن في قوله تعالى ﴿وإذا ما غضبوا﴾ ﴿إذا ما أتوكَ لتحملُهم﴾ ولم أر من تعرض لكونها باقية على الظرفية أو محولة إلى الحرفية، ويحتمل أن يجري فيها القولان في إذما، ويحتمل أن يجزم ببقائها على الظرفية لأنها أبعد عن التركيب بخلاف إذما.

الفرق بين إذا وإن

الرابع: تختص [إذا] بدخولها على المتيقن والمظنون والكثير الوقوع، بخلاف [إن] فإنها تستعمل في المشكوك والموهوم والنادر، ولهذا قال تعالى ﴿إذا قُمتم إلى الصلاة فاغسلوا﴾ ثم قال: ﴿وإن كُنتم جُنُباً فاطهرُوا﴾ فأتى بإذا في الوضوء لتكرره وكثرة أسبابه، وبأن في الجنابة لندرة وقوعها بالنسبة إلى الحدث، وقال تعالى ﴿فإذا جَاءَتهم الحسنةُ قالوا لنا هذه وإن تُصبْهم سيئةٌ يَطَّيرُوا﴾ ﴿وإذا أذقنا الناسَ رحمةً فَرحُوا بها، وإن تصبهم سيئةٌ بما قدمتْ أيديهم إذا هم يقنطون﴾ أتى في جانب الحسنة بإذا لأن نِعَمَ الله على العباد كثيرة ومقطوع بها، وإن في جانب السيئة لأنها نادرة الوقوع ومشكوك فيها.

نعم أشكل على هذه القاعدة آيتان. الأولى: في قوله تعالى ﴿ولئن مُتُّمْ﴾ (أفإن مات﴾ فأتى بإن مع أن الموت محقق الوقوع والأخرى قوله تعالى ﴿وإذا مَسَّ الناسَ ضرٌّ دعوا ربهم منيبين إليه، ثم إذا أذاقهم منه رحمة فرحوا بها﴾ فأتى بإذا في الطرفين. وأجاب الزمخشري عن الأولى بأن الموت لما كان مجهول الوقت أجري مجرى غير المجزوم. وأجاب السكاكي عن الثانية بأنه قصد التوبيخ والتقريع فأتى بإذا ليكون تخويفاً لهم وإخباراً بأنهم لا بد أن يمسهم شيء من العذاب، واستفيد التقليل من لفظ المس وتنكير ضر.

وأما قوله تعالى ﴿وإذا أنْعَمنا على الإنسان أعرَضَ ونأى بجانبِهِ وإذا مَسَّه الشرُّ فذو دُعاءٍ عريض﴾ فأجيب عنه بأن الضمير في مسه للمعرض المتكبر لا لمطلق الإنسان، ويكون لفظ إذا للتنبيه على أن مثل هذا المعرض يكون ابتلاؤه بالشرّ مقطوعاً به. وقال الخويي: الذي أظنه أن إذا يجوز دخولها على المتيقن والمشكوك لأنها ظرف وشرط، فبالنظر إلى الشرط تدخل على المشكوك، وبالنظر إلى الظرف تدخل على المتيقن كسائر الظروف.

إذا تخالف إن:

الخامس: خالفت إذا إن أيضاً في إفادة العموم. قال ابن عصفور: فإذا قلت إذا قام زيد قام عمرو أفادت أن كلما قام زيد قام عمرو. وقال: هذا هو الصحيح، وفي أن المشروط بها إذا كان عدّ ما يقع الجزاء في الحال، وفي أن لا يقع حتى يتحقق اليأس من وجوده، وفي جزائها مستعقب لشرطها على الاتصال لا يتقدم ولا يتأخر، بخلاف إن، وفي إن مدخولها لا تجزمه لأنها لا تتمحض شرطاً.

[خاتمة] قيل قد تأتي إذا زائدة وخرّج عليه ﴿إذا السماءُ انشقتْ﴾ أي انشقت السماء كما قال اقتربت الساعة.

الكلام على إذاً (إذن) :

(إذن) قال سيبويه : معناها الجواب والجزاء . قال الشلوبين : في كل موضع . وقال الفارسي : في الأكثر ، والأكثر أن تكون جواباً [لإن] أو [لو] ظاهرتين أو مقدرتين. قال الفراء : وحيث جاءت بعدها اللام فقبلها لو مقدرة إن لم تكن ظاهرة نحو ﴿إذاً لَذَهَبَ كُلُّ إلهٍ بِما خَلَقَ﴾ وهي حرف ينصب المضارع بشرط تصديرها واستقباله واتصاله ، أو انفصالها بالقسم أو بلا النافية . قال النحاة : وإذا وقعت بعد الواو والفاء جاز فيها الوجهان نحو ﴿وإذاً لا يَلْبثُونَ خَلْفَكَ﴾ ﴿فإذاً لا يُؤْتُون النَّاسَ﴾ وقريء شاذاً بالنصب فيهما .

وقال ابن هشام : التحقيق أنه إذا تقدمها شرط وجزاء وعطفت ، فإن قدرت العطف على الجواب جزمت وبطل عمل إذاً لوقوعها حشواً ، أو على الجملتين جميعاً جاز الرفع والنصب ، وكذا إذا تقدمها مبتدأ خبره فعل مرفوع إن علقت على الفعلية رفعت ، أو الاسمية فالوجهان.

وقال غيره : إذاً نوعان. الأول : أن تدل على إنشاء السببية والشرط بحيث لا يفهم الارتباط من غيرها نحو أزورك فتقول إذن أكرمك ، وهي في هذا الوجه عاملة تدخل على الجمل الفعلية فتنصب المضارع المستقبل المتصل إذا صدرت . والثاني : أن تكون مؤكدة لجواب ارتبط بمقدم أو منبهة على مسبب حصل في الحال ، وهي حينئذ غير عاملة لأن المؤكدات لا يعتمد عليها والعامل يعتمد عليه نحو : إن تأتني إذن آتيك ، ووالله إذن لأفعلن ، ألا ترى أنها لو سقطت لفهم الارتباط ؟ وتدخل هذه على الاسمية فتقول إذن أنا أكرمك ، ويجوز توسطها وتأخرها ومن هذا قوله تعالى ﴿ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءكَ من العلم إنك إذاً﴾ فهي مؤكدة للجواب مرتبطة بما تقدم .

[تنبيهان : الأول] سمعت شيخنا العلامة الكافيجي يقول في قوله تعالى

﴿ولئن أَطعتُم بشراً مِثلكُم إنكم إذاً لخاسرون﴾ ليست إذاً هذه الكلمة المعهودة، وإنما هي إذاً الشرطية حذفت جملتها التي تضاف إليها وعوض عنها التنوين كما في يومئذ، وكنت أستحسن هذا جداً، وأظن أن الشيخ لا سلف له في ذلك. ثم رأيت الزركشي قال في البرهان بعد ذكره لإذن المعنيين السابقين.

وذكر لها بعض المتأخرين معنى ثالثاً وهي أن تكون مركبة من إذا التي هي ظرف زمن ماض ومن جملة بعدها تحقيقاً أو تقديراً، لكن حذفت الجملة تخفيفاً وأبدل منها التنوين كما في قولهم حينئذ، وليست هذه الناصبة للمضارع لأن تلك تختص به ولذا عملت فيه، ولا يعمل إلا ما يختص وهذه لا تختص بل تدخل على الماضي كقوله تعالى ﴿وإذاً لآتيناهم﴾ ﴿إذاً لأمسكتُم﴾ ﴿إذاً لأذَقنَاك﴾ وعلى الاسم نحو ﴿وإنكُم إذا لمنَ المقربين﴾ قال: وهذا المعنى لم يذكره النحاة لكنه قياس ما قالوه في إذن.

وفي التذكرة لأبي حيان: ذكر لي علم الدين القمني أن القاضي تقيّ الدين بن رزين كان يذهب إلى أن إذن عوض من الجملة المحذوفة، وليس هذا قول نحويّ. وقال الخويي: وأنا أظن أنه يجوز أن تقول لمن قال أنا آتيك إذن أكرمك بالرفع على معنى إذا أتيتني أكرمك، فحذفت أتيتني وعوضت التنوين من الجملة فسقطت الألف لالتقاء الساكنين.

قال: ولا يقدح في ذلك اتفاق النحاة على أن الفعل في مثل ذلك منصوب بإذن لأنهم يريدون بذلك ما إذا كانت حرفاً ناصباً له، ولا ينفي ذلك رفع الفعل بعدها إذا أريد بها إذا الزمانية معوضاً من جملتها التنوين، كما أن منهم من يجزم ما بعد من إذا جعلها شرطية، ويرفعه إذا أريد بها الموصولة انتهى.

فهؤلاء قد حاموا حول ما حام عليه الشيخ، إلا أنه ليس أحد منهم من المشهورين بالنحو وممن يعتمد قوله فيه. نعم ذهب بعض النحاة إلى أن أصل

إذن الناصبة اسم، والتقدير في إذن أكرمك إذا جئتني أكرمك، فحذفت الجملة وعوض منها التنوين وأضمرت إن. وذهب آخرون إلى أنها حرف مركبة من إذا وإن، حكى القولين ابن هشام في المغني.

[التنبيه الثاني]: الجمهور أن إذن يوقف عليها بالألف المبدلة من النون، وعليه إجماع القراء، وجوّز قوم منهم المبرد والمازني في غير القرآن الوقوف عليها بالنون كلن وإن، وينبني على الخلاف في الوقف عليها كتابتها، فعلى الأول تكتب بالألف كما رسمت في المصاحف، وعلى الثاني بالنون.

وأقول: الإجماع في القرآن على الوقف عليها، وكتابتها بالألف دليل على أنها اسم منون لا حرف آخره نون خصوصاً أنها لم تقع فيه ناصبة للمضارع، فالصواب إثبات هذا المعنى لها كما جنح إليه الشيخ ومن سبق النقل عنه.

الكلام على (أف):

(أفّ) كلمة تستعمل عند التضجر والتكرّه. وقد حكى أبو البقاء في قوله تعالى: ﴿فلا تَقُل لهما أُفٍّ﴾ قولين. أحدهما: أنه اسم لفعل الأمر: أي كفا واتركا. والثاني: أنه اسم لفعل ماض: أي كرهت وتضجرت. وحكي غيره ثالثاً: أنه اسم لفعل مضارع: أي اتضجر منكما. وأما قوله تعالى في سورة الأنبياء ﴿أفٍّ لكم﴾ فأحاله أبو البقاء على ما سبق في الإسراء، ومقتضاه تساويهما في المعنى.

وقال العزيزي في غريبه هنا أي بئساً لكم. وفسر صاحب الصحاح أفّ بمعنى قذراً. وقال في الارتشاف: أفّ: أتضجر. وفي البسط معناه: التضجر، وقيل الضجر، وقيل تضجرت. ثم حكى فيها تسعاً وثلاثين لغة. قلت: قرىء منها في السبع أفّ بالكسر بلا تنوين، وأفّ بالكسر والتنوين، وأفّ بالفتح بلا تنوين.

وفي الشاذ أفّ بالضم منوناً وغير منون، وأف بالتخفيف. أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿فلا تَقُلْ لهما أفٍّ﴾ قال: لا تقذرهما. وأخرج عن أبي مالك قال: هو الرديء من الكلام.

الكلام على (أل):

(أل) على ثلاثة أوجه. أحدها: أن تكون اسماً موصولاً بمعنى الذي وفروعه، وهي الداخلة على أسماء الفاعلين والمفعولين نحو: ﴿إن المسلمينَ والمسلماتِ﴾ إلى آخر الآية: ﴿التائِبونَ العابِدُون﴾ الآية. وقيل هي حينئذ حرف تعريف. وقيل موصول حرفي.

الثاني: أن تكون حرف تعريف، وهي نوعان: عهدية، وجنسية، وكل منهما ثلاثة أقسام. فالعهدية: إما أن يكون مصحوبها معهوداً ذكرياً ـ نحو: ﴿كما أرسلنا إلى فِرعَوْنَ رَسُولاً فَعَصَى فِرعَونُ الرَسُولَ﴾ ﴿فيها مِصْبَاح، المصباحُ في زُجَاجَة، الزجَاجةُ كأنها كَوْكَبٌ﴾ وضابط هذه أن يسدّ الضمير مسدها مع مصحوبها أو معهوداً ذهنياً نحو ﴿إذ هُما في الغَار﴾. ﴿إذ يُبايعونَكَ تحتَ الشَجَرة﴾ أو معهوداً حضورياً نحو ﴿اليومَ أكملتُ لَكُم دِينَكُم﴾ ﴿اليومَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيبات﴾ قال ابن عصفور: وكذا كل واقعة بعد اسم الإشارة أو أي في النداء وإذ الفجائية، أو في اسم الزمان الحاضر نحو الآن والجنسية.

إما لاستغراق الأفراد، وهي التي يخلفها كل حقيقة نحو ﴿وخُلِقَ الإنسانُ ضَعيفاً﴾ ﴿عالمُ الغَيبِ والشَّهادَة﴾ ومن دلائلها صحة الاستثناء من مدخولها نحو ﴿إن الإنسانَ لفي خُسْرٍ إلا الذينَ آمنوا﴾ ووصفه بالجمع نحو ﴿أو الطفل الذين لم يظهروا﴾.

وإما لاستغراق خصائص الأفراد: وهي التي يخلفها كل مجاز نحو ﴿ذلك

الكتاب﴾ أي الكتاب الكامل في الهداية الجامع لصفات جميع الكتب المنزلة وخصائصها.

وإما لتعريف الماهية والحقيقة والجنس، وهي التي لا يخلفها كـل لا حقيقـة ولا مجازاً نحو ﴿وجَعَلْنَا من الماء كُلَّ شَيءٍ حَيّ﴾. ﴿أولئكَ الذينَ آتيناهُمُ الكِتَابَ والحكم والنُّبوّةَ﴾ قيل والفرق بين المعرف بأل هذه وبين اسم الجنس النكرة هو الفرق بين المقيد والمطلق، لأن المعرف بها يدل على الحقيقة بقيد حضورها في الذهن، واسم الجنس النكرة يدل على مطلق الحقيقة لا باعتبار قيد.

الثالث: أن تكون زائدة وهي نوعان: لازمة كالتي في الموصولات على القول بأن تعريفها بالصلة، وكالتي في الاعلام المقارنة لنقلها كاللات والعزى، أو لغلبتها كالبيت للكعبة والمدينة لطيبة والنجم للثريا، وهذه في الأصل للعهد. أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿والنَّجْمِ إذا هَوَى﴾ قال: الثريا، وغير لازمة كالواقعة في الحال. وخرّج عليه قراءة بعضهم ﴿ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذَلَّ﴾ بفتح الياء: أي ذليلاً لأن الحال واجبة التنكير، لا أن ذلك غير فصيح، والأحسن تخريجه على حذف مضاف: أي خروج الأذل كما قدره الزمخشري.

(أل) في اسم الله تعالى:

[مسألة] اختلف في أل في اسم الله تعالى، فقال سيبويه: هي عوض من الهمزة المحذوفة بناء على أن أصله إلّه دخلت أل فنقلت حركة الهمزة إلى اللام ثم أدغمت، قاله الفارسي. ويدل على ذلك قطع همزها ولزومها. وقال آخرون: هي مزيدة للتعريف تفخيماً وتعظيماً، وأصل إلّه أولاه. وقال قوم: هي زائدة لازمة لا للتعريف. وقال بعضهم: أصله هاء الكناية، زيدت فيه لام الملك فصار له، ثم زيدت أل تعظيماً وفخموه توكيداً. وقال الخليل: وخلائق هي من بنية الكلمة، وهو اسم علم لا اشتقاق له ولا أصل.

[خاتمة] أجاز الكوفيون وبعض البصريين وكثير من المتأخرين نيابة أل عن الضمير المضاف إليه، وخرّجوا على ذلك ﴿فإن الجَنَّةَ هي الْمَأْوَى﴾ والمانعون يقدرون له. وأجاز الزمخشري نيابتها عن المظاهر أيضاً وخرّج عليه ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ فإن الأصل أسماء المسميات.

(ألا) وأنواعها:

(ألا) بالفتح والتخفيف: وردت في القرآن على أوجه. أحدها: التنبيه، فتدل على تحقيق ما بعدها. قال الزمخشري: ولذلك قلّ وقوع الجمل بعدها إلا مصدرة بنحو - ما يتلقى به القسم - وتدخل على الاسمية والفعلية نحو ﴿ألا إنهم هُمُ السُّفَهَاء﴾ ﴿ألا يوم يأتيهم ليس مَصْرُوفاً عَنْهُم﴾.

قال في المغني: والمعربون يقولون فيها حرف استفتاح فيبينون مكانها ويهملون معناها وإفادتها التحقيق من جهة تركيبها من الهمزة ولا. وهمزة الاستفهام إذا دخلت على النفي أفادت التحقيق نحو ﴿أو ليسَ ذلك بِقَادِر﴾.

الثاني والثالث: التحضيض والعرض، ومعناهما طلب الشيء، ولكن الأول طلب بحث، والثاني طلب بلين، وتختص فيها بالفعلية نحو ﴿ألا تقاتلون قوماً نكثوا﴾ ﴿قوم فرعون ألا يتقون﴾ ﴿ألا تأكلون﴾ ﴿ألا تُحِبُّون أن يَغْفِرَ اللهُ لَكُم﴾.

(ألا) بالفتح والتشديد: حرف تحضيض، لم يقع في القرآن لهذا المعنى فيما أعلم، إلا أنه يجوز عندي أن يخرّج عليه ﴿ألا يسجدوا لله﴾ وأما قوله تعالى: ﴿أن لا تعلُوا عليَّ﴾ فليست هذه بل هي كلمتان: أن الناصبة ولا النافية، وأن المفسرة ولا الناهية.

(إلا) بالكسروا والتشديد: على أوجه. أحدها: الاستثناء متصلاً نحو

﴿فَشَرِبُوا منه إلا قَليلا﴾ ﴿ما فعلُوه إلا قليل﴾ أو منقطعاً نحو ﴿قل ما أسأَلُكُم عليه من أجرٍ إلا من شَاءَ أن يتخذ إلى ربِّهِ سَبِيلا﴾ ﴿وما لأحدٍ عِندَهُ من نِعمَةٍ تُجْزَى إلا ابتغاءَ وجهِ ربِّهِ الأَعْلَى﴾.

الثاني: أن تكون بمعنى غير فيوصف بها وبتاليها جمع منكر أو شبهه، ويعرف الاسم الواقع بعدها بإعراب غير نحو ﴿لو كان فيهما آلِهةٌ الا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾ فلا يجوز أن تكون هذه الآية للاستثناء، لأن آلهة جمع منكر في الإثبات، فلا عموم له فلا يصح الاستثناء منه، ولأنه يصير المعنى حينئذ: لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا، وهو باطل باعتبار مفهومه.

الثالث: أن تكون عاطفة بمنزلة الواو في الترسيل، ذكره الأخفش والفراء وأبو عبيدة، وخرّجوا عليه: ﴿لئلا يكونَ للناسِ عليكُم حُجَّةٌ﴾ ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾، ﴿لا يخافُ لديَّ المُرسَلُون إلا من ظلم ثم بدَّلَ حُسناً بعدَ سُوء﴾ أي ولا الذينَ ظلموا ولا من ظلم وتأولها الجمهور على الاستثناء المنقطع.

الرابع: بمعنى بل، ذكره بعضهم، وخرّج عليه ﴿ما أنزلنا عليكَ القرآنَ لتشقى إلا تَذْكِرَةً﴾ أي بل تذكرة.

الخامس: بمعنى بدل، ذكره ابن الصائغ، وخرج عليه ﴿آلهة إلا الله﴾ أي بدل الله أو عوضه، وبه يخرج عن الإشكال المذكور في الاستثناء وفي الوصف بإلا من جهة المفهوم. وغلط ابن مالك فعدّ من أقسامها نحو ﴿إلا تنصرُوه فقد نَصرَهُ اللهُ﴾ وليست منها بل هي كلمتان إن الشرطية، ولا النافية.

[فائدة] قال الرماني في تفسيره: معنى إلا اللازم لها الاختصاص بالشيء دون غيره، فإذا قلت جاءني القوم إلا زيداً فقد اختصصت زيداً بأنه لم يجيء وإذا قلت ما جاءني إلا زيد فقد اختصصته بالمجيء، وإذا قلت ما جاءني زيد إلا

راكباً فقد اختصصته بهذه الحالة دون غيرها من المشي والعدو ونحوه.

الآن اسم للزمن الحاضر:

(الآن) اسم للزمن الحاضر، وقد يستعمل في غيره مجازاً. وقال قوم: هي محل للزمانين: أي ظرف للماضي وظرف للمستقبل، وقد يتجوّز بها عما قرب من أحدهما. وقال ابن مالك: لوقت حضر جميعه كوقت فعل الإنشاء حال النطق به أو بعضه نحو ﴿الآن خفف الله عنكم﴾. ﴿فمن يستمع الآنَ يجدْ له شِهاباً رَصَداً﴾ قال: وظرفيته غالبة لا لازمة. واختلف في أل التي فيه، فقيل للتعريف الحضوري، وقيل زائدة لازمة.

(إلى) حرف جر له معان:

(إلى) حرف جر له معان. أشهرها: انتهاء الغاية زماناً نحو ﴿أتموا الصِّيامَ إلى الليل﴾ أو مكاناً نحو ﴿إلى المسجدِ الأقصى﴾ أو غيرهما نحو ﴿والأمرُ إليك﴾ أي منتهٍ إليك. ولم يذكر لها الأكثرون غير هذا المعنى.

وزاد ابن مالك وغيره تبعاً للكوفيين معاني أخر. منها: المعية، وذلك إذا ضممت شيئاً إلى آخر في الحكم به أو عليه أو التعليق نحو ﴿من أنصارِي إلى الله﴾. ﴿وأيديكم إلى المرافِقِ﴾. ﴿ولا تأكُلُوا أموالَهُم إلى أموالِكُم﴾ قال الرضي: والتحقيق أنها للانتهاء: أي مضافة إلى المرافق وإلىَ أموالكم. وقال غيره: ما ورد في ذلك مؤوّل على تضمين العامل وإبقائها على أصلها. والمعنى في الآية الأولى: من يضيف نصرته إلى نصرة الله، أو من ينصرني حال كوني ذاهباً إلى الله.

ومنها: الظرفية كفي نحو ﴿لَيَجْمَعَنكم إلى يوم ِ القِيامة﴾ أي فيه ﴿هل لَكَ إلى أن تزَكَّى﴾ أي في أن.

ومنها مرادفة اللام وجعل منه: ﴿والأمرُ إليك﴾ أي لك، وتقدم أنه من الانتهاء.

ومنها: التبيين. قال ابن مالك: وهي المبينة لفاعليه مجرورها بعد ما يفيد حباً أو بغضاً. أو اسم تفضيل نحو: ﴿ربِّ السجنُ أحبُّ إليَّ﴾.

ومنها: التوكيد، وهي الزائدة نحو: ﴿أفئدةً من الناسِ تَهوِي إليهِمْ﴾ في قراءة بعضهم بفتح الواو: أي تهواهم، قاله الفراء. وقال غيره: هو على تضمين تهوي معنى تميل.

[تنبيه] حكى ابن عصفور في شرح أبيات الإيضاح عن ابن الأنباري أن إلى تستعمل اسماً، فيقال: انصرفت من إليك كما يقال غدوت من عليه، وخرج عليه من القرآن قوله تعالى: ﴿وهُزِّي إليكِ بِجذعِ النَخْلَةِ﴾ وبه يندفع إشكال أبي حيان فيه بأن القاعدة المشهورة أن الفعل لا يتعدى إلى ضمير يتصل بنفسه أو بالحرف، وقد رفع المتصل وهما لمدلول واحد في غير باب ظن.

(اللهم) ومعانيها:

(اللهم) المشهور أن معناه يا ألله، حذفت ياء النداء وعوض منها الميم المشددة في آخره. وقيل أصله يا الله أمنا بخير فركب تركيب حيهلا مزج. وقال أبو رجاء العطاردي: الميم فيها تجمع سبعين اسماً من أسمائه. وقال ابن ظفر: قيل إنها الاسم الأعظم، واستدل لذلك بأن الله دالّ على الذات، والميم دالة على الصفات التسع والتسعين. ولهذا قال أبو الحسن البصري: اللهم تجمع. وقال النضر بن شميل: من قال اللهم فقد دعا الله بجميع أسمائه.

(أم) حرف عطف (أم) المتصلة:

(أم) حرف عطف، وهي نوعان: متصلة، وهي قسمان: الأول أن يتقدم

عليها همزة التسوية ﴿سواء عليهم أأنذرتَهُم أم لم تُنذِرهُم﴾. ﴿سواء علينا أَجَزِعْنَا أم صَبَرْنا﴾ ﴿سواء عليهم أستغفرتَ لَهمُ أم لم تَسْتَغْفِرْ لهم﴾.

والثاني: أن يتقدم عليها همزة يطلب بها وبأم التعيين نحو: ﴿آلذكرين حرّم أم الأنثيين﴾ وسميت في القسمين متصلة لأن ما قبلها وما بعدها لا يستغني بأحدهما عن الآخر. وتسمى أيضاً معادلة مادتها للهمزة في إفادة التسوية في القسم الأول، والاستفهام في الثاني.

ويفترق القسمان من أربعة أوجه أحدها وثانيها: أن الواقعة بعد همزة التسوية لا تستحق جواباً، لأن المعنى معها ليس على الاستفهام، وأن الكلام معها قابل التصديق والتكذيب لأنه خبر، وليست تلك كذلك لأن الاستفهام معها على حقيقته.

والثالث والرابع: أن الواقعة بعد همزة التسوية لا تقع إلا بين جملتين ولا تكون الجملتان معها إلا في تأويل المفردين، وتكون الجملتان فعليتين واسميتين ومختلفتين نحو ﴿سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون﴾ وأم الأخرى تقع بين المفردين وهو الغالب فيها نحو: ﴿أأنتم أشدُّ خَلْقاً أم السَّماء﴾ وبين جملتين ليسا في تأويلها.

النوع الثاني: منقطعة، وهي ثلاثة أقسام مسبوقة بالخبر المحض نحو ﴿تنزيلُ الكتاب لا ريبَ فِيه من ربِّ العالمين﴾ ﴿أم يَقُولُون افتَرَاهُ﴾ ومسبوقة بالهمزة لغير الاستفهام نحو ﴿ألهم رجل يَمْشُون بها أم لهم أيدٍ يبطشُون بها﴾ إذ الهمزة في ذلك للإنكار فهي بمنزلة النفي. والمتصلة لا تقع بعده، ومسبوقة باستفهام بغير الهمزة نحو ﴿هل يستوي الأعمى والبصيرُ أم هل تَسْتَوي الظُّلُماتُ والنُّورُ﴾.

(أم) المنقطعة:

ومعنى أم المنقطعة: التـي لا يفارقها الإضراب، ثم تارة تكون له مجرداً وتارة تضمن مع ذلك استفهاماً إنكـارياً. فمـن الأول ﴿أم هـل تستـوي الظلمات والنور﴾ لأنه لا يدخل الاستفهام على استفهام. ومن الثاني ﴿أم لَهُ البناتُ ولكم البنون﴾ تقديره: بل أله البنات؟ إذ لو قدرت للإضراب المحض لزم المحال.

(أم) المحتملة للوجهين:

[تنبيهان: الأول] قد ترد أم محتملة للاتصال وللانقطاع كقوله تعالى: ﴿قل أتخذتُم عِندَ اللهِ عَهداً فلن يُخلِفَ اللهُ عهدَه أم تَقُولونَ على اللهِ ما لا تَعْلَمُون﴾ قال الزمخشري: يجوز في أم أن تكون معادلة بمعنى أيّ الأمرين كائن على سبيل التقرير لحصول العلم بكون أحدهما، ويجوز أن تكون منقطعة.

[الثاني] ذكر أبو زيد أن أم تقع زائدة، وخرج عليه قوله تعالى ﴿أفلا تبصرون أم أنا خير﴾ قال: التقدير أفلا تبصرون أنا خير.

(أمّا) حرف شرط وتفصيل:

(أمّا) بالفتح والتشديد حرف شرط وتفصيل وتوكيد.

أما كونها حرف شرط فبدليل لزوم الفاء بعدها نحو: ﴿فأما الذينَ آمنُوا فيعلَمُونَ أنهُ الحقُّ من ربهم وأما الذين كفروا فيقولونَ﴾ وأما قوله تعالى: ﴿فأما الذين اسودَّت وُجُوهُهم أكَفَرتُم﴾ فعلى تقدير القول: أي فيقال لهم كفرتم، فحذف القول استغناء عنه بالقول فتبعته الفاء في الحذف. وكذا قوله: ﴿وأما الذينَ كَفَرُوا أفلم تَكُنْ آياتي﴾.

وأما التفصيل فهو غالب أحوالها كما تقدم وكقوله: ﴿أما السفينةُ فكانَتْ

لِمساكِين﴾ ﴿وأما الغلامُ﴾ ﴿وأما الجدَار﴾ وقد يترك تكرارها استغناء بأحد القسمين عن الآخر، وسيأتي في أنواع الحذف.

وأما التوكيد فقال الزمخشري: فائدة أما في الكلام. إما أن تعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب، فإذا قصدت توكيد ذلك وأنه لا محالة ذاهب وأنه بصدد الذهاب وأنه منه عزيمة قلت: أما زيد فذاهب، ولذلك قال سيبويه في تفسيره: مهما يكن من شيء فزيد ذاهب. ويفصل بين أما والفاء إما بمبتدإ كالآيات السابقة، أو خبر نحو: أما في الدار فزيد. أو جملة شرط نحو: ﴿فأمَّا إن كان من المقربِين فَرَوْحٌ﴾ الآيات. أو اسم منصوب بالجواب نحو: ﴿فأما اليتيمَ فلاَ تَقْهَرَ﴾ واسم معمول لمحذوف يفسر ما بعد الفاء نحو: ﴿وأما ثمودُ فَهَدَيْنَاهُم﴾ في قراءة بعضهم بالنصب.

[تنبيه] ليس من أقسام أما التي في قوله تعالى: ﴿أمَّا إذا كُنتم تَعْمَلُون﴾ بل هي كلمتان: أم المنقطعة، وما الاستفهامية.

(إما) المكسورة الهمزة:

(إمّا) بالكسر والتشديد، ترد لمعانٍ: الإبهام نحو ﴿وآخرون مرجون لأمر الله، إما يعذبهم وإما يتوب عليهم﴾ والتخيير نحو: ﴿إما أن تُعذِّبَ وإما أن تَتخِذَ فِيهم حُسْناً﴾ ﴿إما أن تُلقِيَ وإما أن نَكُونَ أولَ مَنْ أَلَقى﴾ ﴿فإما منًّا بعدُ وإما فداءً﴾ والتفصيل نحو: ﴿إما شَاكراً وإما كَفُوراً﴾.

[تنبيهات. الأول] لا خلاف أن إمّا الأولى في هذه الأمثلة ونحوها غير عاطفة. واختلف في الثانية فالأكثرون على أنها عاطفة، وأنكره جماعة منهم ابن مالك لملازمتها غالباً الواو العاطفة، وادعى ابن عصفور الإجماع على ذلك قال: وإنما ذكروها في باب العطف لمصاحبتها لحروفه، وذهب بعضهم إلى أنها عطفت

الاسم على الاسم، والواو عطفت إما على إما وهو غريب.

[الثاني] سيأتي أن هذه المعاني تكون أولاً أيضاً، والفرق بينها وبين إما، أن إما يبنى الكلام معها من أول الأمر على ما جيء بها لأجله ولذلك وجب تكرارها، وأو يفتح الكلام معها على الجزم ثم يطرأ الإبهام أو غيره ولهذا لم يتكرّر.

[الثالث] ليس من أقسام إما التي في قوله: ﴿فإما تَرِينَّ منَ البَشَرِ أحداً﴾ بل هي كلمتان: إن الشرطية، وما الزائدة.

(إن) وحالاتها:

(إن) بالكسر والتخفيف على أوجه. الأول: أن تكون شرطية نحو ﴿إن ينتهُوا يَغْفِرْ لهم ما قَدْ سَلَفَ﴾ ﴿وإن يَعُودوا فقد مَضَت﴾ وإذا دخلت على [لم] فالجزم بلم لا بها نحو ﴿فإن لم تَفْعَلُوا﴾ أو على [لا] فالجزم بها لا « لا » نحو ﴿وإلا تغفر لي﴾ ﴿إلا تنصرُوه﴾ والفرق أن لم عامل يلزم معمولاً ولا يفصل بينهما بشيء. وأن يجوز الفصل بينها وبين معمولها بمعموله، ولا، لا تعمل الجزم إذا كانت نافية فأضيف العمل إلى ان.

(إن) النافية:

الثاني: أن تكون نافية وتدخل على الاسمية والفعلية نحو: ﴿إن الكافرُونَ إلا في غُرُور﴾ ﴿إن أمهاتُهُم إلا اللائي وَلَدْنَهُمْ﴾ ﴿إن أرْدنا إلا الحُسْنَى﴾ ﴿إن يَدْعُون من دُونه إلا إناثاً﴾ قيل ولا تقع إلا وبعدها إلا كما تقدم أو لما المشدّدة نحو: ﴿إن كلُّ نفسٍ لَمّا عليها حَافِظ﴾ في قراءة التشديد. وردّ بقوله: ﴿إن عندكم من سُلْطَانٍ بهذا﴾. ﴿وإن أدْرِي لعله فتنةٌ لكم﴾ ومما حمل على النافية قوله: ﴿إن كنا فاعلين﴾ ﴿قل إن كانَ للرحمنِ ولدٌ﴾ وعلى هذا فالوقف هنا

﴿ولَقد مَكّنَاهُم فيما إن مَكنّاكُم فيه﴾ أي في الذي ما مكناكم فيه. وقيل هي زائدة، ويؤيد الأول قوله: ﴿مَكّنّاهُم في الأرضِ ما لم نُمَكِّنْ لكم﴾ وعدل عن « ما » لئلا يتكرر فيثقل اللفظ.

قلت: وكونها للنفي هو الوارد عن ابن عباس كما تقدم في نوع الغريب من طريق ابن أبي طلحة، وقد اجتمعت الشرطية والنافية في قوله: ﴿ولئن زالتا. إن إمْسَكَهُما من أحدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ وإذا دخلت النافية على الاسمية لم تعمل عند الجمهور. وأجاز الكسائي والمبرد إعمالها عمل ليس، وخرج عليه قراءة سعيد بن جبير: ﴿إن الذينَ تَدْعُون من دونِ اللهِ عِبادٌ أمثالكم﴾.

[فائدة] أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: كل شيء في القرآن « إن » فهو إنكار.

(إن) المخففة من الثقيلة:

الثالث: أن تكون مخففة من الثقيلة فتدخل على الجملتين، ثم الأكثر إذا دخلت على الاسمية إهمالها نحو: ﴿وإن كل ذلك لَمّا متاع الحياة الدنيا﴾. ﴿إن كل لَمّا جَميعٌ لدينا مُحْضَرُون﴾ ﴿إن هذان لَسَاحِران﴾ في قراءة حفص وابن كثير. وقد تعمل نحو ﴿وإن كلا لما ليوفينهم﴾ في قراءة الحرميين.

وإذا دخلت على الفعلِ فالأكثر كونه ماضياً ناسخاً نحو: ﴿وإن كَانَتْ لَكَبِيرَة﴾ ﴿وإن كادوا ليفتِنُونَكَ عن الذيِ أوحَينا إليكَ﴾ ﴿وإن وَجَدْنَا أكثرَهُم لفاسقِين﴾ ودونه أن يكون مضارعاً ناسخاً نحو ﴿وإن يكادُ الذين كفروا لَيُزْلِقُونك﴾ ﴿وإن نظنُّكَ لِمنَ الكاذبين﴾ وحيث وجدت إن وبعدها اللام المفتوحة فهي المخففة من الثقيلة.

الرابع: أن تكون زائدة، وخرج عليه ﴿في ما إن مَكَنّاكُمْ فيه﴾.

(إن) للتعليل:

الخامس: أن تكون للتعليل، كذا قاله الكوفيون، وخرجوا عليه قوله تعالى: ﴿واتقوا الله إن كُنْتُم مؤمنين﴾ ﴿لتدخلنَّ المسجدَ الحرامَ إن شَاءَ اللهُ آمنين﴾ ﴿وأنتم الأعلونَ إن كُنْتُم مُؤمنين﴾ ونحو ذلك مما الفعل فيه محقق الوقوع.

وأجاب الجمهور عن آية المشيئة بأنه تعاليم للعباد كيف يتكلمون إذا أخبروا عن المستقبل، وبأن أصل ذلك الشرط صار يذكر للتبرّك، وأن المعنى لتدخلن جميعا إن شاء الله أن لا يموت منكم أحد قبل الدخول. وعن سائر الآيات بأنه شرط جيء به للتهييج والإلهاب كما تقول لابنك: إن كنت ابني فأطعني.

(إن) بمعنى قد:

السادس: أن تكون بمعنى قد، ذكره قطرب، وخرج عليه ﴿فذكِّرْ إن نَفَعَتِ الذِكْرَى﴾ أي قد نفعت، ولا يصح معنى الشرط فيه لأنه مأمور بالتذكير على كل حال. وقال غيره: هي للشرط، ومعناه: ذمهم واستبعاد لنفع التذكير فيهم. وقيل التقدير: وإن لم تنفع على حد قوله: ﴿سرابيلَ تقيكمُ الحرَّ﴾.

[فائدة] قال بعضهم: وقع في القرآن إن بصيغة الشرط، وهو غير مراد في ستة مواضع ﴿ولا تُكرِهُوا فتياتِكم على البغاء إن أَرَدْنَ تحصناً﴾ ﴿واشكرُوا نعمتَ اللهِ إن كنتم إياهُ تَعبدُونَ﴾ ﴿وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان﴾ ﴿إن ارتبتم فعدتهن﴾ ﴿أن تقصروا من الصَلاةِ إن خفْتُم﴾ ﴿وبُعُولَتُهن أحقُّ بردِّهن في ذلك إن أرادوا إصلاحاً﴾.

(أن) المصدرية:

(أن) بالفتح والتخفيف على أوجه. الأول: أن تكون حرفاً مصدرياً ناصباً

لمضارع، وقع في موضعين في الابتداء فيكون في محل رفع نحو ﴿وأن تَصُومُوا خيرٌ لكم﴾ ﴿وأن تَعْفُوا أقربُ للتقْوَى﴾ وبعد لفظ دال على معنى غير اليقين فيكون في محل رفع نحو ﴿ألم يأن للذينَ آمنُوا أن تَخْشَعَ﴾ ﴿وعسى أن تَكْرَهُوا شيئاً﴾ ونصب نحو ﴿نَخْشَى أن تُصِيبَنَا دائرةٌ﴾ ﴿وما كان هذا القرآن أنَ يُفْتَرَى﴾ ﴿فأردتُ أن أَعِيبهَا﴾ وخفض نحو: ﴿أُوذِينا من قبلِ أن تأْتينا﴾ ﴿من قبل أن يأْتِيَ أحدَكُمُ الموتُ﴾ وأن هذه موصول حرفي، وتوصل بالفعل المتصرف مضارعاً كما مر. وماضياً نحو ﴿لولا أن مَنَّ اللهُ علينا﴾ و﴿لولا أن ثَبّتْنَاك﴾ وقد يرفع المضارع بعدها إهمالاً لها حملاً على «ما» أختها كقراءة ابن محيصن ﴿لمنَ أرادَ أن يُتِمَّ الرَضَاعة﴾.

(أن) المخففة من الثقيلة:

الثاني: أن تكون مخففة من الثقيلة، فتقع بعد فعل اليقين أو ما نزل منزلته نحو ﴿أفلا يرونَ أن لا يَرجعَ إليهم قولاً﴾ ﴿علم أن سيكونُ﴾ ﴿وحَسِبُوا أن لا تكونَ﴾ في قراءة الرفع.

(أن) المفسرة:

الثالث: أن تكون مفسرة بمنزلة «أي» نحو: ﴿فأوحينا إليهِ أن اصنَعِ الفُلْك بأعيننا﴾ ﴿ونُودوا أن تِلكُم الجنةُ﴾ وشرطها أن تسبق بجملة، فلذلك غلط من جعل منها: ﴿وآخر دعواهم أن الحمدُ للهِ ربِ العالمين﴾ وأن يتأخر عنها جملة، وأن يكون في الجملة السابقة معنى القول ومنه: ﴿وانطلقَ الملأُ مِنهُم أَنِ امشُوا﴾ إذ ليس المراد بانطلاق المشي، بل انطلاق ألسنتهم بهذا الكلام، كما أنه ليس المراد المشي المتعارف بل الاستمرار على المشي. وزعم الزمخشري أن التي في قوله: ﴿اتخذِي من الجِبَالِ بُيُوتاً﴾ مفسرة بأن قبله: ﴿وأوحى رَبُّكَ إلى النَحْل﴾

والوحي هنا إلهام باتفاق، وليس في الإلهام معنى القول، وإنما هي مصدرية: أي باتخاذ الجبال، ولا يكون في الجملة السابقة أحرف القول، وذكر الزمخشري في قوله: ﴿ما قُلْتُ لهم إلا ما أَمَرتني به أنِ اعبُدُوا اللهَ﴾ أنه يجوز أن تكون مفسرة للقول على تأويله بالأمر: أي ما أمرتهم إلا بما أمرتني به أن اعبدوا الله. قال ابن هشام: وهو حسن، وعلى هذا فيقال في الضابط أن لا تكون فيه حروف القول إلا والقول مؤول بغيره. قلت: وهذا من الغرائب كونهم يشرطون أن يكون فيها معنى القول، فإذا جاء لفظه أوّلوه بما فيه معناه مع صريحه، وهو نظير ما تقدم من جعلهم أل في الآن زائدة مع قولهم بتضمنها، وأن لا يدخل عليها حرف جر.

(أن) الزائدة:

الرابع: أن تكون زائدة والأكثر أن يقع بعد إلى التوقيتية نحو: ﴿ولما أن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً﴾ وزعم الأخفش أنها تنصب المضارع وهي زائدة، وخرج عليه ﴿وما لنا أن لا نُقَاتلَ في سَبيلِ اللهِ﴾ ﴿وما لنا أن لا نَتَوكلَ على اللهِ﴾ قال: فهي زائدة بدليل ﴿وما لنا لا نُؤمنُ بالله﴾.

(أن) الشرطية:

الخامس: أن تكون شرطية كالمكسورة، قاله الكوفيون، وخرجوا عليه ﴿أن تضلّ إحداهما﴾ ﴿أن صدوكم عن المسجد الحرام﴾ ﴿صفحاً أن كنتم قوماً مُسْرِفِين﴾ قال ابن هشام: ويرجحه عندي تواردهما على محل واحد، والأصل التوافق، وقد قرىء بالوجهين في الآيات المذكورة ودخول الفاء بعدها في قوله فتذكر.

(أن) النافية:

السادس: أن تكون نافية. قال بعضهم في قوله: ﴿أن يُؤتَى أَحدٌ مِثلَ ما أُوتيتم﴾ أي لا يؤتى، والصحيح أنها مصدرية: أي ولا تؤمنوا أن يؤتى أيّ أحد. السابع: أن تكون للتعليل كما قاله بعضهم في قوله تعالى: ﴿بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ ﴿يُخرِجُون الرسُولَ وإياكم أن تُؤْمِنُوا﴾ والصواب أنها مصدرية وقبلها لام العلة مقدرة.

الثامن: أن تكون بمعنى لئلا، قاله بعضهم في قوله: ﴿يُبينُ اللهُ لكم أن تَضِلُّوا﴾ والصواب أنها مصدرية، والتقدير: كراهة أن تضلوا.

(إن) المكسورة المشددة:

(إنّ) بالكسر والتشديد على أوجه. أحدها: التأكيد والتحقيق وهو الغالب نحو ﴿إن الله غَفورٌ رحيم﴾ ﴿إنا إليكُم لَمرسلُون﴾ قال عبد القاهر: والتأكيد بها أقوى من التأكيد باللام. قال: وأكثر مواقعها بحسب الاستقراء الجواب لسؤال ظاهَر أو مقدر إذا كان للسائل فيه ظن.

الثاني: التعليل، أثبته ابن جني وأهل البيان ومثلوه بنحو ﴿واستغفرُوا الله أن اللهَ غَفُورٌ رَحِيم﴾ ﴿وصلِّ عليهم إن صَلاَتَكَ سَكَنٌ لهم﴾ ﴿وما أبرىءُ نفسِي إن النفسَ لأمّارةٌ بالسوء﴾ وهو نوع من التأكيد.

الثالث: معنى «نعم» أثبته الأكثرون وخرج عليه قوم منهم المبرد: ﴿إن هذان لساحران﴾.

(أن) المفتوحة المشددة:

(أنّ) بالفتح والتشديد على وجهين. أحدهما: أن تكون حرف تأكيد،

والأصح أنها فرع المكسورة، وأنها موصول حرفي فتؤول مع اسمها وخبرها بالمصدر، فإن كان الخبر مشتقاً فالمصدر المؤول به من لفظه نحو ﴿لتعلموا أن اللهَ على كُلِّ شَيءٍ قدير﴾ أي قدرته. وإن كان جامداً قدر بالكون، وقد استشكل كونها للتأكيد بأنك لو صرحت بالمصدر المنسبك منها لم يفد تأكيداً. وأجيب بأن التأكيد للمصدر المنحل وبهذا يفرق بينها وبين المكسورة، لأن التأكيد في المكسورة للإسناد وهذه لأحد الطرفين. الثاني: أن يكون لغة في لعل وخرج عليها: ﴿وما يُشْعِرُكُم أنها إذا جَاءَت لا يُؤْمِنُون﴾ في قراءة الفتح: أي لعلها.

(أنى) الشرطية والاستفهامية:

(أنّي) اسم مشترك بين الاستفهام والشرط، فأما الاستفهام فترد فيه بمعنى [كيف] نحو ﴿أنَّى يُحيِي هذهِ اللهُ بعدَ مَوْتِها﴾ ﴿فأنى يُؤْفَكُون﴾ و[من أين] نحو ﴿أنى لكِ هذا﴾ أي من أين قلتم أنى هذا؟ أي من أين جاءنا.

قال في عروس الأفراح: والفرق بين أين ومن أين، أن أين سؤال عن المكان الذي حلّ فيه الشيء، ومن أين سؤال عن المكان الذي برز منه الشي، وجعل من هذا المعنى ما قرىء شاذاً في ﴿صَبَبْنَا الماءَ صباً﴾ وبمعنى [متى]، وقد ذكرت المعاني الثلاثة في قوله تعالى: ﴿فائتوا حَرْثَكُم أنَّى شِئْتُم﴾ وأخرج ابن جرير الأول من طرق عن ابن عباس، وأخرج الثاني عن الربيع بن أنس واختاره، وأخرج الثالث عن الضحاك، وأخرج قولاً رابعاً عن ابن عمر وغيره أنها بمعنى حيث شئتم. واختار أبو حيان وغيره أنها في الآية شرطية، وحذف جوابها لدلالة ما قبلها عليه، لأنها لو كانت استفهامية لاكتفت بما بعدها كما هو شأن الاستفهامية أن تكتفي بما بعدها: أي تكون كلاماً يحسن السكوت عليه إن كان اسماً أو فعلاً.

(أو) حرف عطف:

(أو) حرف عطف ترد لمعان الشك من المتكلم نحو: ﴿قالوا لبِثْنَا يوماً أو بعضَ يَوم﴾ وعلى الإبهام على السامع نحو: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هُدًى أو في ضلال مُبين﴾ والتخيير بين المعطوفين بأن يمتنع الجمع بينهما والإباحة بأن لا يمتنع الجمع، ومثل الثاني بقوله: ﴿وعلى أنفسكم أن تأكُلُوا من بيوتِكُم أو بيوتِ آبائِكُم﴾ الآية، ومثل الأول بقوله تعالى: ﴿ففديةٌ من صيامٍ أو صدقةٌ أو نُسُك﴾ وقوله: ﴿فكفارتُهُ إطعامُ عشرةِ مساكينَ من أوسط ما تطعمون أو كِسْوَتُهُمْ أو تحريرُ رَقَبَةٍ﴾ واستشكل بأن الجمع في الآيتين غير ممتنع. وأجاب ابن هشام بأنه ممتنع بالنسبة إلى وقوع كل كفارة أو فدية، بل يقع واحد منهن كفارة أو فدية، والباقي قربة مستقلة خارجة عن ذلك. قلت: وأوضح من هذا التمثيل قوله: ﴿أن يُقَتَّلُوا أو يُصَلَّبُوا﴾ الآية على قول من جعل الخيرة في ذلك إلى الإمام، فإنه يمتنع عليه الجمع بين هذه الأمور، بل يفعل منها واحد يؤدي اجتهاده إليه.

والتفصيل بعد الإجمال نحو: ﴿وقالوا كُونوا هُوداً أو نَصارىٰ تَهْتَدُوا﴾ ﴿قالوا ساحرٌ أو مجنون﴾ أي قال بعضهم كذا وبعضهم كذا.

والإضراب ببل: وخرج عليه: ﴿وأرسلناهُ إلى مائةِ ألفٍ أو يَزِيدون﴾ ﴿فكان قابَ قوسين أو أدنَى﴾ وقراءة بعضهم ﴿أوَ كُلَّما عاهدُوا عَهداً﴾ بسكون الواو.

ومطلق الجمع كالواو نحو: ﴿لعله يتذكرُ أو يَخْشَى﴾ ﴿لعلهم يَتَّقُون أو يُحدِثُ لهم ذِكراً﴾.

والتقريب ذكره الحريري وأبو البقاء وجعل منه: ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾ وردّ بأن التقريب مستفاد من غيرها.

ومعنى إلا في الاستثناء ومعنى إلى، وهاتان ينصب المضارع بعدهما بأن مضمرة، وخرج عليها ﴿لا جُنَاحَ عليكم إن طلقتُمُ النِساءَ ما لم تَمَسُّوهُن أو تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةَ﴾ فقيل إنه منصوب لا مجزوم بالعطف على تمسوهن لئلا يصير المعنى: لا جناح عليكم فيما يتعلق بمهور النساء إن طلقتموهن في مدة انتفاء أحد هذين الأمرين، مع أنه إذا انتفى الفرض دون المسّ لزم مهر المثل، وإذا انتفى المس دون الفرض لزم نصف المسمى، فكيف يصح رفع الجناح عند انتفاء أحد الأمرين، ولأن المطلقات المفروض لهن قد ذكرن ثانياً بقوله: ﴿وإن طلقتموهن﴾ الآية، وترك ذكر الممسوسات فكانت الممسوسات والمفروض لهن مستويين في الذكر، وإذا قدرت «أو» بمعنى «إلا» خرجت المفروض لهن عن مشاركة الممسوسات في الذكر، وكذا إذا قدرت بمعنى إلى ويكون غاية لنفي الجناح لا لنفي المسّ. وأجاب ابن الحاجب عن الأول بمنع كون المعنى مدة انتفاء أحدهما بل مدة لم يكن واحد منهما وذلك ينفيهما جيعاً لأنه نكرة في سياق النفي الصريح. وأجاب بعضهم عن الثاني بأن ذكر المفروض لهن إنما كان لتعيين النصف لهن لا لبيان أن لهن شيئاً في الجملة. ومما خرج على هذا المعنى قراءة أُبيّ ﴿تُقاتلونَهُم أو يُسلمون﴾.

[تنبيهات: الأول] لم يذكر المتقدمون لـ(أو) هذه المعاني، بل قالوا: هي لأحد الشيئين أو الأشياء. قال ابن هشام: وهو التحقيق. والمعاني المذكورة مستفادة من القرائن.

[الثاني] قال أبو البقاء: أو في النهي نقيضة أو في الإباحة، فيجب اجتناب الأمرين كقوله: ﴿ولا تُطِعْ مِنهم آثماً أو كَفُوراً﴾ فلا يجوز فعل أحدهما، فلو جمع بينهما كان فعلاً للمنهي عنه مرتين، لأن كل واحد منهما أحدهما. وقال غيره: أو في مثل هذا بمعنى الواو تفيد الجمع. وقال الطيبي: الأولى أنها على

بابها، وإنما جاء التعميم فيها من النهي الذي فيه معنى النفي، والنكرة في سياق النفي تعم لأن المعنى قبل النهي: تطيع آثماً أو كفوراً: أي واحد منهما، فإذا جاء النهي ورد على ما كان ثابتاً، فالمعنى: لا تطع واحداً منهما بالتعميم فيهما من جهة النهي وهي على بابها.

[الثالث] يكون مبناها على عدم التشريك عاد الضمير إلى مفردها بالإفراد وبخلاف الواو. وأما قوله تعالى: ﴿إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما﴾ فقيل إنها بمعنى الواو. وقيل المعنى: إن يكن الخصمان غنيين أو فقيرين.

[فائدة] أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كل شيء في القرآن « أو » فهو مخير، فإذا كان فمن لم يجد فهو الأول فالأول. وأخرج البيهقي في سننه عن ابن جريج: قال كل شيء في القرآن فيه أو للتخيير إلا قوله ﴿أن يُقَتَّلُوا أو يُصَلَّبُوا﴾ ليس بمخير فيها. قال الشافعي: وبهذا أقول.

(أولى) للتهديد والذم:

(أولى) في قوله تعالى: ﴿أولى لَكَ فَأَولى﴾ وفي قوله: ﴿فأولى لهم﴾ قال في الصحاح: قولهم أولى لك كلمة تهديد ووعيد. قال الشاعر★ فأولى له ثم أولى له★ قال الأصمعي: معناه قاربه ما يهلكه: أي نزل به. قال الجوهري: ولم يقل أحد فيها أحسن مما قال الأصمعي. وقال قوم: هو اسم فعل مبني، ومعناه: وليك شر بعد شر ولك تبيين. وقيل هو علم للوعيد غير مصروف ولذا لم ينوّن، وأن محله رفع على الابتداء ولك الخبر، ووزنه على هذا فعلى، والألف للإلحاق، وقيل افعل، وقيل معناه الويل لك وأنه مقلوب منه، والأصل أويل فأخر حرف العلة، ومنه قول الخنساء:

هممـــت بنفسي بعـــض الهمـــوم   فـــــأولى لنفسي أولـــى لهـــا

وقيل معناه **الذم لك** أولى من تركه، فحذف المبتدأ لكثرة دورانه في الكلام. وقيل المعنى: أنت اولى وأجدر لهذا العذاب. وقال ثعلب: أولى في كلام العرب معناه: مقارنة الهلاك، كأنه يقول: قد وليت الهلاك أو قد دانيت الهلاك، وأصله من الولي وهو القرب، ومنه: ﴿قَاتِلُوا الذِينَ يَلُونَكُم﴾ أي يقربون منكم. وقال النحاس: العرب تقول: أولى لك: أي كدت تهلك، وكان تقديره: أولى لك الهلكة.

(إي) بمعنى نعم:

(إي) بالكسر والسكون حرف جواب بمعنى نعم، فتكون لتصديق الخبر ولإعلام المستخبر ولوعد الطالب. قال النحاة: ولا تقع إلا قبل القسم. قال ابن الحاجب: وإلا بعد الاستفهام نحو: ﴿ويَستنبئونَكَ أحقٌ هو قُل إي ورَبِّي﴾.

(أي) المفتوحة المشددة:

(أيّ) بالفتح والتشديد على أوجه. الأول: أن تكون **شرطية** نحو: ﴿أيما الأجلينِ قَضَيتُ فلا عُدوان عليّ﴾ ﴿أياً ما تَدعُوا فلَهُ الأسماءُ الحُسْنَى﴾.

الثاني: **استفهامية** نحو: ﴿أيكم زادته هذه إيماناً﴾ وإنما يسأل بها عما يميز أحد المتشاركين في أمر يعمهما نحو: ﴿أيُّ الفَريقين خيرٌ مَقَاماً﴾: أي أنحن أم أصحاب محمد.

الثالث: **موصولة** نحو: ﴿لننزِعَنَّ من كُل شِيعةٍ أَيُّهُم أشدُّ﴾ وَهي في الأوجه الثلاثة معربة، وتبنى في الوجه الثالث على الضم إذا حذف عائدها، وأضيف كالآية المذكورة، وأعربها الأخفش وهذه الحالة أيضاً، وخرج عليه قراءة بعضهم بالنصب، وأول قراءة الضم على الحكاية، وأولها غيره على التعليق للفعل، وأولها الزمخشري على أنها خبر مبتدأ محذوف، وتقدير الكلام: لننزعنّ بعض كل

شيعة، فكأنه قيل من هذا البعض؟ فقيل هو الذي أشدّ، ثم حذف المبتدآن المكتنفان لأي. وزعم ابن الطراوة أنها في الآية مقطوعة عن الإضافة مبنية، وإن هم أشد مبتدأ وخبر ورد برسم الضمير متصلاً بأي وبالإجماع على إعرابها إذا لم تضف.

الرابع: أن يكون وصلة إلى نداء ما فيه أل نحو ﴿يا أيُّها الناسُ﴾ ﴿يا أيُّها النَّبيّ﴾.

(إيا) اسم وضمير:

(إيا) زعم الزجاج أنه **اسم ظاهر**، والجمهور **ضمير**، ثم اختلفوا فيه على أقوال.

أحدها: أنه كله ضمير هو وما اتصل به.

والثاني: أنه وحده ضمير وما بعده اسم مضاف له يفسر ما يراد به من تكلم وغيبة وخطاب نحو ﴿فإيايَ فارهبون﴾ ﴿بل إياه تدعون﴾ ﴿إياكَ نعبدُ﴾.

والثالث: أنه وحده ضمير وما بعده حروف تفسر المراد.

والرابع: أنه عماد وما بعده هو الضمير، وقد غلط من زعم أنه مشتق، وفيه سبع لغات، قرىء بها بتشديد الياء وتخفيفها مع الهمزة وإبدالها هاء مكسورة ومفتوحة، هذه ثمانية يسقط منها بفتح الهاء مع التشديد.

(أيان) اسم استفهام:

(أيان) اسم استفهام، وإنما يستفهم به عن الزمان المستقبل كما جزم به ابن مالك، وأبو حيان ولم يذكر فيه خلافاً. وذكر صاحب إيضاح المعاني مجيئها للماضي. وقال السكاكي: لا تستعمل إلا في مواضع التفخيم نحو: ﴿أيانَ

مُرْساها﴾ ﴿أيانَ يوم الدين﴾ والمشهور عند النحاة أنها كمتى تستعمل في التفخيم وغيره. وقال بالأول من النحاة عليّ بن عيسى الربعي، وتبعه صاحب البسيط فقال: إنما تستعمل في الاستفهام عن الشيء المعظم أمره. وفي الكشاف: قيل إنها مشتقة من أيان فعلان منه لأن معناه: أيّ وقت وأي فعل، من آويت إليه لأن البعض أوى إلى الكل ومتساند بدله وهو بعيد. وقيل أي أوان حذفت الهمزة من اوان والياء الثانية من أي وقلبت الواو ياء وأدغمت الساكنة فيها، وقرىء بكسر همزتها.

(أين) اسم استفهام للمكان:

(أين) اسم استفهام عن المكان نحو: ﴿فأينَ تذهبُون﴾ ويرد شرطاً عاماً في الأمكنة، وأينما أعم منها نحو: ﴿أينما يوجهه لا يأت بخير﴾.

(الباء) حرف جر له معان كثيرة:

(الباء) المفردة حرف جر له معان أشهرها **الإلصاق**، ولم يذكر لها سيبويه غيره. وقيل إنه لا يفارقها، قال في شرح اللبّ: وهو تعلق أحد المعنيين بالآخر، ثم قد يكون حقيقة نحو: ﴿وامسحوا برُؤُوسِكُم﴾ أي ألصقوا المسح برؤوسكم ﴿فامسحُوا بوُجُوهِكُم وأيديَكم منه﴾ وقد يكون مجازاً نحو ﴿وإذا مَرُّوا بهم﴾ أي المكان يقرّبون منه.

الثاني: **التعدية** كالهمزة نحو: ﴿ذهب الله بنورهم﴾ ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم﴾ أي أذهبه كما قال: ﴿ليذهب عنكم الرجس﴾ وزعم المبرّد والسهيلي أن بين تعدية الباء والهمزة فرقاً، وأنك إذا قلت ذهبت بزيد كنت مصاحباً له في الذهاب ورد بالآية.

الثالث: **الاستعانة**، وهي الداخلة على آلة الفعل كباء البسملة.

الرابع: **السببية**، وهي التي تدخل على سبب الفعل نحو: ﴿فكُلاًّ أخذْنَا بذنبه﴾ ﴿ظلمتم أنفسَكُم باتخاذِكُمُ العِجْلَ﴾ ويعبر عنها أيضاً بالتعليل.

الخامس: **المصاحبة** كمع نحو: ﴿إهبط بسلام﴾ ﴿جاءكُم الرسُولُ بالحق﴾ ﴿فسبح بحمدِ ربك﴾.

السادس: **الظرفية** كفي زماناً ومكاناً نحو: ﴿نجيناهم بسحر﴾ ﴿نصركم الله ببدر﴾.

السابع: **الاستعلاء** كعلى نحو: ﴿من أن تأمنهُ بِقِنطَارٍ﴾ أي عليه بدليل: ﴿إلا كما أمنتُكُم على أخيه﴾.

الثامن: **المجاوزة** كعن نحو: ﴿فاسأل به خبيراً﴾ أي عنه بدليل ﴿يسألون عن أنبائكم﴾ ثم قيل يختص بالسؤال، وقيل لا نحو: ﴿يسعى نُورُهُم بين أيديهم وبأيمانهم﴾ أي وعن أيمانهم: ﴿ويوم تشقّقُ السماءُ بالغَمامِ﴾ أي عنه.

التاسع: **التبعيض** كمن نحو: ﴿عيناً يشربُ بها عبادُ اللهِ﴾ أي منها.

العاشر: **الغاية** كإلى نحو: ﴿وقد أحسنَ بي﴾ أي إليّ.

الحادي عشر: **المقابلة** وهي الداخلة على الإعواض نحو: ﴿ادخلوا الجنة بما كُنتم تَعْمَلُون﴾ وإنما لم تقدرها بالسببية كما قال المعتزلة، لأن المعطي بعوض قد يعطي مجاناً، وأما المسبب فلا يوجد بدون السبب.

الثاني عشر: **التوكيد** وهي الزائدة، فتزاد في الفاعل وجوباً في نحو ﴿أسمع بهم وأبْصِرْ﴾ وجواز غالباً في نحو ﴿كفى باللهِ شَهيداً﴾ فإن الاسم الكريم فاعل، وشهيداً نصب على الحال أو التمييز، والباء زائدة ودخلت لتأكيد الاتصال، لأن الاسم في قوله: ﴿كفى بالله﴾ متصل بالفعل اتصال الفاعل. قال ابن الشجري: وفعل ذلك إيذاناً بأن الكفاية من الله ليس كالكفاية من غيره في

معظم المنزلة، فضوعف لفظها لتضاعف معناها. وقال الزجاج: دخلت لتضمن كفى معنى اكتفى. قال ابن هشام: وهو من الحسن بمكان. وقيل الفاعل مقدر والتقدير: كفى الاكتفاء بالله، فحذف المصدر وبقي معموله دالاً عليه، ولا تزاد في فاعل كفي بمعنى وفى نحو: ﴿فَسَيَكفيكم اللهُ﴾ ﴿وكفى اللهُ المؤمنينَ القِتالَ﴾ وفي المفعول نحو: ﴿ولا تُلقُوا بأيديكم إلى التهْلُكة﴾ ﴿وهُزّي إليكِ بجذعِ النخلةِ﴾ ﴿فليمدُدْ بسببٍ إلى السماء﴾ ﴿ومَنْ يُردْ فيه بإلحادٍ﴾ وفي المبتدإ نحو ﴿أيكم المفتون﴾ أي أيكم. وقيلَ هي ظرفية: أي في أي طائفة منكم، وفي اسم ليس في قراءة بعضهم: ﴿ليس البرَّ أن تُوَلُّوا﴾ بنصب البرّ وفي الخبر المنفي نحو: ﴿وما اللهُ بغافلٍ﴾ قيل: والموجب، وخرج عليه: ﴿وجزاءُ سيئةٍ بمثلها﴾ وفي التوكيد: وجعل منه: ﴿يتربّصنَ بأنفسِهن﴾.

[فائدة] اختلف في الباء من قوله: ﴿وامسحوا برؤوسِكُم﴾ فقيل للإلصاق. وقيل للتبعيض. وقيل زائدة. وقيل للاستعانة، وإن في الكلام حذفاً وقلباً، فإن مسح يتعدّى إلى المزال عنه بنفسه. وإلى المزيل بالباء، فالأصل: امسحوا رؤوسكم بالماء.

(بل) حرف إضراب

(بل) حرف إضراب إذا تلاها جلة، ثم تارة يكون معنى الإضراب الإبطال لما قبلها نحو: ﴿وقالوا اتخذَ الرحمنُ وَلَداً سُبحانَهُ بل عبادٌ مُكرمون﴾ أي بل هم عباد: ﴿أم يقُولُون به جُنة بل جاءَهُم بالحق﴾ وتارة يكون معناه الانتقال من غرض إلى آخر نحو: ﴿ولدينا كتابٌ ينطقُ بالحقِّ وهم لا يظلمون بل قلوبُهم في غمرة من هذا﴾ فما قبل بل فيه على حاله، وكذا: ﴿قد أفلحَ من تَزَكَّى وذَكَرَ اسمَ رَبِّهِ فصلى. بلْ تؤثِرون الحياةَ الدنيا﴾.

وذكر ابن مالك في شرح كافيته أنها لا تقع في القرآن إلا على هذا الوجه،

ووهمه ابن هشام. وسبق ابن مالك إلى ذلك صاحب البسيط ووافقه ابن الحاجب فقال في شرح المفصل: إبطال الأول وإثباته للثاني إن كان في الإثبات من باب الغلط فلا يقع مثله في القرآن انتهى. أما إذا تلاها مفرد فهي حرف عطف ولم يقع في القرآن كذلك.

(بلى) تأتي رداً لنفي:

(بلى) حرف أصلي الألف، وقيل الأصل بل والألف زائدة، وقيل هي للتأنيث بدليل إمالتها، ولها موضعان: أحدهما: أن تكون رداً لنفي يقع قبلها نحو: ﴿ما كُنَّا نَعملُ من سُوءٍ بلى﴾ أي عملتم السوء ﴿لا يبعثُ اللهُ من يموتُ بلى﴾: أي يبعثهم ﴿زَعَمَ الذين كفرُوا أن يُبْعَثوا قل بلى وربي لتبعثن﴾ ﴿وقالوا: ليس علينا في الأميينَ سَبيل﴾. ثم قال: بلى عليهم سبيل ﴿وقالوا: لن يدخلَ الجنةَ إلا من كان هُوداً أو نصارى﴾. ثم قال: بلى يدخلها غيرهم وقالوا: ﴿لن تمسنا النارُ إلا أياماً معدودةً﴾. ثم قال: بلى تمسهم ويخلدون فيها.

(بلى) تأتي جواباً لاستفهام:

الثاني: أن تقع جواباً لاستفهام دخل على نفي فتفيد إبطاله، سواء كان الاستفهام حقيقياً نحو: أليس زيد بقائم؟ فيقول بلى. أو توبيخاً نحو: ﴿أم يَحْسَبُون أنَّا لا نسمعُ سِرَّهُم ونجواهُم بلى﴾ ﴿أيحسبُ الإنسانُ أن لَنْ نجمعَ عِظَامه بلى﴾ أو تقريراً نحو: ﴿ألستُ بِرَبِّكُم قالوا بَلَى﴾ قال ابن عباس وغيره: لو قالوا نعم كفروا، ووجهه أن نعم تصديق للمخبر بنفي أو إيجاب، فكأنهم قالوا لست ربنا، بخلاف بلى فإنها لإبطال النفي، فالتقدير: أنت ربنا. ونازع في ذلك السهيلي وغيره بأن الاستفهام التقريري خبر موجب، ولذلك منع سيبويه من جعل أم متصلة من قوله: ﴿أفلا تُبْصِرونَ أم أنا خَيْرٌ﴾ لأنها لا تقع بعد الإيجاب، وإذا ثبت أنه إيجاب فنعم بعد الإيجاب تصديق له. انتهى: قالَ ابن

هشام: ويشكل عليهم أن بلى لا يجاب بها الإيجاب اتفاقاً.

(بئس) فعل لإنشاء الذمّ لا يتصرف.

(بين) وموضعها في الكلام:

(بين) قال الراغب: هي موضوعة للخلل بين الشيئين ووسطهما. قال تعالى ﴿وجعلنا بينهما زَرْعاً﴾ وتارة تستعمل **ظرفاً** وتارة **اسماً**.

فمن الظرف ﴿لا تُقدِّمُوا بين يدي الله ورَسُوله﴾ ﴿فقدِّمُوا بينَ يدي نجواكُم صَدَقة﴾ ﴿فاحكمْ بيننا بالحق﴾ ولا تستعمل إلا فيما له مسافة نحو بين البلدين أو له عدد ما اثنان فصاعداً نحو ﴿بين الرجلين﴾ ﴿وبين القوم﴾ ولا يضاف إلى ما يقتضي معنى الوحدة إلا إذا كرّر نحو ﴿ومن بيننا وبينك حِجَابٌ﴾ ﴿فاجعل بيننا وبينكَ موعداً﴾ وقرىء قوله تعالى ﴿لقد تَقَطَّعَ بينْكُم﴾ بالنصب على أنه ظرف، وبالرفع على أنه اسم مصدر بمعنى الوصل، ويحتمل الأمرين قوله تعالى ﴿ذات بينكم﴾ وقوله ﴿فلما بلغا مجمع بينهما﴾ أي فراقهما.

(التاء) حرف جر:

(التاء) حرف جر معناه القسم يختص بالتعجب وباسم الله تعالى. قال في الكشاف في قوله ﴿وتالله لأكيدن أصنامكُم﴾ الباء أصل أحرف القسم والواو بدل منها والتاء بدل من الواو، وفيها زيادة معنى التعجب كأنه تعجب من تسهل الكيد على يديه وتأتيه مع عتو نمروذ وقهره انتهى.

(تبارك):

(تبارك) فعل لا يستعمل إلا بلفظ الماضي، ولا يستعمل إلا لله تعالى فعل لا يتصرف ومن ثم قيل إنه اسم فعل.

(ثم) وأحوالها:

(ثم) حرف يقتضي ثلاثة أمور: التشريك في الحكم، والترتيب، والمهلة. وفي كل خلاف.

أما التشريك فزعم الكوفيون والأخفش أنه قد يتخلف بأن تقع زائدة فلا تكون عاطفة البتة، وخرّجوا على ذلك ﴿حتى إذا ضاقت عليهمُ الأرضُ بما رحبتْ وضاقت عليهمْ أنفُسُهم وظنوا أن لا ملجأ من اللهِ إلا إليه ثم تابَ عليهم﴾ وأجيب بأن الجواب فيها مقدر.

وأما الترتيب والمهلة فخالف قوم في اقتضائها إياه وربما تمسك بقوله ﴿خلقكُم من نفس واحدةٍ ثم جَعَلَ مِنها زوَجها﴾ ﴿بدأ خلقَ الإنسانِ من طين ثم جعل نَسْلَه من سُلالةٍ من ماءَ مهين ثم سوّاه﴾ ﴿وإني لغَفّارٌ لمن تابَ وآمنَ وعَمِلَ صالحاً ثم اهتدَى﴾ والاهتداء سابق على ذلك ﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تهتدونَ ثم آتينا موسى الكِتَابَ﴾ وأجيب عن الكل بأن ثم فيها للترتيب الإخباري لا لترتيب الحكم.

قال ابن هشام: وغير هذا الجواب أنفع منه لأنه يصح الترتيب فقط لا المهلة، إذ لا تراخي بين الإخبارين. والجواب المصحح لها ما قيل في الأولى: إن العطف على مقدر: أي من نفس واحدة أنشأها ثم جعل منها زوجها. وفي الثانية أن سواه عطف على الجملة الأولى لا الثانية. وفي الثالثة أن المراد ثم دام على الهداية. وفي الرابعة فائدة: أجرى الكوفيون ثم مجرى الفاء والواو في جواز نصب المضارع المقرون بها بعد فعل الشرط، وخرج عليه قراءة الحسن ﴿ومن يخرجْ من بيتِهِ مُهاجراً إلى اللهِ ورسولِهِ ثم يُدركهُ الموتُ﴾ بنصب يدركه.

(ثَمَّ) اسم يُشار به:

(ثم) بالفتح اسم يشار به إلى المكان البعيد نحو ﴿وأزلفنا ثَمّ الآخرين﴾ وهو ظرف لا يتصرف، فلذلك غلط من أعربه مفعولاً لرأيت في قوله ﴿وإذا رأيتَ ثَمَّ﴾ وقرىء ﴿فإلينا مرجعهم ثم الله﴾ أي هنالك الله شهيد بدليل ﴿هنالك الولاية للهِ الحَقِّ﴾ وقال الطبراني في قوله ﴿أثَمَّ إذا ما وقع آمنتم به﴾ معناه هنالك، وليست ثم العاطفة، وهذا وَهْمٌ اشتبه عليه المضمومة بالمفتوحة، وفي التوشيح لخطاب: ثم ظرف فيه معنى الإشارة إلى حيث لأنه هو في المعنى.

جعل:

(جعل) قال الراغب: لفظ عام في الأفعال كلها، وهو أعم من فعـل صنع وسائر أخواتها، ويتصرف على خمسة أوجه. أحدها: يجري مجرى صار وطفق ولا يتعدى نحو: جعل زيد يقول كذا. والثاني: مجرى أوجد فتتعدى لمعمول واحد نحو ﴿وجعل الظُّلُمات والنُورَ﴾. والثالث: في إيجاد شيء من شيء وتكوينه منه نحو ﴿جعلَ لكم من أنفسِكُم أزواجاً﴾ ﴿وجعل لكم من الجبال أكنَاناً﴾ والرابع في تصيير الشيء على حالة دون حالة نحو ﴿الذي جَعَلَ لكم الأرضَ فِراشاً. وجعل القَمَرَ فيهنَّ نُوراً﴾. والخامس: الحكم بالشيء على الشيء حقاً كان نحو ﴿وجاعلـوه مـن المرسلين﴾ أو بـاطلاً نحو ﴿ويجعلـون لله البنـاتِ﴾ ﴿الذين جَعلوا القرآن عضين﴾.

حاشا:

(حاشا) اسم بمعنى التنزيه في قوله تعالى ﴿حاشا للهِ ما علِمنا عليهِ من سُوء﴾ ﴿حَاشا للهِ ما هذا بشراً﴾ إلا فعل ولا حرف بدليل قراءة بعضهم حاشا لله بالتنوين، كما يقال براءة الله. وقراءة ابن مسعود: حاشا الله، بالإضافة كمعاذ

الله وسبحان الله، ودخولها على اللام في قراءة السبعة، والجار لا يدخل على الجار، وإنما ترك التنوين في قراءتهم لبنائها لشبهها بحاشا الحرفية لفظاً.

وزعم قوم أنها اسم فعل معناها أتبرأ وتبرأت لبنائها. وردّ بإعرابها في بعض اللغات. وزعم المبرد وابن جني أنها فعل، وأن المعنى في الآية جانب يوسف المعصية لأجل الله، وهذا التأويل لا يتأتى في الآية الأخرى. وقال الفارسي: حاشا: فعل من الحشاء وهو الناحية: أي صار في ناحية: أي بعد مما رمى به وتنحى عنه فلم يغشه ولم يلابسه، ولم يقع في القرآن حاشا إلا استثنائية.

(حتى) حرف غاية:

(حتى) حرف لانتهاء الغاية كإلى، لكن يفترقان في أمور: فتنفرد حتى بأنها لا تجر إلا الظاهر وإلا الآخر المسبوق بذي أجزاء والملاقي له نحو ﴿سلامٌ هي حتى مطلعِ الفَجْرِ﴾ وإنها لإفادة تقتضي الفعل قبلها شيئاً فشيئاً. وإنها لا يقابل بها ابتداء الغاية.

وإنها يقع بعدها المضارع المنصوب بأن المقدرة، ويكونان في تأويل مصدر مخفوض. ثم لها حينئذ ثلاثة معان: مرادفة إلى نحو ﴿لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجعَ إلينا موسى﴾ أي إلى رجوعه. ومرادفة كي التعليلية نحو ﴿ولاَ يزالُون يُقاتلونكم حتى يردُّوكُم﴾ ﴿لا تُنفِقُوا على من عند رسولِ الله حتىَ تنفَضُّوا﴾ وتحتملها ﴿فقاتلوا التي تبغي حتى تفي إلى أمر الله﴾ ومرادفة إلا في الاستثناء، وجعل منه ابن مالك وغيره ﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولا﴾.

[مسألة] متى دل دليل على دخول الغاية التي بعد إلى وحتى في حكم ما قبلها أو عدم دخوله فواضح أن يعمل به. فالأول نحو ﴿وأيديَكُم إلى المرافقِ﴾ ﴿وأرجُلَكُمْ إلى الكعبين﴾ دلت السنة على دخول المرافق والكعبين في الغسل.

والثاني نحو ﴿ثم أتموا الصيامَ إلى الليل﴾ دل النهي عن الوصال على عدم دخول الليل في الصيام ﴿فنظرةٌ الى ميسرة﴾ فإن الغاية لو دخلت هنا لوجب الإنظار حال اليسار أيضاً، وذلك يؤدي إلى عدم المطالبة وتفويت حق الدائن. وإن لم يدل دليل على واحد منها ففيها أربعة أقوال. أحدها وهو الأصح: تدخل مع حتى دون إلى حملاً على الغالب في البابين، لأن الأكثر مع القرينة عدم الدخول مع إلى والدخول مع حتى، فوجب الحمل عليه عند التردد. والثاني: يدخل فيهما عليه. والثالث: لا فيهما. واستدل للقولين في استوائهما بقوله ﴿فمتعناهم إلى حين﴾ وقرأ ابن مسعود حتى حين[1].

(حتى) حرف ابتداء:

[تنبيه] ترد حتى ابتدائية: أي حرفاً يبتدأ بعده الجمل فيدخل على الاسمية والفعلية المضارعية والماضوية نحو ﴿حتى يقولَ الرسولُ﴾ بالرفع ﴿حتى عَفَوْا وقالُوا﴾ ﴿حتى إذا فشلتم وتنَازَعتُم في الأمرِ﴾ وادعى ابن مالك أنها في الآيات جارة لإذا ولأن مضمرة في الآيتين، والأكثرون على خلافه، وترد عاطفة ولا أعلمه في القرآن، لأن العطف بها قليل جداً ومن ثم أنكره الكوفيون البتة.

[فائدة] إبدال حائها عينا لغة هذيل، وبها قرأ ابن مسعود.

(حيث) الظرفية:

(حيث) ظرف مكان. قال الأخفش: وترد للزمان مبنية على الضم تشبيهاً بالغايات، فإن الإضافة إلى الجمل كلا إضافة، ولهذا قال الزجاج في قوله ﴿من حَيْثُ لا تَرونَهُم﴾ ما بعد حيث صلة لها وليست بمضافة إليه: يعني أنها غير

(١) لعل هنا سقطاً، لأن القول الرابع ليس له ذكر (المصحح)

مضافة للجملة بعدها فصارت كالصلة لها: أي كالزيادة، وليست جزءاً منها. وفهم الفارسي أنه أراد أنها موصولة فردّ عليه.

ومن العرب من يعربها، ومنهم من يبنيها على الكسر بالتقاء الساكنين وعلى الفتح للتخفيف، ويحتملها قراءة من قرأ ﴿مِن حَيْثُ لا يَعْلَمُون﴾ بالكسر - ﴿والله أعلمُ حيثُ يجعلُ رِسَالاتِه﴾ بالفتح، والمشهور أنها لا تتصرف.

وجوّز قوم في الآية الأخيرة كونها مفعولاً به على السعة. قال: ولا يكون ظرفاً لأنه تعالى لا يكون في مكان أعلم منه في مكان، ولأن المعنى: الله يعلم نفس المكان المستحق لوضع الرسالة لا شيئاً في المكان، وعلى هذا فالناصب لها يعلم محذوفاً مدلولاً عليه بأعلم لا به، لأن أفعل التفضيل لا ينصب المفعول به إلا إن أولته بعالم.

وقال أبو حيان: الظاهر إقرارها على الظرفية المجازية وتضمين أعلم معنى ما يتعدى إلى الظرف، فالتقدير: الله أنفذ علماً حيث يجعل: أي هو نافذ العلم في هذا الموضع.

(دون) الظرفية:

(دون) ترد ظرفاً نقيض فوق، فلا تتصرف على المشهور، وقيل تتصرف. وبالوجهين قرىء ﴿ومنَّا دُون ذلك﴾ بالرفع والنصب. وترد اسماً بمعنى غير نحو ﴿اتخذوا من دونه آلهةً﴾ أي غيره. وقال الزمخشري: معناه أدنى مكان من الشيء. وتستعمل للتفاوت في الحال نحو: زيد دون عمرو. أي في الشرف والعلم. واتسع فيه فاستعمل في تجاوز حدّ نحو ﴿أولياء من دونِ المؤمنين﴾ أي لا تجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين.

(ذو) بمعنى صاحب:

(ذو) اسم بمعنى صاحب وضع للتوصل إلى وصف الذوات بأسماء الأجناس، كما أن الذي وضعت صلة إلى وصف المعارف بالجمل ولا يستعمل إلا مضافاً ولا يضاف إلى ضمير ولا مشتق. وجوّزه بعضهم وخرّج عليه قراءة ابن مسعود ﴿وفوق كل ذي عِلْمٍ عَليم﴾ وأجاب الأكثرون عنها بأن العلم هنا مصدر أو بأن ذي زائدة.

قال السهيلي: والوصف بذو أبلغ من الوصف بصاحب والإضافة بها أشرف. فإن ذو مضاف للتابع وصاحب مضاف إلى المتبوع، تقول: أبو هريرة صاحب النبي، ولا تقول: النبي صاحب أبي هريرة وأما ذو فإنك تقول: ذو المال وذو العرش، فتجد الاسم الأول متبوعاً غير تابع، وبني على هذا الفرق أنه تعالى قال في سورة الأنبياء ﴿وذا النون﴾ فأضافه إلى النون وهو الحوت. وقال في سورة ن ﴿ولا تَكُنْ كَصَاحِبِ الحوت﴾ قال: والمعنى واحد، لكن بين اللفظين تفاوتاً كثيراً في حسن الإشارة إلى الحالتين، فإنه حين ذكره في معرض الثناء عليه أتى بذا لأن الإضافة بها شرف، وبالنون لأن لفظه أشرف من لفظ الحوت لوجوده في أوائل السور، وليس في لفظ الحوت ما يشرفه بذلك فأتى به وصاحب حين ذكره في معرض النهي عن اتباعه.

رويد:

(رويد) اسم لا يتكلم به إلا مصغراً مأموراً به، وهو تصغير رود وهو المهل.

(رُبَّ) حرف له معان:

(ربّ) حرف في معناه ثمانية أقوال: أحدها: أنها للتقليل دائماً وعليه الأكثرون. الثاني: للتكثير دائماً كقوله تعالى: ﴿ربما يودُّ الذين كفرُوا لو كانوا

مُسلمين﴾ فإنه يكثر منهم تمني ذلك. وقال الأولون: هم مشغولون بغمرات الأهوال فلا يفيقون بحيث يتمنون ذلك إلا قليلاً. الثالث: أنها لها على السواء. الرابع: التقليل غالباً والتكثير نادراً وهو اختياري. الخامس عكسه. السادس: لم توضع لواحد منها، بل هي حرف إثبات لا يدل على تكثير ولا تقليل، وإنما يفهم ذلك من خارج. السابع: للتكثير في موضع المباهاة والافتخار وللتقليل فيما عداه. الثامن: لمبهم العدد تكون تقليلاً وتكثيراً، وتدخل عليها ما فتكفها عن عمل الجر وتدخلها على الجمل، والغالب حينئذ دخولها على الفعلية الماضي فعلها لفظاً ومعنى ومن دخولها على المستقبل الآية السابقة. وقيل إنه حد ونفخ في الصور.

(السين) حرف يختص بالمضارع:

(السين) حرف يختص بالمضارع ويخلصه للاستقبال ويتنزل منه منزلة الجزء فلذا لم تعمل فيه. وذهب البصريون إلى أن مدة الاستقبال معه أضيق منها مع سوف. وعبارة المعربين حرف تنفيس ومعناها حرف توسع لأنها نقلت المضارع من الزمن الضيق وهو الحال إلى الزمن الواسع وهو الاستقبال.

وذكر بعضهم أنها قد تأتي للاستمرار لا للاستقبال كقوله تعالى ﴿ستجدون آخرين﴾ الآية ﴿سيقولُ السفهاء﴾ الآية، لأن ذلك إنما نزل بعد قولهم ﴿ما ولاهم﴾ فجاءت السين إعلاماً بالاستمرار لا بالاستقبال. قال ابن هشام: وهذا لا يعرفه النحويون، بل الاستمرار مستفاد من المضارع والسين باقية على الاستقبال، إذ الاستمرار إنما يكون في المستقبل.

قال وزعم الزمخشري أنها إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه أفادت أنه واقع لا محالة، ولم أر من فهم وجه ذلك. ووجه أنها تفيد الوعد بحصول الفعل، فدخولها على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتض لتوكيده وتثبيت معناه، وقد أومأ

إلى ذلك في سورة البقرة فقال ﴿فسيَكْفيكَهُمُ اللهُ﴾ معنى السين أن ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين، وصرح به في سورة براءة فقال في قوله ﴿أولئك سيرحمهمُ اللهُ﴾ السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة. فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك: سأنتقم منك.

(سوف) كالسين:

(سوف) كالسين، وأوسع زماناً منها عند البصريين لأن كثرة الحروف تدل على كثرة المعنى، ومرادفة لها عند غيرهم، وتنفرد عن السين بدخول اللام عليها نحو ﴿ولسوف يعطيك﴾ قال أبو حيان: وإنما امتنع إدخال اللام على السين كراهة توالي الحركات كسيتدحرج، ثم طرد الباقي

قال ابن بابشاذ: والغالب على سوف استعمالها في الوعيد والتهديد، وعلى السين استعمالها في الوعد، وقد تستعمل سوف في الوعد والسين في الوعيد.

(سواء) بمعنى مستو

(سواء) تكون بمعنى مستو، فتقصر مع الكسر نحو (مكاناً سوى) وتمدّ مع الفتح نحو ﴿سواء عليهم أأنذرتَهم أم لم تنذرهم﴾ وبمعنى الوصل فيمد مع الفتح في نحو ﴿في سواءِ الجحيم﴾ وبمعنى التمام فكذلك نحو (في أربعة أيامٍ سواء) أي تماماً، ويجوز أن يكون منه (واهدنا إلى سواء الصراط) ولم ترد في القرآن بمعنى غير، وقيل وردت، وجعل منه في البرهان ﴿فقد ضل سواءَ السبيل﴾ وهو وهم، وأحسن منه قول الكلبي في قوله تعالى ﴿ولا أنتَ مكاناً سوى﴾ أنها استثنائية، والمستثنى محذوف: أي مكاناً سوى هذا المكان، حكاه الكرماني في عجائبة وقال: فيه بعد لأنها لا تستعمل غير مضافة.

(ساء) فعل للذمّ لا تتصرف.

سبحان:

سبحان: مصدر بمعنى التسبيح، لازم النصب والاضافة إلى مفرد ظاهر نحو ﴿سبحان الله﴾ ﴿سبحان الذي أسرى﴾ أو مضمر نحو ﴿سبحانهُ أن يكون له ولدٌ﴾ ﴿سبحانكَ لا علم لنا﴾ وهو مما أميت فعله. وفي العجائب للكرماني: من الغريب ما ذكره المفصل أنه مصدر سبح إذا رفع صوته بالدعاء والذكر، وأنشد:

قَبّحَ الإلَـه وجـوهَ تغلـبَ كلما   سبّـح الحجيـجُ وكبـروا إهلالا

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ﴿سبحان الله﴾ قال: تنزيه الله نفسه عن السوء.

ظن:

(ظن) أصله للاعتقاد الراجح كقوله تعالى ﴿إن ظنا أن يُقيما حُدُود اللهِ﴾ وقد تستعمل بمعنى اليقين كقوله تعالى ﴿الذين يظُنون أنهم ملاقوا ربهم﴾ أخرج ابن أبي حاتم وغيره عن مجاهد قال: كل ظن في القرآن يقين، وهذا مشكل بكثير من الآيات لم تستعمل فيها بمعنى اليقين كالآية الأولى.

وقال الزركشي في البرهان: للفرق بينهما في القرآن ضابطان.

أحدهما: أنه حيث وجد الظن محموداً مثاباً عليه فهو اليقين، وحيث وجد مذموماً متوعداً عليه بالعقاب فهو الشك.

والثاني: أن كل ظن يتصل بعده أن الخفيفة فهو شك نحو ﴿بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول﴾ وكل ظن يتصل به أن المشددة فهو يقين كقوله ﴿إني ظننتُ أني مُلاقٍ حِسابِيَهْ﴾ ﴿وظنَّ أنه الفِراق﴾ وقرىء: وأيقن أنه الفِراق. والمعنى في ذلك أن المشددة للتأكيد فدخلت على اليقين،

والخفيفة بخلافها فدخلت في الشك، ولهذا دخلت الأولى في العلم نحو ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ ﴿وعلم أن فيكم ضعفاً﴾ والثانية في الحسبان نحو ﴿وحسبوا أن لا تكون فتنة﴾ ذكر ذلك الراغب في تفسيره، وأورد على هذا الضابط ﴿وظنوا أن لا ملجأ من الله﴾ وأجيب بأنها هنا اتصلت بالاسم وهو ملجأ، وفي الأمثلة السابقة اتصلت بالفعل، ذكره في البرهان. قال: فتمسك بهذا الضابط فهو من أسرار القرآن

وقال ابن الانباري: قال ثعلب: العرب تجعل الظن علماً وشكاً وكذباً، فإن قامت براهين العلم فكانت أكبر من براهين الشك فالظن يقين، وإن اعتدلت براهين اليقين وبراهين الشك فالظن شك، وإن زادت براهين الشك على براهين اليقين فالظن كذب، قال الله تعالى ﴿إن هم إلا يظنون﴾ اراد: يكذبون انتهى.

(على) حرف جر:

(على) حرف جر له معان: أشهرها **الاستعلاء** حساً او معنى نحو ﴿وعليها وعلى الفلك تُحمْلون﴾ ﴿كلٌّ من عليها فانٍ﴾ ﴿فضلْنا بعضهم على بعْض﴾ ﴿ولهم عليَّ ذنبٌ﴾ ثانيها: **للمصاحبة** كمع نحو ﴿وآتى المال على حبهِ﴾ أي مع حبه ﴿وإن ربَّكَ لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾ ثالثها: **الابتداء** كمن نحو ﴿إذا اكتالوا على الناس﴾ أي من الناس ﴿لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم﴾ أي منهم بدليل احفظ عورتك الا من زوجتك. رابعها: **التعليل:** كاللام نحو ﴿ولتكبروا الله على ما هداكم﴾ اي لهدايته اياكم. خامسها: **الظرفية:** كـ(في) نحو ﴿دخل المدينة على حين غفلة من أهلها﴾ أي في حين ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان﴾ اي في زمن ملكه سادسها: **معنى الباء** نحو: ﴿حقيقٌ على أن لا أقول﴾: أي «بأن» كما قرأ أبيّ.

[فائدة] هي في نحو ﴿وتوكل على الحيّ الذي لا يموت﴾ بمعنى الإضافة

والإسناد: أي أضف توكلك وأسنده اليه، كذا قيل. وعندي أنها فيه بمعنى باء الاستعانة، وفي نحو ﴿كتب على نفسه الرحمة﴾ لتأكيد التفضيل لا الإيجاب والاستحقاق، وكذا في نحو ﴿ثم إن علينا حسابهم﴾ لتأكيد المجازاة. قال بعضهم: وإذا ذكرت النعمة في الغالب مع الحمد لم تقترن بعلى، وإذا أريدت النعمة أُتي بها، ولهذا كان ﷺ إذا رأى ما يعجبه قال «الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإذا رأى ما يكره قال: الحمد الله على كل حال».

[تنبيه] ترد «على» اسماً فيما ذكره الأخفش إذا كان مجرورها وفاعل متعلقها ضميرين لمسمى واحد نحو ﴿أمسك عليك زوجك﴾ لما تقدمت الإشارة اليه في إلى، وترد فعلاً من العلو ومنه ﴿إن فرعون علا في الأرض﴾.

(عن) حرف جر:

(عن) حرف جر له معان. أشهرها المجاوزة نحو ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ أي يجاوزونه ويبعدون عنه. ثانيها: البدل نحو ﴿لا تجزى نفسٌ عن نفْس شيئاً﴾ ثالثها: التعليل نحو ﴿وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة﴾ أي لأجل موعدة ﴿ما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك﴾ أي لقولك. رابعها: بمعنى على نحو ﴿فإنما يبخل عن نفسه﴾ أي عليها. خامسها: بمعنى من نحو ﴿يقبل التوبة عن عباده﴾ أي منهم بدليل ﴿فتقبل من أحدهما﴾ سادسها: بمعنى بعد نحو ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ بدليل أن في أية أخرى ﴿من بعد مواضعه﴾ ﴿لتركبنَّ طبقاً عن طبق﴾ أي حالة بعد حالة.

[تنبيه] ترد اسماً إذا دخل عليها من، وجعل منه ابن هشام ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾ قال: فتقدر معطوفة على مجرور من لا على من ومجرورها.

(عسى) فعل جامد:

(عسى) فعل جامد لا يتصرف، ومن ثم ادعى قوم أنه حرف، ومعناه الترجي في المحبوب والإشفاق في المكروه، وقد اجتمعا في قوله تعالى ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم﴾ قال ابن فارس: وتأتي للقرب والدنو نحو ﴿قل عسى أن يكون ردف لكم﴾

وقال الكسائي: كل ما في القرآن من عسى على وجه الخبر فهو موحد كالآية السابقة ووجه على معنى عسى الأمر أن يكون كذا، وما كان على الاستفهام فإنه يجمع نحو ﴿فهل عسيتم إن توليتم﴾ قال أبو عبيدة: معناه هل عرفتم ذلك وهل أخبرتموه.

وأخرج ابن أبي حاتم والبيهقي وغيرهما عن ابن عباس قال: كل عسى في القرآن فهي واجبة. وقال الشافعي: يقال عسى من الله واجبة، وقال ابن الأنباري: عسى في القرآن واجبة إلا في موضعين. أحدهما ﴿عسى رَبُّكم أن يَرْحَمكُم﴾ يعني بني النضير فما رحمهم الله بل قاتلهم رسول الله ﷺ وأوقع عليهم العقوبة. والثاني ﴿عسى ربُّهُ إن طَلَقَكُنَّ أن يُبْدِلَهُ أزواجاً﴾ فلم يقع التبديل. وأبطل بعضهم الاستثناء وعمم القاعدة، لأن الرحمة كانت مشروطة بأن لا يعودوا كما قال ﴿وإن عُدتم عُدْنا﴾ وقد عادوا فوجب عليهم العذاب. والتبديل مشروطاً بأن يطلق ولم يطلق فلا يجب. وفي الكشاف في سورة التحريم: عسى إطماع من الله تعالى لعباده. وفيه وجهان. أحدهما: أن يكون على ما جرت به عادة الجبابرة من الإجابة بلعل وعسى ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبتّ. والثاني: أن يكون جيء به تعليماً للعباد أن يكونوا بين الخوف والرجاء.

وفي البرهان: عسى ولعل من الله واجبتان وإن كانتا رجاء وطمعاً في كلام

المخلوقين، لأن الخلق هم الذين يعرض لهم الشكوك والظنون والباري منزّه عن ذلك. والوجه في استعمال هذه الألفاظ أن الأمور الممكنة لما كان الخلق يشكون فيها ولا يقطعون على الكائن منها والله يعلم الكائن منها على الصحة صارت لها نسبتان: نسبة إلى الله تسمى نسبة قطع ويقين، ونسبة إلى المخلوقين تسمى نسبة شك وظن، فصارت هذه الألفاظ لذلك ترد تارة بلفظ القطع بحسب ما هي عليه عند الله تعالى نحو: ﴿فسوف يأتي اللهُ بقومٍ يُحبُّهُم ويُحبُّونَهُ﴾ وتارة بلفظ الشك بحسب ما هي عليه عند الخلق نحو: ﴿فعسى اللهُ أن يأتيَ بالفتحِ أو أمرٍ من عِنْدِهِ﴾ ﴿فقولا له قولاً ليناً لعلهُ يتذكَّرُ أو يَخْشَى﴾ وقد علم الله حال إرسالهما ما يفضي إليه حال فرعون، لكن ورد اللفظ بصورة ما يختلج في نفس موسى وهارون من الرجاء والطمع، ولما نزل القرآن بلغة العرب جاء على مذاهبهم في ذلك، والعرب قد تخرج الكلام المتيقن في صورة المشكوك لأغراض. وقال ابن الدهان: عسى فعل ماضي اللفظ والمعنى. لأنه طمع قد حصل في شيء مستقبل. وقال قوم: ماضي اللفظ مستقبل المعنى لأنه إخبار عن طمع يريد أن يقع.

إعراب عسى:

[تنبيه] وردت في القرآن على وجهين. أحدهما: رافعة لاسم صريح بعده فعل مضارع مقرون بأن، والأشهر في إعرابها حينئذ أنها فعل ماض ناقص عامل عمل كان، فالمرفوع اسمها وما بعده الخبر.

وقيل متعد بمنزلة قارب معنى وعملاً، أو قاصراً بمنزلة قرب من أن يفعل وحذف الجار توسعاً، وهو رأي سيبويه والمبرد. وقيل قاصر بمنزلة قرب وأن يفعل بدل اشتمال من فاعلها.

الثاني: أن يقع بعدها أن والفعل. فالمفهوم من كلامهم أنها حينئذ تامة. وقال ابن مالك: عندي أنها ناقصة أبداً، وإن وصلتها سدت مسد الجزءين كما في ﴿أَحَسِبَ الناسُ أن يُتْرَكُوا﴾.

(عند) ظرف مكان:

(عند) ظرف مكان تستعمل في الحضور والقرب، سواء كانا حسيين نحو: ﴿فلما رآه مُستقراً عنده﴾ ﴿عندَ سِدْرَةِ المنتهي﴾ ﴿عندها جَنّةُ المأوى﴾ أو معنـويين نحو: ﴿قـال الذي عِنَـدهُ عِلمٌ مـن الكتـاب﴾ ﴿وإنهم عنـــدنــا لمن المصطفين﴾ ﴿في مقعدِ صِدْقٍ عندَ مليكٍ﴾ ﴿أحياءٌ عندَ رَبِّهم﴾ ﴿ابنِ لي عندكَ بيتاً في الجنة﴾.

فالمراد في هذه الآيات قرب التشريف ورفعه المنزلة، ولا تستعمل إلا ظرفاً أو مجرورة بمن خاصة نحو: ﴿فمن عندك﴾ ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله﴾ وتعاقبها لدى ولدن نحو: ﴿لدى الحناجِرِ﴾ ﴿لدى البابِ﴾ ﴿وما كنتَ لديهم إذ يُلقون أقلامَهُم أيُّهُم يَكفُلُ مَريَمَ﴾ ﴿وما كنتَ لديهِمْ إذ يَخْتَصِمُون﴾ وقد اجتمعنا في قوله: ﴿آتيناهُ رحمةً من عِندنا وعلمناهُ من لَدُنا عِلماً﴾ ولو جيء فيها بعند ولدن صح، لكن ترك دفعاً للتكرار، وإنما حسن تكرار لدى في وما كنت لديهم لتباعد ما بينهما.

الفرق بين (عند ولدى ولدن):

وتفارق عند ولدى لدن من ستة أوجه: فعند ولدى تصلح في محل ابتداء غاية وغيرها، ولا تصلح لدن إلا في ابتداء غاية. وعندِ ولدى يكونان فضلة نحو: ﴿وعندنا كتابٌ حَفِيظ﴾ ﴿ولدينا كتابٌ يَنطِقُ بالحق﴾ ولدن لا يكون فضلة، وجرّ لدن بمن أكثر من نصبها حتى أنها لم تجيء في القرآن منصوبة، وجر عند كثير، وجرّ لدى ممتنع. وعند ولدى يعربان، ولدن مبنية في لغة الأكثرين، ولدن قد لا تضاف وقد تضاف للجملة بخلافها.

وقال الراغب: لدن أخص من عند وأبلغ، لأنه يدل على ابتداء نهاية الفعل انتهى. وعند أمكن من لدن من وجهين: أنها تكون ظرفاً للأعيان والمعاني،

بخلاف لدي، وعند تستعمل في الحاضر والغائب، ولا تستعمل لدى إلا في الحاضر، ذكرهما ابن الشجري وغيره.

(غير) اسم ملازم للاضافة والإبهام:

(غير) اسم ملازم للإضافة والإبهام، فلا تتعرف ما لم تقع بين ضدين، ومن ثم جاز وصف المعرفة بها في قوله: ﴿غيرِ المغضوبِ عليهم﴾ والأصل أن تكون وصفاً للنكرة نحو: ﴿نَعملْ صالحاً غيرَ الذي كُنا نَعْمَل﴾ وتقع حالاً إن صلح موضعها لا، واستثناء إن صلح موضعها إلا، فتعرب بإعراب الاسم التالي إلا في ذلك الكلام.

وقرىء قوله تعالى: ﴿لا يستوي القاعِدُون من المؤمنين غيرِ أُولى الضرر﴾ بالرفع على أنها صفة للقاعدون أو استثناء، وأبدل على حدّ ما فعلوه إلا قليل، وبالنصب على الاستثناء، وبالجر خارج السبعة صفة للمؤمنين.

وفي المفردات للراغب: «غير» تقال على أوجه. الأول: أن تكون للنفي المجرد من غير إثبات معنى به نحو: مررت برجل غير قائم: أي لا قائم، قال تعالى: ﴿ومن أَضَلُّ ممن اتبعَ هَوَاهُ بِغيرِ هُدى﴾ ﴿وهو في الخِصَامِ غيرُ مُبين﴾ الثاني: بمعنى إلا، فيستثنى بها وتوصف به النكرة نحو: ﴿ما لَكُم من إِلَهٍ غَيرِه﴾ ﴿هل من خالق غير الله﴾. الثالث: لنفي الصورة من غير مادتها نحو: الماء حار غير إذا كان بارداً، ومنه قوله تعالى: ﴿كلما نَضِجَت جُلُودُهُم بدلناهُم جُلُوداً غَيرَهَا﴾. الرابع: أن يكون ذلك متناولاً لذات نحو: ﴿تَقُولون على اللهِ غيرَ الحق﴾ ﴿أغيرَ اللهِ أبغي رَباً﴾ ﴿ائت بقرآنٍ غَيرِ هذا﴾ ﴿ويستبدل قوماً غيرَكُم﴾ انتهى.

(الفاء) حرف عطف:

(الفاء) ترد على أوجه. أحدها : أن تكون عاطفة فتفيد ثلاثة أمور. أحدها : الترتيب معنوياً كان نحو : [فوكزه موسى فقضى عليه﴾ أو ذكرياً وهو عطف مفصل على مجمل نحو : ﴿فأزلّهما الشيطانُ عنها فأخرجَهُما مما كان فيه﴾ ﴿سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرِنا اللهَ جهرة﴾ ﴿ونادى نُوح ربَّه فقال ربِّ﴾ الآية وأنكره : أي الترتيب الفراء واحتج بقوله : ﴿أهلكناها فجاءها بأسُنا﴾ . وأجيب بأن المعنى : أردنا إهلاكها .

ثانيها : التعقيب وهو في كل شيء بحسبه ، وبذلك تنفصل عن التراخي في نحو : ﴿أنزلْ من السماء ماءً فتصبحُ الأرضُ مُخضرةً﴾ ﴿خلقنا النطفةَ علقةً فَخَلقنا العلقةَ مُضغةً﴾ الآية .

ثالثها : السببية غالباً نحو : ﴿فَوَكزه مُوسى فَقَضَى عليه﴾ ﴿فتلقى آدمُ من ربِّهِ كلماتٍ فتابَ عليه﴾ ﴿لآكلونَ من شجرٍ من زَقُّوم فمالئونَ منها البُطونَ﴾ . ﴿فشارِبونَ عليه من الحميم﴾ وقد تجيء لمجرد الترتيب نحو : ﴿فراغَ إلى أهلِهِ فجاءَ بعجلٍ سمينٍ فقرّبه إليهم﴾ ﴿فأقبلتِ امرأتُهُ في صَرَّةٍ فَصَكَّتْ﴾ ﴿فالزاجراتِ زَجْرا فالتَالياتِ﴾ .

الوجه الثاني : أن تكون لمجرد السببية من غير عطف نحو : ﴿إنا أعطيناكَ الكوثَرَ فَصلِّ﴾ إذا لا يعطف الإنشاء على الخبر وعكسه .

الثالث : أن تكون رابطة للجواب حيث لا يصلح لأن يكون شرطاً بأن كان جملة اسمية نحو : ﴿إن تُعذِّبْهُم فإنهم عِبادُك﴾ ﴿وإن يَمْسَسْكَ بِخيرٍ فهو على كل شيءٍ قَدِير﴾ أو فعلية فعلها جامد نحو : ﴿إن تَرَنِ أنا أَقلَّ منك مالاً وولداً فعسى رَبِي أن يُؤتِيَنِ﴾ ﴿ومن يفعلْ ذلك فَليسَ من اللهِ في شيء﴾ ﴿إن تُبدُوا الصدقاتِ فَنِعِما هي﴾ ﴿ومن يكنِ الشَيطانُ له قريناً فساءَ قَريناً﴾ أو إنشائي

نحو: ﴿إن كُنتم تُحبونَ اللهَ فاتبعُوني﴾ ﴿فإن شَهِدُوا فلا تَشْهدْ معهم﴾، واجتمعت الاسمية والإنشائية في قوله: ﴿إن أصبحَ ماؤُكم غَوراً فمن يأتيكم بماءٍ مَعِينٍ﴾ أو ماض لفظاً ومعنى نحو: ﴿إن يسرقْ فقد سَرَقَ أخٌ لَهُ من قبلُ﴾ أو مقرون بحرف استقبال نحو: ﴿من يرتدد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم﴾ ﴿وما تفعلُوا من خير فلن تَكْفُرُوه﴾ وكما تربط الجواب بشرطه تربط شبه الجواب بشبه الشرط نحو: ﴿إن الذينَ يكفرونَ بآياتِ اللهِ وَيَقْتُلُون النبيينَ﴾ إلى قوله: ﴿فبشرهُم﴾.

الوجه الرابع: أن تكون زائدة، وحمل عليه الزجاج ﴿هذا فليذوقُوه﴾ ورد بأن الخبر حميم، وما بينهما معترض، وخرج عليه الفارسي ﴿بل اللهَ فاعبُدْ﴾ وغيره ﴿ولما جاءَهُم كتابٌ من عِندِ الله﴾ إلى قوله: ﴿فلما جاءَهُم ما عَرَفُوا﴾.

الخامس: أن تكون للاستئناف، وخرج عليه: ﴿كن فيكون﴾ بالرفع.

(في) حرف جر:

(في) حرف جر له معان: أشهرها الظرفية مكاناً أو زماناً نحو: ﴿غُلِبتِ الرومُ في أدنى الأرضِ وهم من بَعْدِ غَلَبِهم سَيَغْلِبُون. في بضعِ سِنِين﴾ حقيقة كالآية، أو مجازاً نحو: ﴿ولكم في القصاص حياةٌ﴾ ﴿لقد كَانَ في يوسفَ وإخوته آياتٌ﴾ ﴿إنا لنراكَ في ضلالٍ مُبين﴾ ثانيها: المصاحبة كمع نحو: ﴿ادخلوا في أمم﴾ أي معهم في تسع آيات. ثالثها: التعليل نحو: ﴿فذلكُنَّ الذي لمتنني فيه﴾ ﴿لمسكُم فيما أفضْتُم فيه﴾ أي لأجله. رابعها: الاستعلاء نحو: ﴿لأصلبنَّكُم في جُذُوعِ النخلِ﴾ أي عليها. خامسها: معنى الباء نحو: ﴿يذرؤُكُم فيه﴾ أي بسببه. سادسها: معنى إلى نحو: ﴿فردّوا أيديَهُم في أفواهِهِم﴾ أي إليها. سابعها: معنى من ﴿ويوم نبعثُ في كلِّ أمةٍ شَهِيداً﴾ أي منهم بدليل الآية الأخرى. ثامنها: معنى عن نحو: ﴿فهو في الآخرة أعْمَى﴾ أي

عنها وعن محاسنها. تاسعها: المقايسة، وهي الداخلة بين مفضول سابق وفاضل لاحق نحو: ﴿فما متاعُ الحياةِ الدُّنيا في الآخرة إلا قَلِيل﴾. عاشرها: التوكيد وهي الزائدة نحو: ﴿وقال اركَبُوا فِيها﴾ أي اركبوها ﴿بسم اللهِ مجراها ومُرسَاها﴾.

(قد) حرف تحقيق وتقليل:

(قـد) حرف يختص بالفعل المتصرف الخبري المثبت المجرد من ناصب وجازم وحرف تنفيس ماضياً كان أو مضارعاً. ولها معان: التحقيق مع الماضي نحو: ﴿قد أَفْلحَ المؤمِنُون﴾ ﴿قد أفلَحَ من زَكَّاهَا﴾ وهي في الجملة الفعلية المجاب بها القسم مثل إن واللام في الاسمية المجاب بها في إفادة التوكيد والتقريب مع الماضي أيضاً تقربه من الحال، تقول: قام زيد فيحتمل الماضي القريب والماضي البعيد. فإن قلت: قد قام اختص بالقريب.

قال النحاة: وانبنى على إفادتها ذلك أحكام. منها: منع دخولها على ليس وعسى ونعم وبئس لأنهن للحال فلا معنى لذكر ما يقرب ما هو حاصل، ولأنهن لا يفدن الزمان.

ومنها: وجوب دخولها على الماضي الواقع حالاً: إما ظاهرة نحو: ﴿وما لنا أن لا نُقَاتِلَ في سَبيلِ اللهِ وقد أُخْرِجْنَا من دِيَارِنا﴾ أو مقدرة نحو: ﴿هذهِ بِضَاعَتُنا رُدَّت إلينا﴾ ﴿أو جاءوكم حَصِرَتْ صُدُورُهـم﴾ وخـالـف في ذلـك الكوفيون والأخفش وقالوا: لا يحتاج لذلك لكثرة وقوعه حالاً بدون قد.

وقال السيد الجرجاني وشيخنا العلامة الكافيجي: ما قاله البصريون غلط سببه اشتباه لفظ الحال عليهم، فإن الحال الذي تقرّبه قد: حال الزمان والحال المبين للهيئة حال الصفات وهما متغايرا المعنى.

الثالث: التقليل مع المضارع. قال في المغني: وهو ضربان: تقليل وقوع الفعل نحو قد يصدق الكذوب ـ وتقليل متعلقه نحو: ﴿قد يَعلمُ ما أنتم عَلَيه﴾ أي أن ما هم عليه هو أقل معلوماته تعالى. قال: وزعم بعضهم أنها في هذه الآية ونحوها للتحقيق انتهى. وممن قال بذلك الزمخشري وقال: إنها دخلت لتوكيد العلم ويرجع ذلك إلى توكيد الوعيد.

الرابع: التكثير، ذكره سيبويه وغيره، وخرج عليه الزمخشري قوله تعالى: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء﴾ قال: أي ربما نرى، ومعناه تكثير الرؤية.

الخامس: التوقع نحو: قد يقدم الغائب لمن يتوقع قدومه وينتظره وقد قامت الصلاة لأن الجماعة ينتظرون ذلك، وحمل عليه بعضهم ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك﴾ لأنها كانت تتوقع إجابة الله لدعائها.

(الكاف) ومعانيها:

(الكاف) حرف جر له معان: أشهرها **التشبيه** نحو: ﴿وله الجوارِ المنشآتُ في البحرِ كالأعلامِ﴾ **والتعليل** نحو: ﴿كما أَرسَلْنَا فِيكم﴾ قال الأخفش: أي لأجل ارسالنا فيكم رسولاً منكم فاذكروني ﴿واذكُرُوه كمَا هَدَاكم﴾ أي لأجل هدايته إياكم: ﴿وَيْكأَنَّـهُ لا يُفلِـحُ الكافرون﴾ أي أعجب لعدم فلاحهم: ﴿اجعلْ لنا إلَهاً كما لَهمُ آلهة﴾ **والتوكيد** وهي الزائدة، وحمل عليه الأكثرون: ﴿ليسَ كمثْله شَيءٌ﴾ أي ليس مثله شيء، ولو كانت غير زائدة لزم إثبات المثل وهو محال، والقصد بهذا الكلام نفيه.

(الكاف) الزائدة:

قال ابن جني: وإنما زيدت لتوكيد نفي المثل لأن زيادة الحرف بمنزلة إعادة الجملة ثانياً. وقال الراغب: إنما جمع بين الكاف والمثل لتأكيد النفي تنبيهاً على

أنه لا يصح استعمال المثل ولا الكاف، فنفى بليس الأمرين جميعاً. وقال ابن فورك: ليست زائدة، والمعنى ليس مثل مثله شيء، وإذا نفت التماثل عن المثل فلا مثل لله في الحقيقة. وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: مثل يطلق ويراد بها الذات، كقولك: مثلك لا يفعل هذا: أي أنت لا تفعله، كما قال:

ولم أقـــل مثلـــك أعني بـــه سـواك يـا فـرداً بلا مشبـه

وقد قال تعالى: ﴿فَإِن آمنوا بِمِثْلِ ما آمنتُم بِهِ فقدَ اهتَدَوا﴾ أي بالذي آمنتم به إياه، لأن إيمانهم لا مثل له، فالتقدير في الآية: ليس كذاته شيء. وقال الراغب: المثل هنا بمعنى الصفة، ومعناه ليس كصفته صفة تنبيهاً على أنه وإن كان وصف بكثير مما وصف به البشر فليست تلك الصفات له على حساب ما تستعمل في البشر، ولله المثل الأعلى.

[تنبيه] ترد الكاف اسماً بمعنى مثل فتكون في محل إعراب ويعود عليها الضمير. قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿كهيئة الطير فأنفخ فيه﴾ إن الضمير في فيه للكاف في كهيئة: أي فأنفخ في ذلك الشيء المماثل فيصير كسائر الطيور انتهى.

(الكاف) للخطاب:

[مسألة] الكاف في ذلك: أي في اسم الإشارة وفروعه ونحوه حرف خطاب لا محل له من الإعراب، وفي إياك قيل حرف، وقيل اسم مضاف إليه، وفي أرأيتك قيل حرف، وقيل اسم في محل رفع، وقيل نصب. والأول أرجح.

(كاد) فعل ناقص:

(كاد) فعل ناقص أتى منه الماضي والمضارع فقط، له اسم مرفوع وخبر مضارع مجرّد من إن، ومعناها: قارب، فنفيها نفي للمقاربة وإثباتها إثبات

للمقاربة، واشتهر على ألسنة كثير أن نفيها إثبات وإثباتها نفي، فقولك كاد زيد يفعل معناه يفعل بدليل: ﴿وإن كادوا ليَفتِنُونَكَ﴾ وما كاد يفعل ـ معناه فعل بدليل ﴿وما كادوا يفعلون﴾.

أخرج ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: كل شيء في القرآن كاد وأكاد ويكاد فإنه لا يكون أبداً.

وقيل إنها تفيد الدلالة على وقوع الفعل بعسر، وقيل نفي الماضي إثبات بدليل ﴿وما كادُوا يَفعَلُون﴾ ونفي المضارع نفي بدليل ﴿لم يَكَدْ يَراها﴾ مع أنه لم ير شيئاً، والصحيح الأول أنها كغيرها: نفيها نفي وإثباتها إثبات. فمعنى كاد يفعل: قارب الفعل ولم يفعل، وما كاد يفعل: ما قارب الفعل فضلاً عن أن يفعل، فنفي الفعل لازم من نفي المقاربة عقلاً.

وأما آية ﴿فذَبَحُوها وما كادُوا يَفْعَلُون﴾ فهو إخبار عن حالهم في أول الأمر، فإنهم كانوا أولاً بعداء من ذبحها، وإثبات الفعل إنما فهم من دليل آخر وهو قوله: ﴿فذبحوها﴾ وأما قوله: ﴿لقد كِدْتَ تَركَنُ﴾ مع أنه ﷺ لم يركن لا قليلاً ولا كثيراً فإنه مفهوم من جهة أن لولا الامتناعية تقتضي ذلك.

[فائدة] ترد كاد بمعنى أراد، ومنه: ﴿كذلك كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ ﴿أكادُ أُخفِيها﴾ وعكسه كقوله: ﴿جداراً يُريدُ أَنْ ينقضَّ﴾ أي يكاد.

(كان) فعل ناقص:

(كان) فعل ناقص متصرف يرفع الاسم وينصب الخبر، معناه في الأصل المضيّ والانقطاع نحو: ﴿كانوا أَشَدَّ منكم قوةً وأكثرَ أموالاً وأولاداً﴾ وتأتي بمعنى الدوام والاستمرار نحو: ﴿وكان اللهُ غفوراً رَحِيماً﴾ ﴿وكنا بكل شيءٍ عَالمين﴾ أي لم نزل كذلك، وعلى هذا المعنى تتخرّج جميع الصفات الذاتية

المقترنة بكان. قال أبو بكر الرازي: (كان) في القرآن على خمسة أوجه: بمعنى الأزل والأبد كقوله: ﴿وكان اللهُ عليماً حَكيماً﴾ وبمعنى المضي المنقطع وهو الأصل في معناها نحو: ﴿وكان في المدينةِ تسعةُ رَهْطٍ﴾ وبمعنى الحال نحو: ﴿كُنتُم خَيْرَ أمةٍ﴾ ﴿إن الصلاةَ كانَتْ على المؤمنين كتاباً مَوْقُوتاً﴾ وبمعنى الاستقبال نحو: ﴿يَخافُون يوماً كان شَرُّهُ مُستطِيرا﴾ وبمعنى صار نحو: ﴿وكان من الكافرين﴾ انتهى.

قلت: أخرج ابن أبي حاتم عن السدي: قال عمر بن الخطاب: لو شاء الله لقال أنتم فكنا كلنا، ولكن قال: كنتم في خاصة أصحاب محمد. وترد كان بمعنى ينبغي نحو: ﴿ما كانَ لَكُم أن تُنبِتُوا شَجَرها﴾ ﴿ما يكونُ لنا أن نَتَكَلم بِهذَا﴾ وبمعنى حضر أو وجد نحو: ﴿وإن كانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ ﴿إلا أن تَكُونَ تِجارَةٌ﴾ ﴿وإنَ تكُ حَسَنَةٌ﴾ وترد للتأكيد وهي الزائدة وجعل منه: ﴿وما علمي بما كانوا يَعْمَلُون﴾ أي بما يعملون.

(كأنّ) حرف تشبيه:

(كأن) بالتشديد حرف للتشبيه المؤكد، لأن الأكثر أنه مركب من كاف التشبيه وأن المؤكدة، والأصل في كأن زيداً أسد: أنّ زيداً كأسد، قدم حرف التشبيه اهتماماً به ففتحت همزة أن لدخول الجار.

قال حازم: وإنما تستعمل حيث يقوى الشبه حتى يكاد الرائي يشك في أن المشبه هو المشبه به أو غيره، ولذلك قالت بلقيس: ﴿كأنه هُو﴾ قيل وترد للظن والشك فيما إذا كان خبرها غير جامد، وقد تخفف نحو: ﴿كأن لم يدعُنا إلى ضُرٍّ مَسَّه﴾.

(كأين) اسم مركب:

(كأين) اسم مركب من كاف التشبيه وأي المنونة للتكثير في العدد نحو: ﴿وكأين من نبيٍّ قُتِل معه رِبِّيُون﴾ وفيها لغات. منها: [كائن] بوزن تابع، وقرأ بها ابن كثير حيث وقعت و[كأي] بوزن كعب، وقرىء بها ﴿وكأي من نبي قتل﴾ وهي مبنية لازمة الصدر ملازمة الإبهام مفتقرة للتمييز وتمييزها مجرور بمن غالباً. وقال ابن عصفور: لازماً.

(كذا) اسم اشارة:

(كذا) لم ترد في القرآن إلا للإشارة نحو: ﴿هكذا عرشك﴾.

(كل) اسم للاستغراق:

(كل) اسم موضوع لاستغراق أفراد المذكر المضاف هو إليه نحو: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ﴾ والمعرف المجموع نحو: ﴿وكُلُّهم آتِية يومَ القِيامةِ فَردا﴾ ﴿كُلُّ الطَّعامِ كانَ حِلاًّ﴾ وأجزاء المفرد المعرف نحو: ﴿يطبعُ اللهُ على كلِّ قلبِ مُتَكبر﴾ بإضافة قلب إلى متكبر: أي على كل أجزائه، وقراءة التنوين لعموم أفراد القلوب.

وترد باعتبار ما قبلها وما بعدها على ثلاثة أوجه أحدها: أن تكون **نعتاً** لنكرة أو معرفة فتدل على كماله، وتجب إضافتها إلى اسم ظاهر يماثله لفظاً ومعنى نحو: ﴿ولا تَبْسُطْها كُلَّ البَسطِ﴾ أي بسطاً كل البسط؛ أي تاماً: ﴿فلا تميلوا كُلَّ الميل﴾.

ثانيها: أن تكون **توكيداً** بالمعرفة ففائدتها العموم وتجب إضافتها إلى ضمير راجع للمؤكد نحو: ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ وأجاز الفراء والزمخشري قطعها حينئذ عن الإضافة لفظاً، وخرّج عليه قراءة بعضهم ﴿إنا كلاً فيها﴾.

ثالثها: أن لا تكون **تابعة** بل تالية للعوامل، **فتقع مضافة** إلى الظاهر **وغير مضافة** نحو: ﴿كل نفسٍ بما كَسَبَتْ رَهِينة﴾ ﴿وكُلاً ضَرَبْنَا له الأَمثَالَ﴾ وحيث أضيفت إلى منكر وجب في ضميرها مراعاة معناها. نحو: ﴿وكل شيء فَعَلُوه﴾ ﴿وكل إنسانٍ ألزمْنَاهُ﴾ ﴿كُلُّ نفسٍ ذَائِقَةُ الموتِ﴾ ﴿كلُّ نفسٍ بما كَسَبَتْ رَهِينة﴾ ﴿وعلى كُلِّ ضَامِرٍ يأتين﴾ أو إلى معرّف جاز مراعاة لفظها في الإفراد والتذكير ومراعاة معناها، وقد اجتمعا في قوله: ﴿إن كلُّ من في السمواتِ والأرضِ إلا آتي الرحمنَ عبدا﴾ ﴿لقد أحصاهُم وعَدَّهُم عَدا﴾ ﴿وكلهم آتيهِ يومَ القيامةِ فَردا﴾ أو قطعت فكذلك نحو: ﴿كلٌّ يعَملُ على شَاكِلَتِه﴾ ﴿فَكُلاً أخذنا بِذَنْبِهِ﴾ ﴿وكل أتوه دَاخِرين﴾ ﴿وكل كانوا ظالمين﴾.

وحيث وقعت في حيز النفي بأن تقدمت عليها أداته أو الفعل المنفي، فالنفي يوجه إلى الشمول خاصة ويفيد بمفهومه إثبات الفعل لبعض الأفراد، وإن وقع النفي في حيزها فهو موجه إلى كل فرد، هكذا ذكره البيانيون، وقد أشكل على هذه القاعدة قوله: ﴿واللهُ لا يُحبُّ كُلَّ مُختالٍ فَخُور﴾ إذ يقتضي إثبات الحبّ لمن فيه أحد الوصفين. وأجيب أن دلالة المفهوم إنما يعوّل عليها عند عدم المعارض، وهو هنا موجود إذ دل الدليل على تحريم الاحتيال والفخر مطلقاً.

(كلما) الظرفية:

(مسألة) تتصل ما بـكل نحو: ﴿كلما رُزِقوا منها من ثمرةٍ رِزْقا﴾ وهي مصدرية ولكنها نابت بصلتها عن ظرف زمان كما ينوب عنه المصدر الصريح والمعنى كل وقت، ولهذا تسمى ما هذه المصدرية الظرفية: أي النائبة عن الظرف لا أنها ظرف في نفسه، فكل من كلما منصوب على الظرف لإضافته إلى شيء وهو قائم مقامه، وناصبه الفعل الذي هو جواب في المعنى، وقد ذكر الفقهاء

والأصوليون أن كلما للتكرار. قال أبو حيان: وإنما ذلك من عموم ما، لأن الظرفية مراد بها العموم وكل أكدته.

(كلا وكلتا) يفيدان التثنية:

(كلا وكلتا) اسمان مفردان لفظاً مثنيان معنى مضافان أبداً لفظاً ومعنى إلى كلمة واحدة معرفة دالة على اثنين. قال الراغب: وهما في التثنية ككل في الجمع، قال تعالى: ﴿كلتا الجنتين آتت﴾ أحدهما أو كلاهما.

(كلا) للنفي والردع:

(كلا) **مركبة** عند ثعلب من كاف التشبيه ولا النافية، شددت لامها لتقوية المعنى ولدفع توهم بقاء معنى الكلمتين.

وقال غيره: **بسيطة**، فقال سيبويه والأكثرون: حرف معناه الردع والذم لا معنى لها عندهم إلا ذلك، حتى أنهم يجيزون أبدا الوقف عليها والابتداء بما بعدها.

وحتى قال جماعة منهم: متى سمعت كلا في سورة فاحكم بأنها مكية، لأن فيها معنى التهديد والوعيد، وأكثر ما نزل ذلك بمكة، لأن أكثر العتو كان بها.

قال ابن هشام: وفيه نظر، لأنه لا يظهر معنى الزجر في نحو ﴿ما شاء ركبك كلا﴾ ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين كلا﴾ ﴿ثم إن علينا بيانه كلا﴾ وقولهم انته عن ترك الإيمان بالتصوير في أيّ صورة شاء الله وبالبعث، وعن العجلة بالقرآن تعسف إذ لم تتقدم في الأولين حكاية نفي ذلك عن أحد، ولطول الفصل في الثالثة بين كلا وذكر العجلة، وأيضاً فإن أول ما نزل خمس آيات من أول سورة العلق، ثم نزل ﴿كلا إنَّ الإنسانَ ليطغى﴾ فجاءت في افتتاح الكلام.

(كلا) لها معان أخرى:

ورأى آخرون أن معنى الردع والزجر ليس مستمراً فيها فزادوا معنى ثانياً يصح عليه أن يوقف دونها ويبتدأ بها. ثم اختلفوا في تعيين ذلك المعنى، فقال الكسائي: تكون بمعنى [حقاً] وقال أبو حاتم: بمعنى [ألا] الاستفتاحية. قال أبو حيان: ولم يسبقه إلى ذلك أحد، وتابعه جماعة منهم الزجاج.

وقال النضر بن شميل: حرف جواب بمنزلة [إي ونعم]، وحملوا عليه ﴿كلا والقمر﴾ وقال الفراء وابن سعدان بمعنى [سوف] حكاه أبو حيان في تذكرته. قال مكي: وإذا كان بمعنى حقاً فهي اسم، وقرىء ﴿كلا سيكفرُون بِعبادَتِهم﴾ بالتنوين، ووجه بأنه مصدر الكلّ إذا أعيا: أي كلوا في دعواهم وانقطعوا، أو من الكلّ وهو الثقل: أي حملوا كلا.

وجوّز الزمخشري كون حرف الردع منوناً كما في سلاسلاً. ورده أبو حيان بأن ذلك إنما صح في سلاسلاً لأنه اسم أصله التنوين فرجع به إلى أصله للتناسب. قال ابن هشام: وليس التوجيه منحصراً عند الزمخشري في ذلك، بل جوّز كون التنوين بدلاً من حرف الإطلاق المزيد في رأس الآية ثم إنه وصل بنية الوقف.

(كم) ومعانيها:

(كم) اسم مبني لازم الصدر مبهم مفتقر إلى التمييز، وترد **استفهامية** ولم تقع في القرآن، **وخبرية** بمعنى كثير، وإنما تقع غالباً في مقام الافتخار والمباهاة نحو ﴿وكم من مَلك في السمواتِ﴾ ﴿وكم من قريةٍ أهلكناها﴾ ﴿وكم قصَمْنَا من قرية﴾.

وعن الكسائي أن أصلها كما، فحذفت الألف مثل بمَ ولِمَ، حكاه الزجاج

وردّه بأن لو كان كذلك لكانت مفتوحة الميم.

(كي) حرف تعليل ونصب

(كي) حرف له معنيان: أحدهما **التعليل** نحو ﴿كَي لا يَكُونَ دُولَةً بينَ الأغنياءِ﴾ والثاني معنى أن **المصدرية** نحو ﴿لكيلا تَأْسوا﴾ لصحة حلول أن محلها، ولأنها لو كانت حرف تعليل لم يدخل عليها حرف تعليل.

(كيف) اسم استفهام:

(كيف) اسم يرد على وجهين **الشرط**، وخرج عليه ﴿ينفق كيف يشاء﴾ ﴿يصورُكُم في الأرحام كيف يشاء﴾ ﴿فيبسُطه في السماء كيف يشاءَ﴾ وجوابها في ذلك كله محذوف لدلالة ما قبلِها والاستفهام وهو الغالب، **ويستفهم** بها عن حال الشيء لا عن ذاته.

قال الراغب: وإنما يُسأل بها عما يصح أن يقال فيه شبيه وغير شبيه، ولهذا لا يصح أن يقال في الله كيف قال.

وكلما أخبر الله بلفظ كيف عن نفسه فهو استخبار على طريق التنبيه للمخاطب أو التوبيخ نحو ﴿كيف تكْفرون﴾ ﴿كيف يهدِي اللهُ قوماً﴾.

(اللام) حرف جر:

(اللام) أربعة أقسام: **جارة، وناصبة، وجازمة، ومهملة** غير عاملة.

فالجارة مكسورة مع الظاهر، وأما قراءة بعضهم ﴿الحمد لُله﴾ فالضمة عارضة للاتباع مفتوحة مع الضمير إلا الياء، ولها معان، **الاستحقاق:** وهي الواقعة بين معنى وذات نحو ﴿الحمدُ لله﴾ ﴿الملكُ لله﴾ ﴿للهِ الأمرُ﴾ ﴿ويلٌ للمطففين﴾ ﴿لهم في الدنيا خِزْيٌ﴾ ﴿وللكافرين النار﴾ أي عذابها.

والاختصاص نحو ﴿إن له أباً﴾ ﴿فإن كان لهُ إخوة﴾

والملك نحو ﴿له ما في السمواتِ وما في الأرض﴾.

والتعليل نحو ﴿وإنه لحبِّ الخيرِ لشديد﴾ أي وإنه من أجل حبّ المال لبخيل ﴿وإذ أخَذَ اللهُ ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتابٍ وحكمة﴾ الآية في قراءة حمزة: أي لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب والحكمة، ثم لمجيء محمد ﷺ ﴿مصدقاً لما معكم لتؤمننّ به﴾ فما مصدرية واللام تعليلية. وقوله ﴿لِئِيلافِ قُرَيشٍ﴾ وتعلقها بيعبدوا، وقيل بما قبله: أي ﴿فجَعَلَهُمْ كَعَصفٍ مَأكُول﴾ ﴿لئيلاف قريش﴾. ورجح بأنها في مصحف أبيّ سورة واحدة وموافقة إلى نحو ﴿بأن رَبَّكَ أوحَى لها﴾ ﴿كُلٌّ يجري لأجل مُسمى﴾ وعلى نحو ﴿ويخرّون للأذقان﴾ ﴿دعانـا لجنبِـه﴾ ﴿وتلّـهُ للجبين﴾ ﴿وإن أسـأتم فلهـا﴾ ﴿ولهم اللعنةُ﴾ أي عليهم كما قال الشافعي، وفي نحو ﴿ونضعُ الموازينَ القسط ليوم القِيامة﴾ ﴿لا يجليها لوقتها إلا هو﴾ ﴿يا ليتني قَدَّمْتُ لِحَياتي﴾ أي في حياتي. وقيل هي فيها للتعليل: أي لأجل حياتي في الآخرة، وعند كقراءة الجحدري ﴿بل كَذَّبُوا بالحق لما جاءَهم﴾. وبعد نحو ﴿أقمِ الصلاة لِدُلُوكِ الشمْسِ﴾ وعن نحو ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كانَ خيراً ما سبَقُونا إليه﴾ أي عنهم وفي حقهم، لا أنهم خاطبوا به المؤمنين وإلا لقيل ما سبقتمونا.

والتبليغ: وهي الجارة لاسم السامع لقول أو ما في معناه كالإذن والصيرورة، وتسمى **لام العاقبة** نحو ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ فهذا عاقبة التقاطهم لا علته، إذ هي التبني، ومنع قوم ذلك وقالوا: هي للتعليل مجازاً، لأن كونه عدواً لما كان ناشئاً عن الالتقاط وإن لم يكن غرضاً لهم نزل منزلة الغرض على طريق المجاز. وقال ابو حيان: الذي عندي أنها للتعليل حقيقة، وأنهم التقطوه ليكون لهم عدواً، وذلك على حذف مضاف تقديره:

لمخافة أن يكون، كقوله ﴿يبينُ اللهُ لكمْ أن تضِلُّوا﴾ انتهى.

والتأكيد: وهي **الزائدة** أو المقوية للعامل الضعيف لفرعيه أو تأخير نحو ﴿ردف لكم﴾ ﴿يُريدُ اللهُ ليبينَ لكم﴾ ﴿وأمرنا لنسلم﴾ ﴿فعالٌ لما يُريد﴾ ﴿إن كُنتمْ للرُّؤيَا تَعبُرُون﴾ ﴿وكنا لحُكْمِهِم شَاهدين﴾ والتبيين للفاعل أو المفعول نحو ﴿فتعساً لهم﴾ ﴿هيهاتَ هيهات لما تُوعَدُون﴾ ﴿هيتَ لك﴾.

(اللام) حرف نصب:

والناصبة هي لام التعليل ادعى الكوفيون النصب بها. وقال غيرهم: بأن مقدرة في محل جر باللام.

(اللام) حرف جزم:

والجازمة هي لام الطلب وحركتها الكسر، وسليم تفتحها، واسكانها بعد الواو والفاء أكثر من تحريكها نحو ﴿فليستجيبُوا لي وليُؤمِنوا بي﴾ وقد تسكن بعد ثم نحو ﴿ثم ليقْضوا﴾ وسواء كان **الطلب** أمراً نحو ﴿لِيُنفق ذو سعة﴾ أو **دعاء** نحو ﴿ليقضِ علينا ربك﴾ وكذا لو خرجت إلى **الخبر** نحو ﴿فليمدْد له الرحمنُ﴾ ﴿ولنحْمِلْ خطاياكم﴾ أو **التهديد** نحو ﴿ومن شاءَ فليكفُرْ﴾ وجزمها فعل الغائب كثير، نحو ﴿فلتقم طائفةٌ﴾ ﴿وليأخذوا أسلحتهم﴾ ﴿فليكونوا من ورائِكم﴾ ﴿ولتأتِ طائفةٌ أخرى لم يُصلُّوا فليصلوا معك﴾ وفعل المخاطب قليل ومنه ﴿فبذلك فلتَفْرحُوا﴾ في قراءة التاء وفعل المتكلم أقل، ومنه ﴿ولنحملْ خَطَايَاكُم﴾.

(اللام) غير العاملة:

وغير العاملة أربع: لام الابتداء، وفائدتها أمران: توكيد مضمون الجملة ولهذا زحلقوها في باب إن عن صدر الجملة كراهة توالي مؤكدين وتخليص

المضارع للحال، وتدخل في المبتدأ نحو ﴿لأنتم أشدّ رهبة﴾ وفي خبر إنّ نحو ﴿إن ربي لسميعُ الدُعاء﴾ ﴿إن ربكَ ليحكمُ بينهم﴾ ﴿وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم﴾ واسمها المؤخر نحو ﴿إن علينا للهدى﴾ ﴿وإن لنا للآخرةَ﴾ واللام الزائدة في خبر أن المفتوحة كقراءة سعيد بن جبير ﴿إلا أنهم ليأكلون الطعام﴾ والمفعول كقوله ﴿يدعوا لمنْ ضره أقربُ من نفعهِ﴾.

(لام الجواب):

(ولام الجواب) **للقسم** أو لو أو لولا نحو ﴿تالله لقد آثركَ الله﴾ ﴿تاللهِ لأكيدنَّ أصنامكم﴾ ﴿لو تَزَيلُوا لعذبنا﴾ ﴿ولولا دفعُ الله الناسَ بعضهم ببعضٍ لَفَسَدتِ الأرضُ﴾

واللام **الموطئة** وتسمى المؤذنة، وهي الداخلة على أداة شرط للإيذان بأن الجواب بعدها معها مبني على قسم مقدر نحو ﴿لئن أخرِجُوا لا يَخرُجُون معهم ولئن قُوتلوا لا ينصرُونهم ولئن نَصَرُوهم لَيُولُّن الأدبارَ﴾ وخرّج عليها قوله تعالى ﴿لما آتيتكم من كتابٍ وحكمة﴾.

(لا) ووجوهها:

(لا) على أوجه. أحدها: أن تكون **نافية**، وهي أنواع.

(لا) النافية للجنس:

أحدها: أن تعمل عمل إن وذلك إذا أريد بها نفي الجنس على سبيل التنصيص وتسمى حينئذ تبرئة، وإنما يظهر نصبها إذا كان اسمها مضافاً أو شبهه، وإلا فيركب معها نحو ﴿لا إله إلا الله﴾ ﴿لا ريبَ فيه﴾ فإن تكررت جاز التركيب والرفع نحو ﴿فلا رفث ولا فسوق ولا جدال﴾ ﴿لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة﴾ ﴿لا لغوٌ فيها ولا تأثيم﴾.

(لا) تعمل عمل ليس:

ثانيها: أن تعمـل عمل لـيس نحو ﴿ولا أصغر ولا أكبرَ إلا في كتابٍ مُبين﴾. ثالثها، ورابعها: أن تكون عاطفة أو جوابية ولم يقعا في القرآن.

(لا) تتكرر في الجمل الاسمية:

خامسها: أن تكون على غير ذلك، فإن كان ما بعدها جملة اسمية صدرها معرفة أو نكرة ولم تعمل فيها أو فعلاً ماضياً لفظاً أو تقديراً وجب تكرارها نحو ﴿لا الشمسُ ينبغي لها أن تُدرك القمر ولا الليلُ سابق النهار﴾ ﴿لا فيها غولٌ ولا هم عنها يُنْزفُون﴾ ﴿فلا صَدَّقَ ولا صلَّى﴾ أو مضارعاً لم يجب نحو ﴿لا يُحب اللهُ الجهر﴾ ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً﴾

(لا) المعترضة:

وتعترض لا هذه بين الناصب والمنصوب نحو ﴿لئلا يكونَ للناس﴾ والجازم والمجزوم نحو ﴿إلا تفعلوا﴾.

(لا) الجازمة:

الوجه الثاني: أن تكون لطلب الترك، فتختص بالمضارع وتقتضي جزمه واستقباله سواء كان نهياً نحو ﴿لا تتخذوا عدوّي﴾ ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين﴾ ﴿ولا تنْسوا الفضلَ بينكم﴾ أو دعاء نحو ﴿لا تؤاخذْنا﴾.

(لا) الزائدة:

الثالث: التأكيد وهي **الزائدة** نحو ﴿ما منعك أن لا تسجد﴾ ﴿ما منعك إذ رأيتهم ضلُّوا أن لا تَتَّبِعَنِ﴾ ﴿لئلا يعلمَ أهلُ الكِتابِ﴾ أي ليعلموا قال ابن جني: لا هنا مؤكدة قائمة مقام إعادة الجملة مرة أخرى. واختلف في قوله ﴿لا

أقسمُ بيومِ القِيامة﴾ فقيل زائدة، وفائدتها مع التوكيد التمهيد لنفي الجواب، والتقدير: لا أقسم بيوم القيامةِ لا يتركون سدى، ومثله ﴿فلا ورَبكَ لا يُؤمنون حتى يُحكمُوك﴾ ويؤيده قراءة لأقسم. وقيل نافية لما تقدم عندهم من إنكار البعث، فقيل لهم ليس الأمر كذلك ثم استؤنف القسم. قالوا: وإنما صح ذلك لأن القرآن كله كالسورة الواحدة، ولهذا يذكر الشيء في سورة وجوابه في سورة نحو ﴿وقالوا يا أيها الذي نُزِّلَ عليه الذكر إنك لمجنون﴾ ﴿ما أنت بنعمةِ ربِّكَ بمجنون﴾ وقيل منفيها أقسم على أنه إخبار لا إنشاء، واختاره الزمخشري. قال: والمعنى في ذلك أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظاماً له بدليل ﴿فلا أُقْسِمُ بمواقعِ النجومِ وإنه لَقَسمٌ لو تعلمون عظيم﴾ فكأنه قيل إن إعظامه بالإقسام به كلا إعظام: أي إنه يستحق إعظاماً فوق ذلك. واختلف في قوله تعالى ﴿قُل تعالوا أتلُ ما حرَّم ربُّكمُ عليكم أن لا تُشرِكُوا﴾ فقيل لا نافية، وقيل ناهية، وقيل زائدة. وفي قوله تعالى ﴿وحرامٌ على قريةٍ أهلكناها أنهم لا يرجِعون﴾ فقيل زائدة، وقيل نافية، والمعنى يمتنع عدم رجوعهم إلى الآخرة.

(لا) اسم:

[تنبيه] ترد «لا» اسماً بمعنى غير، فيظهر إعرابها فيما بعدها نحو ﴿غيرِ المغضوبِ عليهم ولا الضالين﴾ ﴿لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾ ﴿لا فارض ولا بكر﴾.

[فائدة] قد تحذف ألفها، وخرج عليه ابن جني ﴿واتقوا فِتنةً لا تُصيبنَ الذين ظلمُوا منكم خاصة﴾.

(لات) حرف نفي:

(لات) اختلف فيها، فقال قوم فعل ماض بمعنى نقص، وقيل أصلها ليس

تحركت الياء فقلبت ألفاً لانفتاح ما قبلها وأبدلت السين تاء.

وقيل هي كلمتان: لا النافية زيدت عليها التاء لتأنيث الكلمة وحركت لالتقاء الساكنين، وعليه الجمهور.

وقيل هي لا النافية والتاء زائدة في أول الحين. واستدل له أبو عبيدة بأنه وجدها في مصحف عثمان مختلطة بحين في الخط.

واختلف في عملها، فقال الأخفش: لا تعمل شيئاً، فإن تلاها مرفوع فمبتدأ وخبر أو منصوب فبفعل محذوف، فقوله تعالى ﴿ولاتَ حين مَنَاص﴾ بالرفع: أي كائن لهم، وبالنصب: أي لا أرى حين مناص. وقيل تعمل عمل إن. وقال الجمهور: تعمل عمل ليس، وعلى كل قول لا يذكر بعدها إلا أحد المعمولين، ولا تعمل إلا في لفظ الحين، قيل أو ما رادفه. قال الفراء: وقد تستعمل حرف جرّ لأسماء الزمان خاصة، وخرّج عليها قوله - ولات حين - بالجر.

(لا جرم):

(لا جرم) وردت في القرآن في خمسة مواضع متلوة بأن واسمها ولم يجيء بعدها فعل، فاختلف فيها، فقيل لا نافية لما تقدم وجرم فعل معناه حقاً، وإن مع ما في حيزه في موضع رفع. وقيل زائدة. وجرم معناه كسب: أي كسب لهم عملهم الندامة وما في حيزها في موضع نصب. وقيل هما كلمتان ركبتا وصار معناها حقاً. وقيل معناها لا بد، وما بعدها في موضع نصب بإسقاط حرف الجر.

(لكن) حرف مشبه بالفعل:

(لكن) مشددة النون حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر ومعناه الاستدراك وفسر بأن تنسب لما بعدها حكماً مخالفاً لحكم ما قبلها، ولذلك لا بد أن يتقدمها

كلام مخالف لما بعدها أو مناقض له نحو ﴿وما كفَرَ سُليمان ولكنَّ الشياطينَ كَفَرُوا﴾

وقد ترد للتوكيد مجرداً عن الاستدراك، قاله صاحب البسيط، وفسر الاستدراك برفع ما توهم ثبوته نحو ما زيد شجاعاً لكنه كريم لأن الشجاعة والكرم لا يكادان يفترقان، فنفي أحدهما يوهم نفي الآخر. ومثل التوكيد بنحو: لو جاءني أكرمته لكنه لم يجيء، فأكدت ما أفادته لو من الامتناع، واختار ابن عصفور أنها لهما معاً وهو المختار، كما أن كأن للتشبيه المؤكد، ولهذا قال بعضهم: إنها مركبة من لكن أن فطرحت الهمزة للتخفيف ونون لكن للساكنين.

(لكن) المخففة من الثقيلة:

(لكن) مخففة ضربان. أحدهما: مخففة من الثقيلة وهي حرف ابتداء لا يعمل بل لمجرد إفادة الاستدراك، وليست عاطفة لاقترانها بالعاطف في قوله ﴿ولكن كانوا هُمُ الظالمين﴾. والثاني عاطفة إذا تلاها مفرد، وهي أيضاً للاستدراك نحو ﴿لكن الله يشهد﴾ ﴿لكن الرسول﴾ ﴿لكن الذين اتقوا ربَّهُم﴾.

(لدى ولدن) تقدمتا في عند.

(لعل) حرف مشبه بالفعل:

(لعل) حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر، وله معان أشهرها **التوقع**، وهو الترجي في المحبوب نحو ﴿لعلكم تفلحون﴾ والإشفاق في المكروه نحو ﴿لعلَّ الساعةَ قريب﴾ وذكر التنوخي أنها تفيد تأكيد ذلك. الثاني: **التعليل**، وخرج عليه، ﴿فقولا له قولاً ليناً لعلهُ يتذكرُ أو يخْشى﴾ الثالث: **الاستفهام**، وخرج عليه ﴿لا تدري لعل الله يحدُث بعد ذلك أمرا﴾ ﴿وما يُدريكَ لعله يزّكى﴾

ولذا علق يدري.

قال في البرهان: وحكى البغوي عن الواقدي أن جميع ما في القرآن من لعل فإنها للتعليل إلا قوله ﴿لعلكم تَخلُدُون﴾ فإنها للتشبيه. قال: وكونها للتشبيه غريب لم يذكره النحاة. ووقع في صحيح البخاري في قوله ﴿لعلكم تخلُدُون﴾ أن لعل للتشبيه، وذكر غيره أنها للرجاء المحض وهو بالنسبة إليهم انتهى.

قلت: أخرج ابن أبي حاتم من طريق السدي عن أبي مالك قال: لعلكم في القرآن بمعنى كي غير آية في الشعراء ﴿لعلكم تخلُدُون﴾ يعني كأنكم تخلدون. وأخرج عن قتادة قال: كان في بعض القراءة: وتتخذون مصانع كأنكم خالدون.

(لم) حرف نفي وجزم:

(لم) حرف جزم لنفي المضارع وقلبه ماضياً نحو ﴿لم يَلِد ولم يُولد﴾ والنصب بها لغة حكاها اللحياني وخرج عليها قراءة ﴿ألم نشرحَ﴾.

(لما) حرف جزم للمضارع:

(لما) على أوجه أحدها: أن تكون حرف جزم فتختص بالمضارع وتنفيه وتقلبه ماضياً كـ لم لكن يفترقان من أوجه: أنها لا تقترن بأداة شرط ونفيها مستمر إلى الحال وقريب منه ويتوقع ثبوته. قال ابن مالك: في ﴿لما يَذُوقوا عذَاب﴾ المعنى: لم يذوقوه، وذوقه لهم متوقع.

وقال الزمخشري في ﴿ولما يدْخُل الإيمان في قُلوبكمُ﴾ ما في لما من معنى التوقع دالّ على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد، وأن نفيها أكد من نفي لم، فهي لنفي قد فعل، ولم لنفي فعل، ولهذا قال الزمخشري في الفائق تبعاً لابن جني: إنها مركبة من لم وما، وإنهم لما زادوا في الإثبات قد زادوا في النفي ما، وأن منفي لما جائز الحذف اختياراً، بخلاف لم وهي أحسن ما يخرج عليه ﴿وإن كلا لما﴾ أي

لما يهملوا أو يتركوا، قاله ابن الحاجب. قال ابن هشام: ولا أعرف وجهاً في الآية أشبه من هذا، أو إن كانت النفوس تستبعده، لأن مثله لم يقع في التنزيل. قال: والحق أن لا يستبعد، لكن الأولى أن يقدر لما يوفوا أعمالهم: أي أنهم إلى الآن لم يوفوها وسيوفونها.

(لما) تدخل على الماضي:

الثاني: أن تدخل على الماضي فيقتضي جملتين وجدت الثانية عند وجود الأولى نحو ﴿فلما نجاكُم إلى البرِّ أعرضتم﴾ ويقال فيها حرف وجود لوجود. وذهب جماعة إلى أنها حينئذ ظرف بمعنى حين.

وقال ابن مالك: بمعنى إذ لأنها مختصة بالماضي وبالإضافة إلى الجملة، وجواب هذه يكون ماضياً كما تقدم وجملة اسمية بالفاء، وبإذا الفجائية نحو ﴿فلما نجّاهم إلى البَرِّ فمِنهم مقتصد﴾ - ﴿فلما نجّاهم إلى البَرِّ إذا هم يشركون﴾ - وجوّز ابن عصفور كونه مضارعاً نحو ﴿فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البُشرى يجادلنا﴾ وأوله غيره بجادلنا.

لما حرف استثناء:

الثالث: أن تكون حرف استثناء فتدخل على الاسمية والماضوية نحو ﴿إن كُلُّ نفسٍ لَمّا عليها حافِظ﴾ بالتشديد: أي إلا ﴿وإن كُلُّ ذلك لما متاعُ الحياةِ الدنيا﴾.

(لن) حرف نصب ونفي:

(لن) حرف نفي ونصب واستقبال، والنفي بها أبلغ من النفي بلا، فهو لتأكيد النفي كما ذكره الزمخشري وابن الخباز حتى قال بعضهم: وإن منعه مكابرة فهي لنفي أني أفعل، ولا لنفي أفعل كما في لم، ولما قال بعضهم: العرب

تنفي المظنون بلن، والمشكوك بلا، ذكره ابن الزملكاني في التبيان.

وادعى الزمخشري أيضاً أنها لتأبيد النفي كقوله ﴿لن يخلقوا ذباباً﴾ ﴿ولن تفعلوا﴾. قال ابن مالك: وحمله على ذلك اعتقاده في ﴿لن تراني﴾ أن الله لا يرى. ورده غيره بأنها لو كانت للتأبيد لم يقيد منفيها باليوم في ﴿فلنْ أكلم اليوم إنسيّاً﴾ ولم يصح التوقيت في ﴿لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجعَ إلينا موسى﴾ ولكان ذكر الأبد في ﴿لن يتمنوه أبداً﴾ تكرار والأصل عدمه، واستفادة التأبيد في ﴿لن يخلقوا ذباباً﴾ ونحوه من خارج.

ووافقه على إفادة التأبيد ابن عطية. وقال في قوله ﴿لن تراني﴾ لو بقينا على هذا النفي لتضمن أن موسى لا يراهِ أبداً ولا في الآخرة، لكن ثبت في الحديث المتواتر أن أهل الجنة يرونه.

وعكس ابن الزملكاني مقالة الزمخشري فقال: إن لن لنفي ما قرب وعدم امتداد النفي ولا يمتد معها النفي. قال: وسرّ ذلك أن الألفاظ مشاكلة للمعاني، ولا، آخرها الألف والألف يمكن امتداد الصوت بها، بخلاف النون فطابق كل لفظ معناه. قال: ولذلك أتى بلن حيث لم يرد به النفي مطلقاً، بل في الدنيا حيث قال ﴿لن تراني﴾ وبلا في قوله ﴿لا تُدْركه الأبْصارُ﴾ حيث أريد نفي الإدراك على الإطلاق وهو مغاير للرؤية انتهى.

قيل وترد [لن] للدعاء، وخرج عليه ﴿رب بما أعمت عليّ فلن أكون﴾ الآية.

(لو) حرف شرط وامتناع:

(لو) حرف شرط في المضي يصرف المضارع إليه بعكس إن الشرطية.

واختلف في إفادتها الامتناع وكيفية إفادتها إياه على أقوال. أحدها: أنها لا

تفيده بوجه، ولا تدل على امتناع الشرط ولا امتناع الجواب بل هي لمجرد ربط الجواب بالشرط دالة على التعليق في الماضي كما دلت أن على التعليق في المستقبل، ولم تدل بالإجماع على امتناع ولا ثبوت.

قال ابن هشام: وهذا القول كإنكار الضروريات، إذ فهم الامتناع منها كالبديهي، فإن كل من سمع لو فعل فهم عدم وقوع الفعل من غير تردد ولهذا جاز استدراكه، فتقول: لو جاء زيد أكرمته لكنه لم يجيء.

الثاني: وهو لسيبويه قال: إنها حرف لما كان سيقع لوقوع غيره: أي أنها تقتضي فعلاً ماضياً كان يتوقع ثبوته لثبوت غيره، والمتوقع غير واقع، فكأنه قال: حرف يقتضي فعلاً امتنع لامتناع ما كان يثبت لثبوته.

الثالث: وهو المشهور على ألسنة النحاة ومشى عليه المعربون أنها حرف امتناع لامتناع: أي يدل على امتناع الجواب لامتناع الشرط، فقولك: لو جئت لأكرمتك، دال على امتناع الإكرام لامتناع المجيء. واعترض بعدم امتناع الجواب في مواضع كثيرة كقوله تعالى: ﴿ولو أنَّ ما في الأرض من شجرة أقلامٌ والبحرُ يمدُّهُ من بعدهِ سبعةُ أبحرٍ ما نَفدت كلماتُ الله﴾ ﴿ولو أسمعهم لتولّوا﴾ فإن عدم النفاد عند فقد ما ذكر، والتولي عند عدم الإسماع أولى.

والرابع: وهو لابن مالك أنها حرف يقتضي امتناع ما يليه، واستلزامه لتاليه من غير تعرض لنَفي التالي. قال: فقيام زيد من قولك: لو قام زيد قام عمرو محكوم بانتفائه، وبكونه مستلزماً ثبوته لثبوت قيام من عمرو، وهل وقع لعمرو قيام آخر غير اللازم عن قيام زيد، أو ليس له لا تعرض، لذلك قال ابن هشام: وهذه أجود العبارات.

[فائدة] أخرج ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: كل شيء في القرآن لو فإنه لا يكون أبداً.

(لو) تختص بالفعل:

[فائدة ثانية] تختص لو المذكورة بالفعل، وأما نحو: ﴿قل لو أنتم تَملِكُون﴾ فعلى تقديره. قال الزمخشري: وإذا وقعت أن بعدها وجب كون خبرها فعلاً ليكون عوضاً عن الفعل المحذوف، ورده ابن الحاجب بآية: ﴿ولو أَنَّ ما في الأَرضِ﴾ وقال: إنما ذاك إذا كان مشتقاً لا جامداً، ورده ابن مالك بقوله:

لو أن حيا مدرك الفلاح أدركه ملاعب الرماح

قال ابن هشام: وقد وجدت آية في التنزيل وقع فيها الخبر اسماً مشتقاً ولم يتنبه لها الزمخشري، كما لم يتنبه لآية لقمان ولا ابن الحاجب، وإلاّ لما منع من ذلك، ولا ابن مالك وإلا لما استدل بالشعر وهي قوله: ﴿يودوا لو أنهم بَادُون في الأعراب﴾ وجدت آية الخبر فيها ظرف، وهي لو أن عندنا ذكراً من الأولين، ورد ذلك الزمخشري في البرهان وابن الدماميني بأن لو في الآية الأولى للتمني والكلام في الامتناعية، وأعجب من ذلك أن مقالة الزمخشري سبقه إليها السيرافي، وهذا الاستدراك وما استدرك به منقول قديماً في شرح الإيضاح لابن الخباز لكن في غير مظنته؛ فقال في باب إن وأخواتها؛ قال السيرافي: تقول لو أن زيداً قام لأكرمته، ولا يجوز لو أن زيداً حاضر لأكرمته، لأنك لم تلفظ بفعل يسدّ مسد ذلك الفعل، هذا كلامه. وقد قال تعالى: ﴿وإن يأتِ الأحزابُ يَوَدُّوا لو أنهم بادُونَ في الأَعْرَابِ﴾ فأوقع خبرها صفة ولهم أن يفرقوا بأن هذه للتمني فأجريت مجرى ليت كما تقول: ليتهم بادون انتهى كلامه.

وجواب لو إما مضارع منفي بلم أو ماض مثبت أو منفي بما، والغالب على المثبت دخول اللام عليه نحو: ﴿لو نشاءُ لجعلناه حُطَاماً﴾ ومن تجرده: ﴿لو نشاء جِعلناه أُجَاجاً﴾ والغالب على المنفي تجرده نحو: ﴿ولو شاءَ ربُّكَ ما فعلوه﴾.

(لو) تدخل على الفعل والاسم:

[فائدة ثالثة] قال الزمخشري: الفرق بين قولك لو جاءني زيد لكسوته، ولو زيد جاءني لكسوته، ولو أن زيداً جاءني لكسوته، أن المقصد في الأول مجرد ربط الفعلين وتعليق أحدهما بصاحبه لا غير من غير تعرض لمعنى زائد على التعليق الساذج. وفي الثاني انضم إلى التعليق أحد معنيين: إما نفي الشك والشبهة وأن المذكور مكسو لامحالة. وأما بيان أنه هو المختص بذلك دون غيره، ويخرج عليه آية: ﴿لو أنتم تملكون﴾ وفي الثالث مع ما في الثاني زيادة التأكيد الذي تعطيه أن وإشعار بأن زيداً كان حقه أن يجيء وأنه بتركه المجيء قد أغفل حظه، ويخرج عليه ﴿ولو أنهم صبروا﴾ ونحوه فتأمل ذلك، وخرج عليه ما وقع في القرآن من أحد الثلاثة.

(لو) يكثر ورودها بعد (ودّ):

[تنبيه] ترد لو **شرطية** في المستقبل وهي التي يصلح موضعها إن نحو: ﴿ولو كَرِهَ المشركُون﴾ ﴿ولو أعجبَكَ حُسْنُهُن﴾.

ومصدرية وهي التي يصلح موضعها أن المفتوحة، وأكثر وقوعها بعد ود ونحوه نحو: ﴿وَدَّ كثيرٌ من أهل الكتاب لو يردونكم﴾ ﴿يودّ أَحَدُهُم لو يُعَمَّرِ﴾ ﴿يَوَدُّ المجرمُ لو يَفْتَدِي﴾ أي الرد والتعمير والافتداء وللتمني، وهي التي يصلح موضعها ليست نحو: ﴿فلو أن لنا كرةً فنكونَ﴾ ولهذا نصب الفعل في جوابها وللتقليل، وخرج عليه ﴿ولو على أنفُسِكُم﴾.

(لولا) حرف امتناع لوجود:

(لولا) على أوجه. أحدها: أن تكون **حرف امتناع لوجود، فتدخل على** الجملة الاسمية، ويكون جوابها **فعلاً** مقروناً باللام وإن كان مثبتاً نحو: ﴿ فلولا

أنه كانَ من المسبِّحِين للبث﴾ ومجرداً منها إن كان منفياً نحو: ﴿ولولا فضلُ اللهِ عليكم ورحمتُهُ ما زكا مِنكُم من أحدٍ أبداً﴾ وإن وليها ضمير فحقه أن يكون ضمير رفع نحو: ﴿لولا أنتم لَكُنا مؤمنين﴾.

الثاني: أن تكون **بمعنى هلا** فهي للتحضيض والعرض في المضارع أو ما في تأويله نحو: ﴿لولا تستغفرون الله﴾ ﴿لولا أخرتني إلى أجل قريب﴾.

وللتوبيخ والتنديم في المضارع نحو: ﴿لولا جاءُوا عليه بأربعةِ شُهداء﴾ ﴿فلولا نَصَرهُمالذين اتخذُوا من دون الله﴾ ﴿ولولا إذ سَمعتِمُوه قُلتم﴾ ﴿فلولا إذ جَاءَهم بأسُنَا تَضَرعُوا﴾ ﴿فلولا إذا بَلَغتِ الحُلقُوم﴾ ﴿فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها﴾.

الثالث: أن تكون **للاستفهام**، ذكره الهروي وجعل منه ﴿لولا أَخَّرْتَني﴾ ﴿لولا أُنزِل إليه ملك﴾ والظاهر أنها فيهما بمعنى هلا.

الرابع: أن تكون للنفي، ذكره الهروي أيضاً وجعل منه ﴿فلو لا كانت قريةٌ آمنت﴾ أي فما آمنت قرية: أي أهلها عند مجيء العذاب - فنفعها إيمانها - والجمهور لم يثبتوا ذلك وقالوا: المراد في الآية التوبيخ على ترك الإيمان قبل مجيء العذاب، ويؤيده قراءة أُبيّ ﴿فهلا﴾ والاستثناء حينئذ منقطع.

(لولا) بمعنى هلا:

[فائدة] نقل عن الخليل أن جميع ما في القرآن من لولا فهي بمعنى هلا، إلا ﴿فلولا أنه كانَ من المسَبِّحِين﴾ وفيه نظر لما تقدم من الآيات، وكذا قوله: ﴿لولا أن رأى بُرهَانَ رَبِّهِ﴾ لولا فيه امتناعية وجوابها محذوف: أي لهم بها أو لواقعها، وقوله: ﴿لولا أن مَنَّ اللهُ علينا لخَسَفَ بنا﴾ وقوله: ﴿لولا أن رَبَطْنَا على قَلْبِها﴾ لأبدت به في آيات أخر.

وقال ابن أبي حاتم: أنبأنا موسى الخطمي، أنبأنا هارون بن أبي حاتم، أنبأنا عبد الرحمن بن حماد عن أسباط عن السدي عن أبي مالك قال: كل ما في القرآن فلولا فهو فهلاّ، إلا حرفين في يونس ﴿فلولا كانت قريةٌ آمنت فَنَفَعها إيمانُها﴾ يقول: فما كانت قرية، وقوله ﴿فلولا أنَّهُ كان مِنَ المسبِّحين﴾ وبهذا يتضح مراد الخليل، وهو أن مراده لولا المقترنة بالفاء.

(لوما) بمنزلة لولا:

(لوما) بمنزلة لولا، قال تعالى: ﴿لـوما تأتينا بالملائكة﴾ وقال المالقي: لم ترد إلا للتحضيض.

(ليت) حرف تمنٍ:

(ليت) حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر ومعناه التمني. وقال التنوخي: إنها تفيد تأكيده.

(ليس) فعل جامد ناقص:

(ليس) فعل جامد، ومن ثم ادعى قوم حرفيته، ومعناه نفي مضمون الجملة في الحال ونفي غيره بالقرينة.

وقيل هي لنفي الحال وغيره، وقواه ابن الحاجب بقوله تعالى: ﴿ألا يوم يأتيهم لَيس مَصرُوفاً عنهم﴾ فإنه نفي للمستقبل.

قال ابن مالك وترد للنفي العام المستغرق المراد به الجنس كلا التبرئة وهو مما يغفل عنه، وخرج عليه ﴿ليسَ لهم طَعَامٌ إلا من ضَرِيع﴾.

(ما) الاسمية:

(ما) اسمية وحرفية، فالاسمية ترد **موصولة** بمعنى الذي نحو: ﴿ما عندَكُم

ينفدُ وما عِندَ الله باقٍ﴾ ويستوي فيها المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع، والغالب استعمالها فيما لا يعلم، وقد تستعمل في العالم نحو: ﴿والسماء وما بناها﴾ ﴿ولا أنتم عابِدُون ما أعبدُ﴾ أي الله.

ويجوز في ضميرها مراعاة اللفظ والمعنى، واجتمعا في قوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون﴾ وهذه معرفة بخلاف الباقي.

واستفهامية: بمعنى أي شيء، ويُسأل بها عن أعيان ما لا يعقل وأجناسه وصفاته وأجناس العقلاء وأنواعهم وصفاتهم نحو: ﴿ما لونها﴾ ﴿ما ولآهم﴾ ﴿ما تلك بيمينك﴾ ﴿وما الرحمن﴾ ولا يسأل بها عن أعيان أولي العلم خلافاً لمن أجازه. وأما قول فرعون: ﴿وما ربّ العالمين﴾ فإنه قاله جهلاً، ولهذا أجابه موسى بالصفات.

ويجب حذف ألفها إذا جرت وإبقاء الفتحة دليلاً عليها فرقاً بينها وبين الموصولة نحو: ﴿عمَّ يتساءلون﴾ ﴿فيمَ أنت من ذكراها﴾ ﴿لِمَ تقولُون ما لا تفعلون﴾ ﴿بِمَ يرجعُ المرسلون﴾.

وشرطية نحو: ﴿ما ننسخْ من آية أو ننسها نأت﴾ ﴿وما تفعلوا من خيرٍ يعلمه الله﴾ ﴿فما استقامُوا لكم فاستقيمُوا لهم﴾ وهذه منصوبة بالفعل بعدها.

وتعجبية نحو: ﴿فما أصبرَهُم على النار﴾ ﴿قُتِلَ الإنسانُ ما أكْفَرَه﴾ ولا ثالث لها في القرآن إلا في قراءة سعيد بن جبير: ﴿ما غرَّك بربكَ الكريم﴾.

ومحلها رفع بالابتداء وما بعدها خبر، وهي نكرة تامة.

ونكرة موصوفة نحو: ﴿بعوضة فما فوقها﴾ ﴿نعمَّا يعظكم﴾ أي نعم شيئاً يعظكم به.

وغير موصوفة نحو: ﴿فنعمّا هي﴾ أي نعم شيئاً هي.

(ما) الحرفية:

والحرفية ترد مصدرية: **إما زمانية** نحو: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ أي مدة استطاعتكم.

أو غير زمانية نحو: ﴿فذوقوا بما نسيتم﴾ أي بنسيانكم.

ونافية إما عاملة عمل ليس نحو: ﴿ما هذا بشراً﴾ ﴿ما هن أمهاتهم﴾ ﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ ولا رابع لها في القرآن. أو غير عاملة نحو: ﴿وما تنفقون إلا ابتغاءَ وجهِ الله﴾ ﴿فما ربحت تِجارَتُهم﴾ قال ابن الحاجب: وهي لنفي الحال: ومقتضِي كلام سيبويه أن فيها معنى التأكيد لأنه جعلها في النفي جواباً لقد في الإثبات، فكما أن قد فيها معنى التأكيد فكذلك ما جعل جواباً لها وزائدة للتأكيد.

إما كافة نحو: ﴿إنما اللهُ إلهٌ واحد﴾ ﴿إنما إلهكم إلهٌ وَاحِد﴾ ﴿كأنما أغشيت وجوههم﴾ ﴿رُبما يودُّ الذينَ كفروا﴾.

أو غير كافة نحو: ﴿فإما تَرَيِنَّ﴾ ﴿أيّاً ما تَدْعُوا﴾ ﴿أيما الأجلينِ قَضَيْتَ﴾ ﴿فبما رحمةٍ﴾ ﴿مما خَطَايَاهم﴾ ﴿مثلاً ما بعُوضَةً﴾.

قال الفارسي: جميع ما في القرآن من الشرط بعد إما مؤكد بالنون لمشابهة فعل الشرط بدخول ما للتأكيد لفعل القسم من جهة أن ما كاللام في القسم لما فيها من التأكيد. وقال أبو البقاء: زيادة مؤذنة بإرادة شدة التأكيد.

(ما) لها معان اخرى:

[فائدة] حيث وقعت ما قبل ليس، أو لم، أو لا، أو بعد إلا **فهي موصولة** نحو: ﴿ما ليس لي بحق﴾ ﴿ما لم يعلم﴾. ﴿مالا يعلمون﴾ ﴿إلا ما علمتنا﴾.

وحيث وقعت بعد كاف التشبيه **فهي مصدرية**، وحيث وقعت بعد الباء فإنها تحتملها نحو: ﴿بما كانوا يظلمون﴾.

وحيث وقعت بين فعلين سابقهما علم أو دراية أو نظر احتملت الموصولة والاستفهامية نحو: ﴿وأعلم ما تُبدُون وما كنتم تَكْتُمُون﴾ ﴿وما أدري ما يُفعَلُ بي ولا بِكُم﴾ ﴿ولتنظرْ نفسٌ ما قدَّمَتْ لِغَدٍ﴾.

وحيث وقعت في القرآن قبل إلا فهي **نافية**، إلا في ثلاثة عشر موضعاً ﴿مما آتيتموهن﴾ ﴿الا أن يخافا﴾ ﴿فنصف ما فرضتم﴾ ﴿إلا أن يَعْفُون﴾ ﴿ببعض ما آتيتموهن﴾ ﴿إلا أن يأتين﴾ ﴿ما نَكَحَ آباؤُكُم من النساء إلا ما قد سَلَفَ﴾ ﴿وما أَكَلَ السَبُع إلا ما ذكيتم﴾ ﴿ولا أخاف ما تُشْرِكُون به إلا﴾ ﴿وقد فصل لكم ما حَرَّمَ عليكم إلا﴾ ﴿ما دامتِ السمواتُ والأرض إلا﴾ في موضعي هود ﴿فما حصدتم فذروه في سنبله إلا﴾ ﴿ما قدمتم لهن إلا﴾ ﴿وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله﴾ ﴿وما بينهما إلا بالحق﴾.

(ماذا) اسم استفهام:

(ماذا) ترد على أوجه. أحدها: أن تكون **ما استفهاماً وذا موصولة** وهو أرجح الوجهين في ﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾ في قراءة الرفع: أي الذي ينفقونه العفو، إذ الأصل أن تجاب الاسمية بالاسمية والفعلية بالفعلية.

الثاني: أن تكون **استفهاماً وذا إشارة**.

الثالث: أن يكون **ماذا كله استفهاماً** على التركيب، وهو أرجح الوجهين في: ﴿ماذا ينفقون قل العفو﴾ في قراءة النصب: أي ينفقون.

الرابع: أن يكون **ماذا كله اسم جنس** بمعنى شيء أو موصولاً بمعنى الذي.

الخامس: أن تكون **ما زائدة** وذا للإشارة.

السادس: أن تكون **ما استفهاماً وذا زائدة**، ويجوز أن تخرج عليه.

(متى) اسم استفهام:

(متى) ترد استفهاماً عن الزمان نحو: ﴿متى نَصْرُ الله﴾ وشرطاً.

(مع) اسم:

(مع) اسم بدليل جرها بمن في قراءة بعضهم ﴿هذا ذِكرُ من معي﴾ وهي فيها بمعنى عند، وأصلها لمكان الاجتماع أو وقته نحو: ﴿ودَخَلَ معه السِجْنَ فتيان﴾ ﴿أرسِلْهُ معنَا غداً﴾ ﴿لن نُرسِلَهُ معكم﴾ وقد يراد به مجرد الاجتماع والاشتراك من غير ملاحظة المكان والزمان نحو: ﴿وكُونوا مَعَ الصادقين﴾ ﴿واركعوا مع الراكعين﴾ وأما نحو: ﴿إني معكم﴾ ﴿إن اللهَ مع الذين اتقوا﴾ ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ ﴿إن معي ربي سَيَهْدِين﴾ فالمراد به العلم والحفظ والمعونة مجازاً. قال الراغب: والمضاف إليه لفظ مع هو المنصور كالآيات المذكورة.

(من) حرف جر:

(من) حرف جر له معان: أشهرها **ابتداء الغاية** مكاناً وزماناً وغيرهما نحو: ﴿من المسجِدِ الحرام﴾ ﴿من أول يوم﴾ ﴿إنه من سُليمان﴾.

والتبعيض بأن يسدّ بعض مسدها نحو: ﴿حتى تنفقوا مما تحبون﴾ وقرأ ابن مسعود: بعض ما تحبون.

والتبيين وكثيراً ما تقع بعدما ومهما نحو: ﴿ما يفتح اللهُ للناس من رحْمةٍ﴾ ﴿ما ننسخْ من آية﴾ ﴿مهما تأتنا به من آية﴾ ومن وقوعها بعد غيرهما: ﴿فاجتنبوا الرِجْسَ من الأوثان﴾ ﴿أساورَ من ذهب﴾.

والتعليل ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا﴾ ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصَّوَاعِقِ﴾ والفصل بالمهملة، وهي **الداخلة على ثاني المتضادين** نحو: ﴿يعلم المفْسِدَ من المصلح﴾ ﴿ليميز الله الخبيث من الطيب﴾.

والبدل نحو: ﴿أرضيتم بالحياةِ الدُّنيا من الآخرة﴾ أي بدلها ﴿لجعلنا منكم مَلاَئكةً في الأرضِ﴾ أي بدلكم.

وتنصيص العموم نحو: ﴿وما من إلّه إلا الله﴾ **قال في الكشاف**: هو بمنزلة البناء في لا إلّه إلا الله في إفادة معنى الاستغراق.

ومعنى الباء نحو: ﴿ينظرون من طرف خفِي﴾ أي به.

وعلى نحو: ﴿ونصرناه من القوم﴾ أي عليهم.

وفي نحو: ﴿إذا نُودِيَ للصلاةِ من يوم الجُمُعَة﴾ أي فيه. **وفي الشامل عن الشافعي** أن من في قوله تعالى: ﴿وإن كان من قوم عدوّ لكم﴾ **بمعنى في بدليل** قوله ﴿وهو مؤمن﴾.

وعن نحو: ﴿قد كنا في غَفْلَةٍ من هذا﴾ أي عنه.

وعند نحو: ﴿لن تُغْني عنهم أموالُهُم ولا أولادُهُم مِنَ اللهِ﴾ أي عنده.

والتأكيد وهي الزائدة في النفي أو النهي أو الاستفهام نحو: ﴿وما تسقط من ورقةٍ إلا يَعْلَمُها﴾ ﴿ما ترى في خَلْقِ الرحمن من تفاوت﴾ ﴿فارجع البصرَ هل ترى من فُطُور﴾ وأجازها قوم في الإيجاب وخرجوا عليه ﴿ولقد جاءك من نبأ المرسلين﴾ ﴿يُحلون فيها من أساورَ﴾ ﴿من جبالٍ فيها من برد﴾ ﴿يَغُضوا مِن أبصارهم﴾.

[فائدة] أخرج ابن أبي حاتم من طريق السدي عن ابن عباس قال: لو أن

إبراهيم حين دعا قال: اجعل أفئدة الناس تهوي إليهم، لازدحمت عليه اليهود والنصارى، ولكنه خص حين قال أفئدة من الناس، فجعل ذلك للمؤمنين.

وأخرج عن مجاهد قال: لو قال إبراهيم، فاجعل أفئدة الناس تهوي إليهم لزاحمتكم عليه الروم وفارس. وهذا صريح في فهم الصحابة والتابعين التبعيض مِنْ مِنْ.

وقال بعضهم: حيث وقعت «يغفر لكم» في خطاب المؤمنين لم تذكر معها «من» كقوله في الأحزاب: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللهَ وقُولُوا قولاً سديداً يصلحْ لكُم أعمالكم ويَغْفِرْ لكم ذُنُوبَكُم﴾ وفي الصف ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدُلُّكم على تجارةٍ تُنجيكم من عَذابٍ أليم﴾ إلى قوله: ﴿يغفرْ لكم ذُنُوبكم﴾ وقال في خطاب الكفار في سورة نوح: ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ وكذا في سورة إبراهيم، وفي سورة الأحقاف، وما ذاك إلا للتفرقة بين الخطابين لئلا يسوّي بين الفريقين في الوعد، ذكره في الكشاف.

(مَن) اسم:

(مَنْ) لا تقع إلا اسماً فترد **موصولة** نحو: ﴿وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يَسْتَكْبِرُون﴾ **وشرطية** نحو: ﴿من يَعملْ سُوءاً يُجزَ به﴾ **واستفهامية** نحو: ﴿منِ بَعَثَنَا من مَرْقَدِنَا﴾ **ونكرة موصوفة** ﴿ومن الناس من يقولُ﴾ أي فريق يقول، وهي كما في استوائها في المذكر والمفرد وغيرهما.

والغالب استعمالها في العالم عكس ما، ونكتته أن ما أكثر وقوعاً في الكلام منها، وما لا يعقل أكثر ممن يعقل، فأعطوا ما كثرت مواضعه للكثير وما قلّت للقليل للمشاكلة.

وقال ابن الأنباري، واختصاص [من] بالعالم [وما] بغيره في الموصولتين

دون الشرطيتين، لأن الشرط يستدعي الفعل ولا يدخل على الأسماء.

(مهما) اسم شرط:

(مهما) اسم لعود الضمير عليها في ﴿مهما تأتنا به﴾ قال الزمخشري: عاد عليها ضمير به وضمير بها حملا على اللفظ وعلى المعنى، وهي شرط لما لا يعقل غير الزمان كالآية المذكورة، وفيها تأكيد، ومن ثم قال قوم: إن أصلها ما الشرطية وما الزائدة أبدلت ألف الأولى هاء دفعاً للتكرار.

(النون) ضمير وحرف:

(النون) على أوجه: اسم وهي **ضمير النسوة** نحو: ﴿فلما رَأَينَهُ أكبَرْنَهُ وقَطَّعْنَ أيديهن وقُلْنَ﴾ **وحرف** وهي نوعان:

نون التوكيد وهي خفيفة وثقيلة نحو: ﴿ليسجننّ وليكوناً﴾ ﴿لنسفعاً بالناصية﴾ ولم تقع الخفيفة في القرآن إلا في هذين الموضعين. قلت: وثالث في قراءة شاذة وهي: ﴿فإذا جاء وَعْدُ الآخرة ليسوءوا وجوهكم﴾ ورابع في قراءة الحسن ﴿ألقيا في جهنم﴾ ذكره ابن جني في المحتسب.

ونون الوقاية وتلحق ياء المتكلم المنصوبة بفعل نحو ﴿فاعبدني﴾ ﴿ليحزنني﴾.

أو حرف نحو: ﴿يا ليتني كنت معهم﴾ ﴿إنني أنا الله﴾ **والمجرورة** بلدن نحو: ﴿من لدني عذراً﴾ أو من، أو عن نحو: ﴿ما أغنى عني ماليه﴾ ﴿وألقيتُ عليك محبةً مني﴾.

التنوين واقسامه:

(التنوين) نون تثبت لفظاً لا خطاً، وأقسامه كثيرة.

(تنوين التمكين) وهو اللاحق للأسماء المعربة نحو: ﴿هدًى ورحمةً﴾ ﴿وإلى عادٍ أخاهم هوداً﴾ ﴿أرسلنا نوحاً﴾.

(وتنوين التنكير) وهو اللاحق لأسماء الأفعال فرقاً بين معرفتها ونكرتها نحو التنوين اللاحق لأفٍّ في قراءة من نوّنه، و﴿هيهات﴾ في قراءة من نونها.

و(تنوين المقابلة) وهو اللاحق لجمع المؤنث السالم نحو: ﴿مسلماتٍ مؤمناتٍ قانتاتٍ تائباتٍ عابداتٍ سائحاتٍ﴾.

(وتنوين العوض) إما عن حرف آخر مفاعل المعتل نحو: ﴿والفجرِ وليالٍ﴾ ﴿ومن فوقهم غَواشٍ﴾ أو عن اسم مضاف إليه في كل وبعض وأي نحو: ﴿كُلٌّ في فلك يَسْبَحُون﴾ ﴿فضلنا بَعْضَهُم على بعضٍ﴾ ﴿أياً ما تَدْعُوا﴾ أو عن الجملة المضاف إليها نحو: ﴿وأنتم حينئذٍ تَنْظُرون﴾ أي حين إذ بلغت الروح الحلقوم ـ أو إذا على ما تقدم عن شيخنا ومن نحا نحوه، نحو: ﴿وإنكم إذاً لمن المقرّبين﴾ أي إذا غلبتم.

(وتنوين الفواصل) الذي يسمى في غير القرآن الترنم بدلاً من حرف الإطلاق، ويكون في الاسم والفعل والحرف، وخرج عليه الزمخشري وغيره: ﴿قواريراً﴾ ﴿والليلِ إذا يَسْرِ﴾ ﴿كلا سَيَكفُرون﴾ بتنوين الثلاثة.

(نعم) حرف جواب:

(نَعَم) حرف جواب، فيكون تصديقاً للمخبر ـ ووعداً للطالب ـ وإعلاماً للمستخبر، وإبدال عينها حاء وكسرها وإتباع النون لها في الكسر لغات قرىء بها.

(نعم) فعل مدح:

(نِعْمَ) فعل لإنشاء المدح لا يتصرّف.

(الهاء) ضمير وحرف:

(الهاء) **اسم ضمير** غائب يستعمل في الجر والنصب نحو: ﴿قال له صاحِبُهُ وهو يُحَاوِرُه﴾ **وحرف للغيبة** وهو اللاحق لإيَّا وللسكت نحو: ﴿ماهيه﴾ ﴿كتابيه﴾ ﴿حسابيه﴾ ﴿سلطانيه﴾ ﴿ماليه﴾ ﴿لم يتسنه﴾ وقرىء بها في أواخر آي الجمع كما تقدم وقفاً.

(ها) اسم فعل:

(ها) **ترد اسم فعل** بمعنى خذ، ويجوز مد ألفه فينصرف حينئذ للمثنى والجمع نحو: ﴿هَاؤُم اقرءوا كتابيه﴾. واسماً **ضميراً للمؤنث** نحو ﴿فألهمها فجورَها وتقواها﴾ **وحرف تنبيه** فتدخل على الإشارة نحو: ﴿هؤلاء﴾ ﴿هذان خصمان﴾ ﴿ها هنا﴾ وعلى ضمير الرفع المخبر عنه بإشارة نحو: ﴿ها أنتم اولاء﴾ وعلى **نعت**: أي في النداء نحو: ﴿يا أيها الناس﴾ ويجوز في لغة أسد حذف ألف هذه وضمها اتباعاً وعليه قراءة: ﴿أيُّه الثقلان﴾.

(هات) فعل أمر:

(هات) فعل أمر لا يتصرف، ومن ثم ادّعى بعضهم أنه اسم فعل.

(هل) حرف استفهام:

(هل) حرف استفهام يطلب به التصديق دون التصوّر، ولا يدخل على منفي ولا شرط ولا إن ولا اسم بعده فعل غالباً ولا عاطف.

قال ابن سيده: ولا يكون الفعل معها إلا مستقبلاً. ورد بقوله تعالى: ﴿فهل وجدتم ما وعدَ ربُّكُم حقاً﴾ وترد بمعنى قد، وبه فسر: ﴿هل أتى على الإنسَانِ﴾ وبمعنى النفي: ﴿هل جَزاءُ الإحسانِ إلا الإحسانُ﴾ ومعان أخر ستأتي في مبحث الاستفهام.

(هلم) دعاء إلى الشيء:

(هلمّ) دعاء إلى الشيء، وفيه قولان: أحدهما أن أصله ها ولم، من قولك لأمت الشيء: أي أصلحته، فحذف الألف وركب. وقيل أصله هل أم، كأنه قيل هل لك في كذا أمه، أي قصده فركبا، ولغة الحجاز تركه على حاله في التثنية والجمع وبها ورد القرآن، ولغة تميم إلحاقه العلامات.

(هنا) اسم للاشارة:

(هنا) اسم يشار به للمكان القريب نحو ﴿إنا ههنا قاعدون﴾ وتدخل عليه اللام والكاف فيكون للبعيد نحو ﴿هنالك ابتلي المؤمنون﴾ وقد يشار به للزمان اتساعاً، وخرج عليه ﴿هنالك تبلُوا كلُّ نفسٍ مَا أسلفت﴾ ﴿هنالك دَعَا زكريا ربه﴾.

(هيت) اسم فعل:

(هَيْتَ) اسم فعل بمعنى أسرع وبادر. قال في المحتسب: وفيها لغات قرىء ببعضها هيت بفتح الهاء والتاء، وهيت بكسر الهاء وفتح التاء، وهيت بفتح الهاء وكسر التاء، وهيت بفتح الهاء وضم التاء، وقرىء هئت بوزن جئت وهو فعل بمعنى تهيأت، وقريء هيئت وهو فعل بمعنى أصلحت.

(هيهات) اسم فعل:

(هيهات) اسم فعل بمعنى بَعُدَ، قال تعالى ﴿هيهاتَ هيهاتَ لما توعدون﴾ قال الزجاج: البعد لما توعدون قيل وهذا غلط أوقعه فيه اللام، فإن تقديره بعد الأمر لما توعدون: أي لأجله وأحسن منه أن اللام لتبين الفاعل، وفيه لغات قرىء بها بالفتح وبالضم وبالخفض مع التنوين في الثلاثة وعدمه.

(الواو) حرف عامل:

(الواو) جارة ناصبة وغير عاملة، فالجارة واو القسم نحو ﴿والله ربنا ما كنا

مشركين﴾ **والناصبة** واو مع فتنصب المفعول معه في رأى قوم نحو ﴿فأجمعوا أمركم وشُركاءَكُم﴾ ولا ثاني له في القرآن، والمضارع في جواب النفي أو الطلب عند الكوفيين نحو ﴿ولما يعلم اللهُ الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ ﴿يا ليتنا نُرَدُّ ولا نُكَذبُ بآيات ربنا ونكون﴾ وواو الصرف عندهم ومعناها أن الفعل كان يقتضي إعراباً فصرفته عنه إلى النصب نحو ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ في قراءة النصب.

(الواو) حرف غير عامل:

وغير العاملة أنواع. أحدها: واو العطف وهي لمطلق الجمع فتعطف الشيء على مصاحبه نحو ﴿فأنجيناهُ وأصحاب السفينة﴾ وعلى سابقه نحو ﴿أرسلنا نوحاً وإبراهيم﴾ ولاحقه نحو ﴿يُوحي إليكَ وإلى الذين من قبلك﴾ وتفارق سائر حروف العطف في اقترانها بإما نَحو ﴿إما شَاكراً وإما كَفُوراً﴾ وبلا بعد نفي نحو ﴿وما أموالكمُ ولا أولادُكُم بالتي تُقربُكُم﴾ وبلكن نحو ﴿ولكن رسول الله﴾ وتعطف العقد على النيف والعام على الخاص وعكسه نحو ﴿وملائكته ورسله وجبريل وميكال﴾ ﴿ربِّ اغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيني مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات﴾ والشيء على مرادفه نحو ﴿صلواتٌ من ربهم ورحمة﴾ ﴿إنما أشكو بثي وحزني﴾ والمجرور على الجوار نحو ﴿رؤُوسكم وأرجُلكم﴾

قيل وترد بمعنى أو، وحمل عليه مالك ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ الآية، **وللتعليل** وحمل عليه الخارزنجي الواو الداخلة على الأفعال المنصوبة.

ثانيها: واو الاستئناف نحو ﴿ثم قضى أجلاً وأجل مُسمى عنده﴾ ﴿لنبينَ لكم ونُقر في الأرحْام﴾ ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ ﴿من يُضْلل الله فلا هادي له﴾ ﴿ويذرهم﴾ بالرفع، إذ لو كانت عاطفة لنصب نقر وانجزم ما بعده ونصب أجل.

ثالثها: واو الحال الداخلة على الجملة الاسمية نحو ﴿ونحنُ نُسبحُ بحمدك﴾ ﴿يغشى طائفةً منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم﴾ ﴿لئن أكله الذِّئبُ ونحن عُصبة﴾ وزعم الزمخشري أنها تدخل على الجملة الواقعة صفة لتأكيد ثبوت الصفة للموصوف ولصوقها به، وكما تدخل على الحالية وجعل من ذلك ﴿ويقولون سبعةٌ وثامنهم كلبهم﴾.

رابعها: واو الثمانية، ذكرها جماعة كالحريري وابن خالويه والثعلبي، وزعموا أن العرب إذا عدوا يدخلون الواو بعد السبعة إيذاناً بأنها عدد تام وأن ما بعده مستأنف، وجعلوا من ذلك قوله ﴿سيقولون ثلاثةٌ رابعهم كلبهم﴾ إلى قوله ﴿سبعةٌ وثامنهم كلبهم﴾ وقوله ﴿التائبُون العابدون﴾ إلى قوله ﴿والناهون عن المنكر﴾ لأنه الوصف الثامن. وقوله ﴿مسلمات﴾ إلى قوله ﴿وأبكاراً﴾ والصواب عدم ثبوتها وأنها في الجميع للعطف.

خامسها: الزائدة، وخرّج عليه وأخذه من قوله ﴿وتلّه للجبين﴾ ﴿وناديناه﴾.

سادسها: وضمير الذكور في اسم أو فعل نحو ﴿المؤمنون﴾ ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾ ﴿قل للذين آمنوا يقيموا﴾.

سابعها: واو علامة المذكورين في لغة طيء، وخرج عليه ﴿وأسروا النجوَى الذين ظلمُوا﴾ ﴿ثم عمُوا وصمُّوا كثير منهم﴾.

ثامنها: الواو المبدلة من همزة الاستفهام المضموم ما قبلها كقراءة قنبل ﴿وإليه النشور﴾ ﴿وأمنتم﴾ قال فرعون ﴿وآمنتم به﴾.

(ويكأن) للتعجب:

(وَيْ كَأَنَّ) قال الكسائي: كلمة تندم وتعجب، وأصله ويلك والكاف ضمير مجرور. وقال الأخفش: وي اسم فعل بمعنى أعجب، والكاف حرف خطاب، وأن على إضمار اللام، والمعنى: أعجب لأن الله.

وقال الخليل: وي وحدها وكأن كلمة مستقلة للتحقيق لا للتشبيه. وقال ابن

الأنباري: يحتمل وي كأنه ثلاثة أوجه: أن يكون ويك حرفاً وأنه حرف، والمعنى: ألم تروا. وأن يكون كذلك، والمعنى: ويلك. وأن تكون وَي حرفاً للتعجب وكأنه حرف ووصلا خطأ لكثرة الاستعمال كما وصل يَبْنَؤُمَّ.

(ويل) للتقبيح:

(ويل) قال الأصمعي: ويل تقبيح، قال تعالى ﴿ولكم الويلُ مما تصفون﴾ وقد يوضع موضع التحسر والتفجع نحو ﴿يا ويلتنا﴾ ﴿يا ويلتا أعجزْتُ﴾.

أخرج الحربي في فوائده من طريق إسماعيل عن ابن عباس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت «قال لي رسول الله ﷺ ويحك، فجزعت منها: فقال لي: يا حميراء إن ويحك أو ويسك رحمة فلا تجزعي منها ولكن اجزعي من الويل».

(يا) حرف نداء:

(يا) حرف لنداء البعيد حقيقة أو حكماً، وهي أكثر أحرفه استعمالاً ولهذا لا يقدر عند الحذف سواها. نحو ﴿رب اغفر لي﴾ ﴿يوسف أعرضْ﴾ ولا ينادى اسم الله وأيتها إلا بها. قال الزمخشري: ويفيد التأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه يعتنى به جداً.

وترد للتنبيه فتدخل على الفعل والحرف نحو ﴿ألا يسجدوا﴾ ﴿يا ليتَ قوميَ يعلمون﴾.

[تنبيه] ها قد أتيت على شرح معاني الأدوات الواقعة في القرآن على وجه موجز مفيد محصل للمقصود منه، ولم أبسطه لأن محل البسط والإطناب إنما هو تصانيفنا في فن العربية وكتبنا النحوية، والمقصود في جميع أنواع هذا الكتاب إنما هو ذكر القواعد والأصول لا استيعاب الفروع والجزئيات.

النوع الحادي والأربعون: في معرفة إعرابه

أفرده بالتصنيف خلائق، منهم مكي وكتابه في المشكل خاصة، والحوفي وهو أوضحها، وأبو البقاء العكبري وهو أشهرها، والسمين وهو أجلها على ما فيه من حشو وتطويل، ولخصه السفاقسي فحرره، وتفسير أبي حيان مشحون بذلك، ومن فوائد هذا النوع معرفة المعنى، لأن الإعراب يميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين.

أخرج أبو عبيد في فضائله عن عمر بن الخطاب قال: تعلموا اللحن والفرائض والسنن كما تعلمون القرآن. وأخرج عن يحي بن عتيق قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته، قال: حسن يا ابن أخي فتعلمها، فإن الرجل يقرأ الآية فيعي بوجهها فيهلك فيها.

وعلى الناظر في كتاب الله تعالى الكاشف عن أسراره النظر في الكلمة وصيغتها ومحلها ككونها مبتدأ أوخبراً أو فاعلاً أو مفعولاً أو في مبادىء الكلام أو في جواب إلى غير ذلك، ويجب عليه مراعاة أمور.

أحدها: وهو أول واجب عليه أن يفهم معنى ما يريد أن يعربه مفرداً أو مركباً قبل الإعراب فإنه فرع المعنى، ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور إذا قلنا بأنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه. وقالوا في توجيه نصب كلالة قوله تعالى ﴿وإن كان رجلٌ يورثُ كلالة﴾ أنه يتوقف على المراد بها، فإن كان اسماً

للميت فهو حال، ويورث خبر كان أو صفة، وكان تامة أو ناقصة، وكلالة خبر أو للورثة فهو على تقدير مضاف: أي ذا كلالة، وهو أيضاً حال أو خبر كما تقدم، أو للقرابة فهو مفعول لأجله. وقوله ﴿سبعاً من المثاني﴾ إن كان المراد بالمثاني القرآن فمن للتبعيض، أو الفاتحة فلبيان الجنس، وقوله ﴿إلا أن تتقُوا منهم تقاةً﴾ إن كان بمعنى الاتقاء فهي مصدر، أو بمعنى متقى: أي أمر يجب اتقاؤه فمفعول به، أو جمعاً كرماة فحال. وقوله ﴿غثَاءً أحوى﴾ إن أريد به الأسود من الجفاف واليبس فهو صفة لغثاء، أو من شدة الخضرة فحال من المرعى.

قال ابن هشام: وقد زلّت أقدام كثير من المعربين راعوا في الاعراب ظاهر اللفظ ولم ينظروا في موجب المعنى، من ذلك قوله ﴿أصلواتك تأمُركَ أن نترك ما يعبدُ آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾ فإنه يتبادر إلى الذهن عطف أن نفعل على أن نترك، وذلك باطل لأنه لم يأمرهم أن يفعلوا في أموالهم ما يشاءون، وإنما هو عطف على ما، فهو معمول للترك والمعنى: إن نترك أن نفعل، وموجب الوهم المذكور أن المعرب يرى أن والفعل مرتين وبينهما حرف العطف.

الثاني: أن يراعى ما تقتضيه الصناعة، فربما راعى المعرب وجهاً صحيحاً ولا نظر في صحته في الصناعة فيخطىء من ذلك قول بعضهم ﴿وثموداً فما أبقى﴾ أن ثموداً مفعول مقدم، وهذا ممتنع لأن لما النافية الصدر فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها، بل هو معطوف على عاداً أو على تقدير: وأهلك ثموداً. وقول بعضهم في ﴿لا عاصمَ اليومَ من أمرِ الله﴾ ﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾ أن الظرف متعلق باسم لا وهو باطل، لأن اسم لا حينئذ مطول فيجب نصبه وتنوينه، وإنما هو متعلق بمحذوف. وقول الحوفي: إن الباء في قوله ﴿فناظرةٌ بِمَ يرجعُ المرسلون﴾

متعلقة بناظرة، وهو باطل لأن الاستفهام له الصدر بل هو يتعلق بما بعده، وكذا قول غيره في ﴿ملعونين أينما ثقفوا﴾ أنه حال من معمول ثقفوا، وأخذوا باطل لأن الشرط له الصدر بل هو منصوب على الذم.

الثالث: أن يكون ملياً بالعربية لئلا يخرج على ما لم يثبت كقول أبي عبيدة في ﴿كما أخرَجَكَ ربُّكَ﴾ أن الكاف قسم حكاه مكي وسكت عليه فشنع ابن الشجري عليه في سكوته، ويبطله أن الكاف لم تجيء بمعنى واو القسم وإطلاق ما الموصولة على الله وربط الموصول بالظاهر وهو فاعل أخرجك، وباب ذلك الشعر، وأقرب ما قيل في الآية أنها مع مجرورها خبر محذوف: أي هذه الحال من تنفيلك للغزاة على ما رأيت من كراهتهم لها كحال إخراجك للحرب في كراهيتهم له، وكقول ابن مهران في قراءة ﴿إن البقَرَ تشَابهت﴾ بتشديد التاء أنه من زيادة التاء في أول الماضي، ولا حقيقة لهذه القاعدة. وإنما أصل القراءة أن البقرة تشابهت بتاء الوحدة، ثم أدغمت في تاء تشابهت فهو إدغام من كلمتين.

الرابع: أن يتجنب الأمور البعيدة والأوجه الضعيفة واللغات الشاذة، ويخرج على القريب والقويّ والفصيح، فإن لم يظهر فيه إلا الوجه البعيد فله عذر. وإن ذكر الجميع لقصد الإعراب والتكثير فصعب شديد، ولبيان المحتمل وتدريب الطالب فحسن في غير ألفاظ القرآن. أما التنزيل فلا يجوز أن يخرج إلا على ما يغلب على الظن إرادته، فإن لم يغلب شيء فليذكر الأوجه المحتملة من غير تعسف، ومن ثم خطىء من قال في ﴿وقيله﴾ بالجر أو النصب أو عطف على لفظ الساعة ومحلها لما بينهما من التباعد، والصواب أنه قسم أو مصدر قال مقدراً. ومن قال في ﴿إن الذينَ كفروا بالذكْرِ﴾ أن خبره ﴿أولئك يُنادون من مكان بعيد﴾ والصواب أنه محذوف. ومن قال في ﴿ص والقُرآن ذِي الذِّكر﴾ أن جوابه ﴿إن ذلكَ لحقٌّ﴾ والصواب أنه محذوف: أي ما الأمر كما زعموا، أو إنه

لمعجز أو إنك لمن المرسلين. ومن قال في ﴿فلا جناح عليه أن يطَّوف﴾. أن الوقف على جناح وعليه إغراء، لأن إغراء الغائب ضعيف، بخلاف القول بمثل ذلك في ﴿عليكم أن لا تشركوا﴾ فإنه حسن لأن إغراء المخاطب فصيح. ومن قال في ﴿ليذْهبَ عنكم الرجْسَ أهلَ البيتِ﴾ إنه منصوب على الاختصاص لضعفه بعد ضمير المخاطب، والصواب أنه منادى. ومن قال في ﴿تماماً على الذي أحْسنَ﴾ بالرفع أن أصله أحسنوا، فحذفت الواو اجتزاءً عنها بالضمة، لأن باب ذلك الشعر، والصواب تقدير مبتدأ: أي هو أحسن. ومن قال في ﴿وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم﴾ بضم الراء المشددة إنه من باب:

إنك إن يصرع أخوك تصرع، لأن ذلك خاص بالشعر، والصواب أنها ضمة إتباع وهو مجزوم، ومن قال في ﴿وأرجلكم﴾ أنه مجرور على الجوار، لأن الجر على الجوار في نفسه ضعيف شاذ لم يرد منه إلا أحرف يسيرة. والصواب إنه معطوف على ﴿برؤوسكم﴾ على أن المراد به مسح الخف.

قال ابن هشام: وقد يكون الوضع لا يخرج إلا على وجه مرجوح فلا حرج على مخرجه كقراءة ﴿نجى المؤمنين﴾ قيل الفعل ماضٍ ويضعفه إسكان آخره وإنابة ضمير المصدر عن الفاعل مع وجود المفعول به. وقيل مضارع أصله ننجي بسكون ثانيه، ويضعفه أن النون لا تدغم في الجيم. وقيل أصله ننجي بفتح ثانيه وتشديد ثالثه فحذفت النون الثانية، ويضعفه أن ذلك لا يجوز إلا في التاء.

الخامس: أن يستوفي جميع ما يحتمله اللفظ من الأوجه الظاهرة فتقول في نحو ﴿سبحِ اسمَ ربِّكَ الأعلى﴾ يجوز كون الأعلى صفة للرب وصفة للاسم، وفي نحو ﴿هُدى للمتقين الذين﴾ يجوز كون الذين تابعاً ومقطوعاً إلى النصب بإضمار أعني أو أمدح وإلى الرفع بإضمار هو.

السادس: أن يراعي الشروط المختلفة بحسب الأبواب، ومتى لم يتأملها

اختلطت عليه الأبواب والشرائك ومن ثم خطىء الزمخشري في قوله تعالى ﴿مَلكِ الناسِ﴾ ﴿إلهِ الناسِ﴾ أنهما عطفا بيان، والصواب أنهما نعتان لاشتراط الاشتقاق في النعت والجمود في عطف البيان. وفي قوله في ﴿إن ذلك لحقّ تخاصم أهل النار﴾ بنصب تخاصم أنه صفة للإشارة، لأن اسم الإشارة إنما ينعت بذي اللام الجنسية، والصواب كونه بدلاً. وفي قوله في ﴿فاستبقوا الصراط﴾ وفي ﴿سنعيدها سيرتها﴾ أن المنصوب فيهما ظرف، لأن ظرف المكان شرط الإبهام، والصواب أنه على إسقاط الجار توسعاً وهو فيهما إلى. وفي قوله ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله﴾ أنَّ أنْ مصدرية، وهي وصلتها عطف بيان على الهاء لامتناع عطف البيان على الضمير كنعته، وهذا الأمر السادس عده ابن هشام في المغني، ويحتمل دخوله في الأمر الثاني.

السابع: أن يراعى في كل تركيب ما يشاكله، فربما خرج كلاماً على شيء ويشهد استعمال آخر في نظير ذلك الموضع بخلافه، ومن ثم خطىء الزمخشري في قوله ﴿ومُخرجُ الميّتَ من الحيِّ﴾ أنه عطف على ﴿فالقُ الحبِّ والنوَى﴾ ولم يجعله معطوفاً على يخرج الحيّ من الميت لأن عطف الاسم على الاسم أولى، ولكن مجيء قوله ﴿يخرج الحيّ من الميت ومخرج الميت من الحي﴾ بالفعل فيهما يدل على خلاف ذلك، ومن ثم خطىء من قال في ﴿ذلك الكتابُ لا ريْبَ فيه﴾ أن الوقف على ريب وفيه خبر هدى، ويدل على خلاف ذلك قوله في سورة السجدة ﴿تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ ومن قال في ﴿ولمن صبَرَ وغَفَر إن ذلك لمنْ عزْمِ الأمُور﴾ أن الرابط الإشارة، وأن الصابر والغافر جعلا من عزم الأمور مبالغة، والصواب أن الإشارة للصبر والغفران بدليل. ﴿وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلكَ من عزْمِ الأمور﴾ ولم يقل إنكم. ومن قال في نحو ﴿وما ربُّكَ بِغَافِلٍ﴾ أن المجرور في موضع رفع، والصواب في موضع نصب لأن الخبر لم يجىء في التنزيل مجرداً من الباء إلا وهو منصوب. ومن قال في ﴿ولئن

سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾ إن الاسم الكريم مبتدأ، والصواب أنه فاعل بدليل ﴿ليقولن خَلَقَهن العزيز العليم﴾.

[تنبيه] وكذا إذا جاءت قراءة أخرى في ذلك الموضع بعينه تساعد أحد الإعرابين فينبغي أن يترجح كقوله ﴿ولكن البر من آمن﴾ قيل التقدير: ولكن ذا البر. وقيل ولكن البرّ برّ من آمن ويؤيد الأول أنه قرىء ولكن البار.

[تنبيه] وقد يوجد ما يرجح كُلاًّ من المحتملات فينظر في أولاها نحو ﴿فاجعل بيننا وبينك موعِداً﴾ فموعداً محتمل للمصدر، ويشهد له ﴿لا يخلفه﴾ نحو ﴿ولا أنت﴾ وللزمان، ويشهد له ﴿قال موعِدُكُم يوم الزينة﴾ وللمكان ويشهد له ﴿مكاناً سِوى﴾ وإذا أعرب مكاناً بدلاً منه لا ظرفاً لتخلفه تعين ذلك.

الثامن: أنه يراعى الرسم، ومن ثم خطىء من قال في ﴿سلسبيلا﴾ أنها جملة أمرية: أي سل طريقاً موصلة إليها، لأنها لكانت كذلك لكتبت مفصولة. ومن قال في ﴿إن هذان لسَاحِران﴾ إنها إن واسمها: أي أن القصة وذان مبتدأ خبره لساحران، والجملة خبر إن، وهو باطل برسم لا منفصلة وهذان متصلة. ومن قال في ﴿ولا الذين يموتون وهم كفارٌ﴾ إن اللام للابتداء، والذين مبتدأ، والجملة بعده خبره، وهو باطل، فإن الرسم ولا. ومن قال في ﴿أيهم أشد﴾ إن أشد مبتدأ وخبر، وأي مقطوعة عن الإضافة، وهو باطل برسم أيهم متصلة، ومن قال في ﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾ إن هم فيها ضمير رفع مؤكد للواو، وهو باطل برسم الواو فيها بلا ألف بعدها، فالصواب أنه مفعول.

التاسع: أن يتأمل عند ورود المشتبهات، ومن ثم خطىء من قال في ﴿أحصى لما لَبِثُوا أمَداً﴾ إنه أفعل تفضيل والمنصوب تمييز، وهو باطل فإن الأمد ليس محصياً بل يحصى، وشرط التمييز المنصوب بعد أفعل كونه فاعلاً في المعنى،

فالصواب أنه فعل وأمد مفعول مثل ﴿وأحصى كُل شيءٍ عَدداً﴾.

العاشر: أن لا يخرج على خلاف الأصل أو خلاف الظاهر بغير مقتض، ومن ثم خطيء مكي في قوله في ﴿لا تبطِلوا صَدَقاتِكم بالمنِّ والأذى كالذي﴾ إن الكاف نعت لمصدر: أي إبطالاً كإبطال الذي، والوجه كونه حالاً من الواو: أي لا تبطلوا صدقاتكم مشبهين الذي، فهذا لا حذف فيه.

الحادي عشر: أن يبحث عن الأصلي والزائد نحو ﴿إلا أن يعفون أو يعفُو الذي بيدِهِ عقدةُ النكَاح﴾ فإنه قد يتوهم أن الواو في يعفون ضمير الجمع فيشكل إثبات النون، وليس كذلك بل هي فيه لام الكلمة فهي أصلية والنون ضمير النسوة، والفعل معها مبَني ووزنه يفعلن، بخلاف ﴿وأَنْ تعفُوا أقرب﴾ فالواو فيه ضمير النسوة، والفعل معها مبني ووزنه يفعلن، بخلاف ﴿وأن تعفوا أقرب﴾ فالواو فيه ضمير الجمع وليست من أصل الكلمة.

الثاني عشر: أن يجتنب إطلاق لفظ الزائدة في كتاب الله تعالى، فإن الزائد قد يفهم منه أنه لا معنى له، وكتاب الله منزه عن ذلك، ولهذا فر بعضهم إلى التعبير بدله بالتأكيد والصلة والمقحم.

وقال ابن الخشاب: اختلف في جواز إطلاق لفظ الزائد في القرآن، فالأكثرون على جوازه نظراً إلى أنه نزل بلسان القوم ومتعارفهم، ولأن الزيادة بإزاء الحذف، هذا للاختصار والتخفيف وهذا للتوكيد والتوطئة. ومنهم من أبى ذلك وقال: هذه الألفاظ المحمولة على الزيادة جاءت لفوائد ومعان تخصها فلا أقضي عليها بالزيادة.

قال: والتحقيق أنه إن أريد بالزيادة إثبات معنى لا حاجة إليه فباطل لأنه عبث، فتعين أن إلينا به حاجة، لكن الحاجة إلى الأشياء قد تختلف بحسب

المقاصد، فليست الحاجة إلى اللفظ الذي عدّ هؤلاء زيادة كالحاجة إلى اللفظ المزيد عليه اهـ. وأقول: بل الحاجة إليه كالحاجة إليه سواء بالنظر إلى مقتضى الفصاحة والبلاغة، وأنه لو ترك كان الكلام دونه مع إفادته أصل المعنى المقصود أبتر خالياً عن الرونق البليغي لا شبهة في ذلك. ومثل هذا يستشهد عليه بالإسناد البياني الذي خالط كلام الفصحاء وعرف مواقع استعمالهم وذاق حلاوة ألفاظهم. وأما النحوي الجافي فعن ذلك بمنقطع الثرى.

تنبيهات على إعراب القرآن:

[تنبيهات. الأول] قد يتجاذب المعنى والإعراب الشيء الواحد، بأن يوجد في الكلام أن المعنى يدعو إلى أمر والإعراب يمنع منه، والمتمسك به صحة المعنى، ويؤول لصحة المعنى الإعراب وذلك كقوله تعالى ﴿إنَّه على رجعِهِ لقادر. يوم تُبلى السرائر﴾ فالظرف الذي هو يوم يقتضي المعنى أنه يتعلق بالمصدر وهو رجع: أي أنه على رجعه في ذلك اليوم لقادر، ولكن الإعراب يمنع منه لعدم جواز الفصل بين المصدر ومعموله، فيجعل العامل فيه فعلاً مقدراً دل عليه المصدر، وكذا ﴿أكبر من مقْتكمُ أنفسكم إذ تدعون﴾ فالمعنى يقتضي تعلق إذ بالمقت، والإعراب يمنعه للفصل المذكور فيقدر له فعل يدل عليه.

[الثاني] قد يقع في كلامهم هذا تفسير معنى، وهذا تفسير إعراب، والفرق بينهما أن تفسير الإعراب لا بد فيه من ملاحظة الصناعة النحوية، وتفسير المعنى لا تضرّه مخالفة ذلك.

لا لحن في القرآن:

[الثالث] قال أبو عبيد في فضائل القرآن: حدثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه قال: سألت عائشة عن لحن القرآن عن قوله تعالى: ﴿إن هَذَان

لسَاحِرَان﴾ وعن قوله تعالى: ﴿والمقِيمينَ الصَّلاةَ والمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ وعن قوله تعالى: ﴿إن الذينُ آمنُوا والذينَ هادُوا والصابِئُون﴾ فقال: يا ابن أختي هذا عمل الكتاب، أخطئوا في الكتاب. هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.

وقال: حدثنا حجاج عن هارون بن موسى، أخبرني الزبير بن الحريث عن عكرمة قال: لما كتبت المصاحف عرضت على عثمان فوجدت فيها حروفاً من اللحن، فقال: لا تغيروها فإن العرب ستغيرها: أو قال: ستعربها بألسنتها، لو كان الكاتب من ثقيف والملي من هذيل لم توجد هذه الحروف. أخرجه ابن الأنباري كتاب الردّ على من خالف مصحف عثمان وابن أشتة في كتاب المصاحف.

ثم أخرج ابن الأنباري نحوه من طريق عبد الأعلى بن عبدالله بن عامر، وابن أشتة نحوه من طريق يحي بن يعمر. وأخرج من طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير أنه كان يقرأ ﴿والمقيمينَ الصلاةَ﴾ ويقول هو لحن من الكتاب، وهذه الآثارات مشكلة جداً، وكيف يظن بالصحابة أولاً أنهم يلحنون في الكلام فضلاً عن القرآن وهم الفصحاء اللدّ، ثم كيف يظن بهم ثانياً في القرآن الذي تلقوه من النبي ﷺ كما أنزل وحفظوه وضبطوه وأتقنوه، ثم كيف يظن بهم ثالثاً اجتماعهم كلهم على الخطأ وكتابته، ثم كيف يظن بهم رابعاً عدم تنبيههم ورجوعهم عنه، ثم كيف يظن بعثمان أنه ينهى عن تغييره، ثم كيف يظن أن القراءة استمرت على مقتضى ذلك الخطأ، وهو مرويّ بالتواتر خلفاً عن سلف، هذا مما يستحيل عقلاً وشرعاً وعادة.

الرد على من زعم اللحن:

وقد أجاب العلماء عن ذلك بثلاثة أجوبة. أحدها: أن ذلك لا يصح عن

عثمان، فإن إسناده ضعيف مضطرب منقطع، ولأن عثمان جعل للناس إماماً يقتدون به، فكيف يرى فيه لحناً ويتركه لتقيمه العرب بألسنتها، فإذا كان الذين تولوا جمعه وكتابته لم يقيموا ذلك وهم الخيار فكيف يقيمه غيرهم؟ وأيضاً فإنه لم يكتب مصحفاً واحداً بل كتب عدة مصاحف. فإن قيل إن اللحن وقع في جميعها فبعيد اتفاقهم على ذلك، أو في بعضها فهو اعتراف بصحة البعض، ولم يذكر أحد من الناس أن اللحن كان في مصحف دون مصحف، ولم تأت المصاحف قط مختلفة إلا فيما هو من وجوه القراءة وليس ذلك بلحن. الوجه الثاني على تقدير صحة الرواية: أن ذلك محمولاً على الرمز والإشارة ومواضع الحذف نحو: الكتاب، والصابرين وما أشبه ذلك. الثالث: أنه مؤول على أشياء خالف لفظها رسمها كما كتبوا: لأوضعوا، لأذبحنه بألف بعد لا، وجزاؤا الظالمين بواو وألف، وبأييد بياءين. فلو قرئ ذلك بظاهر الخط لكان لحناً، وبهذا الجواب وما قبله جزم ابن أشتة في كتاب المصاحف.

وقال ابن الأنباري في كتاب الردّ على من خالف مصحف عثمان: في الأحاديث المروية عن عثمان في ذلك لا تقوم بها حجة لأنها منقطعة غير متصلة، وما يشهد عقل بأن عثمان وهو إمام الأمة الذي هو إمام الناس في زمنه وقدوتهم يجمعهم على المصحف الذي هو الإمام فيتبين فيه خللاً ويشاهد في خطه زللاً فلا يصلحه، كلا والله ما يتوهم عليه هذا ذو إنصاف وتمييز، ولا يعتقد أنه أخر الخطأ في الكتاب ليصلحه من بعده، وسبيل الجائين من بعده البناء على رسمه والوقوف عند حكمه.

ومن زعم أن عثمان أراد بقوله أرى فيه لحناً: أرى في خطه لحناً إذا أقمناه بألسنتنا كان لحن الخط غير مفسد ولا محرف من جهة تحريف الألفاظ وإفساد الإعراب فقد أبطل ولم يصب، لأن الخط منبئ عن النطق، فمن لحن في كتبه

فهو لاحن في نطقة، ولم يكن عثمان ليؤخر فساداً في هجاء ألفاظ القرآن من جهة كتب ولا نطق، ومعلوم أنه كان مواصلاً لدرس القرآن متقناً لألفاظه موافقاً على ما رسم في المصاحف المنفذة إلى الأمصار والنواحي، ثم أيد ذلك بما أخرجه أبو عبيد قال: حدثنا عبدالله بن هانىء البربري مولى عثمان قال: كنت عند عثمان وهو يعرضون المصاحف، فأرسلني بكتف شاة إلى ابن كعب فيها: ﴿لم يتسنَّ﴾، وفيها: ﴿لا تبديلَ للخلق﴾، وفيها: ﴿فأَمْهل الكافِرين﴾. قال: فدعا بالدواة فمحا أحد اللامين فكتب: ﴿لخلق الله﴾، ومحا فأمهل وكتب ﴿فمهل﴾، وكتب ﴿لم يتسنه﴾ ألحق فيها الهاء. قال ابن الأنباري: فكيف يدعي عليه أنه رأى فساداً فأمضاه وهو يوقف على ما كتب ويرفع الخلاف إليه الواقع من الناسخين ليحكم بالحق ويلزمهم إثبات الصواب وتخليده انتهى.

قلت: ويؤيد هذا أيضاً ما أخرجه ابن أشتة في المصاحف قال: حدثنا الحسن ابن عثمان، أنبأنا الربيع بن بدر عن سوار ابن سبئة قال: سألت ابن الزبير عن المصاحف فقال: قام رجل إلى عمر فقال: يا أمير المؤمنين إن الناس قد اختلفوا في القرآن، فكان عمر قد همّ أن يجمع القرآن على قراءة واحدة فطعن طعنته التي مات فيها، فلما كان في خلافة عثمان قام ذلك الرجل فذكر له، فجمع عثمان المصاحف، ثم بعثني إلى عائشة، فجئت بالمصحف فعرضناها عليها حتى قاومناها ثم أمر بسائرها فشققت. فهذا يدل على أنهم ضبطوها وأتقنوها ولم يتركوا فيها ما يحتاج إلى إصلاح ولا تقويم.

ثم قال ابن أشتة: أنبأنا محمد بن يعقوب، أنبأنا أبو داود سليمان بن الأشعث، أنبأنا أحمد بن مسعدة، أنبأنا إسماعيل، أخبرني الحارث بن عبد الرحمن عن عبد الأعلى بن عبدالله بن عامر قال: لما فرغ من المصحف أُتِي به عثمان فنظر فيه فقال: أحسنتم وأجملتم، أرى شيئاً سنقيمه بألسنتنا، فهذا الأثر لا إشكال فيه،

وبه يتضح معنى ما تقدم، فكأنه عرض عليه عقب الفراغ من كتابته فرأى فيها شيئاً كتب على غير لسان قريش كما وقع لهم في التابوه والتابوت، فوعد بأنه سيقيمه على لسان قريش، ثم وفى بذلك عند العرض والتقويم ولم يترك فيه شيئاً، ولعل من روى تلك الآثار السابقة عند حرفها ولم يتقن اللفظ الذي صدر من عثمان فلزم منه ما لزم من الإشكال، فهذا أقوى ما يجاب به عن ذلك ولله الحمد.

ردود اخرى:

[وبعد] فهذه الأجوبة لا يصلح منها شيء عن حديث عائشة. أما الجواب بالتضعيف فلأن إسناده صحيح كما ترى. وأما الجواب بالرمز وما بعده فلأن سؤال عروة عن الأحرف المذكورة لا يطابقه، فقد أجاب عنه ابن أشته وتبعه ابن جبارة في شرح الرائية بأن معنى قولها أخطأوا: أي في اختيار الأولى من الأحرف السبعة لجمع الناس عليه، لا أن الذي كتبوا من ذلك خطأ لا يجوز.

قال: والدليل على ذلك أن ما لا يجوز مردود بإجماع من كل شيء وإن طالت مدة وقوعه. قال: وأما قول سعيد بن جبير: لحن من الكاتب، فيعني باللحن القراءة، واللغة: يعني أنها لغة الذي كتبها وقراءته وفيها قراءة أخرى.

ثم أخرج عن إبراهيم النخعي أنه قال: إن هذان لساحران، وإن هذين لساحران سواء، لعلهم كتبوا الألف مكان الياء والواو. وفي قوله والصابئون والراسخون مكان الياء. قال ابن أشتة: يعني أنه من إبدال حرف في الكتابة بحرف مثل الصلوة والزكوة والحيوة وأقول: هذا الجواب إنما يحسن لو كانت القراءة بالياء فيها والكتابة بخلافها. وأما القراءة على مقتضى الرسم فلا، وقد تكلم أهل العربية على هذه الأحرف ووجهوها على أحسن توجيه.

أما قوله: ﴿إن هذان لساحران﴾ ففيه أوجه. أحدها: أنه جاز على لغة من

يجري المثنى بالألف في أحواله الثلاث وهي لغة مشهورة لكنانة، وقيل لبني الحارث. الثاني: أن اسم إن ضمير الشأن محذوفاً، والجملة مبتدأ وخبر خبر إن. الثالث: كذلك إلا أن ساحران خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: لهما ساحران. الرابع: أن إن هنا بمعنى نعم. الخامس: أن ها ضمير القصة اسم إن، وذان لساحران مبتدأ وخبر، وتقدم ردّ هذا الوجه بانفصال إن واتصال ها في الرسم.

قلت: وظهر لي وجه آخر وهو أن الإتيان بالألف لمناسبة ساحران يريدان كما نوّن سلاسلاً لمناسبة أغلالاً، ومن سبأ لمناسبة بنبأ.

وأما قوله: ﴿والمقيمين الصلاة﴾ ففيه أيضاً أوجه: أحدها: أنه مقطوع إلى المدح بتقدير أمدح لأنه أبلغ. الثاني: أنه معطوف على المجرور في ﴿يُؤمِنُون بما أُنْزِلَ إليكَ﴾ أي ويؤمنون بالمقيمين الصلاة وهم الأنبياء، وقيل الملائكة، وقيل التقدير: يؤمنون بدين المقيمين فيكون المراد بهم المسلمين، وقيل بإجابة المقيمين. الثالث: أنه معطوف على قبل: أي ومن قبل المقيمين فحذفت قبل وأقيم المضاف إليه مقامه. الرابع: أنه معطوف على الكاف في قبلك. الخامس: أنه معطوف على الكاف في إليك. السادس: أنه معطوف على الضمير في منهم، حكى هذه الأوجة أبو البقاء.

وأما قوله: ﴿والصابئون﴾ ففيه أيضاً أوجه. أحدها أنه مبتدأ حذف خبره: أي والصابئون كذلك. الثاني: أنه معطوف على محل إن مع اسمها، فإن محلها رفع الابتداء. الثالث: أنه معطوف على الفاعل في هادوا. الرابع: أن إن بمعنى نعم ﴿فالذين آمنوا﴾ وما بعده في موضع رفع، والصابئون عطف عليه. الخامس: أنه على إجراء صيغة الجمع مجرى المفرد والنون حرف الإعراب، حكى هذه الأوجه أبو البقاء.

رد عائشة:

[تذنيب] يقرب مما تقدم عن عائشة ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده وابن أشتة في المصاحف من طريق إسماعيل المكي عن أبي خلف مولى بني جمح: أنه دخل مع عبيد بن عمير على عائشة فقال: جئت أسألك عن آية في كتاب الله تعالى كيف كان رسول الله ﷺ يقرؤها؟ قالت: أية آية؟ قال: الذين يأتون ما أتوا، أو الذين يؤتون ما آتوا؟ قالت: أيتهما أحبّ إليك؟ قلت: والذي نفسي بيده لأحدهما أحبّ إليّ من الدنيا جميعاً، قالت: أيهما قلت: ﴿الذين يأتون ما أتوا﴾ فقالت: أشهد أن رسول الله ﷺ كذاك كان يقرؤها وكذلك أنزلت، ولكن الهجاء حرف.

رد ابن عباس:

وما أخرجه ابن جرير وسعيد بن منصور في سننه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: ﴿حتى تَسْتَأْنِسُوا وتُسَلِّمُوا﴾ قال: إنما هي خطأ من الكاتب [حتى تستأذنوا وتسلموا] أخرجه ابن أبي حاتم بلفظ: هو فيما أحسب مما أخطأت به الكتّاب.

وما أخرجه ابن الأنباري من طريق عكرمة عن ابن عباس أنه قرأ: ﴿أفلم يَتَبَيَّنِ الذين آمنُوا أن لو يَشَاءُ اللهُ لهدَى الناسَ جَميعاً﴾ فقيل له إنها في المصحف: ﴿أفلم ييأس﴾، فقال: أظن الكاتب كتبها وهو ناعس. وما أخرجه سعيد بن منصور من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يقول في قوله تعالى: ﴿وقضى رَبُّكَ﴾ إنما هي ووصى ربك، التزقت الواو بالصاد. وأخرجه ابن أشتة بلفظ: استمد الكاتب مداداً كثيراً فالتزقت الواو بالصاد. وأخرجه من طريق الضحاك عن ابن عباس أنه كان يقرأ: ﴿ووصى ربك﴾ ويقول: أمر ربك أنهما واوان التصقت إحداهما بالصاد. وأخرجه من طريق أخرى عن

الضحاك أنه قال: كيف تقرأ هذا الحرف؟ قال: ﴿وقضى رَبُّكَ﴾ قال: ليس كذلك نقرؤها نحن ولا ابن عباس إنما هي ﴿ووصى ربك﴾ وكذلك كانت تقرأ وتكتب، فاستمد كاتبكم فاحتمل القلم مداداً كثيراً فالتزقت الواو بالصاد، ثم قرأ: ﴿ولقد وصَّينا الذين أُوتُوا الكِتَابَ من قبلِكُم وإياكم أن اتَّقُوا الله﴾ ولو كانت قضى من الربّ لم يستطع أحد ردّ قضاء الرب ولكنه وصية أوصى بها العباد.

وما أخرجه سعيد بن منصور وغيره من طريق عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرأ: ﴿ولقد آتينا مُوسى وهَارون الفُرقَان ضِيَاء﴾ ويقول: خذوا هذه الواو واجعلوها ها هنا ﴿والذين قالَ لهمُ الناسُ إن الناسَ قد جَمَعُوا لكم﴾ الآية. وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق الزبير بن حريث عن عكرمة عن ابن عباس قال: انزعوا هذه الواو فاجعلوها في ﴿الذين يَحْمِلُون العرشَ ومن حَوْلَهُ﴾ وما أخرجه ابن أشتة وابن أبي حاتم من طريق عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِه كَمِشْكَاةٍ﴾ قال: هي خطأ من الكاتب هو أعظم من أن يكون نوره مثل نور المشكاة، إنما هي مثل نور المؤمن كمشكاة.

الترجيح بين الاقوال:

وقد أجاب ابن أشتة عن هذه الآثار كلها بأن المراد أخطأوا في الاختيار وما هو الأولى لجمع الناس عليه من الأحرف السبعة، لا أن الذي كتب خطأ خارج عن القرآن. قال: فمعنى قول عائشة حرف الهجاء ألقى إلى الكاتب هجاء غير ما كان الأولى أن يلقى إليه من الأحرف السبعة. قال: وكذا معنى قول ابن عباس: كتبها وهو ناعس: يعني فلم يتدبر الوجه الذي هو أولى من الآخر، وكذا سائرها. وأما ابن الأنباري فإنه جنح إلى تضعيف الروايات ومعارضتها بروايات أخرى عن ابن عباس وغيره بثبوت هذه الأحرف في القراءة، والجواب الأول أولى وأقعد.

ثم قال ابن أشتة: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، أنبأنا أبو داود، أنبأنا ابن الأسود، أنبأنا يحي بن آدم عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة بن زيد قال: قالوا لزيد: يا أبا سعيد أوهمت إنما هي ثمانية أزواج من الضأن اثنين اثنين ومن المعز اثنين اثنين ومن الإبل اثنين اثين ومن البقر اثنين اثنين، فقال: لأن الله تعالى يقول: ﴿فَجَعَلَ منه الزوجَين الذَّكَرَ والأُنْثَى﴾ فهما زوجان كل واحد منهما زوج، الذكر زوج والأنثى زوج. قال ابن أشتة: فهذا الخبر يدل على أن القوم كانوا يتخيرون أجمع الحروف للمعاني وأسلسها على الألسنة وأقربها في المأخذ وأشهرها عند العرب للكتابة في المصاحف، وإن الأخرى كانت قراءة معروفة عند كلهم، وكذا ما أشبه ذلك انتهى.

ما قرىء بثلاثة أوجه:

[فائدة] فيما قرىء بثلاثة أوجه: الإعراب أو البناء أو نحو ذلك، قد رأيت تأليفاً لطيفاً لأحمد بن يوسف بن مالك الرعيني سماه [تحفة الأقران فيما قرىء بالتثليث من حروف القرآن] ﴿الحمدُ لله﴾ بالرفع على الابتداء، والنصب على المصدر، والكسر على اتباع الدال اللام في حركتها ﴿ربِّ العالمين﴾ قرىء بالجر على أنه نعت بالرفع على القطع بإضمار مبتدأ، وبالنصب عليه بإضمار فعل أو على النداء ﴿الرحْمَنِ الرحيمِ﴾ قرئا بالثلاثة.

﴿اثنتا عشرة عيناً﴾ قرىء بسكون الشين وهي لغة تميم، وكسرها وهي لغة الحجاز، وفتحها وهي لغة بلى.

﴿المرء﴾ قرىء بتثيلث الميم لغات فيه ﴿فَبُهِتَ الذي كَفَرَ﴾ قراءة الجماعة بالبناء للمفعول، وقرىء بالبناء للفاعل بوزن ضرب وعلم وحسن ﴿ذرية بعضها من بعض﴾ قرىء بتثليث الذال ﴿واتقُوا اللهَ الذي تَسَاءَلُون به والأَرْحَامَ﴾ قرىء بالنصب عطفاً على الجلالة وبالجر عطف على ضمير به، وبالرفع على

الابتداء والخبر محذوف: أي والأرحام مما يجب أن تتقوه وأن تحتاطوا لأنفسكم فيه.

﴿لا يستوي القَاعِدُون من المؤمنين غَيْرِ أُولي الضَّرَر﴾ قرىء بالرفع صفة للقاعدون، وبالجر صفة للمؤمنين، وبالنصب على الاستثناء ﴿وامسحوا برُؤوسِكُم وأرجلَكُم﴾ قرىء بالنصب عطفاً على الأيدي، وبالجر على الجوار أو غيره، وبالرفع على الابتداء، والخبر محذوف دل عليه ما قبله. ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَم﴾ قرىء بجرّ مثل بإضافة جزاء إليه، وبرفعه وتنوين مثل صفة له، وبنصبه مفعول بجزاء ﴿والله ربنا﴾ قرىء بجر ربنا نعتاً أو بدلاً، وبنصبه على النداء أو بإضمار أمدح، وبرفعه ورفع الجلالة مبتدأ وخبر ﴿ويذرك وآلهتك﴾ قرىء برفع يذرك ونصبه وجزمه للخفة.

﴿فَأَجمعُوا أمرَكُم وشركاءَكُم﴾ قرىء بنصب شركاءكم مفعولاً معه أو معطوفاً أو بتقدير: وادعوا، وبرفعه عطفاً على ضمير فأجمعوا، أو مبتدأ خبره محذوف، وبجره عطفاً على كم في أمركم ﴿وكأيِّن من آيةٍ في السَّمَواتِ والأرضِ يَمُرون عليها﴾ قرىء بجر الأرض عطفاً على ماقبله، وبنصبها من باب الاشتغال، وبرفعها على الابتداء، والخبر ما بعدها. ﴿مَوْعِدَكِ بمَلْكِنَا﴾ قرىء بتثليث الميم ﴿وحرامٌ على قَرَيةٍ﴾ قرىء بلفظ الماضي بفتح الراء وكسرها وضمها، وبلفظ الوصف بكسر الراء وسكونها مع فتح الحاء، وبسكونها مع كسر الحاء، وحرام بالفتح وألف، فهذه سبع قراءات.

﴿كوكب دريّ﴾ قرىء بتثليث الدال. ﴿يس﴾ القراءة المشهورة بسكون النون، وقرىء شاذاً بالفتح للخفة، والكسر لالتقاء الساكنين، وبالضم على النداء. ﴿سواء للسائلين﴾ قرىء بالنصب على الحال، وشاذاً بالرفع: أي هو، وبالجرّ حملاً على الأيام ﴿ولات حين مناص﴾ قرىء بنصب حين ورفعه وجره ﴿وقِيلِهِ

يا رَبٌّ﴾ قرىء بالنصب على المصدر، وبالجر وتقدم توجيهه، وشاذاً بالرفع عطفا على علم الساعة ﴿ق﴾ القراءة المشهورة بالسكون، وقرىء شاذاً بالفتح والكسر لما مر ﴿الحُبُك﴾ فيه سبع قراءات: ضم الحاء والباء وكسرهما وفتحهما، وضم الحاء وسكون الباء وضمها، وفتح الباء وكسرها، وسكون الباء وكسرها، وضم الباء ﴿والحبُّ ذو العَصْفِ والرَّيحانِ﴾ قرىء برفع الثلاثة ونصبها وجرها. ﴿وحورٍ عينٍ كأَمثالِ اللُّؤْلُؤ﴾ قرىء برفعها وجرها ونصبها بفعل مضمر: أي ويزوجوك.

المفعول معه:

[فائدة] قال بعضهم: ليس في القرآن على كثرة منصوباته مفعول معه. قلت: في القرآن عدة مواضع أعرب كل منها مفعولاً معه. أحدها: وهو أشهرها قوله تعالى: ﴿فَأَجمِعُوا أَمْرَكُم وشركاءَكُم﴾ أي اجمعوا أنتم مع شركائكم أمركم، ذكره جماعة منهم. الثاني قوله تعالى: ﴿قُوا انفسَكَم وأهلِيكُم نَاراً﴾ قال الكرماني في غرائب التفسير: هو مفعول معه: أي مع أهليكم. الثالث قوله تعالى: ﴿لم يكنِ الذينَ كَفَرُوا من أهلِ الكِتَابِ والمشْرِكينَ﴾ قال الكرماني: يحتمل أن يكون قوله والمشركين مفعولاً معه من الذين، أو من الواو في كفروا.

النوع الثاني والأربعون:
في قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها

[قاعدة في الضمائر] ألّف ابن الأنباري في بيان الضمائر الواقعة في القرآن مجلدين، وأصل وضع الضمير للاختصار، ولهذا قام قوله: ﴿أعدَّ اللهُ لَهُم مغفِرةً وأجراً عَظيماً﴾ مقام خمسة وعشرين كلمة لو أتى بها مظهرة. وكذا قوله تعالى: ﴿وقُلْ للمؤمناتِ يَغْضُضْنَ من أبصَارِهِنَّ﴾ قال مكي: ليس في كتاب الله آية اشتملت على ضمائر أكثر منها، فإن فيها خمسة وعشرين ضميراً، ومن ثم لا يعدل إلى المنفصل إلا بعد تعذر المتصل بأن يقع في الابتداء نحو: ﴿إياك نعبد﴾ أو بعد إلا نحو: ﴿أمَرَ ألاَّ تعبدُوا إلا إياه﴾.

مرجع الضمير:

مرجع الضمير لا بد له من مرجع يعود إليه ويكون **ملفوظاً به** سابقاً مطابقاً نحو: ﴿ونادى نُوحٌ ابنَهُ﴾ ﴿وعَصَى آدمُ رَبَّهُ﴾ ﴿إذا أخرج يَدَهُ لم يَكَدْ يَرَاها﴾، أو **متضمناً له** نحو: ﴿اعدلُوا هُوَ أقْرَبُ﴾ فإنه عائد على العدل المتضمن له اعدلوا: ﴿وإذا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولُوا القُربَى واليَتَامى والمساكِين فارزقُوهم منه﴾ أي المقسوم لدلالة القسمةِ عليه، أو **دالاً عليه** بالالتزام نحو: ﴿إنا أنْزَلناه﴾ أي القرآن لأن الإنزال يدل عليه التزاماً في ﴿عُفِيَ له من أخِيه شَيءٌ فاتباعٌ بالمعروفِ وأداءٌ إليه﴾ فعفي يستلزم عافياً أعيد عليه الهاء من إليه، أو **متأخرا لفظاً** لا رتبة مطابقاً نحو: ﴿فأوجسَ في نَفْسِهِ خيفةً مُوسَى﴾ ﴿ولا

يُسئَلُ عن ذُنُوبِهِمُ المجرِمُون﴾ ﴿فيومئذٍ لا يُسئَلُ عن ذَنبِهِ إنسٌ ولا جَان﴾؛ أو **رتبة أيضاً** في باب ضمير الشأن والقصة ونعم وبئس والتنازع؛ أو **متأخراً دالاً بالتزام** نحو: ﴿فلولا إذا بَلَغَتِ الحلْقُوم﴾ ﴿كلا إذا بلغتِ التَرَاقي﴾ أضمر الروح أو النفس لدلالة الحلقوم والتراقي عليها ﴿حتى توارت بالحِجَاب﴾ أي الشمس لدلالة الحجاب عليها، وقد **يدل عليه السياق** فيضمر ثقة بفهم السامع نحو: ﴿كُلُّ مَنْ عليها فَان﴾ ﴿ما تَرَكَ على ظَهْرِهَا﴾ أي الأرض والدنيا ولأبويه: أي الميت ولم يتقدم له ذكر.

عودة الضمير:

وقد **يعود على لفظ المذكور** دون معناه نحو: ﴿وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره﴾ أي عمر معمر آخر، **وقد يعود على بعض ما تقدم** نحو: ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾ إلى قوله: ﴿فإن كن نساء وبعولتهن أحق بردهن﴾ بعد قوله: ﴿والمطلقات﴾ فإنه خاص بالرجعيات، والعائد عليه عام فيهن وفي غيرهن، **وقد يعود على المعنى**، وكقوله في آية الكلالة ﴿فإن كانتا اثنتين﴾ ولم يتقدم لفظ مثنى يعود عليه. قال الأخفش: لأن الكلالة تقع على الواحد والاثنين والجمع، فثنى الضمير الراجع إليها حملاً على المعنى، كما يعود الضمير جمعاً على من حملا على معناها، **وقد يعود على لفظ شيء** والمراد به الجنس من ذلك الشيء. قال الزمخشري: كقوله: ﴿إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما﴾ أي بجنسي الفقير والغنيّ لدلالة غنياً أو فقيراً على الجنسين، ولو رجع إلى المتكلم به لوحده، وقد يذكر شيئان ويعاد الضمير إلى أحدهما والغالب كونه الثاني نحو: ﴿واستعِينُوا بالصَّبْرِ والصَّلاة﴾ ﴿وإنها لَكَبِيرَةٌ﴾ فأعيد الضمير للصلاة، وقيل للاستعانة المفهومة من استعينوا ﴿جعل الشمسَ ضِياءً وَالقمرَ نُوراً﴾ ﴿وقَدَّرَهُ مَنَازِلَ﴾ أي القمر، لأنه الذي يعلم به الشهور ﴿والله ورسُوله أحقُّ أن يُرضُوه﴾ أراد يرضوهما فأفرد لأن الرسول هو داعي العباد والمخاطب لهم

شفاهاً، ويلزم من رضاه رضي ربه تعالى.

وقد يثنى الضمير ويعود على أحد المذكورين نحو: ﴿يَخْرُجُ منهما اللُّؤلُؤ والمرجَانُ﴾ وإنما يخرج من أحدهما، وقد يجيء الضمير متصلاً بشيء وهو لغيره نحو: ﴿ولقد خلقنا الإنسانَ من سُلالةٍ من طِين﴾ يعني آدم: ثم قال: ﴿ثم جَعَلْنَاهُ نُطفة﴾ فهذه لولده، لأن آدم لم يخلق من نطفة. قلت: هذا هو باب الاستخدام، ومنه: ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ ثم قال: ﴿قد سألها﴾ أي أشياء أخر مفهومة من لفظ أشياء السابقة.

وقد يعود الضمير على ملابس ما هو له نحو: ﴿إلا عشيةً أوضُحَاها﴾ أي ضحى يومها لا ضحى العشية نفسها لأنها لا ضحى لها.

وقد يعود على غير مشاهد محسوس والأصح خلافه نحو: ﴿إذا قضى أمراً فإنما يقولُ له كُنْ فَيَكُون﴾ فضمير له عائد على الأمر، وهو إذ ذاك غير موجود لأنه لما كان سابقاً في علم الله كونه كان بمنزلة المشاهد الموجود.

عودة الضمير الى الاقرب:

[قاعدة] الأصل عوده على أقرب مذكور، ومن ثم أخر المفعول الأول في قونه: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبيٍّ شَياطين الإنسِ والجِنِّ يُوحي بعضُهُم إلى بَعْضٍ﴾ ليعود الضمير عليه لقربه، إلا أن يكون مضاف ومضاف إليه فالأصل عوده للمضاف لأنه المحدث عنه نحو: ﴿وإن تَعُدُّوا نعمةَ اللهِ لا تُحْصُوها﴾.

وقد يعود على المضاف إليه نحو: ﴿إلى إلهِ مُوسى﴾ ﴿وإني لأظُنُّهُ كاذِباً﴾ واختلف في ﴿ولَحمَ خِنْزيرٍ فإنَه رِجْسٌ﴾ فمنهم من أعاده إلى المضاف، ومنهم من أعاده إلى المضاف إليه.

توافق الضمائر في المرجع:

[قاعدة] الأصل توافق الضمائر في المرجع حذراً من التشتيت، ولهذا لما جوّز بعضهم في ﴿أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم﴾ أن الضمير في الثاني لتابوت وفي الأول لموسى، عابه الزمخشري وجعله تنافراً مخرجاً للقرآن عن إعجازه فقال: والضمائر كلها راجعة إلى موسى، ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت فيه هجنة لما يؤدي إليه من تنافر النظم الذي هو أمّ إعجاز القرآن. ومراعاته أهم ما يجب على المفسر. وقال في ﴿لِيُؤْمِنوا بالله ورسُولِهِ ويُعَزِّرُوه ويُوَقِّرُوه ويُسَبِّحُوه﴾ الضمائر لله تعالى، والمراد بتعزيره: تعزير دينه ورسوله. ومن فرق الضمائر فقد أبعد.

وقد يخرج عن هذا الأصل كما في قوله: ﴿ولا تستفتِ فيهم منهم أحَداً﴾ فإن ضمير فيهم لأصحاب الكهف ومنهم لليهود، قاله ثعلب والمبرّد، ومثله: ﴿ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً﴾ قال ابن عباس: ساء ظناً بقومه وضاق ذرعاً بأضيافه.

وقوله: ﴿إلا تنصُرُوه﴾ الآية، فيها اثنا عشر ضميراً كلها للنبي ﷺ، إلا ضمير عليه فلصاحبه، كما نقله السهيلي عن الأكثرين، لأنه ﷺ لم تزل عليه السكينة، وضمير جعل له تعالى.

وقد يخالف بين الضمائر حذراً من التنافر نحو: ﴿ومنها أربعةٌ حُرُم﴾ الضمير لاثني عشر. ثم قال ﴿فلا تَظْلِمُوا فِيهن﴾ أتى بصيغة الجمع مخالفاً لعوده على الأربعة. ضمير الفصل ضمير بصيغة المرفوع مطابق لما قبله تكلماً وخطاباً وغيبة إفراداً وغيره وانما يقع بعد مبتدأ أو ما أصله المبتدأ وقبل خبر كذلك اسماً نحو: ﴿وأولئكَ هُمُ المفلِحُون﴾ ﴿وإنا لنَحْنُ الصافُّون﴾ ﴿كنت أنتَ الرقيبَ عليهم﴾ ﴿تَجِدُوهُ عِندَ الله﴾ ﴿هو خير﴾ ﴿إن تَرَنِ أنا أقلَّ مِنكَ مالاً﴾ ﴿هؤلاء بناتي هُنَّ أطهرُ لكم﴾.

وجوّز الأخفش وقوعه بين الحال وصاحبها، وخرج عليه ـ قراءة ـ ﴿هنّ أطهر﴾ بالنصب، وجوّز الجرجاني وقوعه قبل مضارع وجعل منه ﴿إنه هو يُبدِي ويُعِيد﴾ وجعل منه أبو البقا: ﴿ومكر أولِئكَ هُوَ يَبُور﴾.

ضمير الفصل:

ولا محل لضمير الفصل من الإعراب. وله ثلاث فوائد: **الإعلام** بأن ما بعده خبر لا تابع. **والتأكيد** ولهذا سماه الكوفيون دعامة لأنه يدعم به الكلام: أي يقوي ويؤكد، وبنى عليه بعضهم أنه لا يجمع بينه وبينه فلا يقال زيد نفسه هو الفاضل. **والاختصاص**.

وذكر الزمخشري الثلاثة في ﴿وأولئكَ هُمُ المفْلِحُون﴾ فقال: فائدته الدلالة على أنه ما بعده خبر لا صفة. والتوكيد، وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره.

ضمير الشأن:

ضمير الشأن والقصة، ويسمى ضمير المجهول. قال في المغني: خالف القياس من خمسة أوجه. أحدها: عودة على ما بعده لزوماً، إذا لا يجوز للجملة المفسرة له أن تتقدم عليه ولا شيء منه. والثاني: أن مفسره لا يكون إلا جملة. والثالث: أن لا يتبع بتابع فلا يؤكد ولا يعطف عليه ولا يبدل منه. والرابع: أنه لا يعمل فيه إلا الابتداء أو ناسخه. والخامس: أنه ملازم للإفراد، ومن أمثلته ﴿قل هو اللهُ أحَدْ﴾ ﴿فإذا هي شَاخِصَةٌ أبصارُ الذينَ كَفَرُوا﴾ ﴿فإنها لا تَعْمَى الأبصَارُ﴾ وفائدته الدلالة على تعظيم المخبر عنه وتفخيمه بأن يذكر أولاً مبهماً ثم يفسر.

[تنبيه] قال ابن هشام: متى أمكن الحمل على غير ضمير الشأن فلا ينبغي أن

يحمل عليه، ومن ثم ضعف قول الزمخشري في: ﴿إنه يَراكُم﴾ أن اسم إن ضمير الشأن، والأولى كونه ضمير الشيطان، ويؤيده قراءة ـ وقبيله ـ بالنصب، وضمير الشأن لا يعطف عليه.

[قاعدة] جمع العلاقات لا يعود عليه الضمير غالباً إلا بصيغة الجمع، سواء كان للقلة أو للكثرة نحو: ﴿والوالدات يُرضِعْنَ﴾ ﴿والمطلقاتُ يتَرَبَّصْنَ﴾ وورد الإفراد في قوله تعالى: ﴿وأزواجٌ مُطَهرةٌ﴾ ولم يقل مطهرات. وأما غير العاقل فالغالب في جمع الكثرة الإفراد وفي القلة الجمع، وقد اجتمعا في قوله: ﴿إن عدة الشُّهور عِندَ اللهِ اثنا عشر شَهْرا﴾ إلى أن قال: ﴿منها أربعةٌ حُرُم﴾، فأعاد منها بصيغة الإفراد على الشهور وهي للكثرة. ثم قال: ﴿فلاَ تظلمُوا فيهن﴾ فأعاده جمعاً على أربعة حرم وهي للقلة.

وذكر الفراء لهذه القاعدة سراً لطيفاً، وهو أن المميز مع جمع الكثرة وهو ما زاد على عشرة فما دونها لما كان واحداً وحَّد الضمير، ومع القلة وهو العشرة فما دونها لما كان جمعاً جمع الضمير.

مراعاة اللفظ والمعنى في الضمائر:

[قاعدة﴾ إذا اجتمع في الضمائر مراعاة اللفظ والمعنى بدىء باللفظ ثم بالمعنى، هذا هو الجادة في القرآن، قال تعالى: ﴿ومن الناس من يَقُولُ﴾ ثم قال: ﴿وما هُمْ بمؤمنين﴾ أفرد أولاً باعتبار اللفظ ثم جمع باعتبار المعنى، وكذا ﴿ومنهم من يَسْتَمِع إليك﴾ ﴿وجعلنا على قُلُوبِهم﴾ ﴿ومنهم من يَقُولُ ائذَن لى ولا تَفْتِنِّي ألا في الفِتنةِ سَقَطُوا﴾.

قال الشيخ علم الدين العراقي: ولم يبح في القرآن البداءة بالحمل على المعنى إلا في موضع واحد وهو قوله: ﴿وقالوا ما في بُطُون هذه الأنعام خَالصةٌ لذكورِنَا ومحرَّمٌ على أَزواجِنَا﴾ فأتت خالصة حملاً على معنى ما، ثم راعى اللفظ فذكر

فقال ومحرم انتهى.

قال ابن الحاجب في أماليه: إذا حمل على اللفظ جاز الحمل بعده على المعنى، وإذا حمل على المعنى ضعف الحمل بعده على اللفظ، لأن المعنى أقوى فلا يبعد الرجوع إليه بعد اعتبار اللفظ، ويضعف بعد اعتبار المعنى القوي الرجوع إلى الأضعف.

وقال ابن جني في المحتسب: لا يجوز مراجعة اللفظ بعد انصرافه عنه إلى المعنى، وأورد عليه قوله تعالى: ﴿ومن يَعْشُ عن ذِكرِ الرحمنِ نُقيِّضْ لَهُ شيطاناً فهو له قَرين﴾ ﴿وانهم ليصُدُّونَهُم عن السبيلِ ويَحْسَبُون أنهم مُهتَدُون﴾ ثم قال ﴿حتى إذا جاءنا﴾ فقد رجع اللفظ بعد الانصراف عنه إلى المعنى.

وقال محمود بن حمزة في كتاب العجائب: ذهب بعض النحويين إلى أنه لا يجوز الحمل على اللفظ بعد الحمل على المعنى، وقد جاء في القرآن بخلاف ذلك وهو قوله: ﴿خالدينَ فيها أبداً﴾ ﴿قد أحسنَ اللهُ لَهُ رِزقاً﴾.

قال ابن خالويه في كتابه: ليس للقاعدة في من نحوه الرجوع من اللفظ إلى المعنى، ومن الواحد إلى الجمع، ومن المذكر إلى المؤنث نحو: ﴿ومن يقنَتْ مِنكُن للهِ ورسوله وتَعْمَلْ صَالحاً﴾ ﴿من أسلمَ وجهَهُ لله﴾ إلى قوله: ﴿ولا خوفٌ عَلَيهِم﴾ أجمع على هذا النحويون. قال: وليس في كلام العرب ولا شيء من العربية الرجوع من المعنى إلى اللفظ إلا في حرف واحد استخرجه ابن مجاهد وهو قوله تعالى: ﴿ومَنْ يُؤمنْ باللهِ ويَعْمَلْ صالحاً يُدْخِلْه جَناتٍ﴾ الآية، وحَّد في يؤمن ويعمل ويدخله، ثم جمع في قوله خالدين، ثم وحّد في قوله: ﴿أحسن الله له رزقاً﴾ فرجع بعد الجمع إلى التوحيد.

تذكير الضمائر وتأنيثها:

[قاعدة في التذكير والتأنيث] التأنيث ضربان: حقيقي، وغيره. فالحقيقي لا

تحذف تاء التأنيث من فعله غالباً إلا إن وقع فصل، وكلما كثر الفصل حسن الحذف، والإثبات مع الحقيقي أولى ما لم يكن جمعاً. وأما غير الحقيقي فالحذف فيه مع الفصل أحسن نحو: ﴿فمن جاءَهُ موعظةٌ من ربِّه﴾ ﴿قَدْ كَانَ لكم آية﴾ فإن كثر الفصل ازداد حسناً نحو: ﴿وأَخَذَ الذينَ ظَلمُوا الصَّيْحَةُ﴾ والإثبات أيضاً حسن نحو: ﴿وأخذتِ الذينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ فجمع بينهما في سورة هود.

وأشار بعضهم إلى ترجيح الحذف واستدل عليه بأن الله قدمه على الإثبات حيث جمع بينهما، ويجوز الحذف أيضاً مع عدم الفصل حيث الإسناد إلى ظاهره، فإن كان إلى ضميره امتنع.

وحيث وقع ضميراً وإشارة بين مبتدأ وخبر أحدهما مذكر والآخر مؤنث جاز في الضمير والإشارة التذكير والتأنيث كقوله تعالى: ﴿قال هذا رحمةٌ من رَبي﴾ فذكر، والخبر مؤنث لتقدم المبتدأ وهو مذكر، وقوله تعالى: ﴿فذانك بُرهانان مِن رَبِّكَ﴾ ذكر، والمشار إليه اليد والعصا وهما مؤنثان لتذكير الخبر وهو برهانان.

وكل أسماء الأجناس يجوز فيها التذكير حملاً على الجنس، والتأنيث حملاً على الجماعة كقوله: ﴿أعجازُ نَخلٍ خَاوِية﴾ ﴿أعجازُ نخلٍ مُنْقَعِر﴾ ﴿إن البَقَرَ تَشَابَهَ علينا﴾ وقرىء تشابهت ﴿منفطرٌ بِهِ السَمَاءُ﴾ ﴿إذا السماءُ انفطرَتْ﴾ وجعل منه بعضهم ﴿جاءَتها ريحٌ عَاصِفٌ﴾ ﴿ولسليمانَ الريحَ عَاصِفةً﴾.

وقد سئل ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿منهم من هدى اللهُ ومنهم من حَقَّتْ عليه الضَّلاَلةُ﴾ وقوله: ﴿فَرِيقاً هدى وفريقاً حَقَّ عليهم الضَلاَلةُ﴾؟ وأجيب بأن ذلك لوجهين: **لفظي** وهو كثرة حروف الفاصل في الثاني والحذف مع كثرة الحواجز أكثر. **ومعنوي** وهو أن من في قوله: ﴿من حَقَّتْ﴾ راجعة إلى

الجماعة، وهي مؤنثة لفظاً بدليل: ﴿ولقد بَعَثْنَا في كُلِّ أُمةٍ رَسُولاً﴾ ثم قال: ﴿ومنهم من حَقَّتْ عليهم الضَّلالة﴾ أي من تلك الأمم، ولو قال ضلت لتعينت التاء والكلامان واحد. وإذا كان معناهما واحداً كان إثبات التاء أحسن من تركها لأنها ثابتة فيما هو من معناه. وأما ﴿فريقاً هدى﴾ الآية، فالفريق يذكر، ولو قال فريق ضلوا لكان بغير تاء، وقوله: ﴿حق عليهم الضلالة﴾ في معناه، فجاء بغير تاء، وهذا أسلوب لطيف من أساليب العرب أن يدعوا حكم اللفظ الواجب في قياس لغتهم إذا كان في مرتبة كلمة لا يجب لها ذلك الحكم.

قاعدة التنكير:

[قاعدة في التعريف والتنكير] اعلم أن لكل منهما مقاماً لا يليق بالآخر. أما التنكير فله أسباب. أحدها: **إرادة الوحدة** نحو: ﴿وجاء رَجُلٌ من أَقْصَى المدينـةِ يَسْعَـى﴾ أي رجـل واحـد: ﴿وضرب الله مثلاً رجلاً فيـه شركـاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل﴾.

الثاني: **إرادة النـوع** نحو: ﴿هـذا ذِكْـرٌ﴾ أي نـوع مـن الذكـر ﴿وعلى أَبْصَارِهم غِشَاوة﴾ أي نوع غريب من الغشاوة ولا يتعارفه الناس بحيث غطى ما لا يغطيه شيء من الغشاوات ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة﴾ أي نوع منها، وهو الازدياد في المستقبل لأن الحرص لا يكون على الماضي ولا على الحاضر، ويحتمل الوحدة والنوعية معا قوله: ﴿واللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابةٍ مِن مَاء﴾ أي كل نوع من أنواع الدوابّ من نوع من أنواع الماء، وكل فرد من أفراد الدوابّ من فرد من أفراد النطف.

الثالث: **التعظيم**، بمعنى أنه أعظم من أن يعين ويعرف نحو: ﴿فائذنُوا بِحَرْب﴾ أي بحرب: أي حرب ﴿ولهم عذابٌ أليم﴾ ﴿وسلامٌ عليه يوم ولد﴾ ﴿سلامٌ عَلى إبراهيم﴾ ﴿إن لهم جنات﴾.

الرابع: **التكثير** نحو ﴿أئِنَّ لنا لأجراً﴾ أي وافراً. ويحتمل التعظيم والتكثير معاً: ﴿وإن يُكَذبوك فقد كذبت رسل﴾ أي رسل عظام ذو عدد كثير.

الخامس: **التحقير،** بمعنى انحطاط شأنه إلى حدّ لا يمكن أن يعرف نحو: ﴿إن نَظُنُّ إلا ظَنّاً﴾ أي ظناً حقيراً لا يعبأ به وإلا لاتبعوه، لأن ذلك ديدنهم بدليل ﴿إنَ يتَّبِعُون إلا الظَنَّ﴾ ﴿من أيِّ شَيءٍ خَلَقَه﴾ أي من أيّ شيء حقير مهين، ثم بينه ﴿من نُطْفَةٍ خَلَقَه﴾.

السادس: **التقليل** نحو: ﴿ورضْوَانٌ من اللهِ أَكبر﴾ أي رضوان قليل منه أكبر من الجنات بقوله لأنه رأس كل سعادة:

قليلٌ منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل

وجعل منه الزمخشري: ﴿سُبحان الذي أسْرَى بِعَبْدِهِ لَيلاً﴾ أي ليلاً قليلاً: أي بعض ليل، وأورد عليه أن التقليل ردّ الجنس إلى فرد من أفراده لا تنقيص فرد إلى جزء من أجزائه. وأجاب في عروس الأفراح بأنا لا نسلم أن الليل حقيقة في جميع الليلة، بل كل جزء من أجزائها يسمى ليلاً.

وعدّ السكاكي من الأسباب أن لا يعرف من حقيقته إلا ذلك، وجعل منه أن **تقصد التجاهل** وأنك لا تعرف شخصه كقولك: هل لكم في حيوان على صورة إنسان يقول كذا، وعليه من تجاهل الكفار: ﴿هل نَدُلُّكم على رجلٍ يُنَبِّئُكم﴾ كأنهم لا يعرفونه، وعدّ غيره منها قصد العموم بأن كانت في سياق النفي نحو: ﴿لا ريبَ فيه﴾ ﴿فلا رفَثٌ﴾ الآية، أو **الشرط** نحو: ﴿وإن أَحَدٌ من الْمُشْرِكين اسْتَجَارَكَ﴾ أو **الامتنان** نحو: ﴿وأنزلنا من السَماءِ ماءً طَهُوراً﴾.

قاعدة التعريف:

وأما التعريف فله أسباب: فبالإضمار لأن المقام مقام المتكلم أو الخطاب أو

الغيبة، **وبالعلمية** لإحضاره بعينه في ذهن السامع ابتداء باسم يختص به نحو: ﴿قُلْ هُوَ اللهَ أحد﴾ ﴿محمدٌ رَسُولُ الله﴾ أو **لتعظيم** أو **إهانة** حيث علمه يقتضي ذلك.

فمن التعظيم ذكر يعقوب بلقبه إسرائيل لما فيه من المدح والتعظيم بكونه صفوة الله أو سري الله على ما سيأتي في معناه في الألقاب. **ومن الإهانة** قوله ﴿تَبَّتْ يَدا أبي لَهب﴾ وفيه أيضاً نكتة أخرى وهي الكناية به عن كونه جهنمياً.

وبالإشارة لتمييزه أكمل تميز بإحضاره في ذهن السامع حساً نحو: ﴿هذا خَلْقُ اللهِ فَأَرُوني ماذا خَلَقَ الذين مِنْ دُونه﴾ والتعريض بغباوة السامع حتى أنه لا يتميز له الشيء إلا بإشارة الحس، وهذه الآية تصلح لذلك **ولبيانَ حاله في القرب والبعد** فيؤتى في الأول بنحو هذا، وفي الثاني بنحو ذلك وأولئك.

ولقصد تحقيره بالقرب كقوله الكفار: ﴿أهَـذا الذي يَـذْكُـرُ آلهَتَكُـم﴾ ﴿أهذا الذي بَعَثَ اللهُ رَسُولاً﴾ ﴿ماذا أرادَ اللهُ بِهَذا مَثَلاً﴾ وكقوله تعالى: ﴿وما هذه الحياة الدُّنيا إلا لهوٌ ولَعِب﴾ **ولقصد تعظيمه** بالبعد نحو: ﴿ذلك الكِتَابُ لا رَيْبَ فيه﴾ ذهاباً إلى بعد درجته.

وللتنبيه بعد ذكر المشار إليه بأوصاف قبله على أنه جدير بما يرد بعده من أجلها نحو: ﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ **وبالموصولية** لكراهة ذكره بخالص اسمه، إما ستراً عليه أو إهانة له أو لغير ذلك، فيؤتى بالذي ونحوها موصولة بما صدر منه من فعل أو قول نحو: ﴿والذي قال لوَالدَيه أفٍّ لَكُما﴾ ﴿ورَاوَدَتْهُ التي هُو في بَيْتِها﴾.

وقد يكون **لإرادة العموم** نحو ﴿إن الذينَ قالوا رَبُّنا اللهُ ثم استَقَامُوا﴾ الآية: ﴿والذين جَاهَدوا فينا لَنهدِيَنَّهُم سُبُلَنا﴾ ﴿إن الذين يَسْتَكْبِرُون عن

عِبَادَتِي سَيَدْخُلُون جَهَنَم﴾ **والاختصار** نحو: ﴿لا تكونُوا كالذين آذوا مُوسى فَبَرَّأَهُ اللهُ مما قالوا﴾ أي قولهم إنه آدر، إذ لو عدّد أسماء القائلين لطال، وليس للعموم لأن بني إسرائيل كلهم لم يقولوا في حقه ذلك.

وبالألف واللام للإشارة الى معهود خارجي أو ذهني أو حضوري. **وللاستغراق** حقيقة أو مجازاً أو لتعريف الماهية، وقد مرت أمثلتها في نوع الأدوات. **وبالاضافة** لكونها أخصر طريق. **ولتعظيم المضاف** نحو: ﴿إن عبادِي ليسَ لَكَ عليهم سُلْطَان﴾ ﴿ولا يَرْضى لِعِبَادِهِ الكُفْر﴾ أي الأصفياء في الآيتين كما قاله ابن عباس وغيره. **ولقصد العموم** نحو: ﴿فليَحْذَرِ الذينَ يُخَالِفُون عن أَمْرِه﴾ أي كل أمر لله تعالى.

[فائدة] سئل عن الحكمة في تنكير أحد وتعريف الصمد من قوله تعالى: ﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ الله الصَمَد﴾ وألفت في جوابه تأليفاً مودعاً في الفتاوى، وحاصلة أن في ذلك أجوبة. أحدها أنه نكر للتعظيم والإشارة إلى أن مدلوله وهو الذات المقدسة غير ممكن تعريفها والإحاطة بها.

الثاني: أنه لا يجوز إدخال أل عليه كغير وكل وبعض وهو فاسد، فقد قرىء شاذاً ـ قل هو الله أحد الله الصمد ـ حكى هذه القراءة أبو حاتم في كتاب الزينة عن جعفر بن محمد.

الثالث: وهو مما خطر لي أن هو مبتدأ والله خبر وكلاهما معرفة، فاقتضى الحصر فعرف الجزآن في الله الصمد لإفادة الحصر ليطابق الجملة الأول، واستغنى عن تعريف أحد فيها لإفادة الحصر بدونه، فأتى به على أصله من التنكير على أنه خبر ثانٍ. وإن جعل الاسم الكريم مبتدأ وأحد خبره ففيه من ضمير الشأن ما فيه من التفخيم والتعظيم، فأتى بالجملة الثانية على نحو الأولى بتعريف الجزءين للحصر تفخيماً وتعظيماً.

قاعدة أخرى تتعلق في التعريف والتنكير:

[قاعدة أخرى تتعلق بالتعريف والتنكير] إذا ذكر الاسم مرتين فله أربعة أحوال، لأنه إما أن يكونا معرفتين أو نكرتين، أو الأول نكرة والثاني معرفة، أو بالعكس.

فإن كانا معرفتين فالثاني هو الأول غالباً دلالة على المعهود الذي هو الأصل في اللام أو الإضافة نحو: ﴿اِهْدِنا الصِرَاطَ المسْتَقِيم صِرَاطَ الذين أَنعْمتَ عليهم﴾ ﴿فاعبدِ اللهَ مُخْلِصاً له الدين﴾ ﴿ألا لله الدينُ الخَالِص﴾ ﴿وجَعَلُوا بينه وبين الجِنَّةِ نَسَباً﴾ ﴿ولقد عَلِمَتِ الجِنَّةُ﴾ ﴿وقِهِمُ السَيِّئَاتِ﴾ ﴿وَمَنْ تَقِ السَيِّئَاتِ﴾ ﴿لعلي أَبْلُغُ الأسبابَ. أَسبابَ السَّمَواتِ﴾.

وإن كانا نكرتين فالثاني غير الأول غالباً وإلا لكان المناسب هو التعريف بناء على كونه معهوداً سابقاً نحو: ﴿اللهُ الذي خَلَقَكُم من ضَعْفٍ ثم جَعَلَ من بعدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثم جَعَلَ من بَعْدِ قُوةٍ ضَعْفاً وشَيْبَةً﴾ فإن المراد بالضعف الأول النطفة، وبالثاني الطفولية، وبالثالث الشيخوخة. وقال ابن الحاجب في قوله تعالى: ﴿غُدُوُّها شَهْرٌ ورَواحُها شَهْرٌ﴾ الفائدة في إعادة لفظ الشهر الإعلام بمقدار زمن الغدوّ وزمن الرواح، والألفاظ التي تأتي مبينة للمقادير لا يحسن فيها الإضمار ولو أضمر فالضمير إنما يكون لما تقدم باعتبار خصوصيته، فإذا لم يكن له وجب العدول عن الضمير إلى الظاهر، وقد اجتمع القسمان في قوله تعالى: ﴿فإن مَعَ العُسْرِ يُسراً إنَّ مع العُسْر يُسراً﴾ فالعسر الثاني هو الأول، واليسر الثاني غير الأول، ولهذا قال ﷺ في الآية: «لن يغلب عسر يسرين».

وإن كان الأول نكرة والثاني معرفة، فالثاني هو الأول حملاً على العهد نحو: ﴿أرسَلْنا إلى فِرعَونَ رَسُولاً فَعَصى فِرعَونُ الرَّسُولَ﴾ ﴿فيها مِصْبَاحٌ المصباحُ في زُجاجةٍ الزجَاجَةُ﴾ إلى ﴿صِراط مستقيم صراط الله﴾ ﴿ما عليهم من سَبِيل

إنما السَبيلُ﴾.

وإن كان الأول معرفة والثاني نكرة فلا يطلق القول بل يتوقف على القرائن. فتارة تقوم قرينة على التغاير نحو ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة﴾ ﴿يسئلكَ أهلُ الكتِاب أن تنزل عليهم كتاباً﴾ ﴿ولقد آتينا موسى الهدى﴾ ﴿وأورثنا بني إسرائيل الكتابَ هُدى﴾ قال الزمخشري: المراد جميع ما أتاه من الدين والمعجزات والشرائع وهدى الإرشاد. وتارة تقوم قرينة على الاتحاد نحو ﴿ولقد ضَربنا للناس في هذا القرآنِ من كل مثلٍ لعلهم يتذكرون قرآناً عربيًّا﴾.

قاعدة التعريف والتنكير لها شذوذ:

[تنبيه] قال الشيخ بهاء الدين في عروس الأفراح وغيره: إن الظاهر أن هذه القاعدة غير محررة، فإنها منتقضة بآيات كثيرة: منها في القسم الأول ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ فإنها معرفتان. والثاني غير الأول فإن الأول العمل والثاني الثواب ﴿أن النفْسَ بالنفْس﴾ أي القاتلة بالمقتولة، وكذا سائر الآية ﴿الحر بالحرّ﴾ الآية ﴿هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهْرِ﴾ ثم قال ﴿إنا خلقْنا الإنسان من نطفةٍ أمشاجٍ نبتليه﴾ فإن الأول آدم والثاني ولده ﴿وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به﴾ فإن الأول القرآن والثاني التوراة والإنجيل.

ومنها في القسم الثاني وهو ﴿الذي في السماء إلـهٌ وفي الأرض إلـه﴾ ﴿يسئلونك عن الشهر الحرام قتالٌ فيه قل قتالٌ فيه كبيرٌ﴾ فإن الثاني فيهما هو الأول وهما نكرتان.

ومنها في القسم الثالث ﴿أن يصالحا بينهما صلحاً والصلح خير﴾ ﴿ويؤتِ كل ذي فضل فضله﴾ ﴿ويزدكم قوةً إلى قوتكم ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم﴾

﴿زدناهم عذاباً فوق العذاب﴾ ﴿وما يتبعُ أكثرهم إلا ظناً إن الظن﴾ فإن الثاني فيها غير الأول.

وأقول: لا انتقاض بشيء من ذلك عند القائل. فإن اللام في الإحسان للجنس فيما يظهر، وحينئذ يكون في المعنى كالنكرة، وكـذا آية النفس والحرّ، بخلاف آية العسر فإن أل فيها إما للعهد أو للاستغراق كما يفيده الحديث، وكذا آية الظن لا نسلم أن الثاني فيها غير الأول بل هو عينه قطعاً، إذ ليس كل ظن مذموماً، كيف وأحكام الشريعة ظنية، وكذا آية الصلح لا مانع من أن يكون المراد منها الصلح المذكور وهو الذي بين الزوجين، واستحباب الصلح في سائر الأمور مأخوذ من السنة ومن الآية بطريق القياس، بل لا يجوز القول بعموم الآية وأن كل صلح خير، لأن ما أحلّ حراماً من الصلح أو حرم حلالاً فهو ممنوع. وكذا آية القتال ليس الثاني فيها عين الأول بلا شك، لأن المراد بالأول المسئول عنه القتال الذي وقع في سرية ابن الحضرمي سنة اثنتين من الهجرة لأنه سبب نزول الآية. والمراد بالثاني جنس القتال لا ذاك بعينه. وأما آية ﴿وهو الذي في السماء إلهٌ﴾ فقد أجاب عنها الطيبي بأنها من باب التكرير لإفادة أمر زائد، بدليل تكرير ذكر الرب فيما قبله من قوله ﴿سبحان ربِّ السمواتِ والأرضِ ربِ العرشِ﴾ ووجهه الإطناب في تنزيهه تعالى من نسبة الولد إليه، وشرط القاعدة أن لا يقصد التكرير.

وقد ذكر الشيخ بهاء الدين في آخر كلامه أن المراد بذكر الاسم مرتين كونه مذكوراً في كلام واحد أو كلامين بينهما تواصل. بأن يكون أحدهما معطوفاً على الآخر وله به تعلق ظاهر وتناسب واضح، وأن يكون من متكلم واحد، ودفع بذلك إيراد آية القتال، لأن الأول فيها محكي عن قول السائل، والثاني محكي من كلام النبي ﷺ.

الإفراد والجمع:

[قاعدة في الإفراد والجمع] من ذلك السماء والأرض حيث وقع في القرآن ذكر الأرض فإنها مفردة ولم تجمع، بخلاف السموات لثقل جمعها وهو أرضون، ولهذا لما أريد ذكر جميع الأرضين قال ﴿ومن الأرض مثلهن﴾ وأما السماء فذكرت تارة بصيغة الجمع وتارة بصيغة الإفراد لنكت تليق بذلك المحل كما أوضحته في أسرار التنزيل.

إفراد الأرض:

والحاصل أنه حيث أريد العدد أتى بصيغة الجمع الدالة على سعة العظمة والكثرة نحو ﴿سبحَ لله ما في السمَوات﴾ أي جميع سكانها على كثرتهم تسبح له السموات: أي كل واحدة على اختلاف عددها ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ إذ المراد نفي علم الغيب عن كل من هو في واحدة من السموات.

وحيث أريد الجهة أتى بصيغة الإفراد نحو ﴿وفي السماء رزقُكُم﴾ ﴿أأمنتم من في السماء أن يخْسفَ بكم الأرضَ﴾ أي من فوقكم.

إفراد الريح وجمعه:

ومن ذلك الريح ذكرت مجموعة ومفردة، فحيث ذكرت في سياق الرحمة جمعت، أو في سياق العذاب أفردت. أخرج ابن أبي حاتم وغيره عن أبيّ بن كعب قال: كل شيء في القرآن من الرياح فهي رحمة، وكل شيء فيه من الريح فهو عذاب، ولهذا ورد في الحديث «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً». وذكر في حكمة ذلك أن رياح الرحمة مختلفة الصفات والهيئات والمنافع، وإذا هاجت منها ريح أثير لها من مقابلها ما يكسر سورتها، فينشأ ريح من بينهما ريح

لطيفة تنفع الحيوان والنبات، فكانت في الرحمة رياحاً. وأما في العذاب فإنها تأتي من وجه واحد ولا معارض لها ولا دافع.

وقد خرج عن هذه القاعدة قوله تعالى في سورة يونس ﴿وجرين بهم بريحٍ طيبة﴾ وذلك لوجهين: **لفظي** وهو المقابلة في قوله ﴿جاءتها ريحٌ عَاصِف﴾ وربّ شيء يجوز في المقابلة ولا يجوز استقلالاً نحو ﴿ومكروا ومكَرَ الله﴾ **ومعنوي** وهو أن إتمام الرحمة هناك إنما تحصل بوحدة الريح لا باختلافها، فإن السفينة لا تسير إلا بريح واحدة من وجه واحد، فإن اختلفت عليها الرياح كان سبب الهلاك والمطلوب هنا ريح واحدة، ولهذا أكد هذا المعنى بوصفها بالطيب، وعلى ذلك أيضاً جرى قوله ﴿إن يشأْ يُسْكنِ الريحَ فيظْللن روَاكد﴾ وقال ابن المنير: إنه على القاعدة لأن سكون الريح عذاب وشدة على أصحاب السفن.

إفراد النور وجمع الظلمات:

ومن ذلك **إفراد النور** وجمع الظلمات، **وإفراد سبيل الحق** وجمع سبل الباطل في قوله تعالى ﴿ولا تتبعوا السبُل فتفرقَ بكم عن سبيله﴾ لأن طريق الحق واحد وطريق الباطل متشعبة متعددة، والظلمات بمنزلة طرق الباطل، والنور بمنزلة طريق الحق، بل هما هما ولهذا وحد وليّ المؤمنين وجمع أولياء الكفار لتعددهم في قوله تعالى ﴿الله وليُّ الذين آمنوا يخرجُهُم من الظلمات إلى النور والذين كفَروا أولياؤهم الطاغُوت يخرجُونهم من النور إلى الظلمات﴾

إفراد النار وجمع الجنة:

ومن ذلك إفراد النار حيث وقعت، والجنة وقعت مجموعة ومفردة لأن الجنان مختلفة الأنواع فحسن جمعها، والنارمادة واحدة، ولأن الجنة رحمة والنار عذاب فناسب جمع الأولى وإفراد الثانية على حدّ الرياح والريح.

إفراد السمع وجمع البصر:

ومن ذلك إفراد السمع وجمع البصر، لأن السمع غلب عليه المصدرية فأفرد، بخلاف البصر فإنه اشتهر في الجارحة، ولأن متعلق السمع الأصوات وهي حقيقة واحدة، ومتعلق البصر الألوان والأكوان وهي حقائق مختلفة، فأشار في كل منهما إلى متعلقه.

ومن ذلك إفراد الصديق وجمع الشافعين في قوله تعالى ﴿فما لنا من شافِعين ولا صديق حميم﴾ وحكمته كثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق. قال الزمخشري: ألا ترى أن الرجل إذا امتحن بإرهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من أهل بلده لشفاعته رحمة وإن لم يسبق له بأكثرهم معرفة؟ وأما الصديق فأعزّ من بيض الأنوق.

ومن ذلك الألباب لم يقع إلا مجموعاً لأن مفرده ثقيل لفظاً.

إفراد المشرق والمغرب وجمعها:

ومن ذلك مجيء المشرق والمغرب بالإفراد والتثنية والجمع، فحيث أفردا فاعتباراً للجهة، وحيث ثنيا فاعتباراً لمشرق الصيف والشتاء ومغربها، وحيث جمعا فاعتباراً لتعدد المطالع في كل فصل من فصلي السنة. وأما وجه اختصاص كل موضع بما وقع فيه ففي سورة الرحمن وقع بالتثنية، لأن سياق السورة سياق المزدوجين، فإنه سبحانه وتعالى ذكر أولاً نوعي الإيجاد وهما الخلق والتعليم، ثم ذكر سراجي العالم الشمس والقمر ثم نوعي النبات ما كان على ساق وما لا ساق له وهما النجم والشجر، ثم نوعي السماء والأرض، ثم نوعي العدل والظلم، ثم نوعي الخارج من الأرض وهما الحبوب والرياحين، ثم نوعي المكلفين وهما الإنس والجان، ثم نوعي المشرق والمغرب، ثم نوعي البحر الملح والعذب، فلهذا حسن تثنية المشرق والمغرب في هذه السورة، وجمعا في قوله ﴿فلا أُقْسِمُ بربِّ المشارق

والمغارب إنا لقَادرون﴾ في سورة الصافات للدلالة على سعة القدرة والعظمة.

أبرار للناس وبررة للملائكة:

[فائدة] حيث ورد البارّ مجموعاً في صفة الآدميين قيل أبرار، وفي صفة الملائكة قيل بررة، ذكره الراغب. ووجهه بأن الثاني أبلغ لأنه جمع بارّ وهو أبلغ من برّ مفرد الأول.

وحيث ورد الأخ مجموعاً في النسب قيل إخوة، وفي الصداقة قيل إخوان، قاله ابن فارس وغيره. وأورد عليه في الصداقة ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ وفي النسب ﴿أو إخوانهن أو بني إخوانهن﴾ ﴿أو بيوت إخوانكم﴾.

مفرد لم يجمع وجمع لم يفرد:

[فائدة] ألف أبو الحسن الأخفش كتاباً في الإفراد والجمع ذكر فيه جميع ما وقع في القرآن مفرداً، ومفرد ما وقع جمعاً، وأكثره من الواضحات.

وهذه أمثلة من خفي ذلك: المنّ لا واحد له. السلوى لم يسمع له بواحد. النصارى قيل جمع نصراني، وقيل جمع نصير كنديم. وقيل العوان جمعه عون. الهدى لا واحد له. الأعصار جمعه أعاصير. الأنصار واحده نصير كشريف وأشراف. الأزلام واحدها زلم، ويقال زلم بالضم، مدراراً جمعه مدارير. أساطير واحدة أسطورة، وقيل أسطار جمع سطر. الصور جمع صورة، وقيل واحد الأصوار. فرادى جمع فرد. قنوان جمع قنو، وصنوان جمع صنو. وليس في اللغة جمع ومثنى بصيغة واحدة إلا هذان، ولفظ ثالث لم يقع في القرآن قاله ابن خالويه في كتاب ليس الحوايا جمع حاوية، وقيل حاويا. نشرا جمع نشور. عضين وعزين جمع عضة وعزة. المثاني جمع مثنى. تارة جمعها تارات وتيراً. أيقاظاً جمع يقظ. الأرائك جمع أريكة سرى جمعه سريان كخصى وخصيان. آناء الليل جمع

أنا بالقصر كمعى، وقيل أني كقرد، وقيل أنوة كفرقة. الصياصي جمع صيصية، منسأة جمعها مناسي. الحَرور جمعه حُرور بالضم. غرابيب جمع غربيب. أتراب جمع ترب. الألى جمع إلى كمعى، وقيل إلى كقفى، وقيل إلى كقرد، وقيل ألو. التراقي جمع ترقوة بفتح أوله. الأمشاج جمع مشيج. ألفافاً جمع لف بالكسر. العشار جمع عشر. الخنَّس جمع خانسة، وكذا الكنّس. الزبانية جمع زبنية، وقيل زابن، وقيل زباني. أشتاتاً جمع شت وشتيت. أبابيل لا واحدة له، وقيل واحدة أبول مثل عجول، وقيل أبيل مثل إكليل.

الألفاظ المعدولة:

[فائدة] ليس في القرآن من الألفاظ المعدولة إلا **ألفاظ العدد** مثنى وثلاث ورباع ومن غيرها « طـوى » فيما ذكـره الأخفش في الكتـاب المذكـور. ومـن **الصفات** « أخر » في قوله تعالى ﴿وأُخرُ متشابهات﴾ قال الراغب وغيره: وهي معدولة عن تقدير ما فيه الألف واللام، وليس له نظير في كلامهم، فإن أفعل إما أن يذكر معه من لفظاً أو تقديراً فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث وتحذف منه من فتدخل عليه الألف واللام ويثنى ويجمع، وهذه اللفظة من بين أخواتها جوّز فيها ذلك من غير الألف واللام. وقال الكرماني في الآية المذكورة: لا يمتنع كونها معدولة عن الألف واللام مع كونها وصفاً لنكرة، لأن ذلك مقدّر من وجه غير مقدّر من وجه.

مقابلة الجمع بالجمع:

[قاعدة] مقابلة الجمع بالجمع تارة تقتضي مقابلة كل فرد من هذا بكل فرد من هذا كقوله ﴿واستَغْشوا ثيابهم﴾ أي استغشى كل منهم ثوبه ﴿حرمتْ عليكم أمهاتكم﴾ أي على كل من المخاطبين أمه ﴿يوصيكم اللهُ في أولادكم﴾

أي كلاً في أولاده ﴿والوالدات يرضعن أولادهن﴾ أي كل واحدة ترضع ولدها.

وتارة يقتضي ثبوت الجمع لكل فرد من أفراد المحكوم عليه نحو ﴿فاجلدُوهم ثمانين جلدة﴾ وجعل منه الشيخ عزّ الدين ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ أنَّ لهم جنَّات﴾.

وتارة يحتمل الأمرين فيحتاج إلى دليل يعين أحدهما.

وأما مقابلة الجمع بالمفرد فالغالب أن لا يقتضي تعميم المفرد، وقد يقتضيه كما في قوله تعالى ﴿وعلى الذين يُطيقونه فديةٌ طَعامُ مسْكين﴾ المعنى: على كل واحد لكل يوم طعام مسكين ﴿والذين يرمُون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدُوهم ثمانين جلدة﴾ لأن على كل واحد منهم ذلك.

ما يظن أنه مترادف وليس كذلك:

[قاعدة في الألفاظ التي يظن بها الترادف وليست منه] من ذلك الخوف والخشية لا يكاد اللغوي يفرق بينهما، ولا شك أن الخشية أعلى منه وهي أشدّ الخوف، فإنها مأخوذة من قولهم شجرة خشية: أي يابسة، وهو فوات بالكلية، والخوف من ناقة خوفاً: أي بها داء، وهو نقص وليس بفوات، ولذلك خصت الخشية بالله في قوله تعالى ﴿يخشْون ربَّهم ويخافُون سُوءَ الحِساب﴾.

الخشية والخوف:

وفرّق بينهما أيضاً بأن الخشية تكون من عظم المختشي وإن كان الخاشي قوياً، والخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمراً يسيراً، ويدل لذلك أن الخاء والشين والباء في تقاليبها تدل على العظمة نحو شيخ للسيد الكبير، وخيش لما غلظ من اللباس، ولذا وردت الخشية غالباً في حق الله تعالى نحو ﴿من

خشْية اللهِ﴾ ﴿إنما يخشى اللهَ من عبادِهِ العلماءُ﴾ وأما ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ ففيه لطيفة فإنه في وصف الملائكة، ولما ذكرتهم وشدة خلقهم عبر عنهم بالخوف، لبيان أنهم وإن كانوا غلاظاً شداداً فهم بين يديه تعالى ضعفاء، ثم أردفه بالفوقية الدالة على العظمة فجمع بين الأمرين، ولما كان ضعف البشر معلوماً لم يحتج إلى التنبيه عليه.

الشحّ والبخل:

ومن ذلك الشحّ والبخل، والشحّ هو أشد البخل. قال الراغب: الشحّ بخل مع حرص. وفرّق العسكري بين البخل والضنّ بأن الضنّ أصله أن يكون بالعواري والبخل بالهبات، ولهذا يقال هو ضنين بعلمه ولا يقال بخيل، لأن العلم بالعارية أشبه منه بالهبة، لأن الواهب إذا وهب شيئاً خرج عن ملكه بخلاف العارية، ولهذا قال تعالى ﴿وما هو على الغيب بضنين﴾ ولم يقل ببخيل.

السبيل والطريق:

ومن ذلك السبيل والطريق، والأول أغلب وقوعاً في الخير، ولا يكاد اسم الطريق يراد به الخير إلا مقترناً بوصف أو إضافة تخلصه لذلك كقوله ﴿يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم﴾. وقال الراغب: السبيل: الطريق التي فيها سهولة فهو أخص.

جاء وأتى:

ومن ذلك جاء وأتى. فالأول يقال في الجواهر والأعيان. والثاني في المعاني والأزمان، ولهذا ورد جاء في قوله ﴿ولمن جاء به حمل بعير﴾ ﴿وجاءوا على قميصه بدمٍ كذبٍ﴾ ﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾ وأتى في ﴿أتى أمرُ الله﴾ ﴿أتاها أمرُنا﴾ وأما ﴿وجاء ربُّكَ﴾ أي أمره، فإن المراد به أهوال القيامة المشاهدة،

وكذا ﴿جاء أجلهم﴾ لأن الأجل كالمشاهد ولهذا عبر عنه بالحضور في قولهم ﴿حضره الموت﴾ ولهذا فرق بينهما في قوله ﴿جئناك بما كانوا فيه يمترون﴾ ﴿وأتيناك بالحق﴾ لأن الأول العذاب وهو مشاهد مرئي بخلاف الحق.

وقال الراغب: الإتيان مجيء بسهولة فهو أخص من مطلق المجيء. قال: ومنه قيل للسائل المارّ على وجهه أتى وأتاوي.

مدّ وأمدّ:

ومن ذلك مد وأمد. قال الراغب: أكثر ما جاء الإمداد في المحبوب نحو ﴿وأمددناهُم بفاكهة﴾ والمد في المكروه نحو ﴿ونمد له من العذاب مداً﴾.

ومن ذلك سقى وأسقى، فالأول لما لا كلفة فيه ولهذا ذكر في شراب الجنة نحو ﴿وسقاهُم ربُّهُم شرابا﴾ والثاني لما فيه كلفة ولهذا ذكر في ماء الدنيا نحو ﴿لأسقيناهم ماءً غَدَقاً﴾ وقال الراغب: الإسقاء أبلغ من السقي، لأن الإسقاء أن تجعل له ما يسقى منه ويشرب، والسقي أن تعطيه ما يشرب.

عمل وفعل:

ومن ذلك عمل وفعل، فالأول لما كان مع امتداد زمان نحو ﴿يعملون له ما يشاءُ﴾ ﴿مما عملت أيدينا﴾ لأن خلق الأنعام والثمار والزروع بامتداد. والثاني بخلافه نحو ﴿كيفَ فعلَ ربُّكَ بأصحابِ الفيل﴾ ﴿كيف فعلَ ربُّكَ بِعاد﴾ ﴿كيف فعلنا بهم﴾ لأنها إهلاكات وقعت من غير بطء ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ أي في طرفة عين، ولهذا عبر بالأول في قوله ﴿وعملوا الصالحات﴾ حيث كان المقصود المثابرة عليها لا الإتيان بها مرة أو بسرعة. وبالثاني في قوله ﴿وافعلوا الخير حيثُ كان﴾ بمعنى سارعوا كما قال ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ وقوله ﴿والذين هم للزكاةِ فاعلون﴾ حيث كان القصد يأتون بها على سرعة من غير توانٍ.

القعود الجلوس:

ومن ذلك القعود والجلوس، فالأول لما فيه لبث بخلاف الثاني، ولهذا يقال قواعد البيت ولا يقال جوالسه للزومها ولبثها. ويقال جليس الملك ولا يقال قعيدة، لأن مجالس الملوك يستحب فيها التخفيف، ولهذا استعمل الأول في قوله ﴿مقْعدِ صدقٍ﴾ للإشارة إلى أنه لا زوال له، بخلاف﴿تفسحوا في المجالس﴾ لأنه يجلس فيه زماناً يسيراً.

التام والكمال:

ومن ذلك التام والكمال وقد اجتمعا في قوله ﴿أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي﴾ فقيل الإتمام لإزالة نقصان الأصل، والإكمال لإزالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل، ولهذا كان قوله ﴿تلك عشرة كاملة﴾ أحسن من تامة، فإن التام من العدد قد علم، وإنما نفى احتمال نقص في صفاتها. وقيل تم بحصول نقص قبله وكمل لا يشعر بذلك. وقال العسكري: الكمال اسم لاجتماع أبعاض الموصوف به، والتام اسم للجزء الذي يتم به الموصوف. ولهذا يقال: القافية تمام البيت ولا يقال كماله، ويقولون البيت بكماله: أي باجتماعه.

الإعطاء والإيتاء:

ومن ذلك الإعطاء والإيتاء قال الجويني: لا يكاد اللغويون يفرقون بينهما فظهر لي بينهما فرق ينبيء عن بلاغة كتاب الله تعالى، وهو أن الإيتاء أقوى من الإعطاء في إثبات مفعولة، لأن الإعطاء له مطاوع، تقول أعطاني فعطوت، ولا يقال في الإيتاء آتاني فآتيت، وإنما يقال فأخذت، والفعل الذي له مطاوع أضعف في إثبات مفعوله من الفعل الذي لا مطاوع له، لأنك تقول قطعته فانقطع، فيدل على أن فعل الفاعل كان موقوفاً على قبول في

المحل لولاه ما ثبت المفعول، ولهذا يصح قطعته فما انقطع، ولا يصح فيما لا مطاوع له ذلك، فلا يجوز ضربته فانضرب أو فما انضرب، ولا قتلته فانقتل ولا فما انقتل، لأن هذه أفعال إذا صدرت من الفاعل ثبت لها المفعول في المحل، والفاعل مستقل بالأفعال التي لا مطاوع لها، فالإيتاء أقوى من الإعطاء.

قال: وقد تفكرت في مواضع من القرآن فوجدت ذلك مراعى، قال تعالى ﴿تؤتي الملك من تشاء﴾ لأن الملك شيء عظيم لا يعطاه إلا من له قوة، وكذا ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾ ﴿آتيناك سبعاً من المثاني﴾ لعظم القرآن وشأنه.

وقال ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ لأنه مورود في الموقف مرتحل عنه قريب إلى منازل العز في الجنة، فعبر فيه بالإعطاء لأنه يترك عن قرب وينتقل إلى ما هو أعظم منه، وكذا ﴿يعطيك ربك فترضى﴾ لما فيه من تكرير الإعطاء والزيادة إلى أن يرضى كل الرضا، وهو مفسر أيضاً بالشفاعة وهي نظير الكوثر في الانتقال بعد قضاء الحاجة منه، وكذا ﴿أعطى كُلَّ شيء خلقه﴾ لتكرر حدوث ذلك باعتبار الموجودات حتى يعطوا الجزية لأنها موقوفة على قبول منا وإنما يعطونها عن كره.

آتى الصدقة:

[فائدة] قال الراغب: خص دفع الصدقة في القرآن بالإيتاء نحو ﴿أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ ﴿وأقام الصلاة وآتى الزكاة﴾

قال: وكل موضع ذكر في وصف الكتاب آتينا فهو أبلغ من كل موضع ذكر فيه آتوا، لأن أوتوا قد يقال إذا أوتي من لم يكن منه قبول، وآتيناهم يقال فيمن كان منه قبول.

السنة والعام:

ومن ذلك السنة والعام. قال الراغب: الغالب استعمال السنة في الحول الذي فيه الشدة والجدب، ولهذا يعبر عن الجدب بالسنة، والعام ما فيه الرخاء والخصب، وبهذا تظهر النكتة في قوله ﴿ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً﴾ حيث عبر عن المستثنى بالعام، وعن المستثنى منه بالسنة.

قاعدة السؤال والجواب:

[قاعدة في السؤال والجواب] الأصل في **الجواب** أن يكون مطابقاً للسؤال إذا كان السؤال متوجهاً، وقد يعدل في الجواب عما يقتضيه السؤال تنبيهاً على أنه كان من حق السؤال أن يكون، كذلك يسميه السكاكي الأسلوب الحكيم وقد يجيء **الجواب أعم** من السؤال للحاجة إليه في السؤال، **وقد يجيء أنقص** لاقتضاء الحال ذلك.

مثال ما عدل عنه قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الأهلّة قل هي مواقيت للناس والحج﴾ سألوا عن الهلال لِمَ يبدو دقيقاً مثلاً الخيط ثم يتزايد قليلاً قليلاً حتى يمتلىء ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ؟ فأجيبوا ببيان حكمة ذلك تنبيهاً على أن الأهم السؤال عن ذلك لا ما سألوه عنه، كذا قال السكاكي ومتابعوه.

واسترسل التفتازاني في الكلام إلى أن قال: لأنهم ليسوا ممن يطلع على دقائق الهيئة بسهولة.

وأقول: ليت شعري من أين لهم أن السؤال وقع عن غير ما حصل الجواب به؟ وما المانع من أن يكون إنما وقع عن حكمة ذلك ليعلموها، فإن نظم الآية محتمل لذلك كما أنه يحتمل لما قالوه. والجواب ببيان الحكمة دليل على ترجيح الاحتمال الذي قلناه وقرينة ترشد إلى ذلك، إذ الأصل في الجواب المطابقة

للسؤال والخروج عن الأصل يحتاج إلى دليل، ولم يرد بإسناد لا صحيح ولا غيره أن السؤال وقع على ما ذكروه، بل ورد ما يؤيد ما قلناه.

فأخرج ابن جرير عن أبي العالية قال: «بلغنا أنهم قالوا: يا رسول الله لِمَ خلقت الأهلّة؟ فأنزل الله ﴿يسألونَك عن الأهِلَّة﴾». فهذا صريح في أنهم سألوا عن حكمة ذلك لا عن كيفيته من جهة الهيئة. ولا يظن ذو دين بالصحابة الذين هم أدق فهماً وأغزر علماً أنهم ليسوا ممن يطلع على دقائق الهيئة بسهولة، وقد اطلع عليها آحاد العجم الذين أطبق الناس على أنهم أبلد أذهاناً من العرب بكثير، هذا لو كان للهيئة أصل يعتبر، فكيف وأكثرها فاسد لا دليل عليه؟

وقد صنفت كتاباً في نقض أكثر مسائلها بالأدلة الثابتة عن رسول الله ﷺ الذي صعد إلى السماء ورآها عياناً وعلم ما حوته من عجائب الملكوت بالمشاهدة وأتاه الوحي من خالقها، ولو كان السؤال وقع عما ذكروه لم يمتنع أن يجابوا عنه بلفظ يصل إلى أفهامهم كما وقع ذلك لما سألوا عن المجرّة وغيرها من الملكوتيات.

نعم المثال الصحيح لهذا القسم جواب موسى لفرعون حيث قال: ﴿وما ربُّ العَالمين؟ قال ربُّ السَّمَواتِ والأرضِ وما بينهما﴾ لأن ما سؤال عن الماهية والجنس، ولما كان هذا السؤال في حق الباري سبحانه وتعالى خطأ لأنه لا جنس له فيذكر ولا تدرك ذاته، عدل إلى الجواب بالصواب ببيان الوصف المرشد إلى معرفته، ولهذا تعجب فرعون من عدم مطابقته للسؤال فقال لمن حوله: ﴿ألا تَسْتَمِعُون﴾ أي جوابه الذي لم يطابق السؤال، فأجاب موسى بقوله: ﴿ربكم وربّ آبائكم الأولين﴾ المتضمن إبطال ما يعتقدونه من ربوبية فرعون نصاً وإن كان دخل في الأول ضمناً إغلاظاً، فزاد فرعون في الاستهزاء، فلما رآهم موسى لم يتفطنوا أغلظ في الثالث بقوله: ﴿إن كنتم تَعْقِلُون﴾.

ومثال الزيادة في الجواب قوله تعالى: ﴿الله يُنْجِيكم منها ومن كُلِّ كَرْب﴾ في جواب ﴿من ينجيكم من ظُلُمات البرِّ والبَحْر﴾ وقول موسى: ﴿هي عَصَايَ أتوكأُ عليها وأهشُّ بها على غنمي﴾ في جواب ﴿وما تلك بيمينك يَا مُوسى﴾ زاد في الجواب استلذاذاً بخطاب الله تعالى، وقوله قوم إبراهيم: ﴿نعبدُ أصناماً فَنَظَلُّ لها عَاكِفِين﴾ في جواب: ﴿ما يعبدُون﴾ زادوا في الجواب إظهاراً للابتهاج بعبادتها والاستمرار على مواظبتها ليزداد غيظ السائل.

ومثال النقص منه قوله تعالى: ﴿قُل ما يكونُ لي أن أُبَدِّلَـه﴾ في جواب إئتِ بقرآن غير هذا أو بـدّله. أجاب عن التبديل دون الاختراع. قال الزمخشري: لأن التبديل في إمكان البشر دون الاختراع، فطوى ذكره للتنبيه على أنه سؤال محال. وقال غيره: التبديل أسهل من الاختراع، وقد نفى إمكانه فالاختراع أولى.

العدول عن جواب المتعنت:

[تنبيه] قد يعدل عن الجواب أصلاً إذا كان السائل قصده التعنت نحو: ﴿ويسألونَكَ عن الروحِ قُل الروحُ مِن أمر ربي﴾ قال صاحب الإفصاح: إنما سأل اليهود تعجيزاً وتغليظاً، إذ كان الروح يقال بالاشتراك على روح الإنسان والقرآن وعيسى وجبريل وملك آخر وصنف من الملائكة، فقصد اليهود أن يسألوه، فأيّ مسمى أجابهم قالوا ليس هو، فجاءهم الجواب مجملاً، وكان هذا الإجمال كيداً يراد به كيدهم.

الأصل ان يعاد السؤال في الجواب:

[قاعدة] قيل أصل الجواب أن يعاد فيه نفس السؤال ليكون وفقه نحو:

﴿أئنك لأنتَ يوسفُ قال أنا يوسفُ﴾ فأنا في جوابه هو أنت في سؤالهم، وكذا ﴿أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا﴾ فهذا أصله، ثم إنهم أتوا عوض ذلك بحروف الجواب اختصاراً وتركاً للتكرار.

وقد يحذف السؤال ثقة بفهم السامع بتقدير نحو: ﴿هل من شُرَكائِكُم من يبدأُ الخلق ثم يُعِيدُه قل اللهُ يَبدَؤُ الخَلق ثم يُعِيده﴾ فإنه لا يستقيم أن يكون السؤال والجواب من واحد، فتعين أن يكون قل الله جواب سؤال، كأنهم سألوا لما سمعوا ذلك: فمن يبدأ الخلق ثم يعيده؟

الجواب مشاكل للسؤال:

[قاعدة] الأصل في الجواب أن يكون مشاكلاً للسؤال، فإن كان جملة اسمية فينبغي أن يكون الجواب كذلك.

ويجيء كذلك في الجواب المقدر، إلا أن ابن مالك قال في قولك زيد في جواب من قرأ أنه من باب حذف الفعل على جعل الجواب جملة فعلية. قال: وإنما قدرته كذلك لا مبتدأ مع احتماله جرياً على عادتهم في الأجوبة إذا قصدوا تمامها، قال تعالى: ﴿من يُحيي العِظَام وهي رميم قل يُحيِيها الذي أنشأَها﴾ ﴿ولئن سَأَلْتَهُم من خَلَقَ السمواتِ والأرضَ ليقولُنَّ خَلَقَهُن العزيزُ﴾ ﴿ماذا أحلّ لهم قل أحلَّ لكم الطيباتِ﴾ فلما أتى بالفعلية مع فوات مشاكلة السؤال علم أن تقدير الفعل أولاً أولى ا هـ.

وقال ابن الزملكاني في البرهان: أطلق النحويون القول بأن زيداً في جواب من قام فاعل على تقدير قام زيد، والذي توجبه صناعة علم البيان أنه مبتدأ لوجهين.

أحدهما أنه يطابق الجملة المسؤول بها في الاسمية كما وقع التطابق في قوله: ﴿وإذا قيل لهم ماذا أَنزَلَ رَبُّكُم قالوا خيراً﴾ في الفعلية، وإنما لم يقع التطابق في

قوله: ﴿ماذا أنزل ربكم قَالُوا أساطير الأولين﴾ لأنهم لو طابقوا لكانوا مقرّين بالإنزال وهم من الإذعان به على مفاوز.

الثاني: أن اللبس لم يقع عند السائل إلا فيمن فعل الفعل، فوجب أن يتقدم الفاعل في المعنى لأنه متعلق غرض السائل. وأما الفعل فمعلوم عنده ولا حاجة به إلى السؤال عنه فجرى أن يقع في الأواخر التي هي محل التكملات والفضلات. وأشكل على هذا ﴿بل فَعَلَه كبيرُهم﴾ في جواب ﴿أأنت فعلتَ هذا﴾ فإن السؤال وقع عن الفاعل لا عن الفعل، فإنهم لا يستفهمونه عن الكسر بل عن الكاسر ومع ذلك صدر الجواب بالفعل.

وأجيب بأن الجواب مقدّر دل عليه السياق، إذ بل لا تصلح أن يصدر بها الكلام، والتقدير: ما فعلته بل فعله.

قال الشيخ عبد القاهر: حيث كان السؤال ملفوظاً به فالأكثر ترك الفعل في الجواب والاقتصار على الاسم وحده، وحيث كان مضمراً فالأكثر التصريح به لضعف الدلالة عليه، ومن غير الأكثر ﴿يسبح له فيها بالغدوّ والآصال رجال﴾ في قراءة البناء للمفعول.

أسئلة أصحاب محمد:

[فائدة] أخرج البزار عن ابن عباس قال: ما رأيت قوماً خيراً من أصحاب محمد، ما سألوه إلا عن اثنتي عشرة مسألة كلها في القرآن. وأورده الإمام الرازي بلفظ أربعة عشر حرفاً وقال: منها ثمانية في البقرة ﴿وإذا سألَكَ عِبادي عني فإني قَريب﴾ ﴿يسألونَكَ عن الأهِلةَ﴾ ﴿يسألونَكَ ماذا يُنفقون قُل ما أنفقتم﴾ ﴿يسألونَكَ عن الشهرِ الحَرَام﴾ ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ ﴿ويسألونَكَ عن اليَتَامى﴾ ﴿ويسألونك ماذا يُنفقون قل العفوَ﴾ ﴿ويسألونَكَ عن

المحيض﴾ قال: والتاسع ﴿يسألونك ماذا أحل لهم﴾ ـ في المائدة.. والعاشر ﴿يَسْأَلُونَكَ عنِ الأَنْفَال﴾ والحادي عشر ﴿يسألونَك عن السَّاعَة﴾ والثاني عشر ﴿ويسألونَكَ عن الجِبَال﴾ والثالث عشر ﴿وَيَسْأَلونَك عن الرُّوحِ﴾ والرابع عشر ﴿وَيَسأَلونَك عن ذِي القرنين﴾ قلت: السائل عن الروح وعن ذي القرنين مشركو مكة واليهود كما في أسباب النزول لا الصحابة، فالخالص اثنا عشر كما صحت به الرواية.

فعل السؤال يتعدى:

[فائدة﴾ قال الراغب: السؤال إذا كان للتعريف تعدّى إلى المفعول الثاني تارة بنفسه وتارة بعن وهو أكثر نحو: ﴿ويسألونَكَ عن الروح﴾ وإذا كان الاستدعاء مال فإنه يعدى بنفسه أو بمن وبنفسه أكثر نحو: ﴿وإذا سألتموهن مَتَاعاً فاسألُوهُن من وَرَاء حجاب﴾ ﴿واسألوا ما أَنْفقتُم﴾ ﴿واسألوا اللهَ من فَضْلِه﴾.

الخطاب بالفعل أقوى من الخطاب بالاسم:

[قاعدة في الخطاب بالاسم والخطاب بالفعل] الاسم يدل على الثبوت والاستمرار، والفعل يدل على التجدد والحدوث، ولا يحسن وضع أحدهما موضع الآخر، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وكلبُهُم باسِطٌ ذِرَاعَيه﴾ لو قيل يبسط لم يفد الغرض لأنه يؤذن بمزاولة الكلب البسط وأنه يتجدد له شيئاً بعد شيء، فباسط أشعر بثبوت الصفة. وقوله: ﴿وهل من خَالِقٍ غير الله يَرْزُقُكُم﴾ لو قيل رازقكم لفات ما أفاده الفعل من تجدد الرزق شيئاً بعد شيء.

ولهذا جاءت الحال في صورة المضارع مع أن العامل الذي يفيده ماض نحو: ﴿وجاءُوا أَبَاهم عِشَاءً يَبْكُون﴾ إذ المراد أن يفيد صورة ما هم عليه وقت

المجيء، وأنهم آخذون في البكاء يجددونه شيئاً بعد شيء، وهو المسمى حكاية الحال الماضية وهذا هو سرّ الإعراض عن اسم الفاعل والمفعول.

ولهذا أيضاً عبر بالذين ينفقون ولم يقل المنفقون، كما قيل المؤمنون والمتقون، لأن النفقة أمر فعلي شأنه الانقطاع والتجدد، بخلاف الإيمان فإن له حقيقة تقوم بالقلب يدوم مقتضاها.

وكذلك التقوى والإسلام والصبر والشكر والهدى والعمى والضلالة والبصر، كلها لها مسميات حقيقية ومجازية تستمر وآثار تتجدد وتنقطع فجاءت بالاستعمالين. وقال تعالى في سورة الأنعام: ﴿يُخرجُ الحيَّ من الميتِ ومخرج الميت من الحيّ﴾ قال الإمام فخر الدين: لما كان الاعتناء بشأن إخراج الحيّ من الميت أشد أتى فيه بالمضارع ليدل على التجدد كما في قوله: ﴿الله يستهزئ بِهِم﴾.

الماضي يفيد الحصول والمضارع يفيد التجدد:

[تنبيهات: الأول﴾ المراد بالتجدد في الماضي الحصول، وفي المضارع أن من شأنه أن يتكرّر ويقع مرة بعد أخرى، وصرح بذلك جماعة منهم الزمخشري في قوله: ﴿اللهُ يستهزئ بِهِم﴾ قال الشيخ بهاء الدين السبكي: وبهذا يتضح الجواب عما أورد من نحو ﴿علم الله﴾ كذا فإن علم الله لا يتجدّد، وكذا سائر الصفات الدائمة التي يستعمل فيها الفعل وجوابه أن معنى علم الله كذا، وقد علمه في الزمن الماضي، ولا يلزم أنه لم يكن قبل ذلك، فإن العلم في زمن ماضٍ أعم من المستمر على الدوام قبل ذلك الزمن وبعده وغيره، ولهذا قال تعالى حكاية عن إبراهيم: ﴿الذي خَلَقَني فهو يَهْدِين﴾ الآيات، فأتي بالماضي في الخلق لأنه مفروغ منه، وبالمضارع في الهداية والإطعام والإسقاء والشفاء لأنها متكرّرة متجددة تقع مرة بعد أخرى.

مضمر الفعل كمظهره:

[الثاني] مضمر الفعل فيما ذكر كمظهره، ولهذا قالوا إن سلام الخليل أبلغ من سلام الملائكة حيث قالوا: ﴿سلاماً قال سَلاَمٌ﴾ فإن نصب سلاماً إنما يكون على إرادة الفعل: أي سلمنا سلاماً، وهذه العبارة مؤذنة بحدوث التسليم منهم إذ الفعل متأخر عن وجود الفاعل، بخلاف سلام إبراهيم فإنه مرتفع بالابتداء فاقتضى الثبوت على الإطلاق، وهو أولى مما يعرض له الثبوت فكأنه قصد أن يحييهم بأحسن ما حيوه به.

أنكر بعضهم قاعدة الثبوت والتجدد:

[الثالث] ما ذكرناه من دلالة الاسم على الثبوت والفعل على التجدد والحدوث هو المشهور عند أهل البيان، وقد أنكره أبو المطرف ابن عميرة في كتاب التمويهات على التبيان لابن الزملكاني وقال: إنه غريب لا مستند له، فإن الاسم إنما يدل على معناه فقط، أما كونه يثبت المعنى للشيء فلا، ثم أورد قوله تعالى: ﴿ثم إنكم بعد ذلك لميتُون ثم إنكم يومَ القيامة تُبعثُون﴾ وقولهم: ﴿إن الذينَ هُم من خَشْيَةِ ربِّهم مُشْفِقُون والذين هم بآياتِ ربهم يُؤمنون﴾. وقال ابن المنير: طريقة العربية تلوين الكلام ومجيء الفعلية تارة والاسمية أخرى من غير تكلف لما ذكره، وقد رأينا الجملة الفعلية تصدر من الأقوياء الخلص اعتماداً على أن المقصود حاصل بدون التأكيد نحو: ﴿ربنَا آمنا﴾ ولا شيء بعد ﴿آمن الرسولُ﴾ وقد جاء التأكيد في كلام المنافقين فقالوا: ﴿إنما نحن مُصْلِحون﴾.

المصدر المرفوع يدل على الوجوب:

[قاعدة في المصدر] قال ابن عطية: سبيل الواجبات الإتيان بالمصدر مرفوعاً كقوله تعالى: ﴿فإمساكٌ بمعروفٍ أو تَسْرِيحٌ بإحسان﴾ ﴿فاتباعٌ بالمعروفِ وأداءٌ

إليه بإحسان﴾.

وسبيل المندوبات الإتيان به منصوباً كقوله تعالى: ﴿فضرب الرقاب﴾ ولهذا اختلفوا هل كانت الوصية للزوجات واجبة لاختلاف القراءة في قوله: ﴿وصية لأزواجهم﴾ بالرفع والنصب. قال أبو حيان: والأصل في هذه التفرقة قوله تعالى: ﴿قالوا سلاماً قال سَلاَمٌ﴾ فإن الأول مندوب والثاني واجب. والنكتة في ذلك أن الجملة الاسمية أثبت وآكد من الفعلية.

العطف ثلاثة اقسام:

[قاعدة في العطف] هو ثلاثة أقسام: **عطف على اللفظ** وهو الأصل، وشرطه إمكان توجه العامل إلى المعطوف.

وعطف على المحل وله ثلاثة شروط: أحدها إمكان ظهور ذلك المحل في الصحيح، فلا يجوز مررت بزيد وعمرو، إلا أنه لا يجوز مررت زيداً، الثاني أن يكون الموضع بحق الأصالة، فلا يجوز هذا الضارب زيداً وأخيه، لأن الوصف المستوفي لشروط العمل الأصل إعماله لا إضافته، الثالث وجود المحرز: أي الطالب لذلك المحل، فلا يجوز أن زيداً وعمرو قاعدان، لأن الطالب لرفع عمرو هو الابتداء وهو قد زال بدخول إن.

وخالف في هذا الشرط الكسائي مستدلاً بقوله: ﴿إن الذينَ آمنُوا والذين هَادُوا والصابئون﴾ الآية. وأجيب بأن خبر إن فيها محذوف: أي مأجورون أو آمنون، ولا يختص مراعاة الموضع بأن يكون العامل في اللفظ زائداً، وقد أجاز الفارسي في قوله: ﴿وأتبعوا في هذه الدُّنيا لعنة ويوم القيامة﴾ إن يوم القيامة عطف على محل هذه.

وعطف على التوهم نحو: ليس زيد قائماً ولا قاعد بالخفض على توهم

دخول الباء في الخبر، وشرط جوازه صحة دخول ذلك العامل المتوهم، وشرط حسنه كثرة دخوله هناك، وقد وقع هذا العطف في المجرور في قول زهير:

بدا لي أني لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئاً إذا كان جائيا

وفي المجزوم في قراءة غير أبي عمرو: ﴿لولا أَخَّرْتَني إلى أجلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وأَكُن﴾ خرّجه الخليل وسيبويه على أنه عطف على التوهم، لأن معنى لولا أخرتني فأصدّق، ومعنى أخرني أصدق واحد.

وقراءة قنبل: ﴿إنه من يتقي ويصبر﴾ خرّجه الفارسي عليه لأن من الموصولة فيها معنى الشرط.

وفي المنصوب في قراءة حمزة وابن عامر: ﴿ومن وراء إسحق يعقوب﴾ بفتح الباء، لأنه على معنى ووهبنا إسحق ومن وراء إسحق يعقوب. وقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿وحفظاً من كُلِّ شَيْطانٍ﴾ أنه عطف على معنى: ﴿إنا زينا السماءَ الدُّنيا﴾ وهو: إنا خلقنا الكواكب في السماء الدنيا زينة للسماء.

وقال بعضهم في قراءة ﴿ودوالو تدهن فيدهنون﴾ أنه على معنى أن تدهن. وقيل في قراءة حفص: ﴿لعلي أبلغُ الأسبابَ أسبابَ السمواتِ فأطلع﴾ بالنصب أنه عطف على معنى لعلي أن أبلغ، لأن خبر لعل يقترن بأن كثيراً. وقيل في قوله تعالى: ﴿ومن آياتِهِ أن يُرسِلَ الرياحَ مُبشراتٍ وليذيقَكُم﴾ أنه على تقدير ليبشركم ويذيقكم.

العطف على المعنى:

[تنبيه] ظن ابن مالك أن المراد بالتوهم الغلط، وليس كذلك كما نبه عليه أبو حيان وابن هشام بل هو مقصد صواب. والمراد أنه عطف على المعنى: أي جوز العربي في ذهنه ملاحظة ذلك المعنى في المعطوف عليه فعطف ملاحظاً له،

لا أنه غلط في ذلك، ولهذا كان الأدب أن يقال في مثل ذلك في القرآن أنه عطف على المعنى.

عطف الخبر على الإنشاء:

[مسألة] اختلف في جواز عطف الخبر على الإنشاء وعكسه، فمنعه البيانيون وابن عصفور، ونقله عن الأكثرين.

وأجازه الصفار وجماعة مستدلين بقوله تعالى: ﴿وبَشِّر الذين آمنُوا﴾ في سورة البقرة: ﴿وَبشِّرِ المؤمنين﴾ في سورة الصف. وقال الزمخشري: في الأولى ليس المعتمد بالعطف الأمر حتى يطلب له مشاكل، بل المراد عطف جملة ثواب المؤمنين على جملة ثواب الكافرين. وفي الثانية أن العطف على تؤمنون لأنه بمعنى آمنوا، وردّ بأن الخطاب به للمؤمنين ويبشر للنبي ﷺ، وبأن الظاهر في تؤمنون أنه تفسير للتجارة لا طلب. وقال السكاكي: الأمران معطوفان على قل مقدرة قبل يا أيها، وحذف القول كثير.

عطف الجملة الاسمية على الفعلية:

[مسألة] اختلف في جواز عطف الاسمية على الفعلية وعكسه، فالجمهور على الجواز وبعضهم على المنع، وقد لهج به الرازي في تفسيره كثيراً، وردّ به على الحنفية القائلين بتحريم أكل متروك التسمية أخذاً من قوله تعالى: ﴿ولا تأكلوا مما لم يُذكرْ اسمُ اللهِ عليه﴾ ﴿وإنه لَفِسْق﴾ فقال هي حجة للجواز لا للتحريم، وذلك أن الواو ليست عاطفة لتخالف الجملتين بالاسمية والفعلية، ولا للاستئناف لأن أصل الواو أن تربط ما بعدها بما قبلها، فبقي أن تكون للحال فتكون جملة الحال مفيدة للنهي.

والمعنى: لا تأكلوا منه في حال كونه فسقاً، ومفهومه جواز الأكل إذا لم

يكن فسقاً. والفسق قد فسره الله تعالى بقوله تعالى: ﴿أو فسقاً أهلّ لغير الله به﴾ فالمعنى: لا تأكلوا منه إذا سمى عليه غير الله، ومفهومه: فكلوا منه إذا لم يسم عليه غير الله تعالى اهـ. قال ابن هشام: ولو أبطل العطف تخالف الجملتين بالإنشاء والخبر لكان صواباً.

العطف على معمولي عاملين:

[مسألة] اختلف في جواز العطف على معمولي عاملين، فالمشهور عن سيبويه المنع، وبه قال المبرّد وابن السراج وهشام، وجوزه الأخفش والكسائي والفراء والزجاج، وخرّج عليه قوله تعالى: ﴿إن في السموات والأرضِ لآياتٍ للمؤمنين﴾ ﴿وفي خَلْقِكُم وما يبثُّ من دَابةٍ آيات لقومٍ يُوقنون﴾ ﴿واختلاف الليلِ والنهار﴾ ﴿وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ ﴿وتصريفِ الرياحِ آيات لقوم يعقلون﴾ فيمن نصب الآيات الأخيرة.

العطف على الضمير:

[مسألة] اختلف في جواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار، فجمهور البصريين على المنع، وبعضهم والكوفيون على الجواز، وخرّج عليه قراءة حمزة: ﴿واتقوا الله الذي تَسَاءَلُون به والأرحامِ﴾.

وقال أبو حيان في قوله تعالى: ﴿وصدّ عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام﴾ أن المسجد معطوف على ضمير به وإن لم يعد الجار.

قال: والذي نختاره جواز ذلك لوروده في كلام العرب كثيراً نظماً ونثراً. قال: ولسنا متعبدين باتباع جمهور البصريين بل نتبع الدليل.

تم الجزء الأول. ويليه الجزء الثاني

وأوله: النوع الثالث والأربعون، في المحكم والمتشابه

فهرس الجزء الأول

الموضوع	الصفحة
تقديم للأستاذ شريف سكر	٥
مقدمة المؤلف	١١
النوع الأول: معرفة المكي والمدني	٢٧
النوع الثاني: معرفة الحضري والسفري	٥٣
النوع الثالث: معرفة النهاري والليلي	٦٠
النوع الرابع: الصيفي والشتائي	٦٤
النوع الخامس: الفراشي والنومي	٦٦
النوع السادس: السمائي والأرضي	٦٨
النوع السابع: معرفة أول ما نزل	٦٩
النوع الثامن: معرفة آخر ما نزل	٧٨
النوع التاسع: معرفة سبب النزول	٨٣
النوع العاشر: فيما نزل في القرآن على لسان بعض الصحابة	٩٩
النوع الحادي عشر: ما تكرر نزوله	١٠٢
النوع الثاني عشر: ما تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه	١٠٤
النوع الثالث عشر: ما نزل مفرقاً وما نزل جمعاً	١٠٧
النوع الرابع عشر: ما نزل مشيعاً وما نزل مفرداً	١٠٩
النوع الخامس عشر: ما أنزل منه على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحد قبل النبي ﷺ	١١٢
النوع السادس عشر: في كيفية إنزاله	١١٦

الموضوع	الصفحة
النوع السابع عشر : في معرفة أسمائه وأسماء سوره	١٤٤
النوع الثامن عشر : في جمعه وترتيبه	١٦٣
النوع التاسع عشر : في عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه	١٨٣
النوع العشرون: في معرفة حُفّاظه ورواته	١٩٨
النوع الحادي والعشرون: في معرفة العالي والنازل من أسانيده	٢٠٧
النوع الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والعشرون: معرفة المتواتر والمشهود والآحاد والشاذ والموضوع والمدرج	٢١١
النوع الثامن والعشرون: في معرفة الوقف والابتداء	٢٣٢
النوع التاسع والعشرون: في بيان الموصول لفظاً المفصول معنى	٢٥٠
النوع الثلاثون: في الإمالة والفتح وما بينهما	٢٥٣
النوع الحادي والثلاثون: في الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب	٢٦١
النوع الثاني والثلاثون: في المد والقصر	٢٦٨
النوع الثالث والثلاثون: في تخفيف الهمز	٢٧٤
النوع الرابع والثلاثون: في كيفية تحمله	٢٧٦
النوع الخامس والثلاثون: في آداب تلاوته وتأليفه	٢٨٨
النوع السادس والثلاثون: في معرفة غريبه	٣١٣
النوع السابع والثلاثون: فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز	٣٥٩
النوع الثامن والثلاثون: فيما وقع فيه بغير لغة العرب	٣٦٦
النوع التاسع والثلاثون: في معرفة الوجوه والنظائر	٣٨١
النوع الأربعون: في معرفة معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسر	٣٩٣
النوع الحادي والأربعون: في معرفة إعرابه	٤٨٨
النوع الثاني والأربعون: في قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها	٥٠٦